من تاريخ المغرب في القرن 17

# الزاوية الدلائية

## ودورها الديني والعلمي والسياسي




تأليف

**محمد حجي**

أستاذ بكلية الآداب بالرباط



طبعة ثانية موسعة ومنقحة

1409 ـ 1988

# الزاوية الدلائية

ودورها الديني والعلمي والسياسي

من تاريخ المغرب في القرن 19

# الزاوية الدلائية

## ودورها الديني والعلمي والسياسي




تأليف

**محمد حجي**

أستاذ بكلية الآداب بالرباط



طبعة ثانية موسعة ومنقحة

1409 ـ 1988

نوقش هذا الكتاب أمام الجمهور في 8 أبريل 1963 بكلية الآداب بالرباط
فنال به المؤلف ديبلوم الدراسات العليا بدرجة حسن

طبعة 1409 ــ 1988


مطبعة النجاح الجديدة
الإيداع القانوني رقم 1988/690

بسم الله الرحمن الرحيم

# بين يدي الطبعة الثانية

مضى ربع قرن على ظهور الطبعة الأولى من كتاب **الزاوية الدلائية**، وافتُقدت من السوق منذ سنوات كنت خلالها أعتذر لمن يطلبون مني إعادة طبعه من القراء والمكتبيين وأعِدُهم بأني سأراجعه وألحق به ما يلزم من ملف فتحته منذ صدور الكتاب سنة **1964** فأصبح اليوم ضخماً بما يضم من مراسلات وانتقادات وقصاصات تتضمن ما وقفت عليه بعدُ مما يتعلق بالدلاء والدلائيين وسائر الموضوعات المطروقة في الكتاب. أدركت في النهاية بأن فرصة المراجعة لن تأتي عفواً، فصممت على أن أقوم بذلك في صيف هذه السنة فأعان الله ويسَّر، ولكل أجل كتاب.

وقد ارتأى بعض الزملاء، أن تُنشر في هذه الطبعة الجديدة طائفة من المراسلات المتعلقة **بالزاوية الدلائية** ومقتطفات مما كتبتْه عنها الصحف والمجلات، إحياءً لتقليد علمي عريق. لكني آثرت ألَّا أفعل مكتفياً بذكر أسماء بعض من تفضلوا بالكتابة إليَّ مهنئين ومشجعين أو منتقدين ومنبِّهين، من أمثال الاساتذة الأجلاء حسن إبراهيم حسن وهو يومئذ بالعراق، وأحمد المنصوري الزياني، والحسن البونعماني، والعربي المسعودي ــ رحمهم الله ــ ونقولا زيادة من الجامعة الامريكية ببيروت، ومحيي الدين المشرفي من وزارة التربية الوطنية، وبِّيلا ch. Pella،

وبرانشفيك R. Brunschvikk من السربون، ودولاباستيد H.de la Bastide من مدرسة اللغات الشرقية بباريز، وعدد كثير من الزملاء أساتذة ومفتشي التعليم الابتدائي والثانوي من سلا والرباط، وفاس، والجديدة، وزاوية أيت إسحاق... كما كاتبني سنة 1973 مرارا الأستاذ ايزاد بارست A. Izadparast من جامعة يوطا بالولايات المتحدة الاميركية مستأذناً في ترجمة الزاوية الدلائية إلى اللغة الانجليزية كجزء من أطروحته عن تاريخ ظهور الزوايا في شمال افريقيا فأذنت له ولم أطلب منه إلّا أن يبعث إلي بنسخة من الترجمة الانجليزية لكنه لم يفعل.

كم سرني أن كانت هذه الدراسة المتواضعة، باعتبارها أول رسالة جامعية نشرت بالمغرب، نموذجا احتذى حذوه طوال هذه الفترة من الزمن عدد من الطلبة الباحثين، وبابا انفتح لآخرين عن موضوعات تتعلق بتاريخ التصوف والزوايا، وأدب الدلاء وشخصياته العلمية أمثال المرابط الدلائي، والحسن اليوسي، واحمد بن القاضي، وابن أبي محلي...

وحمدت الله على ما نالت الزاوية الدلائية، على ما فيها من هفوات، من قبول في الداخل والخارج، حتى كانت موضوع حلقات دراسية لطلبة السلك الثالث في السربون تحت إشراف أساتذة مرموقين أمثال شارل بيلا، وجاك بيرك، وفيرنانديز.

فتحت ملف الزاوية الدلائية فهالني ما تجمع فيه من مادة علمية يمكن أن يؤلف منها كتاب جديد لو بقي لي نشاط الستينات ولم تكن عندي مشاغل الثمانينات. ففي ميدان البيبليوغرافيا مثلا كم من مخطوطات اكتُشفت أو عُثر على نسخ أخرى منها، ونصوص حققت أو طبعت، ودراسات أنجزت...

قمت بمراجعة خفيفة للكتاب عملا بقاعدة ما لا يمكن كله لا يترك كله، فأبقيت النص على حاله، الا أخطاء مطبعية صححتها، واخرى ندت عن ذهني فنبهني اليها الزملاء الاعزاء ــ مشكورين ــ في تعليقاتهم ببعض المجلات وبخاصة ما كتبه الأستاذ ابراهيم بوطالب في هسبريس، وعبد القادر زمامة في آفاق. وأضفت

بعض ما اطلعت عليه من المستجدات في قوائم مؤلفات ابن القاضي واليوسي، والمقري، ومؤلفات الدلائيين، وأعدت ترتيبها على حروف الهجاء، تاركا الهوامش كذلك بدون تغيير ما عدا الاحالات على نشر المثاني التي كانت في الطبعة الأولى مزدوجة على المطبوع الحجري، وعلى نشر المثاني الكبير المخطوط، فقد استبدلت بها الإحالة على المطبوع الجديد الذي حققته مع الزميل الاستاذ أحمد التوفيق لكونه يضم المطبوع الحجري والمخطوط معا. وأحلت في بعض التراجم على مصادرها في كتابي الحركة الفكرية. واستدركت في هذه الطبعة ما فاتني في الأولى من الفهرسة، فوضعت فهرسين عامين، واحدا للأعلام وآخر للأماكن والله أسأل أن يديم النفع به ويثيبني عليه.

سلا في فاتح ربيع الأول 1408 /24 أكتوبر 1987.

محمد حجي

# المقدمـــة

اخترت (الزاوية الدلائية) موضوعا لبحثي نظرا لما قامت به هذه الزاوية من أدوار هامة في تاريخ المغرب، في ميادين الدين والعلم والسياسة، ولا سيما في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) في تلك الفترة المضطربة التي تقع بين الدولتين السعدية والعلوية. ولما كان الدلائيون قد حاربوا العلويين ونافسوهم في السلطان الى أن قضى الملك الرشيد بن الشريف العلوي على زاويتهم، فان المؤرخين الذين عاصروا تلك الاحداث قد أحجموا عن تدوينها، وخاصة ما يتعلق منها بمجد الدلائيين والجوانب الحسنة في حياتهم السياسية، وبذلك لم تحظ الزاوية الدلائة بما تستحقه من الاهتمام، اللهم إلا ما كان هنالك من أخبار يسيرة جاءت متفرقة في كتب التاريخ والتراجم.

وفي القرن الماضي بدأ الاهتمام بالدلائيين يكثر، وأُلفت فيهم ثلاثة كتب أولها أرجوزة تشتمل على 275 بيت لمحمد بن أبي بكر اليازغي سماها **حدائق الازهار الندية في التعريف بأهل الزاوية الدلائية البكرية**. تكلم فيها — كما سمح له النظم — عن أصلهم، وأتى بتراجم كثير منهم مستعملا حروف الجمَّل كرموز لسني الولادة والوفاة. وثاني الكتب المؤلفة في الدلائيين هو **نزهة الاخيار المرضيين في مناقب العلماء الدلائيين البكريين**، لعبد الودود بن عمر التازي، اهتم فيه بأنساب الدلائيين وذكر الآباء منهم وما خلفوه من أبناء. على أن أهم كتاب ألف في الدلائيين هو **البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية**، لأبي الربيع سليمان الحوات، وهو أجمع كتاب لأخبار الدلائيين يقع في أكثر من ستمائة صفحة. استقى مؤلفه أخبار الزاوية وأهلها من والده الذي تتلمذ للدلائيين، وأحاط بكل ما قيل فيهم أو كتب عنهم. لكن عيب البدور الضاوية أن مؤلفه لم يأت ببحث موضوعي كمؤرخ محايد يستهدف الحقيقة لذاتها حسنة كانت أم

قبيحة، ولا يتردد في الحكم على من يؤرخ لهم متى استلزمت نتائج البحث ذلك. وإنما كان يعينه أن يذكر محاسن الدلائيين دون مساوئهم، فهم جميعا عنده علماء صلحاء نزهاء الخ. وأي بشر سلم من النقص والخطأ؟ هذا بالاضافة الى حشو الكتاب بكثير من الاساطير والكرامات المبالغ فيها، والسير على نهج المؤلفين القدماء في التحلية بالالقاب الرفيعة الرتيبة التي قد تستغرق نصف صفحة أو أكثر بحيث يصعب العثور على اسم الشخص الذي يترجم له، ثم لا يفيد الباحث شيئا من عبارات الاطراء المنمقة التي تتكرر في كل ترجمة ولا يتبدل فيها غالبا الا الترتيب والسجع.

هكذا وجدت أن تاريخ الدلائيين قد بقي غامضا مبعثرا بالرغم عن هذه الكتب الخاصة، فحاولت أن أكتب عن الزاوية الدلائية بحثا نزيها أذكر فيه ما للدلائيين وما عليهم، وأحلل — ما استطعت — بعض الجوانب الغامضة في تاريخهم، وأعالج هذا الموضوع من نواحيه الدينية والعلمية والسياسية. وقد رجعت في بحثي الى كثير من الكتب التي عرضت لعصر الدلائيين، وأفدت من أكثر من مائة مرجع عربي وافرنجي، أكثرها مخطوط؛ منها الكتب الثلاثة المتقدمة وخاصة البدور الضاوية التي اخترت منها مادة هامة فيما انفرد به مؤلفها من الروايات الخاصة، أو من النقول عن بعض المصادر التي لم يتيسر الوقوف عليها. ورجعت الى المظان في كتب التاريخ والتراجم، والرحلات، والتصوف، والنوازل، والدواوين الادبية، أخص بالذكر منها كتاب **مباحث الانوار في أخبار بعض الاخيار** لاحمد بن يعقوب الوَلاّلي الذي عاش طالبا في الزاوية الدلائية فترة طويلة من حياته، ووصفها عن حس ومشاهدة. **والمحاضرات ،والفهرست** للحسن اليوسي أشهر تلاميذ الزاوية الدلائية، وقد أتى في هذين الكتابين بكثير من أخبار الدلائيين وتراجم أعيانهم. كما اعتمدت على كتاب **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن**، لأبي حامد محمد العربي الفاسي الذي أقام هو أيضا مدة في الزاوية الدلائية، وتعرض في كتابه لبعض أخبارها، وترجم لشيخه محمد بن أبي بكر الدلائي، وكتاب **الاحيا والانتعاش في تراجم سادات زاوية آيت عياش**، لعبد الله

العياشي. وتعتبر الزاوية العياشية أو الحمزاوية كما تسمى اليوم ريبة الزاوية الدلائية، إذ كان مؤسسها محمد بن أبي بكر العياشي من تلاميذ الشيخ أبي بكر الدلائي، وهذا الأخير هو الذي هيأه للمشيخة وأمره أن يتخذ زاوية في أيت عياش بالسفح الجنوبي الشرقي للأطلس الكبير. ويشتمل كتاب الإحيا على معلومات هامة عن موقع الزاوية الدلائية القديمة ومدينة محمد الحاج التي تفرعت عنها.

ورجعت كذلك إلى كتاب **الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة** لعبد العزيز بن الحسن الزياتي الذي عاش في العصر الأول للزاوية الدلائية وذكر كثيرا من فتاوي العلماء في موضوع الاضطرابات التي دعت الدلائيين الى التدخل في شؤون البلاد السياسية، ولا سيما ما يتعلق منها بجهاد الرئيس محمد العياشي وحصاره المورسكيين في الرباط والقصبة؛ **وإلى نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، وصفوة من انتشر من خبار صلحاء القرن الحادي عشر**، لتلميذ الدلائيين محمد الصغير اليفراني الذي عرض في مواضع كثيرة من كتابيه لأخبار الزاوية الدلائية وأهلها؛ وإلى كتابي **التحفة القادرية، وتقايد تاريخية** لعبد السلام بن عبد الله الخياط القادري الذي يروي بواسطة عن عمّ والده أحمد ابن عبد القادر القادري تلميذ الدلائيين وصهرهم الذي عاش معهم في الزاوية إلى أن وقع تخريبها. وينفرد هذان الكتابان بأخبار هامة ودقيقة عن الزاوية الدلائية، وعن الفترة الاخيرة لنفوذ الدلائيين في فاس. وأفدت أيضا من كتاب **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ونشر المثاني الكبير** المخطوط(*) لمحمد بن الطيب القادري الذي أخذ عن تلاميذ الدلائيين، وترجم لعدد كثير من علماء هذه الأسرة وصلحائها، وعرض في حوادث السنين المتسلسلة لأهم الاحداث التي وقعت أيام الامارة الدلائية.

ولم أغفل ما كتبه الاجانب عن الدلائيين، وأفدت بالخصوص من ليفي بروفنسال في كتاب **Les Historiens des Chorfa** ومن الكونت دو كاستر في

---

(*) لقد حققت بعد ذلك مع الاستاذ أحمد التوفيق، نشر المثاني اعتمادا على المخطوطات المعروفة له لحد الآن، ونشرناه في أربعة أجزاء بالرباط والدار البيضاء، 1977 — 1986. وهي المعتمدة في الطبعة الثانية للزاوية الدلائية.

سلسلة وثائقه القيمة «Les Sources Inédites de l'Histoire du Maroc» ومما نشرته في هذا الموضوع مجلة هسبيريس «Hespéris» ومجلة وثائق مغربية «Archives marocaines»

قسمت الموضوع الى سبعة أبواب. بحثت في الباب الأول عن نشأة الزاوية الدلائية وأطوارها الأولى أيام الشيخ أبي بكر الدلائي، وتحدثت في الباب الثاني عن عالم الزاوية الدلائية وطريقتها الشاذلية، وعلاقتها بغيرها من الزوايا الكبرى التي عاصرتها ولا سيما الفاسية، والناصرية، والعياشية. وعالجت في الباب الثالث أهمية الزاوية الدلائية من الناحية العلمية، وترجمت لطائفة من أشهر المتخرجين منها، كالحسن اليوسي، وأحمد المقري، والعربي الفاسي، والاخوين العكاريين محمد وعلي وغير هؤلاء من فطاحل العلماء.

وتناولت في الباب الرابع الناحية السياسية، وموقف الدلائيين من الاضطرابات التي انتشرت في المغرب على اثر وفاة السلطان أحمد المنصور الذهبي. وأشرت الى علاقات الدلائيين بالملوك السعديين المتأخرين، وبالثوار أرباب الزوايا الذين استبدوا بالاقاليم، كابن أبي محلي السجلماسي، وأبي زكريا الحاحي، وأبي حسون السملالي، والمجاهد العياشي السلاوي، وعرضت لزعامة محمد الحاج السياسية، وتأسيسه مدينة الدلاء أو الزاوية الدلائية الحديثة، وبيعة أهل المغرب له، وقيامه ببعض الأعمال الحربية الداخلية، وجهاده ضد الاسبانيين في حصن المعمورة المحتل. وألممت في الباب الخامس ببعض مظاهر انتشار النفوذ السياسي للدلائيين، فذكرت ما كان من انضواء المورسكيين في تطوان والرباط تحت لوائهم، وسيطرتهم على أسطول الجهاد أو القرصنة السلاوية، وعلاقاتهم بالدول الاوروبية البحرية، كهولاندا، وأنجلترا، وفرنسا التي عقدوا معها معاهدات ساعدت على ازدهار التجارة في الموانىء المغربية، وعملت على تزويد الخزينة الدلائية بأموال ضخمة من الضرائب الجمركية المفروضة على الصادرات والواردات، وسمحت كذلك باستجلاب العتاد الحربي الحديث من مدافع وبنادق ومسحوق البارود لتسليح الجيش النظامي الدلائي.

وأفردت الباب السادس لذكر مراحل تقهقر الدلائيين، فعرضت لبدء انتقاض الاطراف عليهم بسبب ثورة الخضر غيلان في الشمال، وانهزام محمد الحاج الدلائي في معركة (وادي بوحريرة) تلك الهزيمة التي أدت الى قيام الثورة ضد الدلائيين في فاس وسلا والرباط وسائر بلاد الغرب، وحصار الامير عبد الله الدلائي في قصبة سلا. ثم ألممت بمسألة ظهور السلطان الرشيد بن الشريف العلوي في المغرب الشرقي، وتمكن أمره في الشمال والجنوب ثم زحفه الى مواطن الدلائيين وتغلبه عليهم في معركة (بطن الرمان) أوائل عام 1079 /1668 واقصائه إياهم عن الزاوية الدلائية التي أصبحت حصيدا كأن لم تغن بالأمس.

أما الباب السابع فقد تناولت فيه أثر الدلائيين في خارج زاويتهم، وألمعت الى ثورة أحمد الدلائي الكبرى ضد السلطان اسماعيل، ثم تحدثت عن مركز العلماء الدلائيين في فاس ومكناس، وبخاصة شيخ الجماعة الامام محمد المسناوي الدلائي الذي انتهت اليه رئاسة التدريس والتأليف والافتاء في فاس، وكاد يكون جميع علماء المغرب في عصره من تلاميذه. وعددت بعض مشاهير تلاميذ الدلائيين في العاصمة العلمية، والكتب التي ألفها الدلائيون في مختلف الفنون، من حديث وسيرة، وفقه وأصول، ولغة ونحو وصرف وبلاغة، وأدب وأنساب. ويقع بعض هذه الكتب في عدة مجلدات مثل **نتائج التحصيل في شرح التسهيل** لمحمد المرابط الدلائي، وهو في أربعة أجزاء، طبقت شهرته المغرب والمشرق، وبيعت منه في حياة المؤلف نسخ في مصر بأثمان مرتفعة، وأعجب به علماء الازهر وقرظوه. وأخيرا تكلمت على بقايا البيت الدلائي ومساكن قبيلة مجاط اليوم.

إنه لا يكاد يخلو كتاب من الكتب التاريخية المغربية التي ألفت بعد القرن العاشر الهجري من ذكر الدلائيين وزاويتهم، لكنه ذكر عابر لا يجاوز السطر أو السطرين، وقد يطول صفحة أو أكثر، ويتكرر أحيانا ليتحدث عن جزئيات خاصة، وأحداث معينة مجردة من الأسباب والتفاصيل في الغالب. وحتى الكتب التي ألفت في الدلائيين لم تُعن إلّا بجمع الأخبار والروايات على علاتها، وكيل المديح للدلائيين جزافا. فجاءت هذه الرسالة لتأخذ (الزاوية الدلائية) موضوعا نعنى

بالبحث فيه بدقة، وتدرسه دراسة نقدية شاملة للنواحي الدينية والعلمية والسياسية، وتعرِّف إخواننا المؤرخين المحدثين في المشرق بالأسرة الدلائية المغربية حتى لا يعود بعضهم يكتب كلمة (كذا) إذا ورد ذكر الدلاء والدلائيين في النصوص القديمة التي يطلعون عليها، وحتى يعرف (المتفلسفون منهم) أن الدلائيين هم من صميم المغاربة لا يمتون بأية صلة الى مدينة (دلاية) الاندلسية.

تضع هذه الرسالة حدا للافتراضات والتخرصات حول موقع الزاوية الدلائية الذي ظل المؤرخون المغاربة والاوربيون يختلفون فيه حتى اليوم، وتُبين أن هناك زاويتين دلائيتين قديمة جبلية، وحديثة أسست في سفح الاطلس لتكون عاصمة الامارة الدلائية، ما تزال أطلالهما معا ماثلة للعيان. وقد زودت الرسالة بعدة صور شمسية التقطتها بنفسي أثناء زياراتي للزاويتين أو اقتبستها من بعض الكتب. ومن ناحية أخرى عرضت لتعاليم الزاوية الدلائية، ووضعت جدولا يوضح الشيوخ الذين أخذ عنهم الدلائيون وتسلسلهم الى الامام أبي الحسن الشاذلي، مشيراً إلى ما كان من تفاعل بين الزاوية الدلائية وغيرها من الزوايا المهمة التي عاصرتها.

وتعمل الرسالة أيضا على إبراز الزاوية الدلائية كمركز علمي هام في الاطلس المتوسط، كاشفة القناع عن المادة التي كانت تدرس في هذا المركز، معرِّفة بالأساتذة الذين اضطلعوا فيه بالتدريس، سواء كانوا من أبناء الزاوية أو من العلماء الطارئين عليها من فاس ومراكش وغيرهما من المراكز الثقافية المغربية الأخرى. كما تلقي الرسالة بعض الأضواء على جانب من الحياة الاجتماعية لطلبة الزاوية الدلائية وتقدِّم أرقاما تتعلق بالمدارس الداخلية العظيمة الملحقة بها وبالكتب التي احتوت عليها خزائنها، اعتمادا على مصادر خطية أصيلة نادرة.

ومن الناحية السياسية تهتم الرسالة بتحليل الأحداث التي جرت للدلائيين وربطها بعضها ببعض لتكون منها وحدة متصلة يمكن وضعها في اطارها الحقيقي على الصعيد الوطني. وتعرض الرسالة لأول مرة باللغة العربية الى جانب مهم من نشاط الدلائيين السياسي وهو علاقاتهم بالدول الاوربية الكبرى، وعملهم التجاري

في أقطار الشمال الافريقي، كما تنشر نص معاهدات ومراسلات ووثائق أخرى ممَّا تبادله الدلائيون مع الأجانب. وأخيراً تُعنى الرسالة بالنهضة العلمية التي ظهرت في المغرب صدر الدولة العلوية مبرزة مدى إسهام الدلائيين فيها، وتأتي باحصاء أولي للكتب التي ألفها الدلائيون أو ألفها الناس فيهم، في جدول يشتمل على أسماء الكتب ومؤلفيها والمكتبات التي أودعت فيها.

لقد أثبت في الهوامش تنبيها على المراجع لمن أراد مزيد التوسع، وأتيت في الأخير بثبت للمصادر العربية والافرنجية مرتبة على أسماء المؤلفين بحسب حروف الهجاء، وذيلت الرسالة بعدة ملاحق تشتمل على نصوص هامة لم أثبتها في الصلب ـــ لطولها ـــ حتى لا تقطع تسلسل الأفكار على القارىء.

وأرجو أن يكون بحثي المتواضع هذا قد أسهم بنصيب في توضيح فترة غامضة معقدة من تاريخنا القومي، ومهد السبيل أمام الباحثين لدراسة التراث الادبي الضخم الذي خلفه الدلائيون.

# الباب الأول

# نشأة الزاوية الدلائية

1 ـ لمحة عن عصر الدلائيين
2 ـ الزاوية والرباط والرابطة
3 ـ أصل الدلائيين
4 ـ تأسيس الزاوية الدلائية
5 ـ موقع الزاوية الدلائية

## 1 ـ لمحة عن عصر الدلائيين

تسنم الشرفاء السعديون عرش المغرب خلال النصف الأول من القرن العاشر الهجري (القرن 16 م) فانتعشت بهم الآمال، وبدأ استرداد الثغور التي سبق أن استولى عليها الأوربيون. وعرف المغرب في أيام واسطة عقد هذه الدولة أحمد المنصور الذهبي (986 ــ 1012 /1578 ــ 1603) عهد استقرار وازدهار في السياسة الداخلية والخارجية على السواء. اذ كان من نتائج معركة وادي المخازن الشهيرة في عام 986 /1578 والانتصار المغربي على البرتغاليين، أن طارت للبلاد شهرة في جميع الأقطار، أخذت معها الدول الأجنبية تخطب ود عاهل مراكش وتتقرب اليه بالسفارات والهدايا، رغبة في ربط أواصر الصداقة معه، كما تناقل الناس في الداخل أخبار هذه المعركة الفاصلة وأحاطوا شخصية بطلها المنصور بهالة من التقدير والاجلال. وازدادت منزلة أحمد المنصور رفعة في أعين الشعب بعد أن احتلت جيوشه بلاد السودان في مطلع القرن الحادي عشر للهجرة (أواخر القرن السادس عشر للميلاد) وتدفقت منها على المغرب سيول الذهب والرقيق. ذلك إلى ما كان عليه هذا الملك العظيم من الحزم والحرص على حفظ النظام وعدم التردد في إنزال أقسى العقوبات بالمشاغبين الذين يسعون في الأرض فسادا. فسادَ الأمنُ في البلاد، وعاش الناس في دعة وطمأنينة، وأخذوا يتنقلون من أقصى المملكة إلى أقصاها دون أن يعترض طريقهم أحد أو يلحق أموالهم وأمتعتهم ضياع.

غير أنه لم تكد تخمد أنفاس المنصور الذهبي عام 1012 /1603 حتى انقلبت الاحوال في المغرب وظهرت في الجو سحب الفتنة والاضطرابات. فقد كانت وفاة المنصور فجأة وهو يتهيأ للخروج من فاس ليعود الى عاصمة ملكه مراكش، فأصيب بالوباء الذي أخذ يكتسح إذ ذاك أطراف البلاد. ولم يكن قد بتَّ بعدُ في أمر ولاية العهد بعد أن ثار عليه ولده البكر محمد الشيخ المامون

خليفته بفاس وولي عهده السابق، فقبض عليه وأودعه السجن. وقد بادر أهل فاس الى مبايعة زيدان بن المنصور بمجرد ما انتهوا من دفن الملك الراحل. وكان زيدان عاملا على اقليم تادلا، استصحبه أبوه معه الى فاس ثم استخلفه عليها قبيل وفاته. ولما بلغ خبر الوفاة والبيعة الى مراكش ثارت ثائرة أهلها ورأوا في تصرف الفاسيين واستبدادهم بالأمر دونهم استخفافا بشأنهم فبايعوا أبا فارس ابن المنصور لأنه كان الخليفة الرسمي لوالده بحاضرة ملكه. وبدلا من أن يسعى ذوو المكانة والنفوذ في تلافي الأمر وحل المشكل تسرع علماء فاس فأفتوا بوجوب قتال المراكشيين عملا بحديث إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما. والتقى جيشا الملكين الأخوين على ضفة نهر أم الربيع، وكان أبو فارس لم يحضر القتال بنفسه، وإنما أناب عنه أخاه الشيخ المامون بعد أن أخرجه من السجن. واسفرت المعركة عن انهزام زيدان وفراره الى تلمسان، ووجد المامون نفسه في عزة ومنعة، بعد أن انضم اليه جند أخيه المهزوم فقلب ظهر المجن لأبي فارس وأعلن نفسه ملكا على فاس.

ظل الاخوة الثلاثة زيدان، وأبو فاس، والشيخ المامون يتنازعون الملك مدة طويلة، دون أن يتم الأمر لواحد منهم، وعمت الاضطرابات أرجاء البلاد كلها، وانتهى أمر الشيخ المامون بتسليمه مدينة العرائش الى الاسبانيين عام **1019 /1610** طمعا في مساعدتهم له، فغضب عليه الشعب وقتله في ضواحي تطوان عام **1022 /1613**. كما قتل أخوه أبو فارس خنقا قبله. وقبع زيدان أخيرا في مراكش صارفا نظره عما وراء نهر أم الربيع، تاركا أمر فاس وغيرها لعبد الله بن الشيخ المامون ومنافسيه من الثوار. وقد انقرض أمر السعديين في فاس بموت عبد الملك بن الشيخ المامون في أواخر عام **1036 /1627** [1] وبقي أبناء زيدان يتوارثون امارة مراكش إلى أن قتل آخرهم أبو العباس أحمد بن الشيخ بن زيدان عام

---

1) تولى الشيخ المامون إمارة فاس في فترات متقطعة الى ان قتل عام **1613/1022**، وتولى من بعده ابنه عبد الله كذلك الى أن توفي عام **1623/1032** ثم عبد الملك بن المامون الى أن توفي في أواخر عام **1627/1036**. وقد دخل بعد ذلك الى فاس أحمد بن زيدان السعدي وادعى الامارة فلم يتم له الامر.

1069 /1658[2]. وعرفت هذه الفترة الحالكة من تاريخ المغرب أواخر الدولة السعدية الى جانب المجاهد العياشي السلاوي كثيرا من أرباب الزوايا المتزعمين الذين استغلوا فرصة اضطراب الاحوال لتحقيق مطامحهم في الحكم والرئاسة، أمثال ابن أبي محلي السجلماسي، وأبي زكريا الحاحي، وأبي حسون السملالي.

وقد شاهدت الزاوية الدلائية في بداية عهدها العصر الذهبي للسعديين، ثم أدركت زمن الفتنة والتدهور، غير أنها نظرا لمناعة موقعها في جبال الأطلس ولمكانة رجالها الصالحين، استطاعت أن تحتضن الثقافة الاسلامية في عصر عصفت فيه الاضطرابات بالمراكز العلمية التقليدية مثل فاس ومراكش. وعمّرت الزاوية الدلائية زهاء قرن ظلت فيه مركز إشعاع للعلم والدين.

## 2 ــ الزاوية والرباط والرابطة

لم تظهر الزاوية في تاريخ المسلمين كمركز ديني وعلمي الا بعد الرباط والرابطة. والرباط لغة مصدر رابط يرابط بمعنى أقام ولازم المكان. ويطلق في اصطلاح الفقهاء والصوفية على شيئين أولهما البقعة التي يجتمع فيها المجاهدون لحراسة البلاد ورد هجوم العدو عنها. والثاني عبارة عن المكان الذي يلتقي فيه صالحو المومنين لعبادة الله وذكره والتفقه في أمور الدين. وجاء في القرآن الكريم **«وأعِدُّوا لهم ما استطعتُم مِن قُوَّة ومن رِباطِ الخَيل»**[3] **«يا أيها الذين آمنوا اصْبِرُوا وصابِرِوا ورابطوا واتقوا اللهَ لعلكم تُفلحون»** [4] وقال الرسول عليه السلام «رباطُ يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه»[5]. وقد عرف المغرب الربط مع الفتح الاسلامي وورد ذكر «رباط ماسة» بالسوس الاقصى في

---

2) مات زيدان بن المنصور عام 1627/1037 فتولى إمارة مراكش ابنه عبد الملك إلى أن قتل عام 1631/1040 ثم الوليد بن زيدان الى أن قتل عام 1636/1045 ثم محمد الشيخ بن زيدان إلى أن قتل عام 1653/1063 ثم ابنه أبو العباس أحمد الى قتل عام 1658/1069 فانقرض بذلك ملك السعديين بالمغرب واستبد عرب الشبانات بإمارة مراكش الى ان انتزع الامر من يدهم السلطان الرشيد العلوي عام 1668/1079.

3) سورة الانفال، الآية 60

4) سورة آل عمران، الآية 200

5) حديث صحيح أخرجه بألفاظ متقاربة البخاري ومسلم في الصحيحين والنسائي وابن ماجه والدارمي في السنن، وأحمد في المسند.

أخبار عقبة بن نافع الفهري، وموسى بن نصير، وادريس الأول. ويذكر المؤرخون أن «رباط شاكر» المعروف اليوم بسيدي شيكر على ضفة وادي نفيس بحوز مراكش، هو مدفن المجاهد العربي شاكر من أصحاب عقبة بن نافع. وقد بنى هذا الرباط يعلى بن مصلين أحد رجال رجراجة السبعة الذين يقال إنهم وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، فأسلموا ورجعوا الى المغرب دعاة للدين الحنيف.

كان يعلى يقيم في هذا الرباط لقتال البرغواطيين المارقين (6) ثم صار رباط شاكر «مجمعا للصالحين من قديم ولا سيما في رمضان يفدون إليه من كل حدب»(7). كذلك أقام المسلمون رباطا آخر في شمال تامسنا، على ضفة نهر أبي رقراق، أو وادي سلا كما يسميه ابن حوقل في كتابه **المسالك والممالك**. وكانت مدينة سلا القديمة قد خربت في أوائل القرن الرابع الهجري «والناس يسكنون ويرابطون برباط يحف بها. وربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف انسان يزيدون وينقصون ورباطهم على برغواطة...»(8) وتكاثرت الربط في المغرب ولاسيما على السواحل الى أن صارت تعد بالعشرات.

وخصص الخطيب ابن مرزوق التلمساني المتوفى عام 781 /1379 الباب التاسع والثلاثين من كتاب **المسند الصحيح الحسن** للكلام على الربط التي أنشأها السلطان أبو الحسن المريني (731 ــ 752 /1331 1351) على السواحل المغربية والجزائرية، اذ كان القراصنة الأوربيون كثيرا ما ياتون بسفنهم الى هذه السواحل ويختطفون منها أهل البوادي ليستعبدوهم في بلادهم. فكانت الربط التي أسسها أبو الحسن المريني تمتد من آسفي جنوبا الى آخر المغرب الأوسط وأول

---

6) برغواطة بطن من برابرة مصمودة كانوا يسكنون بلاد تامسنا فيما بين واد أم الربيع جنوباً ووادي أبي رقراق شمالا. ولم يحسن اسلام البرغواطيين في بادىء الامر ثم كانوا من أنصار ميسرة المطغري الحقير الذي ثار على العرب عام 122، وانتحل مذهب الخوارج الصفرية وأعلن نفسه خليفة. وبعد هلاك ميسرة تزعم أحد قواد جيشه أبو صبيح طريف أمر برغواطة وأفسد عليهم دينهم، ثم خلفه ابنه صالح الذي ادعى النبوءة وشرع للبورغواطيين ديانة جديدة، وقد لقي المسلمون عنتا كبيرا من البرغواطيين خلال عدة قرون إلى أن خضد شوكتهم المرابطون.

7) يوسف بن الزيات، **التشوف**، 26.

8) ابن حوقل، **المسالك والممالك**، ص 6.

بلاد افريقية ـــ تونس ـــ «اذا وقعت النيران في أعلاها تتصل في الليلة الواحدة أو في بعض ليلة. وذلك في مسافة تسير فيها القوافل نحوا من شهرين، وفي كل محرس منها رجال مرتبون نظار وطلاع يكشفون البحر فلا تظهر في البحر قطعة تقصد ساحل بلاد المسلمين الا والتنيير يبدو في المحارس فأمنت السواحل في أيامه السعيدة...»(9)

ونأتي الرابطة بمعنى الرباط سواء في الاطلاق على مكان الجهاد أو مكان العبادة، وإن كان بعضهم يسمي الجيش المقيم في الربط رابطة. (10) وقد سمى المؤرخون «رابطة» المكان الذي أقام فيه عبد الله بن ياسين وجماعة من اللمتونيين الصنهاجيين في إحدى الجزر الساحلية بأقصى الجنوب المغربي، وذلك في أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي). وتلاحق الصنهاجيون برابطة ابن ياسين لينقطعوا معه فيها إلى عبادة الله تعالى، وليتعلموا منه أمور دينهم الى أن بلغ عددهم نحو ألف رجل فدعاهم لجهاد القبائل الزائغة عن تعاليم الاسلام، وتطور أمرهم إلى أن كونوا دولة المرابطين. وقد ذكر ابن الزيات التادلي المتوفى عام 627 /1230 في كتابه **التشوف** أحد عشر رباطا وتسع رابطات، أكثر أسمائها بربرية. مثل رباط (تيطنفطر) ـــ عين الفطر ـــ الذي يقع على ساحل المحيط الاطلنطي جنوبي مدينة الجديدة، على بعد نحو 11 كلم، وهو اليوم خراب ويسمى تيط. وكرباط (تينمل) بالاطلس الكبير، الذي هو دار المهدي بن تومرت، ورباط (تانوتن) من بلاد دكالة، ورباط (تاسماطت) من عمالة مراكش، وكرابطة (آنبدور) خارج سجلماسة، ورابطة (تامنغاطت) بالقرب من ساحل أنفا الدار البيضاء.

أما الزاوية فهي عبارة عن مكان معد للعبادة، وإيواء الواردين المحتاجين وإطعامهم. وتسمى في الشرق خانقاة وهو لفظ أعجمي يجمع على خانقهات أو خانقاوات أو خوانق. وقيل في تعريف الزاوية المغربية إنها «مدرسة دينية ودار

---

9) الخطيب ابن مروان، **المسند الصحيح الحسن**، ص 49/157

10) محمد بن علي الدكالي، **كتاب في الرباطات** ص 2.

مجانية للضيافة. وهي بهذين الوصفين تشبه كثيرا الدير في العصور الوسطى»[11] ولم تعرف الزاوية في المغرب إلا بعد القرن الخامس الهجري، وسميت في بادىء الأمر (دار الكرامة)، كالتي بناها يعقوب المنصور الموحدي في مراكش، ثم اطلق اسم (دار الضيوف) على ما بناه المرينيون من الزوايا، كالزاوية العظمى التي أسسها أبو عنان المريني في خارج فاس وهي التي ذكرها ابن بطوطة في رحلته. وقد جدد الدلائيون بناءها أيام انتشار نفوذهم في العاصمة الادريسية. فظن بعض المؤرخين أنهم مؤسسوها[12] ومن أقدم الزوايا التي حملت هذا الاسم في المغرب زوايا الشيخ أبي محمد صالح الماجري (ت. 631 /33 ــ 1234) في أسفي، وقد تعددت زواياه حتى بلغت ستا وأربعين، وانتشرت فيما بين المغرب ومصر، إذ كان هذا الشيخ يشجع أصحابه على حج بيت الله الحرام، واستكثر من اتخاذ الزوايا في الطريق التي يسلكها ركب الحجاج ليأووا اليها في مراحل سفرهم الطويل. وفي القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) تكاثرت الزوايا في المغرب، ونمت حولها مدارس استقر فيها طلبة العلم، الأمر الذي حدا بملوك بني مرين أن يشيدوا كذلك مدارس بجانب المراكز التعليمية الكبرى خصوصا جامع القرويين بفاس. وقد أفرد الخطيب ابن مرزوق التلمساني الباب الواحد والأربعين من كتاب **المسند الصحيح الحسن** لذكر المدارس الكثيرة التي أسسها السلطان أبو الحسن المريني[13].

وتطور أمر الزوايا بالمغرب خلال القرن العاشر الهجري «السادس عشر الميلادي» حيث تغلب النصارى على المسلمين في الاندلس وساموهم سوء العذاب، ثم امتدت أطماعهم الى احتلال الثغور المغربية وضعفت الدولة الوطاسية عن الدفاع عن حوزة الوطن. هنالك بدأت الزوايا تتدخل في شؤون البلاد السياسية وتدعو الى الجهاد ومقاومة الأجنبي. ووجد نداء الصوفية آذانا صاغية،

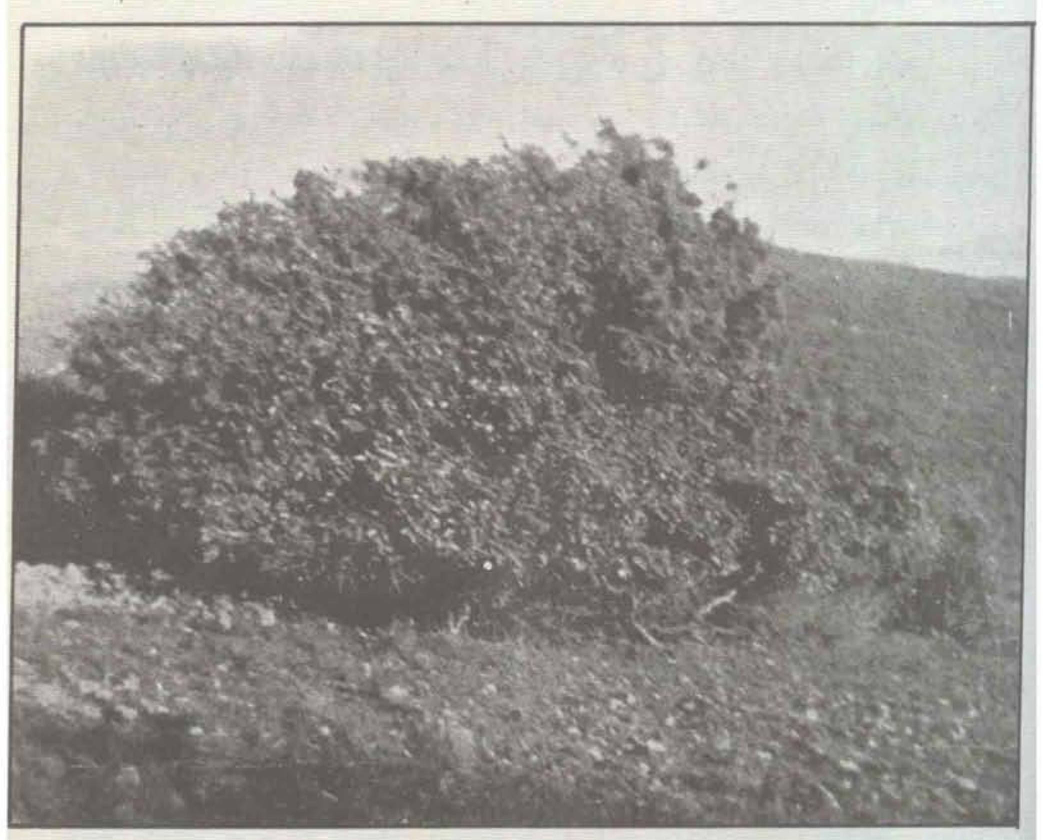
---

11) **دائرة المعارف الاسلامية**، المترجمة الى العربية، العدد التاسع من المجلد العاشر، ص 332.

12) محمد بن علي الدكالي السلوي، **الكناشة العلمية**، ص 278. وقد ذكر ابن بطوطة زاوية أبي عنان في موضعين من رحلته (الطبعة الاولى بمطبعة وادي النيل ــ القاهرة عام 1287 هـ) في صحيفة 22 وصحيفة 177. وقال انها أعظم زاوية شهدها في المغرب والمشرق تقع على غدير الحمص (وادي الجواهر) خارج المدينة البيضاء (فاس الجديدة)، ولا يوجد في هذا الموقع اليوم الا بقايا اسوار يظن أنها أطلال تلك الزاوية العظمى.

13) الخطيب ابن مرزوق، **المسند الصحيح الحسن**، ص 158 وما بعدها.

اللوحة رقم 1



حرجة تواجه القادم الى الدلاء
وتستر بقايا مسجد أبى بكر بالزاوية الدلائية القديمة

تصوير المؤلف

فهب الشعب يذود عن حمى البلاد وحمل السلاح معهم فقادوه في معارك ظافرة انتهت بطرد البرتغال من الثغور التي كان يحتلها في الجنوب، ونصب رجال الزوايا الشريف أبا عبد الله القائم السعدي (915 ـــ 923 /1510 ـــ 1517) ملكا على المغرب. وقد كان تأسيس الزاوية الدلائية في عهد الدولة السعدية هذه.

## 3 ـــ أصل الدلائيين

تطلق كلمة (الدلاء) على الأرض التي أسس فيها المجاطيون زاويتهم بالجنوب الغربي للأطلس المتوسط المشرف على سهول تادلا. ولفظ الدلاء عربي (جمع دلو إناء يستقى به الماء) استعمله بهذا المعنى ـــ مقصورا وممدودا ـــ كتّاب عاشوا في الزاوية الدلائية، مثل الحسن اليوسي، ومحمد المرابط الدلائي. وإذا كان من المستغرب اطلاق هذا الاسم العربي القح على بقعة تقع في وسط بربري صرف فإنّا لا ندري كذلك لهذه التسمية سببا ولا تاريخا، اللهم إلا ما يبدو من تقارب لفظي بين الدلا وتادلا، الأمر الذي يجعلنا نفترض أن الاسمين كانا مترادفين لمسمى واحد. ويؤيد هذا الافتراض أن عبد العزيز الفتشتالي ـــ وهو معاصر للزاوية الدلائية ـــ أطلق لفظ الدلا على تادلا حينما تحدث عن توزيع المنصور الذهبي لأقاليم المملكة على أبنائه، فقال «... وعقد للمولى زيدان أصغرهم على الدلا، ثم بدا له أن يديل كلا منهما بالآخر فنقل المولى أبا الحسن للدلا وعقد له على أعمالها وشفعها له ببلاد أدخسان[14] جارتها والمتاخمة لأعمالها»[15] ونحن نعلم من سائر المصادر التاريخية أن ولاية زيدان وأبي الحسن ابني المنصور كانت شاملة لإقليم تادلا كله. ولعل الزاوية الدلائية بعد أن اشتهرت خصوصا عندما تزعمت الحركة السياسية بالمغرب اختصت باسم الدلا، بينما بقيت السهول المجاورة لها تسمى تادلا. ونجد المؤرخ أبا القاسم الزياني (يبربر) أحيانا لفظ الدلا فيكتبه (يدلا)[16] وذلك ما نجده جاريا على ألسنة سكان تلك الناحية حتى اليوم.

---

14) أدخسان جبل في الاطلس المتوسط بالقرب من خنيفرة. وهناك قلعة تدعى أيضاً أدخسان. انظر أبا القاسم الزياني، **الترجمة الكبرى**، ص 463.

15) عبد العزيز الفشتالي، **مناهل الصفا** ، ص 191

16) أبو القاسم الزياني، **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف**، ورقة 5/أ

ينتسب الدلائيون إلى قبيلة مجاط، أحد فروع صنهاجة،وهو جذم من البرانس الذين يرجع اليهم مع البتر جميع أنساب البربر[17]. ولا عبرة بما ادعاه بعض المؤرخين المتأخرين من رفع نسب الدلائيين إلى أبي بكر الصديق[18] وإنما هم ــ بناء على انتساب الدلائيين أنفسهم ــ من قبيلة لمتونة الصنهاجية التي كانت تسكن بأقصى الصحراء المغربية، وفصيلتهم القربى هي بنو الطالب، ويقال لهم بلسان البربر (آيت يتيدر) في عداد قبائل الأطلس المتوسط. وكانت مساكن مجاط قبل انتقالهم الى الدلا على ضفاف نهر ملوية[19] العليا فيما بين تونفيت وميدلت، ثم تفرق المجاطيون بعد ذهاب عزهم أيدي سبأ، واستقروا في جهات مختلفة بالمغرب كما سنراه في الباب الأخير.

وأول من استوطن من المجاطيين أرض الدلاء الشيخ الصالح أبو حفص عمر المجاطي، ثالث أجداد الشيخ أبي بكر مؤسس الزاوية الدلائية، وذلك في أواخر القرن الثامن الهجري، بناء على القاعدة التي ذكرها ابن خلدون من أن كل مائة سنة لا يسعها الا ثلاثة آباء.[20] «وكان بنو مرين يعظمون السادات الدلائيين غاية، وربما قاموا وأجلسوا أحدهم في مكانهم»[21]

ولايعرف للشيخ عمر المجاطي ولا لابنه أحمد تاريخ ولادة ولا وفاة، وإنما يذكر للأول اجتهاد في العبادة، وللثاني علم وصلاح. أما الشيخ سعيد بن أحمد بن عمر

---

17) ابن خلدون، **العبر** (القسم الذي نشره دسلان) ج، 1، ص 106.

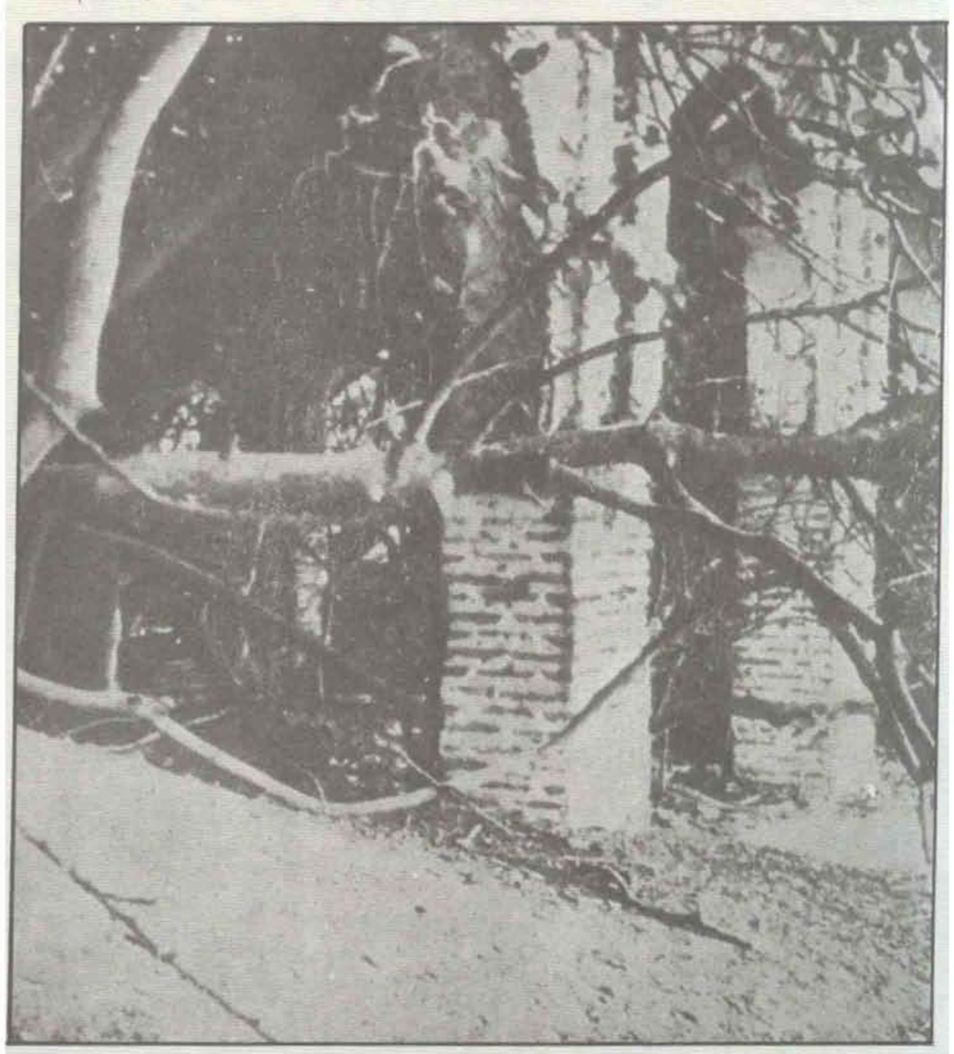
18) رفع نسب الدلائيين الى أبي بكر الصديق محمد بن أبي بكر اليلزغي في **حدائق الازهار الندية**، وعبد الودود التازي في **نزهة الاخيار المرضيين**، وسليمان الحوات في **البدور الضاوية**.

19) ذكر الاستاذ أحمد بن قاسم المنصوري في كتابه **تاريخ زيان** تفاصيل مهمة عن مجرى نهر ملوية أختصرها فيما يلي نهر ملوية من الأودية العظام بالأطلس المتوسط ومنبعه من عين تسمى (عين سبت) في الأطلس الكبير ببلاد ايت يحيى مركز تونفيت في سفح جبل يسمى (توجيط) ثم يهبط ماؤها نحو الشمال ويلتقي بعيون اخرى فتتكون منها أودية صغار، كوادي (توالت) ووادي (إنزكمير) الكل من دائرة ميدلت، فيهبط الجميع قاصدا الشمال من تحت مدينة ميدلت على نحو 30كم. غربيها، وهنا يظهر تضخم نهر ملوية ويتجه نحو (الاقصابي) على 50ك شمال ميدلت، ثم مركز ميسور على 80 كلم من ميدلت ثم مركز اوطاط الحاج، ومنه يدخل تراب المغرب الشرقي فيصل الى مدينة كُرسيف حيث تطل عليه جبال رشيدة. ويستغل نهر ملوية من أوائل منبعه في قبائل بربرية من دائرة ميدلت كايت يحيى، وأيت عياش، وأيت يزدك.

20) ابن خلدون ، **المقدمة** ، طبعة دار الكتاب اللبناني 1961 ، ص. 304.

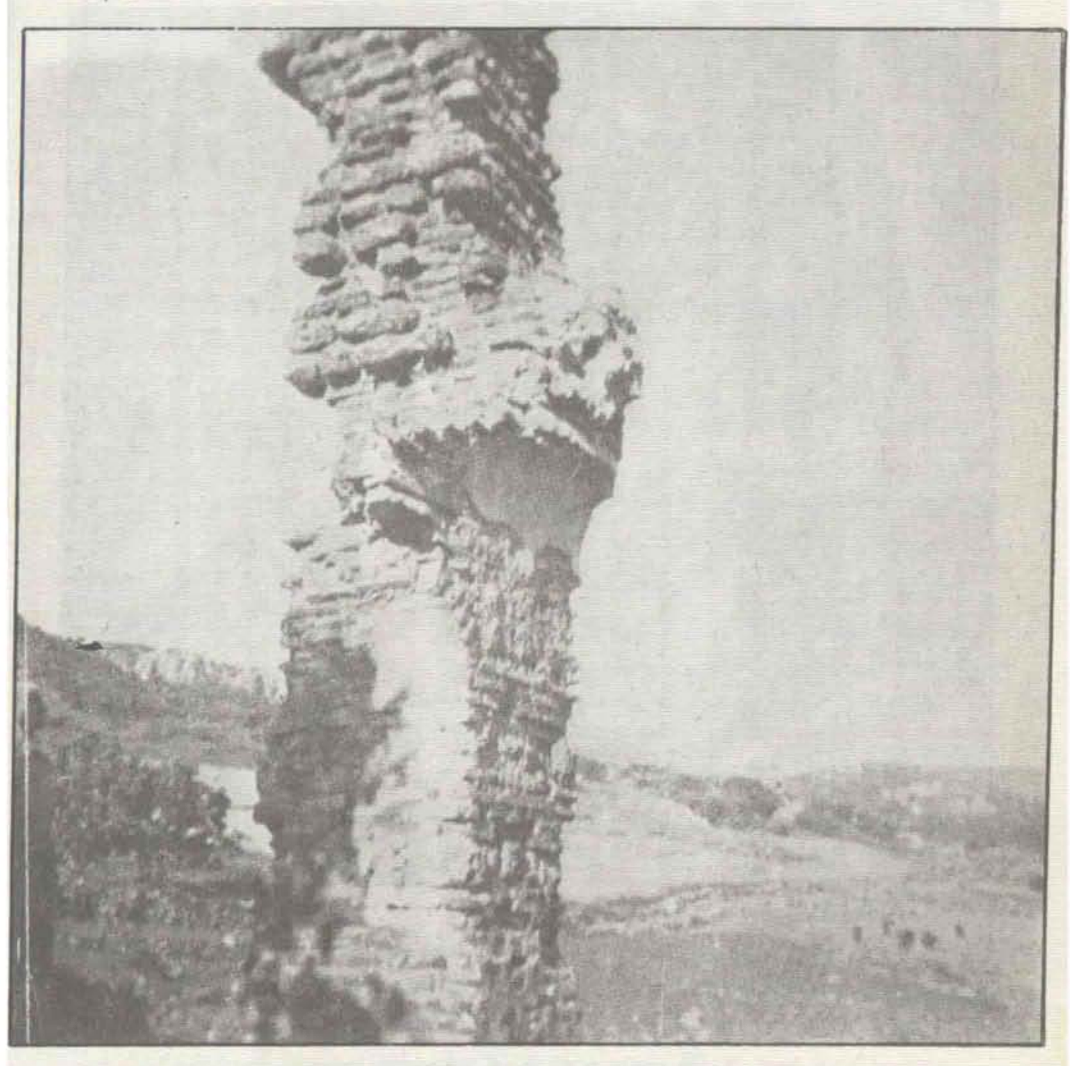
21) سليمان الحوات، **البدور الضاوية**. ورقة 5/أ.

اللوحة رقم 2



صحن مسجد أبي بكر في الزاوية الدلائية القديمة

اللوحة رقم 3



بقايا صومعة محمد أبي بكر في الزاوية الدلائية القديمة

فقد كان حيا عام 953 هـ (1546 م) وذكر في حقه صاحب **نزهة الفكر**(22) أنه «كان طالبا قارئا فاضلا خيرا دينا فائقا مكثرا للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مولعا بها (....) وكان له عند أمراء وقته التعظيم التام، والتوقير الكثير والاحترام، لما كان عليه من الاشتغال بالعلم والدين، وما سلف من العلم والصلاح في آبائه الأقدمين، رحمة الله عليهم أجمعين. وكانت عنده ظواهر (كذا) ملوكية من بني مرين وبني وطاس وغيرهم تتضمن الاحترام والتوقير، والتنزيه عن الوظائف الجارية على العامة والتحرير، وتتضمن قطاعات (كذا) لأرضين له ببلاده واستمرت بأيدي بنيه من بعده من أولاد الشيخ سيدي أبي بكر إلى أن كانت رحلتهم لتلمسان ففقدت»(23)

وهناك ظهير للسلطان محمد الشيخ السعدي (951 ــ 964 /15444 ــ 1557) يوصي بتعظيم سعيد بن أحمد الدلائي، ويشير إلى وجود ظهائر قديمة عنده ويقره على التصرف في إقطاعاته(24). ولا نعرف عن الشيخ محمد بن سعيد الدلائي، الذي يدعى بلسان قومه (حِمِّي) إلّا أنه كان موسر الحال، مستقيم السيرة، سنيا تقيا، خلّف ولدين هما أبو اسحاق ابراهيم، وأبو الحمال أبو بكر مؤسس الزاوية.

## 4 ــ تأسيس الزاوية الدلائية

لا نعرف بالضبط متى وجدت زاوية الدلاء، غير أنه يمكننا الاطمئنان الى القول بأن تأسيسها كان في الثلث الأخير من القرن العاشر الهجري، حوالي عام 974 هـ 1566 م أسسها أبو بكر بن محمد بن سعيد الدلائي بإشارة من شيخه أبي عَمَر القسطلي(25). فقد ذكرت كتب التراجم أن هذا الشيخ كان يكرم

22) **نزهة الفكر في مناقب الشيخين سيدي محمد ووالده سيدي أبي بكر** لعبد السلام بن الطيب القادري المتوفى عام 1110هـ أحد المصادر المهمة التي اعتمد عليها صاحب **البدور الضاوية**

23) نقله عن **نزهة الفكر** سليمان الحوات في **البدور الضاوية** ورقة 7/أ.

24) انظر هذا لظهير في ملحق رقم 1

25) الشيخ أبو عَمَر القسطلي من ذرية الشاعر الاندلسي الشهير ابن دراج القسطلي كاتب المنصور ابن أبي عامر وشاعر بلاطه. ونسبته إلى قسطلة مدينة بالاندلس يقال لها قسطلة دراج، وعد الامام ابن حزم في الجمهرة أسرة هذا لشاعر من بين برابر صنهاجة، توفي الشيخ القسطلي عام 1566/974 ودفن برياض العروس بمراكش. وفي الخزانة الملكية كتاب لمؤلف مجهول يضم طائفة من كلام الشيخ القسطلي في التصوف.

الواردين على زاويته بمراكش بحسب اقدارهم وطبقاتهم، ويقدم لهم من صنوف الاطعمة ما لا يستطع عمله إلَّا كبارُ الموسرين وأرباب الدولة. وقد أمر الشيخ القسطلي أبا بكر الدلائي باتخاذ زاوية له في أرض الدلا يطعم فيها الطعام على نحو ما يفعله هو بمراكش. فلم يسع أبا بكر أمام إلحاح شيخه إلا أن يبني الزاوية الدلائية البكرية[26] ويفتح أبوابها في وجه المريدين والزائرين.

ولا يقتصر مدلول الزاوية الدلائية على هذا المسجد الخاص الذي أسسه أبو بكر وإنما يشمل كافة القرية القائمة حوله بدورها وأسواقها ومساجدها وسائر مرافق الحياة الضرورية لها، وهو أمر نجد له مثيلا في اخواتها الباقية لعصرنا الحاضر، كزاوية سيدي حمزة بجبل العياشي قرب ميدلت، والزاوية الناصرية بتامكَروت، وزاوية أيت إسحاق نفسها التي قامت على أنقاض الزاوية الدلائية الحديثة. ولا شك في أن الزاوية الدلائية باعتبار مدلول القرية، لم توجد دفعة واحدة، وإنما اجتازت مراحل في تشييد مبانيها طيلة حياة الشيخ أبي بكر الدلائي الذي «كانت له المآثر الحسان، التي لا يصدر مثلها الا عن سلطان، كبناء القناطر، وحفر العيون واجراء مائها، وتوسعة الأودية وبنائها، وشراء الرباع في غالب البلاد وتحبيسها على الطلبة والضعفاء والمساكين، وتشييد مباني الزاوية حتى كانت في عداد المدائن، التي يكلُّ اللسان عن وصف ما لها من المحاسن»[27].

ولقد تفرعت عن الزاوية الدلائية هذه، مدينة أخرى تقع جنوبيها على بعد نحو 12 كلم، أنشأها في سفح الجبل حفيد الشيخ أبي بكر، السلطان محمد الحاج بن محمد الدلائي عام 1048/ 1638، فورثت عن قرية الدلاء القديمة اسم الزاوية الدلائية البكرية. وسماها بعض المؤرخين مدينة الدلاء زاوية محمد الحاج[28] أو مدينة أزغار[29] وهناك نص من القرن الحادي عشر يدل بوضوح على وجود

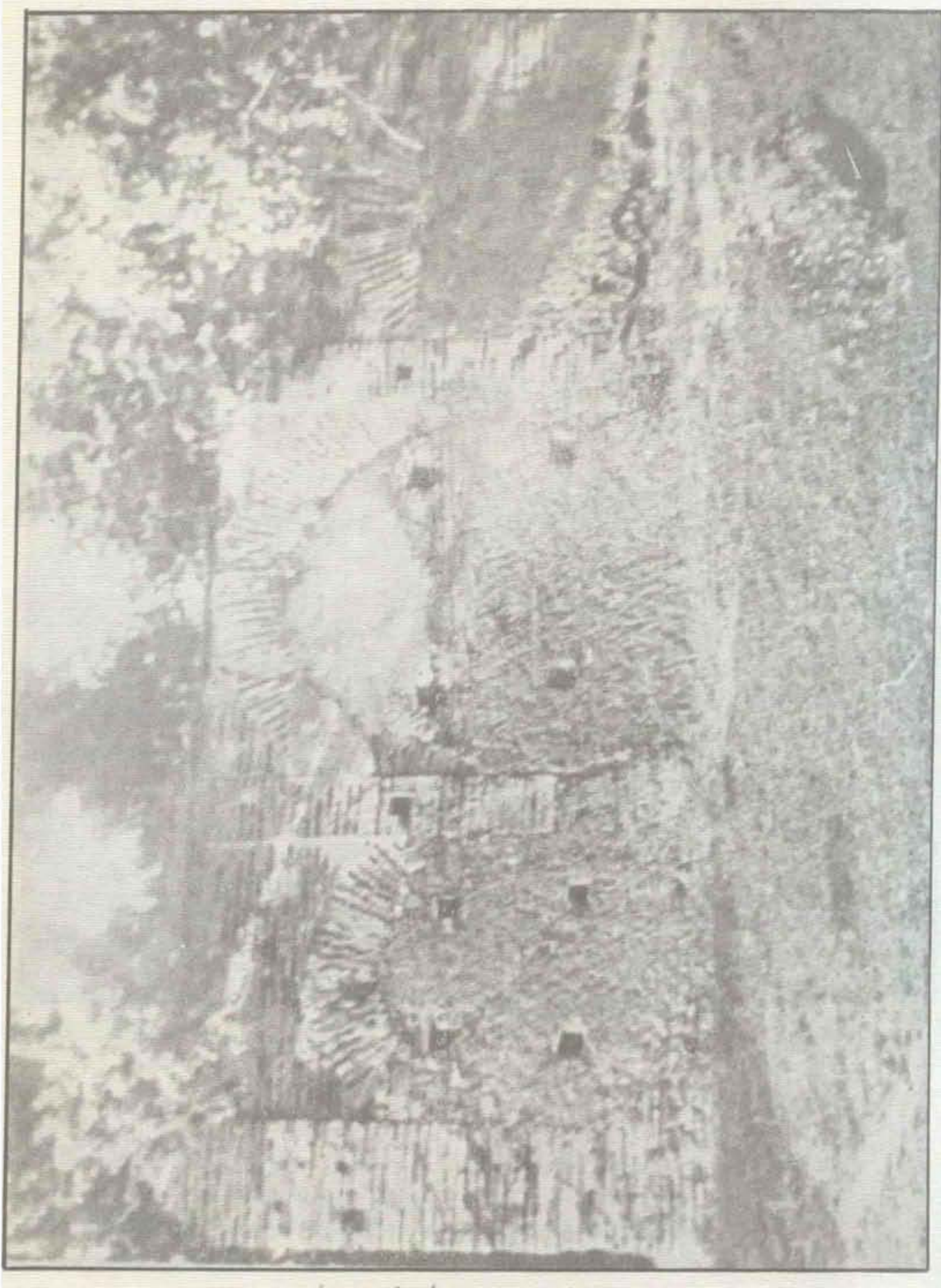
---

26) تدعى الزاوية البكرية أيضا نسبة لمؤسسها الشيخ أبي بكر الدلائي.

27) سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 1/10

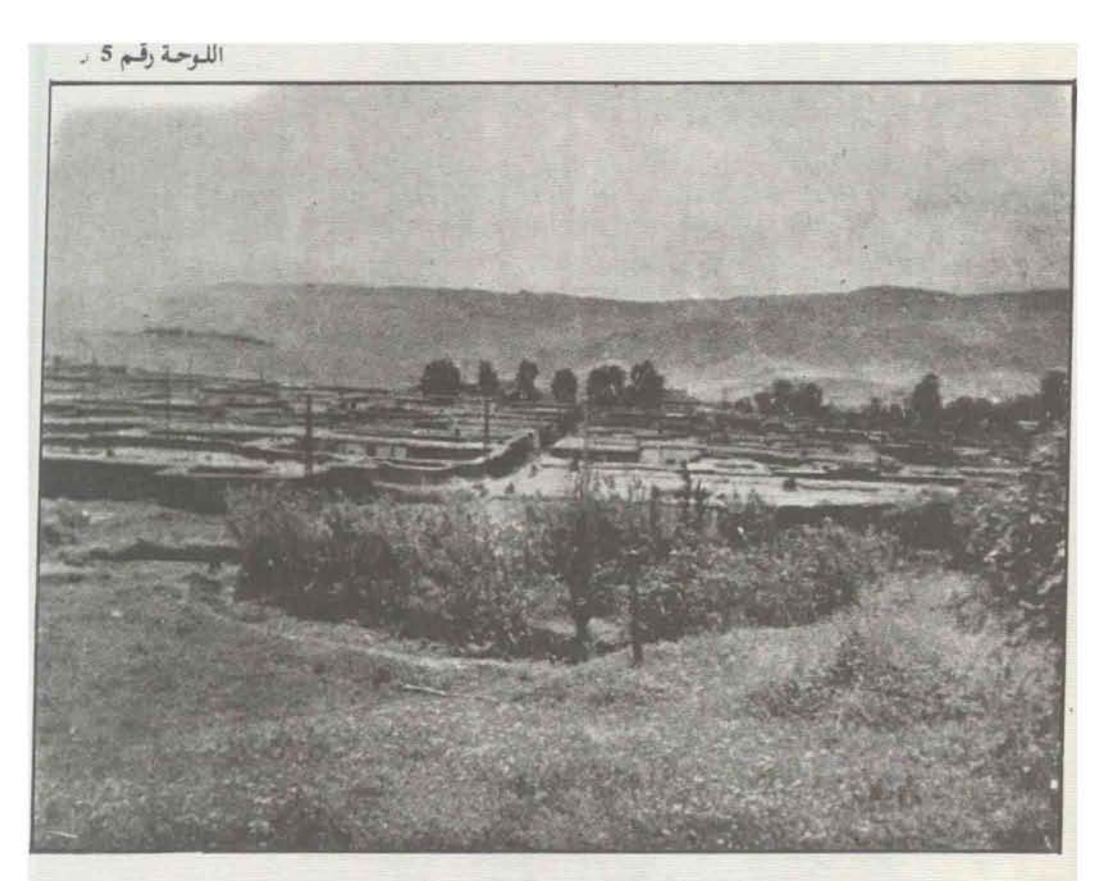
28) أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى، التي جمعت أخبار العالم برا وبحرا**، ص 463،

29) عبد الله العياشي **الاحيا والانتعاش، في تراجم سادات زاوية أيت عياش**، ورقة 249. وأزغار كلمة بربرية تدل على البسيط من الارض.



واجهة ضريحي الشيخين الدلائيين أبي بكر وابنه مُحمد

اللوحة رقم 5



منظر عام لزاوية أيت إسحاق المبنية على أنقاض الزاوية الدلائية

زاويتين دلائيتين اثنتين، احداهما عاصمة الامارة الدلائية والاخرى قرية فيها قبور الدلائيين. وذلك فقرة من رسالة[30] وجهها الفقيه محمد بن عبد الجبار[31] الى شيخه أبي سالم العياشي صاحب الرحلة المشهورة وكان اذ ذاك غائبا بالحرمين الشريفين، يتحدث له عن المسغبة التي حلت بالمغرب عام 1071 /1661 يقول فيها «والقرى التي حول الزاوية مدينة الدلاء ودار المغرب في تلك الازمنة قد خربت كلها إلا ما كان من ثلاث قرى منها قرية تعرف بالدلاء وفيها قبور أولئك الملوك..»[32]

ونجد في شعر أبي علي اليوسي تلميذ الزاوية الدلائية إشارة إلى المدينتين الدلائيتين العليا والسفلى فقد قال مرة حينما طلع الى الزاوية الدلائية القديمة

رحلتُ وقد نزلتُ على الدلاء — وخلّفت الحضيضَ الى العَلاء
وخلفي عصبةٌ يدرون غيبي — مغيب الغيث عن قوم ظماء
فقل لهمُ إذا ظِمئوا استغيثوا — ببحرٍ لا يُكدِّر بالدِّلاء[33]

## 5 ــ موقع الزاوية الدلائية

لقد وقع اضطراب في تحديد الزاوية الدلائية بسبب تخريبها وانطماس معالمها. فأشار اليها بعض مؤرخي القرن الماضي إشارات عامة غامضة، كقولهم إنها تقع على ثلاث مراحل من فاس مكتنفة بين نجاناة وهسكورة وتادلا[34] وجاء الاوربيون في مطلع هذا القرن يتحدثون عن الزاوية الدلائية وموقعها بأحاديث متضاربة[35] ثم وقع في نفس الاضطراب أحد جهابذة مؤرخينا لما نشر في السنة

30) هذه الرسالة طويلة تشتمل على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة. انظرها بتمامها في **الإحيا والانتعاش** من ورقة 247 الى ورقة 263.
31) محمد بن عبد الجبار تلميذ ابي سالم العياشي، كان شاعرا نحويا فقيها له عدة مؤلفات انظر ترجمته في **الاحيا والانتعاش** ورقة 229.
32) عبد الله العياشي، **الاحيا والانتعاش**، ورقة 229
34) سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 5/ب.
35) H. De Castries, Les Sources Inédites de l'Histoire de Maroc, France, Tome III p574
— Lévi Provençal; les Historiens des Chorfa p. 300.
— La Mission Scientifique du Maroc, Villes et Tribus - Rabat et sa région, Tome I, p. 77
La Section Sociologique D.G.A.I. Archives Marocaines - Volume 28. Editorial.

الماضية كتابا قال فيه «لا يعرف بالضبط موقع هذه الزاوية الآن، وإنما المحقق أنها كانت تقع بناحية وادي أم الربيع قريبا من تادلة. ولعلنا لانخطىء اذا عينا لها بلاد تامسنا المعروفة اليوم بالشاوية، ومن ثم شهر بعض الدلائيين بنسب المسناوي»(36) وذكر مؤرخ مغربي كبير آخر في مقال نشره منذ شهور فقط أن الزاوية الدلائية «درست معالمها لدرجة انه لم يتوصل بعد الباحثون الى تعيين المحل الذي كانت به»(37)

والواقع أن هناك زاويتين دلائيتين، قديمة وحديثة ما تزال أطلالهما قائمة الذات ماثلة للعيان حتى اليوم. ويعرف سكان ناحية خنيفرة الزاوية القديمة باسم (أيت يدلا) أي أهل الدلاء، ويروي شيوخهم بالتواتر ما كان لهذه البقعة الطيبة من ماض علمي مجيد. وعندما زرت هذه الزاوية لأول مرة يوم 25 ذي الحجة 1381 /30 ماي 1962 صحبة الأستاذ أحمد بن قاسم المنصوري صاحب تاريخ زيان(38) التف حولنا كثير من سكان الدلاء، ومن بينهم شيخ فانٍ يشرف على التسعين ظل يحدثنا بلهجته البربرية عن أخبار الزاوية وصلحائها وعلمائها حديثا تختلط فيه الحقائق بكثير من الأساطير.

تقع الزاوية الدلائية القديمة التي أسسها الشيخ أبو بكر الدلائي على ربوة في سفح جبل (بوثور) بينه وبين جبل (تاغوليت)، وتنحدر في شرقيها شعبة (أقا ايزم) أي شعبة الأسد، وتتفجر بالقرب منها عين جارية تخترق المسجد وتضيع في الشعاب. وفيها بقايا المسجد الذي أسسه أبو بكر الدلائي، حيث يرى الزائر صفين من السواري والحنايا قائمين بجهة القبلة، والمنار المتهدم الذي لم يبق منه سوى العمود الداخلي الذي تلتف حوله الدرج على ارتفاع بضعة أمتار، وجدران القبتين المشيدتين على ضريحي الشيخين الدلائيين أبي بكر وابنه محمد، وقد نبتت أشجار التين والعليق والشوك بكثرة في جوانب المسجد حتى غطته وجعلت التنقل في داخله متعذرا(39)

أما الزاوية الدلائية الحديثة التي بناها السلطان محمد الحاج الدلائي فهي التي تقوم على أنقاضها زاوية أيت اسحاق الحالية، في الطريق التي تربط بين خنيفرة

---

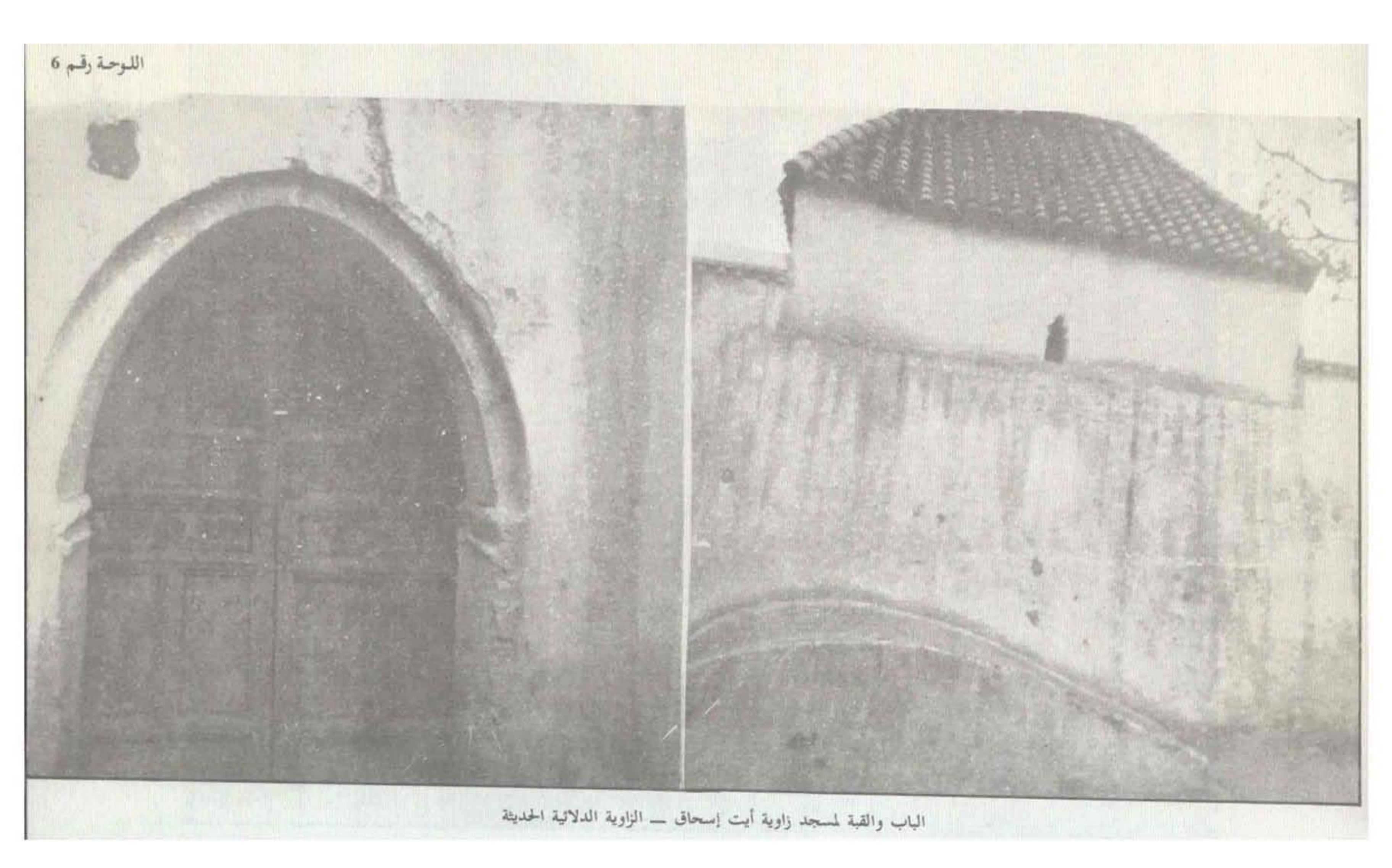
36) عبد الله كنون، **النبوغ المغربي** ج 1، ص 269.

37) محمد الفاسي ، **مجلة البينة**، السنة الاولى، العدد الثاني يونيه 1963، ص 64.

38) انظر نص قصيدة قالها الاستاذ المنصوري في زيارتنا لاطلال الزاوية الدلائية، في ملحق رقم 2.

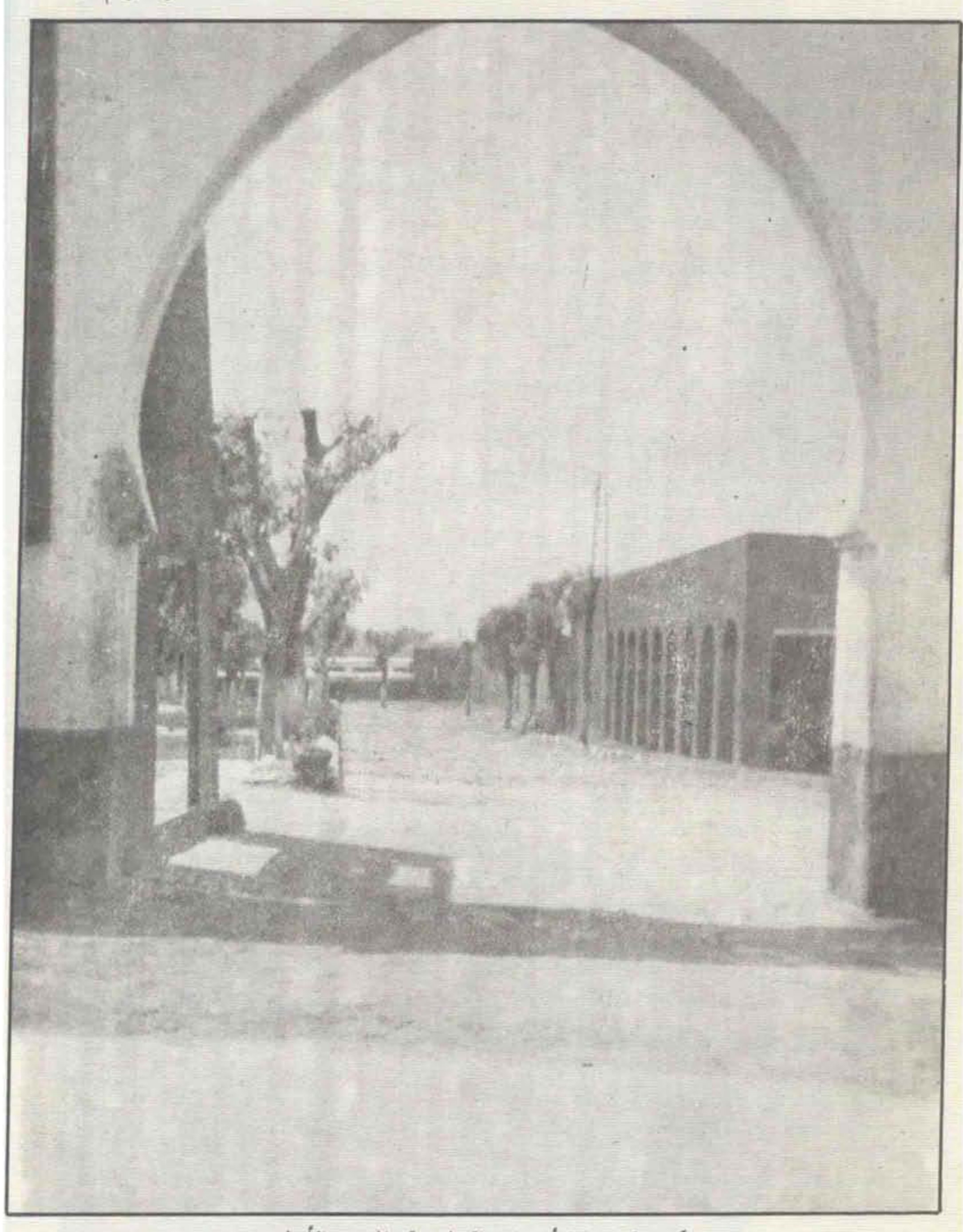
39) انظر اللوحات رقم 4.3.2.1.

اللوحة رقم 6



الباب والقبة لمسجد زاوية أيت إسحاق ــ الزاوية الدلائية الحديثة

اللوحة رقم 7



مكتب قائد زاوية أيت إسحاق في موقع المسجد الأعظم

وقصبة تادلا (40). وما تزال حتى اليوم آثار الأسوار العظيمة التي كانت تحيط بهذه المدينة ممتدة على مسافات شاسعة، ترتفع أحيانا عن سطح الأرض قليلا وتساويه أخرى أو تختفي تحت ركام التراب. وتوجد داخل هذه الأسوار المتهدمة أسوار أخرى ما تزال قائمة بأبراجها، لعلها كانت تحيط بقصر السلطان محمد الحاج الدلائي وفي داخلها مسجد جدد سقفه أخيرا، وبقايا أقواس الديوان(41)

وكان ر. هنري R.HENRY أول من تنبه من المحدثين الى وجود زاويتين دلائيتين إذ نشر مقالا في مجلة هيسبريس HESPERIS سنة 1944 (42) تحت عنوان: أين كانت تقع الزاوية الدلائية؟ تحدث فيه عن الزاويتين ووصف ما وقف عليه من آثارهما، مضيفا الى ذلك روايات استقاها من فقيه قرية معمر وقائد أيت سخمان المكي امهاوش وغيرهما، وأثبت هنري كل ما سمعه من محدثيه دون أن يكلف نفسه عناء البحث والتمحيص والرجوع الى المصادر التاريخية للتأكد من صحة تلك الروايات، لكن صاحب المقال كان له على أي حال فضل السبق لاكتشاف موقع الزاويتين الدلائيتين، والتنبيه الى بعض النصوص التي وردت في كتاب **الإحيا والانعاش**، وهي تتحدث عن الزاوية الدلائية القديمة، ومدينة محمد الحاج عاصمة إمارة الدلائيين. ويمتاز هذا المقال أيضا بما وصف صاحبه من أسوار مسننة كأسوار فاس. وقد اختفت هذه الأسوار اليوم تماما كما اختفى المسجد الأعظم ومناره الشامخ وباب مجاط الكبير الذي كان يطل على وادي أهل زمُّور (أسيف نايت زمور) وقنطرته(43) وذلك بسبب تحطيم جنود الاحتلال الفرنسي هذه الآثار واستخدام أنقاضها في بناء المكاتب والثكنات العسكرية.

وقد حدثني بعض شيوخ زاوية أيت اسحاق أنه شاهد هدم الفرنسيين الأسوار القديمة وغيرها مستعملين في ذلك الألغام المتفجرة. وفي أثناء هدم صومعة المسجد التي كانت قائمة وراء المكتب الحالي للقائد وبعد نقض أجزائها العليا، سقطت دفعة واحدة على إثر تفجير لغم قوي فيها، فغطت مساحة كبيرة من الأرض وأدرك حطامها أحد جنود الكوم فمزق شلوه. ولما كان جنود الفرقة الثالثة يحفرون أسس مباني الثكنات العسكرية بزاوية أيت اسحاق سنة 1941 اكتشفوا بعض القنوات التي كانت تجلب المياه الى مدينة محمد الحاج وتوزعها تحت الأرض على الدور كما هو الحال بفاس.

---

40) تبعد زاوية أيت إسحاق عن خنيفرة بنحو 35 كلم، وعن قصبة تادلا بنحو 64 كلم.

41) أنظر اللوحات أرقام 8.7.6.5.

42) Hespéris, T. 36 - p. 49.

اللوحة رقم 8

بقايا اسوار داخلية يظن أنها كانت تحيط بقصر السلطان محمد الحاج
في الزاوية الدلائية الحديثة (زاوية أيت إسحاق)

تصوير المؤلف

اللوحة رقم 9.

بقايا قنطرة وادي أهل زمور بجوار الزاوية الدلائية الحديثة

تصوير المؤلف

# الباب الثاني

# تعاليم الزاوية الدلائية

## 1 ـ الزاوية الدلائية كمركز ديني

ا) الشيخ أبو بكر مؤسس الزاوية الدلائية

ب) إطعام الطعام في الزاوية الدلائية

ج) احتفال الدلائيين بعيد المولد النبوي الشريف

## 2 ـ طريقة الزاوية الدلائية

ا) سند الدلائيين في الشاذلية

ب) اذكار الزاوية الدلائية

ج) مريدو الزاوية الدلائية

## 3 ـ علاقة الزاوية الدلائية بغيرها من الزوايا

ا) الزاوية الناصرية

ب) الزاوية الفاسية

ج) الزاوية العياشية

## 1 ـــ الزاوية الدلائية كمركز ديني

رأينا في الباب السابق أن تأسيس الزاوية الدلائية القديمة كان لنشر الطريقة الشاذلية ولإطعام الفقراء وأبناء السبيل. وقد انقطع الشيخ أبو بكر الدلائي أزيد من ثلث قرن في زاويته لإرشاد المريدين الوافدين عليه من كل حدب، وإلقاء دروس وعظية كان يبكي خلالها حتى تبتل لحيته البيضاء، فيتأثر الحاضرون أيّما تأثر وتمتلىء قلوبهم خشوعاً وإنابة الى الله. ثم خلف أبا بكر بعد وفاته أبناؤه الصلحاء، فساروا على نهج والدهم في الوعظ والارشاد، وإطعام الواردين على زاويتهم، والحدب على رجال العلم والدين، حتى بلغت الزاوية الدلائية في عهدهم شأواً بعيداً في الشهرة والمجد لم تبلغه زاوية من قبل أو من بعد. وسنلم في هذا الباب بترجمة الشيخ أبي بكر، وعادات الدلائيين في إطعام الطعام والاحتفال بالمولد النبوي، قبل أن نشير إشارة خاطفة إلى طريقتهم الصوفية، وعلاقة زاويتهم ببعض الزوايا التي عاصرتها.

### أ) الشيخ أبو بكر مؤسس الزاوية الدلائية

ولد ابو بكر بن محمد المعروف بِحِمِّي بن سعيد بن أحمد بن عمر الصنهاجي المجاطي بالدلا عام 943/36ـــ1537 ـــ تقريبا ـــ وكان هذا العام يسمى (عام بوعقبة) لمقابلة أحمد الوطاسي وجيشه من أهل فاس مع ابي العباس الاعرج السعدي ومقاتلة أهل مراكش على مشرع بوعقبة من وادي العبيد بتادلا، فكانت الوقعة الحاسمة التي قضت على الوطاسيين وتسنم على إثرها السعديون عرش المغرب. وهكذا يكون شيخ الدلاء قد عرف النور هو والدولة السعدية في عام واحد. ويروي بعض المؤرخين أن شيخ تادلا الصالح أبا الحسن علي بن ابراهيم البوزيدي[1] كان من الحاضرين في وليمة العقيقة التي أقامها محمد بن سعيد المجاطي

---

1 ) الشيخ أبو الحسن البوزيدي دفين أقرض المشهور ببسيط تادلا، توفي عام 1549/956.

لمولوده، وأشار عليه بهذا الإسم. ونشأ أبو بكر نشأة صالحة فحفظ القرآن الكر
في كتَّاب قريته وارتحل الى مدشر ابي عباد[2] لتعلم المتون العلمية، ثم انتقل
طلب العلم الى مكناس وفاس «حتى بلغ في أقصر مدة أقصى الأمنية، فتضلع
قواعد الشريعة وتبحر في موارد الحقيقة»[3]

على أن أبا بكر منذ صباه لم يكن شغوفاً بالعلوم الظاهرة شغفه بصفا
الباطن وسمو الروح، فأقبل على عبادة الله والتعرف على الصالحين من أوليائه. وكا
اتصاله بالشيخ ابي عَمَر القسطلي نقطة تحول في حياته، انصرف بعدها نهائيا عن
الاشتغال بالثروة الطائلة التي خلفها له والده منقطعا الى الدعوة الى الله وإرشا
العباد وهدايتهم. ويذكر المؤرخون قصة طريفة لهذا الاتصال، وهي أن أبا بكر
الدلائي سافر إلى مراكش حاضرة السلطان عبد الله الغالب السعدي (965
1557/981 1574) لتجديد الظهائر القديمة المتضمنة لاحترام الدلائيين
وتعظيمهم. فلما وصل الى القصبة التي هي مقر سكنى الملك وحاشيته، جعل
يتردد هل يتوجه الى البلاط أولاً لقضاء ما جاء من أجله، أم يبدأ بزيارة الشيخ ابي
عَمَر القسطلي الذي سمع عنه كثيرا ورغب في التعرف عليه. وبينما هو محتار في أمر
إذ خرج من باب القصبة عبد أسود من عبيد السلطان ولم يكد يراه حتى تقدم
نحوه غاضباً يريد أن يضربه بعصاه وهو يقول «أهذا موضعك؟! أهذا
موضعك؟!» ففر أبو بكر إلى الشخ أبي عَمَر ونال من عنايته واهتمامه ما لم يكن
له بالحسبان وأخذ عنه عهد الشاذلية، وبقي يختلف الى زيارته طيلة حياته مع وفد
المريدين من قبائل زعير وتادلا. وقد رأينا في الباب السابق أن الشيخ أبا عمر
القسطلي هو الذي أمر أبا بكر باتخاذ زاوية له في الدلاء يرشد فيها المريدين ويطعم
الفقراء والمساكين والطلبة والزائرين. «فكان يطعم الطعام الذي لم يعهد في بلاده
وينزل الناس منازلهم، ويعطي لكل قوم ما يناسبهم، كما كان شيخه (أبو عمر
القسطلي) يفعل. فإذا لامه أحد في التفرقة بين الناس قال له مَن جعل الناس

---

2 ) مدشر، بعني قرية صغيرة. ويقع مدشر ابي عباد في منتصف الطريق بين الدلا وأبي الجعد.

3 ) سليمان الحوات، **البدور الضاوية ورقة 9/أ**

سواء، فليس لحمقه دواء، وما قصده أحد الا أفاض عليه من سيبه، يعطي عطاء من لا يخاف الفقر

فلو رأى مَن مضى بعض مكارمه     لم يذكروا في الندى مَعْناً ولا هرِما[4]

وبعد أن أسس أبو بكر زاويته في الدلاء اجتهد في تكثير العمارة من حولها فبنى الدور والدكاكين وسائر المرافق الضرورية وحبس الرباع على الطلبة والمساكين حتى صارت من أحسن المدن وأكثرها سكانا وأشهرها ذكرا، يقصدها الناس من مختلف الجهات ويلتقي فيها العلماء والطلاب الوافدون فينالون من التعظيم والإكرام ما يجعلهم يرغبون في المقام بها أطول ما يمكنهم من الزمن، وتعقد المجالس العلمية في مسجد الدلاء الرحب، وتقوم سوق العلم فيه على قدم وساق. ولما قامت الفتنة بين أبناء المنصور الذهبي، واسودَّ أفق المغرب وانقطعت فيه السبل وتغلب الاقوياء على الضعفاء، وكثر السلب والنهب، لانعدام السلطة التي تسهر على حفظ النظام، كان الشيخ أبو بكر بما له من المنزلة الرفيعة عند القبائل البربرية يكف أيدي الجناة عن الجرائم، وينصف المظلوم من الظالم، ويدفع بالتي هي أحسن. وقد اتفق جميع من ترجم لشيخ الدلاء على أنه كان نقي الظاهر والباطن نظيف الملابس، شديد بياض الثياب، جميل الهَدْي كثير السلام، خافض الطرف قليل الكلام. حسن العشرة شديد المحافظة على العهد، كريم الأخلاق داعيا الى المحبة والتسامح والتصافي، يعقد في زاويته مجالس للوعظ والارشاد يفتتحها دائماً بقوله «روى الحسن عن أبيه الحسن، عن جده الحسن، أن أحسن الحسن الخلق الحسن»[5].

---

4) محمد الافراني، **صفوة من انتشر**، ص 46. والشطر الاول من البيت غير موزون ويستقيم لو كتبنا مثلاً «يوما» بدلا من «بعض». ويشير البيت الى معن من بن زائدة وهرم بن سنان الحوادين المشهورين.

5) أحمد بن يعقوب الولالي، **مباحث الانوار**، ورقة 1/58.
ويعني بالحسن المذكور أولا الحسن المثنى، وبالحسن المذكور ثانياً أباه الحسن بن علي بن أبي طالب، وبجده الحسن الرسول الكريم؛ ويراد به الوصف بالحسن فقط، إذ ليس الحسن من أسمائه عليه السلام. ولم يعتمد أحد من الحفاظ سند هذا الحديث ولا متنه ولعل اختيار الشيخ ابي بكر له كان بسبب التناسق وحسن السجع زيادة على ما يدعو اليه من حسن الخلق.

وكانت وفاة أبي بكر الدلائي يوم السبت 3 شعبان عام 29/1021 شتنبر 1612 ودفن في مسجده في الدلاء[6].

## ب) إطعام الطعام في الزاوية الدلائية

كان محمد بن سعيد الدلائي موسر الحال، كثير الحرث والماشية، كما كان ابنه أبو بكر العالم الصالح محبباً الى الناس، يقبلون عليه ويلتفون حوله، وكان يجد في سعة حال والده ووفرة أغنامه ما يقري به ضيوفه الكثيرين ويطعم به زواره الوافدين، حتى ضجر الوالد من كثرة ما يذبح ابنه من الماشية وما يستهلكه من مطامير الحبوب، فلامه على الإفراط في الإنفاق ونصحه بالاعتدال، غير أن أبا بكر لم يغير من خطته واستطاع أن يقنع والده بأن عمله ليس من الاسراف في شيء[7] وما زال كرمه ينمو ويطرد إلى أن آل إليه تراث والده بعد وفاته. وأمره شيخه القسطلي بالإطعام. فجعل يصرف ثروته الواسعة في إكرام الوافدين على زاويته، تمده حقوله الشاسعة في الدلاء وفي بلاد غريس بتافيلالت بما يكفيه من الحبوب طول السنة، وتعطيه قطعان الأغنام والأبقار من إنتاجها ما يستجيب لحاجيات مآدبه اليومية. «كان كثير الإطعام بالأنواع المختلفة من الطعام، أمراً خارجاً عن الوصف، مباينا للعادة والإلف، فكانت مراجله دائماً تغلي، وطباخه لم يزل يفرغ ويملي

في جفانٍ كالجوابي وقدورٍ راسيات
هكذا يفعل دأباً بالوفود الزائرات

بل كان يطحن كل يوم خمسا وعشرين صحفة من القمح وعشرين تليسا[8] ثم كان يطعم كل انسان تارة بما اشتهاه في نفسه، وتارة بما يناسبه مع أبناء جنسه، فليس الحضري عنده كالبدوي، ولا الضعيف كالقوي..»[9].

---

6) انظر ترجمة الشيخ أبي بكر الدلائي عند محمد الافراني في **الصفوة**، ص 46—47 وفي **نزهة الحادي**، ص 274 وما بعدها. ومحمد المهدي الفاسي في **ممتع الأسماع** طبعة عام 1313 من ص 144 الى ص 147. ومحمد القادري في **نشر المثاني** طبعة الرباط — الدار البيضاء 1977—1986) I 163—173.

7) هناك اسطورة تقول بأن أبا بكر اتفق مع والده على أن ما تلده الاغنام من الذكور يذبح للاضياف، ويترك ما تلد من الاناث فصارت الغنم بعد ذلك لا تلد الا الذكور، أدرك أبوه عندئذ أن في الامر سرا وسلم له الامر.

8) الصحفة مكيال يقدر بثلاثة قناطير، والتليس كيس مزدوج يصنع من صوف أو شعر أو وبر لتنقل فيه الحبوب على ظهور الدواب.

9) سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 15/ب

وقد سار مَحمد بن ابي بكر الدلائي على نهج والده في الإطعام وتوسع عمله فيه، فكانت له قيِّمات من النساء على الطعام يدفع لهن من الدقيق ومما يلزم للطبخ بقدر ما تحت أيديهن من إماء الخدمة، ويوظف عليهن من الصحون ما يناسب ذلك. فإذا حضر وقت الاطعام دفعت كل منهن ما عندها، وكوفئت عليه إن كان جيدا، وإلا عوقبت على فساد عملها. ويروي مترجمو محمد بن أبي بكر الدلائي عن كرمه المدهش قصصاً غريبة، ويذكرون أرقاماً عالية لمن كان يجلس الى مائدته بمناسبة أو بغيرها. فمن ذلك أنه كان يطعم في سنة من سني الغلاء سبعة آلاف من الفقراء كل يوم، زيادة على الواردين عليه والمقيمين عنده من طلبة العلم وغيرهم. وأطعم في يوم واحد احتفل فيه بسابع المولد النبوي الشريف سبعين ألفا من سكان الزاوية وغيرهم من الوافدين عليها لحضور ذلك الموسم دون أن يقوم من موضعه طيلة اليوم الا للصلوات[10]

واستمر الحال كذلك بالزاوية الدلائية بعد وفاة محمد بن أبي بكر، إذ كان لولده السلطان محمد الحاج المآثر العظيمة في إكرام الوفود، وقد خصص خمسمائة بغلة لحمل الدقيق من الأرحى إلى الزاوية، واتخذ قصعاً عظيمة يطعم فيها الناس.

### ج) احتفال الدلائيين بعيد المولد النبوي الشريف.

أدركت الزاوية الدلائية شهرة عظيمة أيام الشيخ مَحمد بن ابي بكر، فكان عيد المولد الشريف مناسبة يقصدها الناس فيه سواء منهم العلماء والأدباء، والاغنياء والفقراء، والسوقة والرؤساء، فينزلون على الرحب والسعة وينالهم من حفاوة ابن أبي بكر وإكرامه ما تقر به أعينهم وترتاح له أفئدتهم. ويقضون في تلك البقعة الطيبة أياماً يظل المنشدون فيها يرددون القصائد والمقطعات والموشحات في مدح الرسول الكريم، خصوصاً **بردة** الامام البوصيري **وهمزيته** ويقوم الشعراء بإلقاء قصائد ينظمونها خصيصاً لهذه المناسبة لا سيما منهم شاعر الزاوية أحمد الدغوغي[11] الذي كان يذيل مولدياته بمدح الشيخ محمد بن ابي بكر والدعاء له

---

10) انظر تفاصيل ما كان يقدمه محمد بن ابي بكر الدلائي لضيوفه من أطعمة كثيرة، والاواني العظيمة التي يهيأ فيها الطعام، عند سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 1/48 وما بعدها.

11) أحمد الدغوغي من موالي أهل الدلاء، نشأ فيهم وبرع في الادب وكان مداحا هجاء لا يكاد يسلم من هجوه أحد، ترجم له الافراني في **نزهة الحادي** ص 253 ولم يذكر له تاريخ وفاة.

فيرتاح لذلك الشيخ وتطيب نفسه(12). وقد شجع الشعراء على نظم القصائد والتفنن في صوغها ورفعها الى محمد بن أبي بكر بهذه المناسبة، ما كانوا يلقونه منه من جزيل الصلات، وكريم المكافآت. وكان لا يثيب منهم إلا مَن مدح الرسول عليه السلام وأشاد بمفاخر الاسلام. فقد رُوي أن الاديب عمرو بن قاسم الاندلسي الرباطي(13) جاء إليه في أحد هذه الاعياد بقصيدتين إحداهما في مدح النبي الكريم، والاخرى في مدح الشيخ محمد بن ابي بكر، فلما انقضى الموسم وحضر هذا الاديب لوداعه أعطاه الشيخ صرة فيها مائة دينار بيده اليمنى، وفلسا بيده اليسرى قائلا هذه الدنانير جائزتك على مدح النبي ﷺ وهذا الفلس جزاؤك على مدح محمد بن أبي بكر إذ لا يستحق أن يمدح.

## 2 ـــ طريقة الزاوية الدلائية

### أ) سند الدلائيين في الشاذلية

تعتبر الطريقة الشاذلية المتصلة بالإمام أبي القاسم الجنيد(14) من أسلم الطرق الصوفية وأقربها إلى السنة، وأكثرها انتشاراً بالمغرب، حتى إنها لتعتبر الطريقة الرسمية في هذه البلاد، الى جانب المذهب المالكي في الفقه، والعقائد الاشعرية في التوحيد(15). وقد أخذ الشيخ أبو بكر الدلائي طريقة التصوف كما تقدم عن الشيخ أبي عَمَر القَسطلّي المراكشي الذي أخذ عن الشيخ عبد الكريم الحاحي المعروف

---

12) انظر احدى **للولديات** التي كانت تلقى في الزاوية الدلائية في ملحق رقم 3.

13) عمرو بن قاسم هذا هو جد الاديب المشهور محمد بن عمرو الرباطي الذي عارض **شمقمقية** ابن الونان. وقد ظل عمرو بن قاسم يتصل بالدلائيين ويمدحهم مدة طويلة وقد مدح السلطان محمد الحاج الدلائي بقصيدة بليغة تشتمل على 32 بيتاً مطلعها

يا جهبذا برع البرايا وانتهى     شمساً الى حيث السهى والمشترى

أنظرها في **كناشة** ابن علي الدكالي السلاوي، ص 270 وما بعدها.

14) أبو القاسم الجنيد المتوفى عام 277 هـ يتصل سنده بالحسن البصري التابعي الذي أخذ عن جماعة من الصحابة، منهم حذيفة بن اليمان الذي خصه الرسول الكريم بعلم الخواطر وخبايا النفوس.

15) يقول عبد الواحد بن عاشر في مقدمة رجزه **للرشد للعين** الذي يدرس في جميع المعاهد الدينية بالمغرب :

في عقد الاشعري وفقه مالك     وفي طريقة الجنيد السالك

وآخر باب في **للرشد للعين** يتعلق (بمبادىء التصوف وهوادي التعرف).

بالفلاح[16] تلميذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الحق التباع المراكشي[17] أشهر الآخذين عن الشيخ محمد بن سليمان الجزولي[18].

ويتصل سند مَحمد بن أبي بكر الدلائي بالشيخ الجزولي من ثلاث طرق، تتجمع كلها عند الشيخ عبد العزيز التباع. فقد أخذ محمد بن أبي بكر الطريقة الصوفية عن شيخه أبي عبيد محمد الشرقي[19] عن أبيه أبي القاسم الزعري عن عبد العزيز التباع، كما أخذ عن الشيخ ابي المحاسن يوسف الفاسي[20] عن عبد الرحمن المخذوب المكناسي[21] عن ابي حفص الخطاب[22] عن عبد العزيز التباع. وأخذ محمد بن ابي بكر الدلائي أيضاً عن عبد الله بن حسون السلاوي[23] عن ابي محمد الهبطي[24] عن عبد الله الغزواني[25] عن عبد العزيز التباع، عن الشيخ الجزولي.

16) وفي عبد الكريم الفلاح عام 933هـ ودفن بقبة القاضي عياض بمراكش. كان للملكان السعديان محمد وأحمد الشيخ يزورانه في زاويته. توجد ترجمته في **دوحة الناشر**، ص 24 وفي **ممتع الاسماع** ص 8 من الكراسة 5.

17) وفي عبد العزيز التباع بمراكش عام 914 وألف فيه وفي شيخه الجزولي أبو عبد الله محمد المهدي الفاسي كتاب **ممتع الاسماع في ذكر الجزولي والتباع**.

18) الشيخ الجزولي هو محمد بن عبد الرحمن بن ابي بكر بن سليمان، عرف بنسبته إلى جده فقيل محمد بن سليمان، شيخ الطائفة الجزولية ومؤلف كتاب **دلائل الخيرات**. كان برباط آسفي أولا، ثم انتقل الى أفوغال حيث مات مسموما عام 65/870—1466 وقد نقله السعديون بعد ذلك الى ضريحه الحالي بمراكش، وترجمته مفصلة في كتاب **ممتع الاسماع في ذكر الجزولي والتباع**، وفي **L'Encyclopédie de l'Islam** مادة : الجزولي.

19) أبو عبيد محمد الشرقي يتصل نسبه بعمر بن الخطاب، توفي عن سن عالية عام 1/1010—1602 ودفن بجعيدان (أبو الجعد الحالية).

20) انتقل الشيخ ابو المحاسن من القصر الكبير الى فاس في أواخر القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) حيث اتخذ زاوية عظيمة، تخرج على يده فيها كثير من أهل الفضل والصلاح. وهو أحد المجاهدين الذين شاركوا في معركة وادي المخازن الشهيرة. توفي بفاس عام 4/1013—1605 وخصه ولده أبو حامد محمد العربي بكتاب **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ ابي المحاسن**.

21) عبد الرحمن بن عياد الصنهاجي الشهير بالمجذوب، توفي في بلاده دكالة عام 68/976—1569 وحمل الى مكناسة الزيتون ودفن بها.

22) عمر الخطاب دفين زرهون، متصوف كبير ترجم له في جملة رجال القرن العاشر الهجري محمد بن عسكر في **دوحة الناشر** ص 64 ولم يذكر له تاريخ وفاة.

23) عبد الله بن حسون الخالدي، انتقل من مدشر سلاس بأحواز فاس إلى مدينة سلا وأخذ عنه فيها كثير من أهل الفضل والدين. وهو الذي حمل تلميذه أبا عبد الله العياشي على الجهاد ضد النصارى المحتلين للثغور المغربية. وتوفي عام 4/1013—1605.

24) عبد الله الهبطي، أصله من صنهاجة طنجة من قبيلة مثنة توفي عام 55/963—1556 وقبره مشهور بزاويته بأحواز شفشاون.

25) كان عبد الله الغزواني طالبا للعلم بفاس، سلك طريق القوم وصحب الشيخ التباع، وأقام مدة بقبيلته بالهبط — ضاحية طنجة — ثم فاس، وأخيراً انتقل الى مراكش حيث توفي عام 28/935—1529 ودفن بحي القصور.

أما الشيخ الجزولي فيتصل سنده بالامام ابي الحسن الشاذلي[26] عن طريق محمد بن عبد الله أمغار[27] عن ابي عثمان سعيد الهرتناني، عن عبد الرحمن الرجراجي، عن أبي الفضل الهندي، عن عنوس البدوي راعي الإبل، عن الامام أحمد القراقي، عن أبي عبد الله المغربي[28] وأبي العباس المرسي[29] وكلاهما عن أبي الحسن الشاذلي[30].

ويتصل سند الدلائيين بالامام الشاذلي أيضا من طريق الشيخ أحمد زروق. فقد أخذ محمد بن أبي بكر الدلائي عن أبي المحاسن الفاسي عن عبد الرحمن المجذوب كما سبق. ومن شيوخ عبد الرحمن المجذوب علاوة على عمر الخطاب أبو الحسن علي بن أحمد الصنهاجي الملقب بالدوار. كان بهلولا مجذوبا توفي عام 941 /34 ــ 1535 ــ ودفن خارج باب الفتوح في فاس. وتتلمذ أبو الحسن الصنهاجي للشيخ ابراهيم بن علي الحجام من برابرة سوس الأقصى صاحب المزارة

---

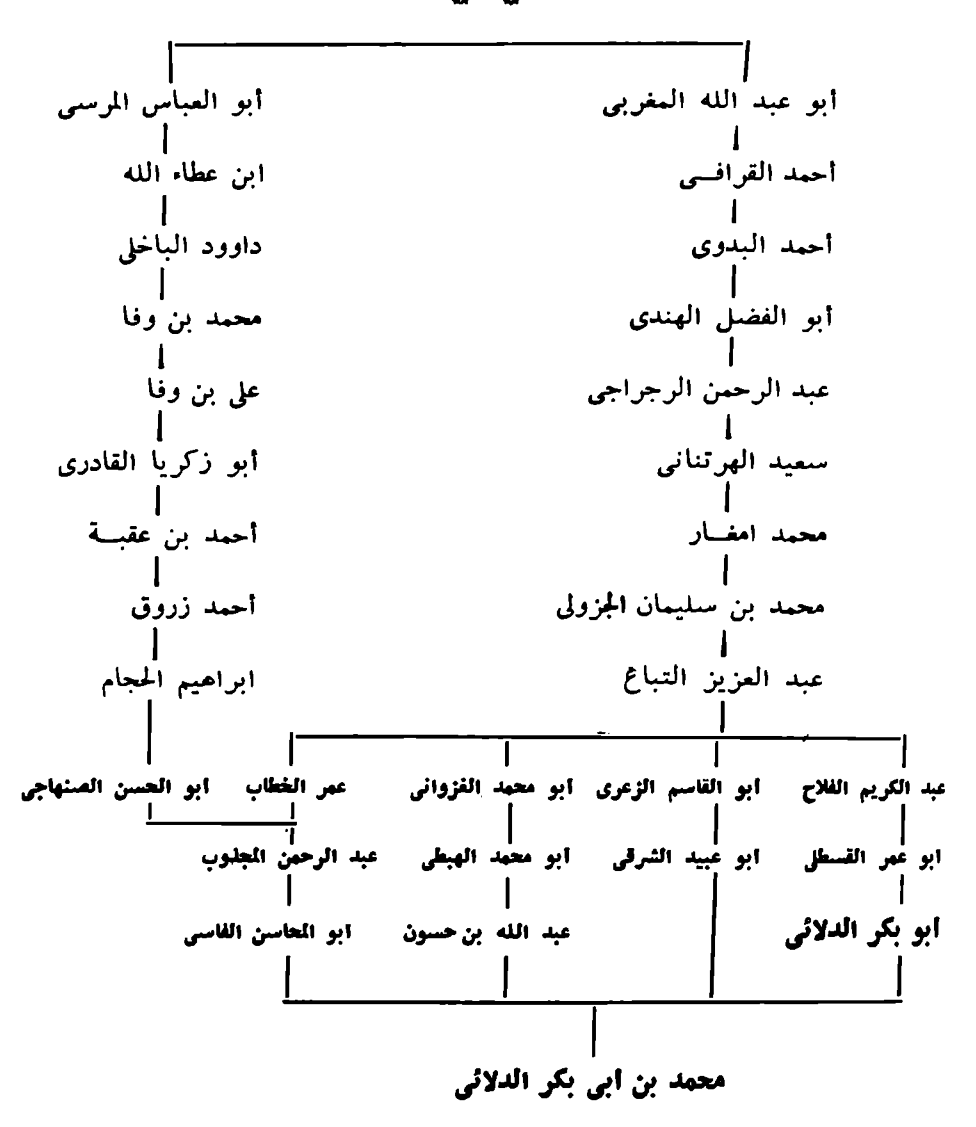
26 أبو الحسن الشاذلي يتصل نسبه بالمولى ادريس بن عبد الله دفين زرهون. ولد بقبيلة غمارية قرب سبتة عام **593/96ــ1197** وتتلمذ للشيخ عبد السلام بن مشيش دفين جبل العلم بالقرب من تطوان. وقد أخذ عن الشاذلي خلق كثير بالمغرب والمشرق، وكانت طريقته في التصوف بسيطة تشتمل على أذكار جمعها في **أحزاب**، منها حزب البر، وحزب البحر، والحزب الكبير... وتوفي الشاذلي بصعيد مصر في سفره الى الحج عام **656/58ــ1259**، ومصادر ترجمة الشاذلي كثيرة مغربية ومشرقية منها **مرآة المحاسن و ممتع الاسماع في فصول متفرقة** و **L'Encyclopédie de l'Islam**

27) محمد بن عبد الله امغار الصغير كان يعيش في رباط تيطنفطر جنوبي مدينة الجديدة، لقيه الجزولي بأرض دكالة وأخذ عنه. كانت وفاته فيما بين عام **840ــ850**.

28) نقل أبو حامد الفاسي في كتابه **مرآة المحاسن** ص **194** عن شيخه أحمد بن يوسف الفاسي سند الجزولي الى الشاذلي كما ذكرت هنا. وقال «ولست أعرف من هؤلاء الشيوخ أحدا سوى الشيخ أبي عبد الله امغار، وأما الامام القرافي فلا أعلم هل هو العالم المتبحر صاحب الذخيرة، والتاريخ يقبله إن كان هو المراد. وأما أبو عبد الله المغربي فلم نجد له ذكرا في **لطائف المنن**.. ولا شك أنهم لم يستوفوا أصحاب الشيخ ابي الحسن، وقد تخرج به في المغرب رجال من الصديقين والاولياء، ثم رحل الى مصر واخذ عنه عالم من الناس» ــ والامام القرافي إن كان هو الفقيه المالكي صاحب **أنوار البروق في أنواء الفروق، والذخيرة** فإنه توفي بمصر عام **684** هـ **(1285)** أنظر ترجمته في الاعلام للشيخ خير الدين الزركلي، الطبعة الثانية (بدون ذكر تاريخ ولا مكان الطبع) ج ا ص **90**.

29) أبو العباس أحمد بن عمر الخزرجي، ولد ونشأ في مرسية بالاندلس واليها نسب. وهو أشهر مريدي الشاذلي صحبه في رحلته الى المشرق وأقام معه بالاسكندرية الى أن توفي بها عام **685 /86 ــ 1287**.

30 أنظر جدول اتصال الشاذلي بالجنيد من طرق متعددة في باب مصادر تصوف الشاذلي من كتاب علي سالم عمار، **ابو الحسن الشاذلي**




اتصال الدلائيين بالامام الشاذلى عن طريق الجزولى وزروق

المشهورة في جبل زرهون وقد اتصل ابراهيم الحجام بالشيخ أحمد زروق وسلك على يده طريق القوم وكانت وفاته عام 926 /1520. أما الشيخ زروق فهو أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، كان من أكابر الفقهاء والمتصوفين جمع بين الحقيقة والشريعة وعرف بمحتسب الصوفية، وألف كتبا عديدة أكثرها شروح لأحزاب الامام الشاذلي ولرسالة ابن أبي زيد القيرواني، وتوفي بمسراته ذات الرمال من أطراف برقة عام 899 /1493. أخذ الشيخ زروق عن أبي العباس أحمد بن عبد القادر ابن عقبة اليمني الحضرمي ثم المصري المتوفى عام 895 /1490 صحبه نحو خمسة عشر شهرا وأدرك على يده درجة عالية. وتتلمذ ابن عقبة لابي زكريا يحيى بن أحمد القادري الذي أخذ عن الشيخ علي بن وفا المتوفى عام 807 /1404 دفين القرافة الصغرى بمصر، عن والده محمد بن وفا المتوفى عام 765 /1364 عن شرف الدين داوود الباخلي، عن تاج الدين بن عطاء الله المتوفى عام 709 /1309 صاحب **الحكم** المشهورة وأخص تلاميذ الشيخ أبي العباس المرسي مريد الامام أبي الحسن الشاذلي.

### ب) أذكار الزاوية الدلائية

رأينا أن طريقة الدلائيين جزولية زروقية شاذلية، وهي تمتاز على العموم بالمحبة الصادقة في النبي الكريم، والاكثار من الصلاة عليه والتسليم. وقد اشتهر أجداد الدلائيين بتعلقهم بالرسول عليه السلام، خصوصا منهم سعيد بن أحمد الدلائي الذي كان «مواظبا على قراءة **دلائل الخيرات** لا يفارقه في أكثر الاوقات، وكان يأمر أولاده بها (الصلاة على النبي عليه السلام) ويرغبهم فيها ويحضهم عليها حتى إنه كان يسافر لنواحي البلاد فياتي بالطرف والفواكه ويقول لهم مرغبا ومدربا من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم كذا وكذا فله كيت وكيت من تلك الأشياء المشتهيات..»(31)

---

31) نقله عن **نزهة الفكر** سليمان الحوات في **البدور الضاوية** ورقة 6 /ب.

ولما تصدر أبو بكر الدلائي للمشيخة في زاويته، لم يلتزم تلقين أذكار مخصوصة لمن يريد الاخذ عنه، كما كان الشأن عند معاصريه من شيوخ الصوفية ومن سبقهم ممن سلك هذا الطريق، وإنما كان يأمر مريديه بالتوبة بشروطها المعروفة، من الاقلاع عن الذنوب، والعزم على عدم ارتكابها مرة أخرى، وتلافي ما يمكن تلافيه من الحقوق المترتبة من قبل، والاكثار من الاستغفار. ومع ذلك فقد «كانت له وظيفة لنفسه ولمريديه وهي أستغفر الله وسبحان الله والحمد لله، ولا اله الا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم. وكل واحدة من هذه الكلمات يقولها مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، مائتي مرة. لا اله الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. لا اله الا الله الملك الحق المبين، سيدنا محمد رسول الله الصادق الامين صلى الله عليه وسلم. وكان يسمى ذلك بالوظيفة لأن طريقته انما هي شاذلية ولا تلقين في الطريقة الشاذلية كما قال القسطلاني»(32).

وكانت أوراد الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي من الاذكار التي كان يوظفها على المريدين في الليل والنهار: «أستغفر الله العظيم (مائة مرة) اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي الى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم (مائة مرة) لا اله الا الله (مائة مرة) صباحا ومساء. ومن الأدعية التي كان يرددها الشيخ محمد بن أبي بكر كثيرا في الزاوية الدلائية اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد. اللهم اختم بالسعادة آجالنا، واقرن بالعافية غدونا وآصالنا، واجعل الى جنتك مصيرنا ومآلنا، وتقبل بفضلك أعمالنا، واجبر برحمتك أحوالنا، واجعل في طاعتك أشغالنا، الاهنا، قطرة من بحار جودك تكفينا، وغرفة من بحار احسانك تغنينا، فها نحن أسارى الذنوب بين يديك واقفون، وعلى ما عودتنا من فضلك واحسانك معولون، اللهم احفظنا في ظاهرنا وباطننا، وعرضنا لنفحاتك القدسية،

---

32) سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 20 /أ.

ولا تكلنا للاصدقاء، ولا تسلمنا للاعداء ،وكن لنا بما كنت به لاحبائك واصفيائك(33).

وكان الشيخ أبو بكر الدلائي يأمر مريديه أن يصلوا على النبي عليه السلام بهذه الصيغة «اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما». ثم لما حج محمد بن أبي بكر الدلائي واتصل في مصر بالشيخ محمد البكري وأخذ عنه طريقته الصوفية كان من جملة ما رواه محمد عن هذا الشيخ (صلاة الفاتح لما أغلق) فجعل محمد بن أبي بكر يلقنها لمريديه في الزاوية الدلائية بدلا من الصيغة الاولى التي كان عليها أبوه. والمعروف أن صلاة الفاتح لما أغلق هي الصيغة التي يلتزمها التيجانيون في وردهم حتى اليوم، بل إننا نجد الورد الذي كان يلقنه محمد بن أبي بكر الدلائي يتفق تماما والورد الذي لقنه الشيخ أحمد التيجاني لاصحابه. فكلا الوردين يشتمل على مائة من الاستغفار، ومائة من صلاة الفاتح لما أغلق، ومائة من الهيللة. وقد قال أحمد بن بابا العلوي الشنجيطي في **منية المريد** عن الورد التيجاني

أركانه أستغفر الله مائة ... وصلّ مثلها على خير الفئة
وكون ذي الصلاة بالفريدة (34) ... مُفضَّلٌ برتب عديدة
وهلّلنّ مائة ولتختم ... بنسبة الارسال للمعظم (35)

ولا شك أن كلًّا من الدلائيين والتيجانيين استمدوا من البكريين شيوخ الطريقة الشاذلية بمصر.

وقد كتب الامام الشرقي بن أبي بكر الدلائي الى شيخ الطريقة الناصرية محمد بن ناصر الدرعي يسأله أن يرشده الى أذكار يتلوها في الليل والنهار فأجابه ابن ناصر برسالة جاء فيها

---

33) محمد بن علي النكالي السلاوي، **الكناشة العلمية**، ص 73.

34) المراد بالفريدة صلاة الفاتح لما أغلق، إذ كان الشيخ أحمد التيجاني يسميها (الياقوتة الفريدة.)

35) انظر في هذا الموضوع محمد العربي ابن السائح **بغية المستفيد لشرح منية المريد**، ص 250 وما بعدها.

«.. فإذا أصبحت واذا أمسيت فاتل هذه الأدعية سبعا سبعا اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله صلاة تدرأ بها عنا كل شر باطن وظاهر، انك انت الله القوي القاهر. اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله صلاة تجلب بها اليَّ كل خير باطن وظاهر، انك أنت الله القوي القادر، سبحان ربي الاعلى الوهاب، اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية، في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عورتي وآمن روعتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي ومن شمالي ويميني ومن فوقي ومن تحتي أعوذ بك أن أغتال. اللهم يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين حسبي الله لا إله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم...»(36).

### ج) مريدو الزاوية الدلائية

طالت حياة أبي بكر الدلائي، وظل منتصبا للمشيخة أزيد من ثلث قرن، وكان ذا سند عال في الطريقة ليس بينه وبين الامام الجزولي الا ثلاثة شيوخ، كما كان سمح الخلق، كريم المائدة، فقصده الناس من كل حدب وصوب، وامتلأت زاويته بوفود المريدين الراغبين في الأخذ عنه وعن ابنه محمد، والانتساب اليهما. واذا كنا لا نستطيع تحديد عدد مريدي هذه الزاوية العظيمة. فإنه يمكننا أن نذكر بعض النابهين منهم ممن تأهل للمشيخة وانتفع به الناس، وأكثرهم من برابرة الاطلس المتوسط.

من أشهر مريدي الزاوية الدلائية محمد بن أبي بكر العياشي المتوفى عام 1067 /1657 وهو والد الرحالة أبي سالم العياشي. أخذ محمد العياشي عن الشيخين الدلائيين أبي بكر وابنه محمد، وطالت صحبته لهما وانتفاعه بهما حتى تهيأ للمشيخة وأذن له أبو بكر الدلائي في ارشاد قومه وتعليمهم واطعام المحتاجين منهم. فأسس الزاوية العياشية أو الحمزاوية كما تسمى اليوم في السفح الجنوبي لجبل

36) محمد بن علي الدكالي السلاوي، **الكناشة العلمية**. ص 93

العياشي بالأطلس الكبير[37]. وأخذ عن الشيخ أبي بكر الدلائي أيضا أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسن الدادسي المتوفى عام 1062 /52 ــ 1653 بواويزغت من جبال تادلا. كان قوي الحال كثير التواجد لا يتمالك عند تلاوة القرآن. ولما تصدر لتربية المريدين كان أكثر ما يحضهم على المحافظة على أداء الصلوات في أوقاتها، وحفظ ألسنتهم من الغيبة والهذر.[38]

كما تتلمذ للشيخ أبي بكر الدلائي محمد بن يعقوب الولالي المتوفى عام 1060 /1650 وهو جد أحمد بن يعقوب مؤلف كتاب **مباحث الانوار**. وكان رجلا بربريا لا يخلو لسانه من ضعف في بعض مخارج الحروف، ومع ذلك فإن شيخه أبا بكر الدلائي كان يعجبه أن يستمع اليه وهو يتلو القرآن، لما كان عليه من قوة اليقين والوقوف عند حدود الله. وكان ابن يعقوب يكثر من زيارة أبي بكر بالرغم عن بعد المسافة بين بلديهما (مسيرة ثلاثة أيام) ولم يتخذ محمد بن يعقوب لنفسه زاوية خاصة مكتفيا بزاوية شيخه الدلائي، وبارشاد قومه وحملهم على الجادة أينما تيسر له ذلك. وتتلمذ للشيخ أبي بكر أيضا أبو علي الحسن علي التاسكَدلتي[39] المتوفى عام 1005 /96 ــ 1597. ما كاد أبو علي يرجع الى قريته الجبلية بعد أخذه عن أبي بكر الدلائي وتزوده بنصائحه حتى جد في تبديل عوائدها الرديئة المتمكنة من عامة أهل البلد، وحبب اليهم العلم بعد أن كانوا لا يكترثون به مكتفين بمجرد حفظ القرآن الكريم وتلاوته. وكان قوي البنية مفتول العضلات فانكب على العمل بجد يباشر الاشغال بنفسه لاصلاح الطرقات وتمهيدها وحفر الاماكن الصعبة وتسهيلها، لأن بلده يقع في جبال وعرة مكسوة بالثلوج[40]. كما

---

37) انظر ترجمة محمد بن أبي بكر العياشي وأخباره مع الدلائيين عند أبي سالم العياشي **اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر** الصفحات الاولى. وعبد الله العياشي، **الاحيا والانتعاش**، الفصل الاول من ورقة 16

38) انظر ترجمة أبي عبد الله الدادسي عند محمد الافراني، **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر** ص 83 و**في نشر المثاني**، 2 60.

39) ترجم أحمد بن يعقوب الولالي في **مباحث الأنوار** ورقة 41 وما بعدها لجده محمد بن يعقوب وذكر كثيرا من أخباره، غير أنه لم يشر الى تاريخ وفاته.

40 انظر ترجمة أبي علي التاسكَدلتي عند سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 23.
وتاسكَدلت قرية بجبال الاطلس المتوسط جنوبي ميدلت، تابعة اداريا لمركز تونفيت.

تتلمذ لأبي بكر الدلائي من شيوخ القرى الجبلية أبو الحسن علي بن ابراهيم دفين تدغة، وأبو الحسن علي بن يوسف دفين أركو، وسليمان الغياثي صاحب الكاف[41]. وقد زار الحافظ أحمد بن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي المتوفى عام 1021 /12 ـــ 1613 الشيخ أبا بكر في زاويته بالدلاء في شهر محرم عام 1012 /1603 وأخذ عنه ونال من اكرامه وتعظيمه ما يناسب مقامه العلمي الرفيع؛ ولما رجع الى فاس سأله الناس عن شيخ الدلاء فقال «أخذ الناس بالأوصاف، وأخذ أبو بكر بالاتصاف»[42]. ألف الحافظ أحمد الفاسي في أسانيد شيخه أبي بكر الدلائي كتاباً خاصاً[43] وكان محمد بن أبي بكر الدلائي يثني كثيرا على الامام أحمد الفاسي ويصفه من بين حفاظ عصره الثلاثة بأنه (الحافظ الضابط الثقة).

### 3 ـــ علاقة الزاوية الدلائية بغيرها من الزوايا

تكاثرت الزوايا في المغرب خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة (السادس عشر ـــ السابع عشر للميلاد) حتى كاد عددها يفوق عدد المساجد، واختلط فيها أمر الصالحين بمدعي الصلاح من ذوي الاغراض الفاسدة والمشعوذين، وعسر بذلك تمييز الطيب من الخبيث. غير أن هناك بعض الزوايا التي أجمع الناس على صلاح أهلها لاستقامة سلوكهم، وظهور نتائج أعمالهم الدينية والعلمية. وأشهر هذه الزوايا في القرن الحادي عشر الهجري ثلاث الزاوية الدلائية والناصرية، والفاسية، ولم تكن هذه الزوايا بمعزل عن بعضها بالرغم من تباين مواقعها، ولكنها كانت تتصل عن طريق التزاور والتراسل، والاخذ والعطاء. فكان بينها من أجل ذلك تفاعل أثمر تقاربا في وسائل العمل وتماثلا في النتائج. وما أشبهها في تلك الظروف الحالكة بمنارات شامخة تشع بالايمان والعرفان في وسط المغرب وشماله وجنوبه. «ومن المقرر عند الاشياخ أن العلم انما أحياه بالمغرب ثلاثة من الشيوخ، سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي، وسيدي محمد بن ناصر في

41) ذكر هؤلاء المريدين الثلاثة الاخيرين سليمان الحوات في **البدور الضاوية**، ورقة 23 /ب وقال إنه لم يقف على تراجمهم. وتدغة (بضم التاء) قرية بجوار تينغير من عمالة ورزازات.

42) أبو حامد الفاسي **مرآة المحاسن**. ص 153

43) عبد السلام بن سودة، **دليل مؤرخ المغرب الاقصى**، ص 237

درعة، وسيدي عبد القادر الفاسي»[44]. والى جانب هذه المراكز الدينية العظيمة كانت الزاوية العياشية ــ وهي ربيبة الزاوية الدلائية ــ تقوم بدور مماثل في منحدرات الاطلس الكبير المطلة على أراضي تافيلالت وواحات الصحراء. على أنها وإن لم تبلغ ذلك الشأو البعيد فإنها قامت بنصيبها في الارشاد والتهذيب، وظلت محتفظة حتى عصرنا الحاضر بذخائر نفيسة في مكتبتها العلمية العامرة. وقبل أن أورد نتفاً من أخبار الزوايا الثلاث وتعاليمها وما كان لها من صلة مع الزاوية الدلائية أود أن أشير إشارة عابرة إلى بعض الظواهر المشتركة بينها. فقد أست كلها في عصر ازدهار الحركة الصوفية بالمغرب وفي زمن متقارب (أواخر القرن العاشر الهجري) باستثناء الزاوية العياشية التي تأخر تأسيسها قليلا إلى أوائل القرن الحادي عشر بدأت بسيطة في بيت أو مسجد صغير ثم اتسعت مبانيها الى أن صار بعضها عبارة عن مدينة أو قرية كبيرة. وكان الغرض الرئيسي لمؤسسي هذه الزوايا صوفيا محضاً يرمي إلى هداية الناس وتهذيب أخلاقهم بنشر تعاليم الطريقة الشاذلية ثم تطور نشاطها فأصبحت مراكز علمية هامة تشد إليها الرحال.

أ) الزاوية الناصرية

تقع الزاوية الناصرية بتامكَروت على ضفاف وادي درعة وراء الاطلس الكبير، بعيدة عن مركز زاكورة بنحو 22 كلم في جنوبها الشرقي. أسسها ابو حفص عمر بن احمد الأنصاري[45] عام 75/983ــ1576. واستقر بها حفيده الصوفي الصالح أحمد بن إبراهيم الأنصاري[46] مع شيخه عبد الله ابن حسين الرقي[47] الذي كان يلقن فيها أوراد الشاذلية. وقد جاء أبو عبد الله محمد بن

---

44) محمد بن أحمد الفاسي، للورد المهنى، ورقة 2/ب.

45) ابو حفص الانصاري أحد أعيان درعة وزهادها. ووالد الصالحة ميمونة الانصارية أم الشيخ أحمد بن ابراهيم الانصاري. وهو أول من نزل من أفراد قبيلته بتامكَروت، وأسس زاويتها في التاريخ المذكور وكانت وفاة أبي حفص الانصاري عام 1/1010 ــ 1602.

46) أحمد بن ابراهيم الانصاري، الدرعي العابد الزاهد، قتل عام 1642/1052.

47) عبد الله بن حسين الرقي ــ نسبة الى الرقة بلد على شاطىء نهر الفرات بالعراق ــ كان يعرف بالقباب. وهو من أكبر صلحاء درعة، أخذ عهد الشاذلية عن الشيخ أحمد بن علي الحاجي الدرعي المتوفى عام 89/998 ــ 1590. تلميذ الشيخ الشهير ابي القاسم الغازي الدرعي المتوفى بسجلماسة عام 73/981 ــ 1574، وكانت وفاة الشيخ عبد الله ابن حسين بتامكَروت عام 35/1045 ــ 1636.

ناصر الدرعي[48] الى زاوية تامكَروت عام 30/1040 ــ 1631 لأخذ الطريقة عن الشيخ عبد الله بن حسين. وأقام ابن ناصر في هذه الزاوية مدة بطلب من الشيخ عبد الله بن حسين، وأقبل على التدريس ونشر العلم فيها، وقصده الطلاب من مختلف جهات الصحراء. وقد تصدر أحمد الانصاري للمشيخة الصوفية بزاوية تامكَروت بعد وفاة أستاذه الرقي، غير أنه لم يلبث أن مات قتيلا بيد أحد منافسيه من زعماء درعة، فاستقل حينئذ الشيخ محمد ابن ناصر بهذه الزاوية وأصبح يشتغل فيها بتدريس العلم للطلبة وبتربية المريدين. وتحمل الشيخ ابن ناصر كثيرا من شظف العيش «وصبر في هذه المدة غاية الصبر على معيشته وكسوته حتى كان ينام مع أهله على التراب، لعدم ما يشتري به حصيرا يفرشه، وربما افترش ليفاً أو جريد نخل..»[49].

وكان محمد بن ناصر يميل الى البساطة في تعليمه، ويقتصر على حل مشاكل المتون وتقريبها لأذهان الطلاب، مجتنباً كثرة النقول والخلافات المتشعبة، فانتفع به كثير من الناس. ومن أشهر تلاميذه الامام أبو علي اليوسي والقاضي عبد الملك التجموعتي، والرحالة أبو سالم العياشي[50] وغيرهم. وقد حج ابن ناصر مرتين، واشتهر أمره بالمشرق مثلما اشتهر بالمغرب، وكثر أتباعه والآخذون عنه فيهما. ولم تكن له أوراد معينة يلقنها لجميع أتباعه، وإنما كان يراعي حالة المريدين ويسلك بهم سبيل التدرج في الاذكار. ويمكننا أن ندرك على الاجمال طريقته في التلقين وتحري السنة من صدر رسالة أجاب بها بعض طلبة تلمسان حين كتبوا اليه يسألونه الدخول في زمرته، وأن يبعث اليهم بحديث السبحة والخرقة والضيافة[51].

---

48) الشيخ محمد بن ناصر يتصل نسبه بجعفر بن ابي طالب. هاجر أجداده الى درعة في صدر القرن العاشر الهجري، وُلد محمد بن ناصر ونشأ بقرية اغلان في درعة، ثم انتقل الى تامكَروت في التاريخ المذكور وعمره إذ ذاك نحو 27 سنة وآلت اليه زاويتها بعد وفاة الشيخين الرقي والانصاري، ونسبت اليه فعرفت بالزاوية الناصرية، وبها كانت وفاته عام 74/1085 ــ 1675. وخلفه فيها أبناؤه حيث ما يزال عقبهم هناك حتى اليوم.

49) أحمد الناصري السلاوي، **طلعة المشتري**، جـ 1، ص 133.

50) ستاتي تراجمهم في الابواب التالية.

51) يقول بعض الصوفية ان للسبحة والخرقة والضيافة أصلا في السنة، ويذكرون أحاديث في الموضوع منها ما رواه الديلمي في **مسند الفردوس** أن النبي ﷺ قال «نعم المذكر للسبحة»، والجلال الدين السيوطي رسالة سماها **المنحة في استعمال السبحة**، ذكر فيها أن جمعاً من الصحابة كانت لهم سبحة، كعائشة وأبي هريرة وأبي الدرداء،

قال «... وأوصيكم بتقوى الله ولا ترجوا ولا تخشوا الا الله. وأما السبحة والضيافة والخرقة فليس عندنا فيهم رواية. وإنما طريقتنا الذكر، وهو نحو ما ذكر الشيخ السنوسي في اخر شرح العقيدة الصغرى(52) فإن رغبتم في الدخول في السلسلة، فصححوا التوبة وشروطها وعليكم بتقوى الله والتوكل عليه في جميع الامور، والتأهب ليوم النشور، والتزود لسكنى القبور. وإذا فرغتم من الاذكار المأثورة بعد صلاة الصبح فقولوا استغفر الله مائة مرة، اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى اله وصحبه وسلم تسليما، كذلك لا إلٰه إلا الله، ألف مرة. هذا اذا كان ممن يعاني القراءة وكان ذكرا وأما لمرأة فحسبها من الهيللة مائة مرة. وإن كان عامياً فليذكر الهيللة سبعة آلاف مرة، ويزاد عند تمام كل مائة، محمد رسول الله ﷺ هذا هو الورد بين الصبح والصبح...»(53) وهكذا نرى أن محمد بن ناصر كان يراعي أحوال الناس من التفرغ والاشتغال. فيأمر الرجل العادي أكثر مما يأمر به الطالب المهتم بدروسه، ويخفف عن المرأة كثيراً لضعفها ومسؤوليتها في البيت. وهناك مسائل أخرى تدل على شدة تمسك شيخ الناصرية بالسنة، وتعزز ما ورد في الرسالة من عدم اتخاذ السبحة والخرقة والضيافة لعدم رواية شيء ثابت في شأنها. من ذلك أنه ترك قراءة الفاتحة بعد الصلوات، لنفس السبب، واقتصر على أذان واحد يوم الجمعة، ولم يكن يدعو في الخطبة لأمير المؤمنين، الامر الذي كاد يجر عليه شرا مستطيرا اذ بعث اليه السلطان الرشيد بن الشريف بكتيبة من الجيش للبطش به ولكن الله سلم.

---

= وكذلك بعض العارفين الاولين كالجنيد ومعروف الكرخي وعبد القادر الجيلالي. ويقال إن الرسول عليه السلام كسا قرة بن هبيرة ثوبين من ثيابه لما سأله ذلك. ويروي شيوخ الصوفية لبس الخرقة بسند متصل ينتهي الى علي بن ابي طالب وأويس القرني، أنظر في هذا الموضوع أحمد الماجري، **المنهاج الواضح**، ص 159 وما بعدها.

52) أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي عالم تلمسان المتوفى عام 89/895 — 1490 له كتب في العقائد **كبرى وصغرى، وصغرى الصغرى**، وتعرف الصغرى **بأم البراهين** وقد طبعت مرارا في **مجموع المتون** بفاس، ومصر ويشير ابن ناصر في رسالته الى قول السنوسي في آخر أم البراهين عندما تحدث عن كلمتي الشهادة «فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها مستحضراً لما احتوت عليه من عقائد الايمان حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه..».

53) أحمد الناصري السلاوي، **طلعة المشتري**، جـ 1، ص 148.

وإذا أردنا أن نوازن بين الطريقتين الناصرية والدلائية، وجدنا أنهما تلتقيان في نواح كثيرة، فكلتاهما تتصلان بالامام الشاذلي عن طريق الشيخ أحمد زروق، وإن كان سند الدلائيين أعلى وأوسع، لأخذهم عن شيوخ عديدين وانفرادهم بطريقة الشيخ الجزولي دون الناصريين. وتتشابه أوراد الزاويتين كثيراً، إذيأمر كل من شيخي الدلاء وتامكَروت مريديه بالتوبة أولاً، والاكثار من الاستغفار، والهيللة، والصلاة على الرسول الكريم. ويتفق الدلائيون والناصريون في صيغة الصلاة على النبي ﷺ ، إلا أن الدلائيين يزيدون فيها كلمتين هما «عبدك ورسولك» فيقولون اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. بينما يقولها الناصريون بدونهما كما وردت في الرسالة السابقة[54] وإن اختصت كل منهما بأدعية فإنهما لم تفتآ متشابهتين في التزام البساطة ومراعاة السنة، وعدم الاتيان بالعبارات الصوفية الغامضة، والكلمات المبهمة المحتملة لكل تأويل.

هذا ولم يتتلمذ الناصريون للدلائيين مباشرة، غير أن الشيخ محمد بن ناصر درس العلوم اللغوية والفقهية على أبي الحسن علي بن يوسف الدرعي[55] تلميذ محمد بن أبي بكر الدلائي. وكان أبو الحسن هذا كثيراً ما يضيق ذرعاً بضنك عيش تامكَروت، ويقصد شيخه ابن أبي بكر في الدلاء، فينال من عطاياه وهداياه ما ينقلب به الى أهله مسروراً. وبعث الشيخ محمد بن ناصر مرة مع أستاذه أبي الحسن بقصيدة يمتدح فيها شيخ الزاوية الدلائية محمد ابن ابي بكر، منها

له يدان يد للظلم مقمعة ويد جود تفيد الناس أنوالا
كأنما هاتف الحق يخاطبه أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا[56]

54) كانت هذه الصيغة للصلاة على النبي ﷺ معمولا بها في الزاوية الدلائية الى أن غيرها محمد بن ابي بكر الدلائي بصلاة «الفاتح لما اغلق» بعد أخذه عن الشيخ البكري كما تقدم في الفصل السابق.

55) أبو الحسن علي بن يوسف بن احمد بن عبد الحليم الدرعي التامكري. الامام العالم الجليل المتبحر المتفنن في جملة من العلوم العقلية والنقلية كان جل دراسة الشيخ محمد ابن ناصر عليه. ترجم له محمد المكي الناصري في **الدرر المرصعة**، ص 253 ولم يذكر تاريخ وفاته.

56) في البيتين خلل في الوزن، ويستقيم لو جعل (كف) بدلا من يد في الشطر الثاني من البيت الاول، و(للحق خاطبه) بدلا من الحق يخاطبه في البيت الثاني.

فكان لها الوقع الطيب في نفس ابن أبي بكر، ونال أبو الحسن من معروفه فوق ما كان يعهده منه. وإلى ذلك كانت هناك اتصالات ومراسلات بين الناصريين والدلائيين أشرنا في الفصل السابق الى بعضها. ولعل الامام أبا علي اليوسي كان أهم صلة ربطت بين الزاويتين فقد درس بتامكَروت على الشيخ محمد ابن ناصر وأخذ عنه عهد الشاذلية وهو ما يزال حدثاً في مقتبل العمر، ثم التحق بالزاوية الدلائية واستقر بها نهائياً تلميذاً ثم أستاذاً، ولم تنقطع صلة اليوسي بشيخ تامكَروت طيلة العشرين سنة التي قضاها في الدلاء. وقد امتدح اليوسي الشيخ محمد بن ناصر بقصيدة دالية بليغة يبلغ عدد أبياتها **540**. مطلعها

عرج بمنعرج الهضاب الورد     بين اللصاب وبين ذات الارمد
وأجز من الجزع الذي بحضيضه     أجداث أصداء العشير الهمد[57]

ب) الزاوية الفاسية

الشيخ الاول لهذه الزاوية هو أبو المحاسن يوسف الفاسي. ولد ونشأ بمدينة القصر الكبير وأخذ فيها عن الشيخ عبد الرحمن بن عياد الدكالي المعروف بالمجذوب المتقدم ولازمه الى أن توفي عام **976/68ـــ1569**، فتصدر بعده أبو المحاسن الفاسي للمشيخة وتربية المريدين، وانتقل الى مدينة فاس عام **988/80ـــ1581** وسكن بدار في أقصى الدرب الجديد من حي المخفية بعدوة الاندلس، كان يسكن في أعلى الدار ويجتمع المريدون في أسفلها. ثم اشترى دورا مجاورة لها وأسس فيها عام **1004** مسجدا ومنارا وزاوية. وبعد مدة أمر أبو المحاسن اصحابه بتطوان «ببناء رابطة هنالك لأورادهم وأحزابهم واجتماعهم للذكر والتذكير، فبنوها في العيون منها

---

وذكر في **الدرر المرصعة** (مخطوط خ.ع. **265** ك. ص **362**) أن الرسول الذي حمل كتاب الشيخ ابن ناصر الى الدلاء لما رجع اليه بردّ بليغ من إنشاء محمد المرابط الدلائي قرأه الشيخ ابن ناصر وقال «فاتونا هؤلاء بالبيان» أي سبقونا.

57) اللصاب الشعاب الضيقة، الارمد تراب على لون الرماد. والجزع منعطف الوادي، والاصداء جمع صدى والمراد به هنا جسد الميت.

وتشتمل هذه القصيدة كلها على مفردات لغوية جزلة حتى يظن أنها من شعر الجاهليين. وقد جعل لها اليوسي شرحاً سماه **نيل الاماني في شرح التهاني** طبع بمطبعة التقدم بمصر عام **1329**.

وقام الرسم بها أحسن قيام، ولم تزل الصلوات راتبة بها ورسوم الخير من تلاوة وذكر وغيرها ثابتة فيهـا واسم الزاوية جاريا عليها ووقف الناس عليها أوقافاً»[58].

وهكذا أسس الشيخ أبو المحاسن الفاسي في أواخر القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) زاويتين إحداهما بحي المخفية بفاس، والاخرى بحي العيون بتطوان كان يجتمع فيهما أصحابه من المريدين. وقد رتب لهم الشيخ أورادا يقرؤونها جماعة على لسان واحد جهرا في ثلاثة أوقات **الاول** بعد صلاة الصبح، ويقرأون فيه حزب الفلاح[59] والمسبعات العشر والمعشرات التسع[60]، ووظيفة الشيخ زروق[61] والحزب الكبير[62]. **والثاني في** العشي. ووروده المسبعات العشر ووظيفة الشيخ زروق، الا انهم يستبدلون بعبارة (أصبحت وأصبحنا وما أصبح) قولهم (أمسيت وأمسينا وما أمسى). **والثالث** بعد الغروب. ووظيفته حزب الفلاح ثم حسبنا الله ونعم الوكيل سبعين مرة[63] ثم صلاة الشيخ عبد السلام بن مشيش[64].

---

58) أبو حامد العربي الفاسي، **مرآة المحاسن** ص 43.

59) حقيقة الحزب كما قال الشيخ زروق في شرح **حزب البحر** للامام الشاذلي «هو الورد المعمول به تعبداً ونحوه. وهو في الاصطلاح مجموع أذكار وأدعية وتوجهات وضعت للذكر والتذكير والتعوذ من الشر، وطلب الخير واستنتاج للعارف وحصول العلم مع جمع القلب على الله سبحانه بذلك ولم تكن في الصدر الاول ولا من بعده بقريب لكن جرت على أيدي مشايخ المتصوفة» وحزب الفلاح هو من جمع الشيخ محمد بن سليمان الجزولي انظره في ملحق 4.

60) المسبعات هي عبارة عن عشر جمل من الاذكار تتلى كل منها سبع مرات، وهي من الشعارات القديمة للصوفية ذكرها الغزالي في **الاحياء**. والمعشرات التسع من أذكار أتباع الشيخ الجزولي تتلى كل جملة فيها عشر مرات. أنظر المسبعات والمعشرات في ملحق رقم 4.

61) انظر وظيفة الشيخ زروق عند العربي الفاسي، **مرآة المحاسن**، ص 55—58.

62) الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي وأوله على ما عند ابن عطاء الله وابن عباد والشيخ زروق «بسم الله الرحمن الرحيم. وإذا جاءك الذين يومنون بآياتنا فقل سلام عليكم» انظره عند العربي الفاسي، **مرآة المحاسن**، ص 58—63.

63) (حسبنا الله ونعم الوكيل) سبعين مرة لم يكن يقرأها المريدون في حياة الشيخ ابي المحاسن، وإنما زادها ولده الحافظ احمد بعد موت والده.

64) أنظرها في ملحق رقم 4

وهنالك زاوية فاسية أخرى أسسها بحي القلقليين(65) بفاس أخو الشيخ أبي المحاسن وتلميذه أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي المشهور بالعارف بعد تأسيس زاوية المخفية بقليل. ظل أبو زيد الفاسي يسير في زاويته على النهج الذي يسير عليه أخوه أبو المحاسن في زاوية المخفية الى أن توفي فخلفه فيها حفيد أخيه، عبد القادر بن علي بن ابي المحاسن، وكان أخص تلاميذه وأقرب الناس اليه وأكثرهم استفادة منه. وقد عني الشيخ عبد القادر الفاسي بزاوية القلقليين عناية خاصة وانكب فيها على تدريس العلوم وتربية المريدين، ثم جدد له المولى اسماعيل بناء هذه الزاوية ووسعها على النحو الذي هي عليه الآن. وكان المريدون على عهد الشيخ عبد القادر الفاسي يجتمعون فيها للذكر مرتين في اليوم، فيقرأون حزب الغداة بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس وهو يشتمل على ما تقدم من حزب الفلاح والمسبعات والحزب الكبير مع زيادة ذكر لا اله الا الله خمسمائة مرة، ثم محمد رسول الله عشر مرات، ثم اسم الجلالة خمسمائة مرة، ثم محمد رسول الله في أثنائه ما تيسر، ثم يقرأون هذا الدعاء ثلاث مرات اللهم أحينا عليها يامولاي، وأمتنا عليها يامولاي، وأثبتنا عليها يا مولاي عند الشهادة والرجوع اليها ويختمون بلا اله الا الله مرة، ويقرأون الفاتحة وينصرفون. وقد يقرأ بعض المريدين حزبين من القرآن الكريم. ثم يجتمع المريدون في الزاوية أيضا بعد صلاة المغرب لقراءة حزب الفلاح وحزب الشيخ عبد القادر الجيلالي(66) وصلاة الشيخ عبد السلام ابن

---

65) ذكر صاحب **أزهار البستان** أن أصل زاوية القلقليين دار يعلى البحري الاندلسي وُهبت لعبد الرحمن الفاسي العارف عام 1027 فبناها زاوية وحبّسها على الذاكرين.
لم يدفن الشيخ أبو المحاسن في زاويته بالمخفية، ولا أخوه عبد الرحمن بزاوية القلقليين، وإنما دفنا خارج باب الفتوح بروضتيهما المشهورة.

66) الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الشريف الحسني المعروف بالجيلاني المتوفى ببغداد عام 561 /65 — 1166 صاحب الطريقة الجيلانية المنتشرة في جميع البلاد الاسلامية الى أن طغت عليها الطريقة الشاذلية في المغرب منذ القرن السابع للهجرة. وقد ازداد قدم الشاذلية رسوخا بالمغرب في القرن التالي مع الشيخ محمد بن سليمان الجزولي الذي كان يعد أتباعه بالآلاف وأخذ عنه جل شيوخ عصره في هذه البلاد ثم تأكد ذلك في القرن التاسع للهجرة مع الشيخ أحمد زروق شارح أحزاب الشاذلي ومجدد طريقته في أقطار المغرب غير ان بعض شيوخ الامام زروق يرتفع سندهم الى الشيخ عبد القادر الجيلالي. ومن المعلوم أن عبد القادر الفاسي أخذ عن عم والده أبي زيد عبد

مشيش. كما كان المنشدون كثيرا ما يختلفون الى زاوية القلقليين للترنم بالامداح النبوية والاشعار الصوفية بحضرة الشيخ عبد القادر الفاسي «ولا يستعملون شيئا من السماع حتى يقدموا قبله قراءة القرآن، وكان يحب كلام الششتري(67) باللحون، وكلام سيدي عبد الرحمن المجذوب وغيره، ولا ينكر شيئا من ذلك ولا يحب آلة مع ذلك سدا للذريعة.. وكان يرخص في الرقص ولكن لذي حال غالب، ومع ذلك يأمر بالسكون، وينهى عما يؤثر في العقول من السماع، ولا يمنع شيئا في الفرح بالمولد النبوي من الرقص والشطح»(68)

وهنالك صلات متينة ووشائج قربى تجمع بين الزاويتين الفاسية والدلائية منذ عهودهما الاولى، فأبو المحاسن الفاسي هو أحد الشيوخ الأولين في السلسلة التي تصل محمد بن أبي بكر الدلائي بالامامين أحمد زروق ومحمد بن سليمان الجزولي. وقد تتلمذ الحافظ أحمد بن أبي المحاسن الفاسي على شيخ زاوية الدلاء أبي بكر، وخص أسانيده في طريق القوم بتأليف سبقت الاشارة اليه. وأقام أخوه أبو حامد محمد العربي الفاسي مدة طويلة في الزاوية الدلائية، يدرس الحديث على الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي، ويلقي دروسا في مختلف العلوم على الطلبة الى أن تخرج على يده كثير من العلماء الدلائيين على ما سياتي في الباب الثالث؛ وله مراسلات مع الدلائيين، ومقامة أدبية وقصائد في مدح أستاذه محمد بن أبي بكر الدلائي. «ولما عزم المامون على تسليم العرائش الى النصارى بعث الحافظ أحمد الفاسي الى الشيخ أبي بكر الدلائي يستشيره، فأشار عليه بالخروج.»(68م) كما شد الرحلة الى المدينة الادريسية كثير من أحفاد الشيخ أبي بكر الدلائي للأخذ عن

---

الرحمن الفاسي العارف الذي يتصل سنده بالشيخين الجزولي وزروق معا، ولعل ذلك يفسر ما نراه هنا من قراءة مريدي الزاوية الفاسية لحزب الشيخ الجيلاني، هذا بالاضافة الى أن الشيخ عبد القادر الفاسي كان صوفيا متحررا يختار من كل طريقة ما يراه صالحا وكان كثيرا ما يستشهد بقوله تعالى «وامر قومك يأخذوا بأحسنها».

67) أبو الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري شاعر أندلسي متصوف تنقل في البلاد وكان يتبعه في أسفاره ما ينيف على 400 فقير يخدمونه، وله تآليف منها **للقاليد الوجودية في أسرار الصوفية** وشعره وموشحاته وزجله في غاية الحسن يوجد كثير منها في **ديوانه** المطبوع بمصر توفي الششتري بقرية الطينة القريبة من دمياط بمصر عام 668 / 1269.

68) عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، **تحفة الاكابر**، الباب الثاني عشر، غير مرقم.

68م) العربي الفاسي، **مرآة المحاسن**، ص 155

الامام عبد القادر الفاسي حفيد الشيخ أبي المحاسن خصوصا في الوقت الذي كانت فاس خاضعة لنفوذ السلطان محمد الحاج الدلائي. ومن أشهر المتخرجين على يد الشيخ عبد القادر الفاسي الطيب بن المسناوي الدلائي مفتي الزاوية البكرية وفقيهها الكبير. وبعد النكبة التي أصابت الدلائيين كثر عدد طلبتهم في زاوية القلقليين بفاس وكأنهم وجدوها أشبه ما تكون بزاويتهم القديمة، ففيها تعقد المجالس العلمية وحلقات الاذكار وتنشد الاشعار والموشحات والازجال الصوفية. واذا كانت الزاويتان الفاسية والدلائية تتحدان في سلوك نهج الشاذلية فان اذكار الزاوية الدلائية تمتاز بالبساطة والسير مع ما يناسب موقعها في وسط البادية ومريديها من أعراب تادلا، وبرابرة زيان، اذ لا يعقل أن يكلف هؤلاء بحفظ أحزاب الشاذلي والجزولي ووظيفة الشيخ زروق وغيرها من الاذكار المعقدة الطويلة، بعكس الحال في زاوية فاس التي كانت تستقبل مريدين متحضرين يمتلك جلهم مبادىء علمية تؤهلهم لادراك الاحزاب السابقة وغيرها من المسبعات والمعشرات. ولعل هذا مما تمتاز به الطريقة الشاذلية التي لا تعين أذكارا لمريديها في كل مكان ولا تقيدهم حتى بقراءة الاحزاب التي وضعها الشاذلي نفسه تاركة للشيوخ مجال الاختيار لما يناسب الحال، فتعددت بذلك مظاهر هذه الطريقة واختلفت صيغ أذكار مريديها لا تجمعهم الا سنة الرسول الكريم التي هي المبدأ الاساسي الذي لا يمكن المحيد عنه في هذه الطريق.

ج) الزاوية العياشيـة

تسمى الزاوية العياشية اليوم زاوية سيدي حمزة، وتقع في سفح جبل العياشي، على ضفة أحد روافد وادي زيز بعيدة عن ميدلت بنحو 60 كلم جنوبا. أسسها محمد بن أبي بكر العياشي عام 1044 /34ـ1635 باشارة من شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي. «وهو الذي أذن له في اطعام الطعام بالزاوية، وكان (محمد بن أبي بكر العياشي) يعطي الاوراد للناس، ويقصدونه من القبائل البعيدة»(69) ونحن وان لم نعثر على ما يبين لنا هذه الاوراد التي كانت تلقن في زاوية

69) عبد الله العياشي، الاحيا والانتعاش، ورقة 18

أيت عياش، فاننا لا نشك في أنها كانت قريبة مما يتلقاه المريدون في زاوية الدلاء. فشيوخ ابن أبي بكر العياشي كلهم شاذليون، وأكثر اقامته كانت في الزاوية الدلائية، أخذ فيها أولا عن الشيخ أبي بكر الدلائي، ثم عن ابنه محمد من بعد كما سبقت الاشارة الى ذلك. وقد تكاثر الواردون على الزاوية العياشية حتى ضاق مسجدها بالمصلين يوم الجمعة، فوسعوه، وجددوا بناءه عام 1066/ 55ـ1656

ولما آل أمر الزاوية العياشية الى أبي سالم العياشي أخذ يشتغل فيها بتدريس العلم، وسار على نهج والده في الاتصال بالدلائيين وتعظيمهم، وله معهم مساجلات أدبية شعرية ونثرية، ومراسلات علمية، أهمها الأسئلة التي وجهها الى مفتي الزاوية البكرية الطيب بن المسناوي الدلائي وتلقى عنها أجوبة ضافية[70] ولم تنقطع صلة العياشيين بالدلائيين حتى بعد تخريب زاوية الدلاء، اذ نجد حمزة بن أبي سالم العياشي يأخذ العلم في فاس عن محمد المسناوي الدلائي، ويؤلف كتابا في ترجمته[71]. والى حمزة هذا تنسب الزاوية العياشية، لأن عنايته بها كانت بالغة، فعمل على تنشيط الحركة العلمية فيها، وبذل كل ثروته في اقتناء الكتب واستنساخها. وكادت الزاوية العياشية تلقى نفس المصير المحزن الذي لقيته أختها بالدلاء، فغرب السلطان الرشيد أهلها عنها الى فاس وتركها قاعا صفصفا كزاوية الدلاء. وظل يصم أذنيه عن توسلات العياشيين في الرجوع الى ديارهم، بعد أن استوخموا حاضرة المولى ادريس، وكانوا يسكنون أخصاصا فوق حي الفخارين داخل باب الفتوح، لقلة ذات يدهم وعدم تعودهم على عيش المدن. وقد رجع آل عياش الى زوايتهم باذن من السلطان اسماعيل بعيد توليه الملك في أوائل عام 1083 /1672. وما زال جبل العياشي يحتضن حتى اليوم هذه الخزانة العلمية العظيمة وهي بحق مفخرة كبيرة لبلادنا، وشاهد ناطق بماضيها العلمي المجيد؛ وحبذا لو صرفت العناية الى تنظيمها وتيسير سبيل الاستفادة منها والكشف عن كنوزها الدفينة.

---

70) انظر نص الاسئلة وأجوبتها عند سليمان الحوات **البدور الضاوية**، ورقة 168 /أ الى ورقة 170 /أ.

71) عبد السلام بن سودة، **دليل مؤرخ للمغرب الاقصى**، ص 222

# الباب الثالث

# الزاوية الدلائية باعتبارها مركزاً علمياً

**1 ـ الاهمية العلمية للزاوية الدلائية**

ا) العلوم التي كان الدلائيون يدرسونها

ب) تفوق الدلائيين في اللغة وقواعدها

**2 ـ أساتذة الزاوية الدلائية من أبنائها**

ا) محمد بن أبي بكر الدلائي

ب) بقية أساتذة الزاوية الدلائية من أبنائها

**3 ـ أساتذة الزاوية الدلائية من غير أبنائها**

ا) أحمد بن القاضي

ب) أساتذة آخرون درسوا في الزاوية الدلائية

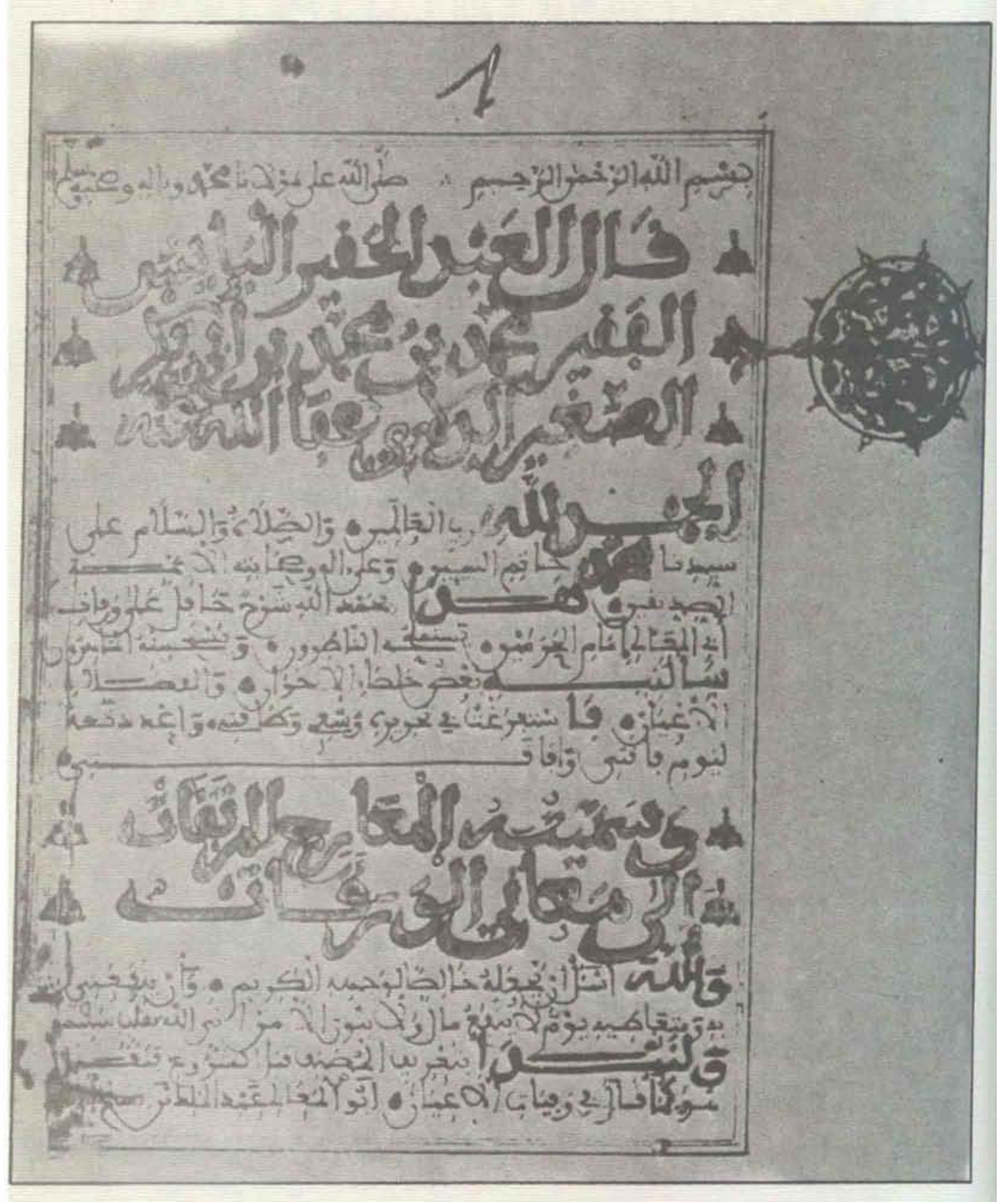
**4 ـ تلاميذ الزاوية الدلائيـة**

ا) الحسن اليوسي

ب) أحمد المقري

ج) العربي الفاسي

د) علماء آخرون تخرجوا في الزاوية الدلائية


بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على

صفحة أولى من أحد كتب خزانة الزاوية الدلائية
وهو من تأليف محمد المرابط الدلائي

من مخطوطات الخزانة العامة بالرباط

## 1 ــ الاهمية العلمية للزاوية الدلائية

عني الشيخ أبو بكر الدلائي بالعلم والعلماء عنايته بالتصوف والمريدين، واهتم بالغ الاهتمام بتعليم أبنائه الستة، فكان منهم من يدرس على العلماء الوافدين على الزاوية الدلائية ومنهم من ينتقل الى مدينة فاس ليدرس فيها. ولما اضطربت أحوال المغرب بعد وفاة أحمد المنصور الذهبي[1] وانتشرت الفتن بسبب اختلاف أبنائه وتنازعهم على الملك، أخذ الناس يفرون من المدن الى البادية ؛ وكانت الزاوية الدلائية من أحسن البقاع التي يلتجىء اليها العلماء حيث يجدون الطمانينة وراحة البال وينعمون بكرم ضيافة أهلها، فيتفرغون للعلم وتدارسه. وقد حصل أبناء أبي بكر على بضاعة علمية غير مزجاة، فتصدوا للتدريس في زاويتهم وأقبل عليهم الطلاب من كل حدب وصوب.

تطور أمر الزاوية الدلائية في الثلث الثاني من القرن الحادي عشر الهجري وكثرت فيها المدارس التي ازدحمت بالطلاب، حتى كان يسكن في البيت الواحد طالبان فأكثر[2] ينفق محمد بن أبي بكر عليهم جميعا، وكان لطلبة العلم «بالمدرسة التي بازاء جامع الخطبة ألف وأربعمائة مسكن»[3] وتكاثر عدد العلماء المشتغلين بالتدريس في مساجد الزاوية الدلائية سواء من أبناء الزاوية نفسها أو من العلماء الطارئين عليها، وتكونت فيها خزانة كتب عظيمة شبهها بعضهم بخزانة الحكم المستنصر بالاندلس «وجميعها عشرة آلاف سفر»[4].

وقد أجمع كل من تحدث عن الناحية العلمية للزاوية الدلائية على أنها بلغت في هذا المضمار شأوا بعيدا، وبذت فاسا في تلك الفترة وفاقتها، وقد قال الأستاذ عبد الله كنون في هذا الصدد «ان الثقافة الأدبية واللغوية كانت في الناحية التي

---

1) توفي المنصور الذهبي عام 1012 /1603

2) أحمد بن يعقوب الولالي. **مباحث الانوار** الورقات 7 /ا و 25 /ب و 33 /ب مع الاشارة الى أن أحمد بن يعقوب هذا كان طالبا يسكن في بيت مدرسي بالزاوية الدلائية.

3) عبد السلام القادري، **تقاييد تاريخية** ص 11.

4) عبد السلام القادري، **تقاييد تاريخية** ص 11.

درس فيها اليوسي، أقوى منها في فاس، بل إننا نقول، إن الثقافة اللغوية المتينة التي كانت موجودة في زاوية الدلاء، حيث درس اليوسي،هي التي أحيت ذماء الادب في المغرب بعد عدم...»(5)

## أ) العلوم التي كان الدلائيون يدرسونها

اشتغل الدلائيون بكل ما كان معروفا لعهدهم من العلوم الدينية واللغوية والادبية، وبرز منهم علماء أفذاذ في جميع الميادين. وسأشير هنا إشارة خاطفة إلى كل صنف من أصناف الفنون التي كانت تدرس في الزاوية الدلائية.

### القراءات

اشهر الشرقي بن أبي بكر الدلائي من بين إخوته بالتفوق في علم القراءات وكان مختصا بتدريس هذا الفن في الزاوية الدلائية مع أنه كان مشاركا في كثير من العلوم الاخرى ومجازا من قبل شيخه أبي حامد العربي الفاسي إجازة عامة. فكان الشرقي يلقن الطلبة فن التجويد. ويعلمهم القراءات السبع، ويدربهم على تلاوة القرآن الكريم تلاوة مجودة متقنة. وقد وصفه الامام أبو علي اليوسي بأنه قطب رحى المقرئين في المغرب في قصيدة يمدحه بها

أقطب الرحى في المقرئين بذا الافق ويا نجل قطب كان في مقعد صدق
ولم يعلموا أن لو خلا الغرب كله من الخير كان الخير يرجى من الشرقي

### التفسير

كان الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي فارس هذا الميدان، وله فيه سند عال يوصله بأكابر المؤلفين في تفسير القرآن الكريم، عن طريق مجيزه الامام أبي عبد الله القصار(6) وغيره من شيوخه. وبذلك يروى **جامع البيان في تفسير القرآن** عن

---

5) عبد الله كنون، خل وبقل، ص 275.

6) محمد بن قاسم القصار، امام فاس في التفسير والحديث والفقه لم يؤلف كتابا بالرغم من سعة علمه، وتوفي في طريقه الى مراكش عام 1012 / 1603 فحمل اليها ودفن بازاء باب روضة أبي العباس السبتي.

مؤلفه أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، **وتفسير الكشاف** عن جار الله محمود ابن عمر الزمخشرى، وتفسير **الرازي** عن مؤلفه فخر الدين محمد بن عمر الرازي، وتفسير **الثعالبي** عن أبي اسحاق محمد بن أحمد الثعالبي، وتفسير **البيضاوي** عن ناصر الدين أبي محمد عبد الله بن عمر البيضاوي، كما يروي بنفس الطريقة تفاسير أخرى[7]

وكان محمد بن أبي بكر الدلائي يرجع الى هذه الكتب وغيرها ليلقي دروسه التفسيرية العالية في مسجد الزاوية الدلائية بين العشائين فيحضرها العلماء والطلبة على السواء، وينطلق في املائه وشرحه بما يبهر عقول الحاضرين.

## الحديث

يعتبر محمد بن أبي بكر الدلائي من أكبر حفاظ المغرب وأعلمهم بالسنة «مع الضبط والاتقان بحيث تصحح نسخ الكتب الستة[8] من فيه ولا سيما الصحيحان»[9] وهو يروي من طريق شيخه الامام القصار أيضا **صحيح البخاري** وبقية الكتب الستة و **موطأ الامام مالك**، و **مسند الامام أحمد بن حنبل**، و **شفا القاضي عياض** وسائر منصفاف الحديث الشريف. وكانت مجالسه الحديثة عظيمة الشأن يحضرها الى جانب الطلبة العلماء على اختلاف طبقاتهم وحيثياتهم. ويذكر لنا أبو حامد محمد العربي الفاسي أنه حضر أحد هذه المجالس لقراءة **البخاري** يوم الاثنين سادس رمضان المعظم عام 1043 /1634 وقد طال المجلس من قبل صلاة الظهر الى غروب الشمس عدا وقت الفريضتين[10]. وناهيك بدرس يستغرق القاؤه نصف يوم ! وأعظم بشيخ يستطيع أن يملي طوال هذه الساعات في مجلس يضم أمثال محمد العربي الفاسي ! ذلك كان دأب ابن أبي بكر دائما،

---

7) محمد بن أبي بكر الدلائي، **الفهرست**، ورقة 1 /ا و ب.

8) الكتب الستة هي صحيحا الامامين أبي عبد الله **البخاري ومسلم** القشيري، وسنن محمد **ابن ماجه** القزويني، وأبي **داوود** السجستاني، وأبي عيسى **الترمذي**، وأبي عبد الرحمن **النسائي**

9) سليمان الحوات، **البدور الضاوية** ورقة 51 /ب

10) نقله عن خط أبي حامد الفاسي، سليمان الحوات في **البدور الضاوية** ورقة 103 /ا

يدرس صحيح الامام **البخاري** ويختمه كل سنة، ويحتفل بيوم الختم احتفالا كبيرا يحضره العلماء من البلدان البعيدة وينظم الشعراء القصائد وتقدم فيه صنوف الأطعمة(11).

وقد كان أخوا الشيخ محمد بن أبي بكر: عبد الكريم ومحمد الخديم الدلائيان محدثين حافظين كذلك، فأكبا بدورهما على تدريس مصطلح الحديث وكتب السنة للطلبة، وتخرج على يدهما كثير منهم.

## التوحيد والفقه والاصـول

اشتغل كثير من علماء الدلاء بالتوحيد والفقه وأصوله، وكانوا يقومون على تدريسها في زاويتهم مع الفنون الاخرى. ومن الكتب التي كانوا يعتنون بها في هذه المادة **جمع الجوامع** لتاج الدين السبكي. **وورقات امام الحرمين** و **المختصر** للشيخ خليل بن اسحاق المالكي. و **ومختصر ابن الحاجب**، وعقائد الامام السنوسي لا سيما **العقيدة الكبرى**. وأشهر فقهاء الزاوية الدلائية وآخرهم هو الطيب بن المسناوي بن محمد بن أبي بكر امام المنقول والمعقول الذي كان يرجع اليه علماء عصره فيما يحدث من المشاكل الفقهية ويستفتونه في النوازل الطارئة. وقد تقدمت الاشارة في الباب الثاني الى الاسئلة التي وجهها اليه الرحالة أبو سالم فقيه الزاوية العياشية وأديبها وهي تتعلق بمسائل أشكل عليه أمرها، بعضها في فن الاصول من كتاب جلال الدين المحلى.

## التصـوف

اشتهر عالمان دلائيان بتدريس التصوف وتربية الاذواق، وهما الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي وأخوه عبد الرحمن. ومن كتب هذا الفن التي كانت تدرس في الزاوية الدلائية **رسالة القشيري**، و **حكم ابن عطاء الله**، و **أحزاب الشاذلي**. وألف محمد الخديم الدلائي **كتابا في التصوف** كما ياتي في الباب السابع.

11) انظر احدى القصائد التي قيلت في ختم البخاري بالزاوية الدلائية في ملحق رقم 5.

## المنطق والتوقيت

اهتم الدلائيون بدراسة هاتين المادتين وأتقنهما كثير من علمائهم وفي مقدمتهم الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي الذي أخذهما عن الامام أحمد بن القاضي. ومن الكتب التي كانت تدرس في الزاوية الدلائية **مختصر السنوسي** في المنطق الذي جعل له الحسن اليوسي شرحا كبيرا، **وروضة الازهار** للجادري في التوقيت.

## ب) تفوق الدلائيين في اللغة وقواعدها

لعل أهم فن تفوق فيه الدلائيون وبذوا فيه معاصريهم قواعدُ اللغة العربية التي كان لها الحظ الأوفر في حلقاتهم العلمية. وتفوق الأعاجم على العرب في هذا الميدان ظاهرة قديمة عرفت منذ العصر الأول لجمع اللغة وتدوينها، فأبو عبيدة وأبو عبيد بن سلام، وحماد الراوية وخلف الأحمر وغيرهم من رواة الشعر القدامى كلهم من الموالي، وكذلك كان سيبويه والكسائي والفراء وابن السكيت وغيرهم من نحاة البصرة والكوفة. و **القاموس المحيط** الذي يرجع اليه اللغويون في العربية حتى يومنا هذا هو من تأليف مجد الدين الفيروزيادي الفارسي؛ وقد أقبل الاعاجم المسلمون على اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن والدين، وجدوا في تعلمهاوتعليمها لغرابتها عليهم وتفوقوا في ذلك على العرب الذين كانوا يعتبرون أن العربية لغتهم الأصلية ولا حاجة إلى معاناة دراستها وتدوينها. ومن اشهر نحاة الدلائيين أبو العباس أحمد الحارثي بن أبي بكر الدلائي الذي كان يداوم على اقراء **كتاب سيبويه** طول عمره، والشاذلي بن محمد بن أبي بكر الذي كان متفرغا في دروسه لمادتي النحو واللغة، حتى قيل إنه أقرأ **ألفية ابن مالك** مائة مرة، و **مقامات الحريري** ثلاثين مرة يختمها كلها من أولها الى آخرها، ومن الكتب التي كانت تدرس بالزاوية الدلائية أيضا كتابا **المغنى والتوضيح** لابن هشام. و **الكامل** للمبرد، و **الامالي** لأبي على القالي، و **مختصر العين** لابي بكر الزبيدي، و **الكافية**، و **التسهيل** لابن مالك، و **الكافية**، و **الشافية** لابن الحاجب. ويعد محمد المرابط

ابن محمد بن أبي بكر الدلائي سيد قومه في هذا الباب. فهو صاحب المجالس النحوية العالية التي كان يحضرها أمثال الحسن اليوسي وأحمد بن عبد القادر القادري وغيرهما من أكابر العلماء.

### البلاغة والأدب

يكاد يكون جميع علماء الدلاء من رجال الأدب، فهم يحسنون الإنشاء والترسل ويجيدون قرض الشعر. وكان كثير منهم يلقن لطلبته دروساً أدبية في الكتب المتعارفة آنذاك مثل **المقامات الحريرية** والدواوين الشعرية. كما كان أبو عَمَر ابن محمد بن أبي بكر الدلائي يقوم بتدريس كتاب **تلخيص المفتاح** للخطيب القزويني. وقد ذكر أحمد بن يعقوب الولالي أنه كان يدرس مع زملائه الطلبة على الامام الحسن اليوسي في الزاوية الدلائية علوم البيان، والمنطق، والفقه، والأصليں، دون أن يذكر الكتب التي كانوا يدرسونها(12).

### 2 ـــ أساتذة الزاوية الدلائية من أبنائها

عرفت الزاوية الدلائية كثيرا من العلماء الذين انتصبوا للتدريس فيها. ونجد عند المؤرخين المعاصرين للزاوية ما ينبيء عن وفرة العلماء فيها أيام ازدهارها، غير أنه لا يمكننا تحديد عدد المدرسين لعدم افصاح المصادر عن أسماء الكثيرين منهم. وسأورد عنا تراجم مختصرة لبعض من قاموا بالتدريس في الزاوية الدلائية متحدثا أولا عن العلماء الدلائيين باسطا القول قليلا في ترجمة محمد بن أبي بكر الدلائي، ثم أتخلص لذكر العلماء الذين وفدوا من فاس ومراكش وغيرهما على الزاوية الدلائية وأقاموا فيها للتدريس، وأبسط القول كذلك قليلا في ترجمة أحمد بن القاضي.

### أ) محمد بن أبي بكر الدلائي

أبو عبد الله محمد ـــ بفتح الميم ـــ بن أبي بكر بن محمد بن سعيد المجاطي الصنهاجي الدلائي، واسطة عقد الأسرة وعالمها الكبير الذي جلب لها

(12) مباحث الانوار، ورقة 7 /أ

الشهرة «خاتمة مشايخ المغرب، انتهت اليه رياسة الدين والدنيا، واستقل بسياسة الامور الجليلة والرتب العليا. عالم حافظ دراك متوسع في علم التفسير ومعاني الحديث وعلم الكلام حسن المشاركة فيها وفي غيرها، رصين العقل سديد الرأي جميل المعاشرة مراع لحقوق الصحبة، كريم النفس عالي الهمة، فياض العطاء واسع المعروف. لو تفرغ متفرغ لجمع فضائله في ديوان مستقل، لم يجمع منها الا ما يندر ويقل، ولو صنف من أنواعها أصنافا، وألف من أعدادها آلافا...»(13)

ولد محمد بن أبي بكر بالدلاء عام 967 /1559 ـــ تقريبا ـــ وحفظ القرآن الكريم وأتقن رسمه وتجويده في العقد الاول من عمره، وقرأ على والده مبادىء العربية وأحكام الدين، ثم أخذ عن العلماء الوافدين على الزاوية البكرية فدرس على أبي العباس أحمد بن القاضي الحساب، والتوقيت، وما كان يعرف آنذاك بالعلوم الادبية الثمانية، وهي اللغة، والنحو، والتصريف، والعروض، والقوافي، وصنعة الشعر، وأخبار العرب،وأنسابها. ومن أهم الكتب التي قرأها محمد بن أبي بكر الدلائي على ابن القاضي **المغني** لابن هشام، و **الكامل** للمبرد، **والامالي** لابي علي القالي، و **مختصر العين** لابي بكر الزبيدي، و **كتاب القلصادي** في الحساب، **وروضة الازهار** للجادري. وأخذ عن أبي علي الحسن الدرعي، المعروف بالدراوي الفقه والاصلين(14) والمنطق والبيان، في كتب **جمع الجوامع** للسبكي، **وعقائد السنوسي** ومختصره في المنطق. وتزوج محمد بن أبي بكر الدلائي مبكرا مصهرا الى أسرة الشرفاء الشبوكيين المعروفين بجمال الخلق والخلق، الذين اشتهر منهم علماء وأدباء حظوا برتب سامية في بلاط المرينيين ومن بعدهم. وقد ذكر ابن الاحمر(15) في **نثير الجمان** نسب الشبوكيين وترجم لأديب منهم يسمى محمد بن يوسف، ونقل عنه ذلك أحمد المقري في **أزهار الرياض** فقال «وأقارب هذا الشريف لم

13) العربي الفاسي، **مرآة المحاسن**، ص 225.

14) المراد بالاصلين، العقائد وأصول الفقه.

15) أبو الوليد اسماعيل بن الامير أبي الحجاج يوسف بن الاحمر المتوفى عام 807 /1404 رتب كتابه **نثير الجمان** على قسمين قسم في أدباء المغرب وقسم في أدباء الاندلس وخصص بابا لكتاب بني مرين.

يزالوا إلى الآن، ولهم مصاهرة مع ولينا الفقيه المحدث، الحاج الرحالة البركة القدوة الصالح الناصح أبي عبد الله سيدي محمد بن الولي الصالح سيدي أبي بكر بن محمد صاحب الدلاء[16] أبقى الله علاهم، وأعانهم على ما أولاهم»[17].

وقد رحل محمد بن أبي بكر الدلائي للقاء شيوخ التصوف بمختلف أنحاء المغرب والأخذ عنهم، فاتصل بمحمد بن مبارك بتاستاوت[18]، وبعبد الله بن حسون بسلا، وبعبد الله الملواني بتاغيا[19]، وبأبي عبيد محمد الشرقي في أبي الجعد، وسلك على يدهم طريق القوم متدرجا في مراقي الكمال الروحي. ثم توجه الى الحج عام 1005 فلقى بالقاهرة الشيخ محمد زين العابدين البكرى[20] ولازمه طيلة المدة التي قضاها في مصر وأفاد منه كثيرا، ثم بعد رجوعه من الشرق سافر الى فاس وأخذ عن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي عهد الشاذلية، وحضر مجالس الامام محمد ابن قاسم القصار في التفسير والحديث والتصوف. ويطول بنا الكلام لو تعرضنا لذكر كل ما أخذه ابن أبي بكر الدلائي عن القصار، ونكتفي بالاشارة الى أنه نال منه اجازة عامة[21] وروى عنه بالسند المتسلسل المتصل بالمؤلفين أحد عشر تفسيرا للقرآن الكريم، والكتب الستة وسائر مصنفات الحديث وغير ذلك من المؤلفات التي تشتمل عليها **فهرست** الامام القصار[22] ورجع محمد بن أبي بكر في أواخر عام 1012 /1904م الى الدلاء عالما عاملا صالحا مصلحا، فتصدى للتدريس بالزاوية، الى جانب اخوته الخمسة وغيرهم من العلماء الوافدين، وأسهم

---

16) علق المصححون المنتدبون من قبل لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة لتحقيق كتاب **أزهار الرياض** في الهامش (ج 1، ص 294) على كلمة (الدلا) بقولهم «كذا وردت هذه الكلمة في الاصلين ولم نفهم المراد منها ولم نعثر على مرجع آخر لهذا الكلام المنقول عن ابن الاحمر لنعارض به هذا النص» وهكذا نرى نتيجة الاهمال الذي لحق الدلائيين مع ما كان لهم من العلم والجاه فتنكر لهم أشقاؤهم بالمغرب وأنكرهم اخوانهم بالمشرق !

17) أحمد المقري، **أزهار الرياض** ج 1 ص 294

18) تاستاوت قرية جبلية تقع جنوبي ولماس، في طريق وادي زم وتبعد عنه بنحو 90 كلم.

19) تاغيا المراد بها قرية ملوان الواقعة في آيت حديدو فوق ميدلت. وليس المراد تاغيا المشهورة اليوم التي فيها ضريح مولاي بوعزة بين وادي زم وولماس.

20) الشيخ أبو السرور محمد زين العابدين البكري الصديقي شيخ الطريقة الشاذلية بمصر توفي عام 1007 /1598.

21) أنظر نص الاجازة في ملحق رقم 6

22) توجد فهرست الامام القصار مخطوطة في مجموع بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 71 ج

بدوره في افادة الطلاب الذين تكاثر عددهم اذ ذاك بالزاوية حتى ضاقت بهم بيوت المدارس.

وخلف محمد بن أبي بكر أباه بعد موته عام **1612/1021** في القيام بشؤون الزاوية البكرية، فسار على نهجه في إطعام الطعام، وإكرام العلماء والمتعلمين، وسعى مثله في تهذيب الأخلاق، وترقية الأذواق، مجتهدا في اصلاح الأحوال العامة بالانتصار للمستضعفين من قومه وجيرته، وإنصافهم من الظالمين المتغلبين عليهم من ذوي قرابتهم، فأصابه من شرر الفتنة وعنت البغي ما جعله يبتعد عن الدلاء مدة مهاجرا الى تاغيا، ولكنه لم يستسلم وظل ينشد العدل والأمن، مستعملا طرق الترغيب والترهيب تارة، وملتجئا الى حد السيف أحيانا، الى أن خضدت شوكة الفئة الباغية وسادت الطمانينة اقليم تادلا والأطلس المتوسط. وتوسع محمد بن ابي بكر كثيرا في نشر العلم بالزاوية البكرية، وشيد بها مدارس جديدة لايواء الطلبة المتكاثرين، ونبغ عدد غير قليل من أحفاد أبي بكر الدلائي وتخرجوا من زاويتهم علماء وأدباء وشعراء وأقبلوا بدورهم على التدريس فيها، فقامت في هذه القرية الجبلية النائية، الآمنة المطمئنة، سوق علمية نافقة رائجة، في الوقت الذي كانت فيه فاس ومراكش وغيرهما من المدن العلمية التقليدية تعاني من ضروب المحن وأهوال الفتن ألوانا، حتى تعطلت صلاة الجمعة في القرويين فضلا عن مجالس العلم. وظلت الزاوية الدلائية في هذه الفترة الحالكة من تاريخ المغرب تقوم بدورها المشرف في احتضان الثقافة العربية، والمحافظة على التراث العلمي والديني، تفسح صدرها الرحب للعلماء والطلاب من مختلف الآفاق وتنفق من سعتها بغير حساب.

وإذا كان محمد بن أبي بكر درس علوما كثيرة، عقلية ونقلية كما رأينا، فإنه برز في التفسير والحديث، حتى كادت مجالسه العلمية تقتصر عليهما، وكان يحفظ **صحيحي البخاري ومسلم** وكتب السنن وغيرها، ويعرف الروايات المختلفة ورجال الأسانيد مع كثير من الضبط والتحري والصدق وعدم المبالاة في الجهر بالحق. وهو القائل عن محدثي زمانه «حفاظ المغرب ثلاثة حافظ ضابط ثقة، هو أحمد بن يوسف الفاسي. وحافظ ضابط غير ثقة، وهو أحمد المقري. و حافظ غير ضابط ولا

ثقة وهو عبد الله بن علي بن طاهر الحسني»[23] وقد تناول الناس هذا الحكم بالتعليق، واشتغل به المؤرخون والمحدِّثون فكتبوا في تأييده أو الرد عليه صفحات عدة في مؤلفاتهم الى عصرنا الحاضر، دون أن يجرؤ أحد منهم على الغض من ابن أبي بكر أو النيل من ثقته وعدالته. ويمتاز محمد أبي بكر أيضا بفصاحة العبارة وسلاسة الأسلوب، والقدرة عى الانطلاق في الحديث، والاستمرار في الاملاء والتقرير، حتى كان درسه أحيانا يستغرق نصف يوم، دون أن يشعر المستمعون اليه بسأم أو ملل. ويمكننا أن نعرف قيمة هذه الدروس اذا علمنا ان ممن كان يحضرها ويستفيد منها احمد المقري، وأبو حامد العربي الفاسي، وعبد الواحد بن عاشر، ومحمد البوعناني، وعلي بن عبد الواحد الأنصاري السلاوي، ومحمد المرابط، وغيرهم من أعلام العلماء وأكابر المؤلفين. ولم يكن تكوين ابن أبي بكر من النوع العادي القاصر على مجرد الرواية والتحمل والحفظ الآلي، وإنما كان تكوينا حقيقيا أعطاه شخصية علمية مستقلة، جعلته يكوِّن لنفسه طريقة خاصة في فهم الحديث، ويرجع إلى أصوله الأصلية. سالكا سبيل المحدثين الأولين في انتقاد الرواية ورجالها، وتعديلهم وتجريحهم والعمل على استخراج الأحكام الفقهية من الكتاب والسنة. «وقد أُعطي من القدوة على إقامة الأدلة ما كان يصل به الى الاستنباط من مسالك العلة فتكاملت عنده أدوات الاجتهاد، التي يجب عليها في تحقيق المناط وتنقيحه الاعتماد، حتى كان لا يشق له غبار في المباحثة والمناظرة، ولا يعبر له عباب في المذاكرة والمحاضرة»[24].

وقد رأينا عرضا في البابين السابقين جوانب متعددة من شخصية هذا العالم الصالح، وعرفنا شيئا عن كرمه ومواظبته على تدريس **صحيح** البخاري في مسجد الدلاء واحتفاله بالمولد النبوي الشريف، وسنقف على جوانب أخرى من

---

(23) ذكر هذه العبارة جل من ترجم لابن أبي بكر، كالقادري في **نشر المثاني** 1 323. وقد سبق التعريف بأحمد الفاسي، وستأتي ترجمة المقري، أما عبد الله بن علي طاهر الحسني فهو المحدث الحافظ تلميذ الامام القصار ورفيق الشيخ ابن أبي بكر الدلائي في الطلب. توفي عام **1634/1044** ودفن في بلاده مدغرة من أعمال سجلماسة وبنيت على ضريحه قبة. ارجع في موضوع مقالة ابن أبي بكر الدلائي في حفاظ زمانه الى الكتاني، **فهرس الفهارس**، 1 296 — 300.

(24) سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 30/ب.

شخصيته في الأبواب التالية، غير أنه ينبغي ألا يفوتنا هنا أن نعرض بإيجاز لما كان عليه من رقة الطبع ودقة الاحساس وعمق الشعور. ومن بليغ تأثره بالمواعظ ما حكاه عنه تلميذه أحمد بن يعقوب الولالي بقوله «وحضرته يوما تقرأ بين يديه همزية البوصيري ــ شكر الله له سعيه ــ صبيحة يوم المولد النبوي أو سابعه، وقد بلغ من ينشدها الى حيث ذكر الصالحين وأنه يحاول أن يصل اليهم وقد فاتوه مع كبر سنه(25) فجعل يبكي رحمه الله بكاءً شديدا حتى بكى لبكائه من حذوه، ثم غلبه حاله فقام يذهب حافيا، وما شاهُ الناسُ إلى منزله..»(26). وقد ازداد طبع محمد بن أبي بكر الدلائي رقة في سنيه الأخيرة وأخذ يكثر من الانصات إلى السماع(27) ويتأثر به غاية التأثر فبلغ ذلك شيخه أحمد بن القاضي فكتب اليه

عهِدتُك ما تصبو وفيك شبيبةٌ فمالك بعد الشيبِ أصبحتَ صابيا

فأجابه محمد بن أبي بكر بقوله

نعم لاح برق الحسن فاختطف الحشا فلبيتُه مِن بعدِ ما كنتُ آبيا

ولما دنا أجل محمد بن أبي بكر الدلائي جمع أولاده بين يديه وكان يستشعر من بعضهم الاستشفاف إلى الإمارة والجاه، وأوصاهم بعدم الانسياق مع الاهواء، والجري وراء الأطماع، وقال لهم إن الله عز وجل أخبر عن قول طالوت لقومه «إن الله مُبْتَليكم بِنهَرٍ فَمَنْ شرب منه فليس مِنّي وَمَنْ لم يَطْعَمْهُ فإنه منّي إلّا مَن اغترفَ غَرْفَةً بيده»(28) وأنا أقول ولو من اغترف غرفة بيده. ولم يؤلف محمد بن أبي بكر الدلائي على ما كان عليه من علم وتحقيق الا كتابا جمع فيه **أربعين حديثا** نبويا، رغبة في نيل الثواب الوارد في ذلك، **ومسائل مختلفة** من أصول الفقه وفروعه بعث بها الى تلميذه أحمد المقري بالمشرق، شأنه في ذلك شأن شيخه الامام

---

(25) يشير الى أبيات الهمزية التالية

كنت في نومة الشباب فما استيـ ـقظت الا ولمتي شمطاء
وتماديت أقتفي أثر القو م فطالت مسافة واقتفاء
فورا السائرين وهو أمامي سبل ,وعرة وأرض عراء

(26) أحمد بن يعقوب الولالي، **مباحث الانوار**، ورقة 50/أ.

(27) المراد بالسماع إنشاد الاشعار والموشحات ملحنة على حسب الطبوع الموسيقية.

(28) سورة البقرة، الآية 247.

القصار الذي لم يترك بعد وفاته إلا تقاييد في وريقات بيعت بوزنها ذهبا على ما قيل.

وفي شرح العربي الفاسي لدلائل الخيرات قال أنشدنا لنفسه شيخ الاسلام محمد بن أبي بكر بن محمد (الدلائي)

عليك بأذيال النبي فَلُذْ به ... تُرى (؟) عجبا في الوقت من غير مِرْيَةِ
فيا مُدَّعٍ للوصل دون طريقه ... ضلِلْتَ وأضْلَلْتَ وبُؤْتَ بخيبة
فكلُّ طريق دون باب محمد ... مؤدّ الى الخسران لا غير فاثبُتِ

وتوفي محمد بن أبي بكر يوم الاربعاء 11 رجب عام 10/1046 دجنبر 1936 عن سن تناهز الثمانين، ودفن ضحى الغد الخميس قرب روضة والده بالدلاء وشيد على ضريحه الملك السعدي محمد الشيخ بن زيدان (1045 ـ 1636/1063 ـ 1653) قبة حسنة بعث لبنائها من مراكش وصيفه الأمين مبارك السوسي مزودا بالمال والمواد اللازمة ومعه عدد من العمال والصناع «فبنيت على أحسن ما ينبغي من التنميق، والتبهيج والتزويق»[29] وكتب بأعلى مشهد الدربوز أبيات من نظم الأديب محمد بن سعيد السوسي المرغتي، وهي

هذا ضريح التقى والمجد والكرم ... هذا الولي الوفي العهد والذمم
هذا المحب لأهل الله قاطبة ... محمد بن أبي بكر الرضى العلم
قد سار في رجب لله عام مشوْا ... به الى جنة الرضوان والنعم[30]
من أجل ذا قام في تشييد روضته ... محمد الشيخ مولى العرب والعجم

وقد تهدم سقف هذه القبة، ولم يبق منها اليوم إلا جدرانها العارية من الجص، تبدو لبناتها الحمر أفقية في الجدران، وقائمة أو منحرفة في أقواس الأبواب الموجودة في جهاتها الأربع. وبوسطها ساريتان مربعتان، بينما يوجد القبر محدودبا

---

(29) سليمان الحوات، البدور الضاوية، ورقة 101/ب.

(30) عدد حروف كلمة (مشو) بحساب الجمل 1046. إذ الشين بألف، والميم بأربعين والواو بستة. والتواريخ الشعرية تبنى غالبا على هذا الحساب الابجدي السهل.

كسائر القبور العادية مغطى ببقايا القرميد الأخضر الذي كان يزين أعلى القبة، وقد قيلت في مدح محمد بن أبي بكر الدلائي قصائد شعرية وقطع نثرية لو جمعت لكونت ديوانا أدبيا ضخما(31).

## ب) بقية أساتذة الزاوية الدلائية من أبنائها

### عبد الرحمن بن أبي بكر الدلائي

هو أحد العلماء النابغين في العهد الأول للزاوية الدلائية وفيها أخذ العلم عن أبي علي الحسن بن أحمد الدرعي الشهير بالدراوي، وأبي العباس أحمد بن محمد بن القاضي المكناسي، وذلك قبل أن يرتحل الى فاس ليأخذ عن الامام محمد بن قاسم القصار، ويدرس عليه التفسير والحديث وغيرهما وينال منه إجازة عامة. وقد رجع عبد الرحمن الى الدلاء عالما كبيرا فتصدر للتدريس وأقبل عليه الطلبة من أبناء الزاوية وغيرها. وكان يدرس لهم التفسير، والحديث وعلم الكلام والفقه وأصوله والنحو، والتصوف. ولا نعرف الكتب التي كان يعتمد عليها عبد الرحمن الدلائي في هذه المواد، غير أنها في الغالب لا تخرج عن الكتب المتداولة في الزاوية مما أشرنا اليه في الفصل السابق. وكان عبد الرحمن ناسكا سالكا سبيل والده في الزهد والاعراض عن الدنيا، وانقطع في آخر حياته لعبادة ربه في خلوة خارج الزاوية، وبها توفي عام 1611/1020م وهو الوحيد بين اخوته الذي توفي قبل والده وبنيت عليه «قبة حفيلة مستطيلة» ما تزال جدرانها قائمة حتى اليوم(32).

---

(31) ترجم لمحمد بن أبي بكر تلميذه أبو حامد الفاسي في **مرآة المحاسن** ص 225 — 227، ومحمد الافراني في **الصفوة** ص 67 — 68، ومحمد القادري في نشر **المثاني** ج 1، ص 339 وما بعدها، وسليمان الحوات في **البدور الضاوية** بإسهاب من ورقة 25/ب الى ورقة 101/ب. ومحمد بن احمد الفاسي، **شرح درة التيجان**، مخطوط خ. ع. رقم 1432ك ص 7—13. والكتاني في **فهرس الفهارس**، ط. بيروت، ص 394 — 402. وعباس بن ابراهيم في **الاعلام**، 4 277 — 279. وأخبار محمد بن أبي بكر الدلائي متفرقة في أكثر الكتب التي ألفت في القرون الثلاثة الأخيرة.

— انظر قصيدة مدح بها العربي الفاسي شيخه محمد بن أبي بكر في ملحق رقم 9.

(32) ذكر ر. هنري في مقاله بمجلة **هيسبريس** (عام 1944، ص 50) ان هذه القبة المستطيلة هي لفقيه الزاوية محمد ابن عبد الرحمن، وذلك بناء على رواية محلية غير صحيحة. انظر ترجمة عبد الرحمن الدلائي عند : سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 24/وما بعدها.

## محمد المرابط الدلائي

محمد المرابط أو الصغير بن محمد بن أبي بكر الدلائي هو أحد علماء هذه الأسرة الذين طارت شهرتهم بالمغرب والمشرق، وتخطف الناس مؤلفاته باذلين فيها الأثمان الباهظة. وسبب شهرته بالمرابط تقشفه في الملبس منذ صباه، وزهده في الدنيا وإعراضه عنها. أخذ العلم بالزاوية الدلائية فقط عن أبيه وأعمامه وإخوته، وغيرهم من العلماء الوافدين على الزاوية كأبي حامد محمد العربي الفاسي، وأبي العباس أحمد بن عمران. تولى المرابط الامامة والخطابة والتدريس في المسجد الأعظم بالزاوية البكرية، وكانت مجالسه النحوية العالية ملتقى نجباء الطلاب أمثال الحسن اليوسي وأضرابه. وقد اشتغل محمد المرابط كذلك بالتأليف في مختلف الفنون، وخاصة النحو والصرف والأصول، كما سنرى في الباب الأخير عند كلامنا على مؤلفات الدلائيين. أما أدب محمد المرابط فرفيع وغزير، وجله يتسم بالطابع الديني، ويختص بمدح الرسول الكريم. من ذلك قصيدته النونية التي تناهز 200 بيت، ومطلعها

حيِّ المعاهد طافح الأشجان      وانثُرْ هناك لآلِىءَ الأجفان

خرج المرابط مع قومه من الدلاء الى فاس بعد تخريب زاويتهم، وتابع رسالته العلمية والدينية بحاضرة المولى ادريس مقبلا على التدريس في مساجدها متوليا أمر الخطابة بمدرستها المتوكلية(33). ثم توجه الى الحج وأقام مدة في مصر أحاطه أثناءها علماء القاهرة بمظاهر الاعزاز والاكرام، ومدحه أدباؤها بقصائد تنم عن مدى اعجابهم بهذا العالم المغربي الكبير الذي سبق أن عرفوه عن طريق مؤلفاته القيمة. من ذلك قصيدة للامام أبي السرور الصيداني. مطلعها

شمس الهدى مَنْ أمَّهُ نال الأرب      فرع الكرام ذوي المكارم والحسب(34)

---

(33) المدرسة المتوكلية هي المدرسة البوعنانية الشهيرة بحي الطالعة بفاس.

(34) انظر القصائد التي مدح بها أدباء مصر المرابط الدلائي عند : سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 34/ب وما بعدها.

توفي المرابط الدلائي بفاس عام 1678/1089[35].

أحمد الحارثي بن أبي بكر الدلائي

هو أحد نحاة الزاوية ولغوييها. قضى حياة الطلب كلها في الدلاء آخذا عن علماء قومه، وعن الوافدين على زاويتهم مثل أحمد ابن القاضي، وأحمد بن عمران الفاسي، وعلي بن عبد الواحد الانصاري السلوي، وأبي حامد العربي الفاسي، وقد أجازه هذا الأخير اجازة عامة[36] «وكانت له اليد الطولى في التاريخ، والحساب، واللغة، والبيان، والأدب، والأصول، والفقه، والحديث»[37]، غير أن النحو واللغة غلبا عليه، فكان يقرئ كتاب سيبويه طول عمره كما رأيناه في الفصل السابق وألف في الأصول شرحا على مختصر ابن الحاجب، تاركاً تقاييد كثيرة في التفسير والحديث، وتوفي بالدلاء عام 1641/1051.

المسناوي بن محمد بن أبي بكر الدلائي

هو أبو عبد الله محمد المسناوي «الفقيه المحدث الأستاذ الكبير، الوارد من حياض المجد منهلا يروي ويمير»[38] نشأ في الدلاء ثم انتقل الى فاس قبل أن يبلغ الحلم، وأكب فيها على تحصيل العلوم بجد واجتهاد آخذا عن الامام محمد القصار، وعبد الواحد بن عاشر الأنصاري وغيرهما. ولم يرجع الى الزاوية الدلائية إلا وهو عالم بارع في الفقه، والأصلين، والتفسير، والحديث، وعلم الكلام، والقراءات، واللغة، والنحو، والأدب، فأخذ يلقن هذه العلوم لتلاميذ الزاوية، وأقبل عليه طلاب العلم إقبالاً كبيرا إلى أن قتل غدرا خارج الزاوية عام 1649/1059. وقيلت فيه مراث كثيرة، منها مرثية ولده الطيب التي مطلعها

غوائلُ هذا الدهر مرهوبة الفتكِ    فإن سرَّ في حينٍ فأكثرُه مُبكِ[39].

---

(35) ترجم لمحمد المرابط الدلائي محمد القادري في نشر المثاني 2 236 ــ241 وسليمان الحوات في **البدور الضاوية**، من ورقة 133 الى ورقة 164. ومحمد بن جعفر الكتاني، **سلوة الانفاس**، (2 90) وما بعدها.

(36) أنظر نص الاجازة عند سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 102/ب.

(37) نفس المصدر في نفس الورقة.

(38) محمد بن الطيب القادري، **نشر المثاني** 2 43.

(39) انظر ترجمة للمسناوي ومرثيته عند سليمان الحوات **البدور الضاوية** من ورقة 1/123 الى ورقة 1/125 ومحمد القادري، **نشر المثاني** ص. 2 :43.

## أبو عَمَر بن محمد بن أبي بكر الدلائي

علامة أديب، تم تكوينه العلمي بالزاوية الدلائية على يد علماء قومه وغيرهم، كأحمد بن عمران وأبي حامد العربي الفاسي. كان أبو عمر عالما مشاركا في الحديث، والفقه، والأصلين، والنحو، والبلاغة، والأدب. ودرس كل هذه الفنون بزاويتهم، غير أنه كثيرا ما كان يدرس لتلاميذه كتب **تلخيص المفتاح**، و**جمع الجوامع**، و**ألفية ابن مالك**، كما رأينا في الفصل السابق. وله آثار نثرية وشعرية كثيرة تدل على رسوخ قدمه في ميدان الأدب. توفي أبو عمر بالزاوية الدلائية عام **1658/1069**(40).

## أحمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي

عالم أديب، درس في الزاوية الدلائية على علمائها المتوافرين دون أن يبرحها، ثم اشتغل بالتدريس فيها. كان موسر الحال، عظيم الجاه، يتقلب في رغد العيش وينعم بالحياة المترفة الى جانب أخيه السلطان محمد الحاج، متخذا بطانته من أدباء الزاوية وشعرائها، الى أن زارهم الشيخ محمد بن عبد الله السوسي(41) عام **1071ه/1660** في طريقه الى حج بيت الله الحرام، فأخذ عنه أحمد الدلائي وصلح حاله، ورق قلبه، وأعرض عن الدنيا وزخرفها الى أن مات بالدلاء عام **1665/1075**(42).

---

(40) توجد ترجمة ابي عَمر وبعض رسائله وقصائده عند سليمان الحوات **البدور الضاوية**، من ورقة **1/128** الى نهاية ورقة **130/ب**.

(41) الشيخ محمد بن عبد الله السوسي اشتهر أمر ولايته بمراكش. ووُشي به الى السعديين فأوقفوه عن نشاطه الصوفي، ثم وجه الى البقاع المقدسة للمجاورة فيها، ومر في طريقه بالزاوية الدلائية فأقام عند سلطانها محمد الحاج عشرة أيام. وفيه ألف أحمد بن يعقوب الولالي كتابه **مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار**، توفي الشيخ محمد السوسي بمكة عام **1668/1079**.

(42) ترجم لأحمد الدلائي محمد بن يعقوب الولالي في **مباحث الأنوار**، ورقة **33/ب**، وسليمان الحوات في **البدور الضاوية**، ورقة **1/165**.

## الطيب بن المسناوي الدلائي

«كان إماما كبيرا، وأديبا ماهرا شهيرا، وعالما عاملا، وفاضلا كاملا» (43)

درس في الدلاء أولا على أبيه وأعمامه وغيرهم من العلماء المقيمين بالزاوية كالشيخ حمدون الأبار، ومحمد بن سودة، ومحمد العربي الفاسي وغيرهم. ثم شد الرحلة الى فاس وهي اذا ذاك خاضعة لنفوذ الدلائيين، فأقام فيها معززا مكرما وأخذ عن علمائها، خصوصا منهم الشيخ عبد القادر الفاسي، وطال مقام الطيب الدلائي بفاس إلى أن تمكن من المعارف تمكنا متينا فرجع الى الزاوية الدلائية، وتصدر للتدريس والفتوى، وازدحم الطلبة على حلقاته العلمية. ولم تقتصر براعته على الناحية الفقهية الدينية وانما كان الى ذلك أديبا ماهرا، جيد الانشاء، طويل النفس في الشعر تصل احدى قصائده الى 175 بيتا مع متانة لغوية وسمو تفكير ورقة أسلوب. توفي الطيب بالدلاء عام 1077 /1666. ورثاه أبو العباس أحمد بن عبد القادر التاستاوتي بقصيدة حزينة مطلعها

اليومَ آنَ لمدمعي أن يَهْمَعا ولمهجتي بالوجد أن تتقطَّعا(44)

## محمد الشرقي بن أبي بكر الدلائي

هو أحد أعلام الدلائيين المشاركين في مختلف الفنون، الجامعين بين العلم والدين والادب. كانت دراسته كلها بالزاوية الدلائية على علماء قومه وغيرهم. وأجازه أبو حامد محمد العربي الفاسي إجازة عامة. واختص من بين أساتذة الزاوية كما رأينا في الفصل السابق بتدريس علم القراءات والتجويد. وهو يتقن الى جانب ذلك اللغة، والنحو، والبلاغة، والادب، والتاريخ، والمنطق، والتفسير، وألف في السيرة والبلاغة كما سياتي في الباب الاخير، وترك آثارا أدبية رفيعة. وكانت وفاته بالدلاء عام 1079 /1668(45)

---

(43) محمد القادري، نشر المثاني ج. 1، ص 264.

44) انظر ترجمة الطيب الدلائي وبعض آثاره النثرية والشعرية وما قيل فيه من رثاء عند سليمان الحوات **البدور الضاوية** من ورقة 167 / ب الى ورقة 181 /ا.

45) ترجم للشرقي محمد القادري، نشر المثاني 2 361—364؛ وسليمان الحوات في **البدور الضاوية**، ورقة 104 /ا؛ ومحمد الكتاني في **سلوة الأنفاس** ج 2، ص 94 وما بعدها.

## الشاذلي بن محمد بن أبي بكر الدلائي

«كان أعجوبة الزمان، في الحفظ والاتقان، يجيد الشعر، ويبرع في النثر»(46) قرأ في الزاوية الدلائية وحدها على علمائها من أهله وغيرهم، كالامام أبي حامد الفاسي، والشيخ أبي العباس بن عمران. ونبغ في اللغة وقواعدها وآدابها، وكرس حياته لتدريس **ألفية ابن مالك، و مقامات الحريري** حتى قيل إنه أقرأ الاولى مائة مرة والثانية ثلاثين مرة كما رأينا. وقد خرج الشاذلي مع قومه بعد تخريب الزاوية الدلائية الى فاس ودرس بها فتخرج على يده علماء كثيرون، منهم الاخوان القادريان عبد السلام والعربي، وادريس المنجرة. وخلف الشاذلي أخاه محمد المرابط في الخطابة بالمدرسة البوعنانية، وفيها كان يلقى أكثر دروسه متصدرا للافتاء وابداء النظر في المشاكل الفقهية والنوازل العويصة، ثم تخلى عن هذه الخطة تورعا منه، ومات بفاس عام 1103 / 1691(47).

## محمد بن محمد الشاذلي الدلائي

أديب بليغ وعالم مشارك، تكون على يد علماء الزاوية الدلائية ثم درس فيها أيام عمه السلطان محمد الحاج. وكان ميله الكبير الى علوم البلاغة والادب، وله قلم بارع في الترسل ورقة متناهية في الشعر. ولما أخرج مع قومه من الزاوية الدلائية بقي يحن اليها طول عمره، ويتنقل في البلدان يكتب إلى والده وإخوته مراسلات رفيعة طويلة يستهلها دائما بقصائد رصينة حزينة. ومما جاء في مطلع إحدى رسائله

أحمِّل أنفاس الصبا عبقت نشرا ... تحية مشتاق تهيِّجه الذكرى
متى هتفت بالبان تملي شجونها ... مطوقةٌ أذكت بِأحشائه جمرا..

وكانت وفاة محمد الشاذلي عام 1107 / 1695(48).

---

46) محمد القادري، نشر المثاني 3 58

47) ترجم للشاذلي محمد القادري في نشر المثاني 3 58، وسليمان الحوات في البدور الضاوية، ورقة 131، ومحمد بن جعفر الكتاني في سلوة الانفاس، 2 96

48) أنظر ترجمة محمد بن محمد الشاذلي عند محمد القادري، نشر المثاني 3 74، وسليمان الحوات في البدور الضاوية ورقة 230. ومحمد بن جعفر الكتاني، سلوة الانفاس، 2 : 89.

## 3 ـ أساتذة الزاوية الدلائية من غير أبنائها

### أ) أحمد بن القاضي

أبو العباس أحمد بن محمد ابن القاضي المكناسي، نسبة إلى مكناسة القبيلة البربرية الزناتية، لا الى مدينة مكناس. وجده الاعلى موسى بن أبي العافية الذي حارب الأدارسة في مستهل القرن الرابع للهجرة وأمعن في قتلهم وتشريدهم حتى كاد يفنيهم[49]. ولد أحمد ابن القاضي في فاس عام 960 /1553، وتخرج على يد أكابر علمائها مثل القصار، والسراج، والمنجور، ورحل الى الشرق فحج للمرة الأولى عام 987 / وجاور في الحرمين الشريفين مدة، وأخذ في مصر عن الامامين سالم السنهوري[50] وبدر الدين القرافي[51] وغيرهما.

«وكان حافظا، ضابطا، محققا، مؤرخا، اخباريا ثقة، سيال القريحة بالشعر، حسن العبارة، لطيف الاشارة، مستجمعا العلوم والادب، ماهرا في معرفة علوم الاوائل، مشاركا في غير ذلك للأئمة الاماثل، وانفرد بعلم الحساب والفرائض في وقته شرقا وغربا»[52]. اتصل احمد بن القاضي بالسلطان أحمد المنصور الذهبي، وخدمه ونال عنده الحظوة الكاملة. «ثم ثاب له رأي في معاودة البلاد المشرقية للتطوع بحجة أخرى واستزادة العلم والتحصيل. وكانت له نية بالغة في نشر مآثر مولانا

---

49) نسب ابن القاضي نفسه في كتابه **جذوة الاقتباس** الى موسى بن أبي العافية، واستنكر عمله ضد الاشراف «الادارسة». وقد استشكل صاحب **سلوة الانفاس** (3 133) صحة نسبة ابن القاضي الى ابن أبي العافية، لما ذكره بعض المؤرخين من أن يوسف بن تاشفين اللمتوني استأصل شافة ذرية ابن أبي العافية. ويظهر ان ذلك يعني قتل عدد كبير من آل ابن العافية لا استئصالهم، اذ يصعب القضاء على جميع النسل بعد نحو قرن ونصف خصوصا وان آل أبي العافية كانت لهم مجالات واسعة للانتشار في المغربين الاقصى والاوسط. زيادة على بلاد الاندلس التي كانت تربطهم بعرشها روابط متينة.

50) أبو النجا سالم بن محمد السنهوري، شيخ المالكية بمصر في وقته. له حاشية على **مختصر** الشيخ خليل، توفي عام 1016 هـ 1607 م.

51) بدر الدين محمد بن يحيى المعروف بالقرافي، قاضي المالكية بمصر، شارح **مختصر الشيخ خليل**، و **قاموس الفيروزبادي**، و **موطأ الامام مالك**. ومؤلف **ذيل ديباج ابن فرحون في طبقات المالكية**. توفي عام 1009 هـ ـ 1600 م

52) محمد بن جعفر الكتاني، **سلوة الأنفاس** 3 : 134.

الامام أمير المومنين أيده الله في الآفاق، فجمع من مفاخر الدولة وفتوحها ومآثرها وأمداحها ما أمل بثه في الاقطار، ونشره في المشارق لو ساعدته الأقدار، واستأذن أمير المومنين أيده الله فأذن له ووصله، وتوخى الطريق على البحر، فركب السفن من ثغر تيطاون فاعترضتهم أساطيل العدو في بحر الزقاق فأسرتهم، وحصل في ورطة عظيمة لولا ما تداركه من ألطاف الله تعالى وشمله من عناية مولانا أمير المومنين..»(53)

هكذا نرى ابن القاضي يقوم في رحلته الثانية هذه بمهمة علمية ــ سياسية في آن واحد، فيجمع الوثائق الضرورية ويسافر الى الشرق ليذيع محاسن الخليفة المنصور، وينشر مآثر الدولة السعدية فيما قد يعقده من مجالس للتدريس، أو يصنفه من الكتب، لولا طالع النحس الذي أوقعه في أيدي القرانصة الافرنج. وظل ابن القاضي في الأسر أحد عشر شهرا(54) عانى خلالها شدة عظيمة، وبلاء كثيرا، وصور لنا ما كان يعامل به النصارى أسراهم المسلمين من التجويع والاعراء والضرب والتكليف بما لا يطاق، مدفوعين بالتعصب الديني الاعمى وبالرغبة في الحصول على الفداء والاثراء. وقد كتب ابن القاضي أيام محنته مرارا الى الخليفة أحمد المنصور يشكو له سوء حاله ويرجو منه العمل على تخليصه من ورطته. ومما جاء في احدى قصائده الاستعطافية قوله

| | |
|---|---|
| وكن يا امام العدل في عون حائرٍ | أسيرٍ كسير ذي جناحٍ مُذلَّـل |
| لقد مزَّقت أيدي الزمانِ وريـدَه | ودارت عليه الدائراتُ كجُلجـل |
| وأَخْنَى عليه الدهرُ مِن كل وجهـةٍ | وداست عليه النائباتُ بأَرجـل |

ولما استرد أحمد بن القاضي حريته بفضل أحمد المنصور الذهبي ألَّفَ فيه كتاب **المنتقى المقصور على محاسن الخليفة المنصور**، كما أهدى اليه كل الكتب التي ألفها بعد ذلك، ومدحه بقصائد عديدة. وتولى ابن القاضي خطة القضاء في مدينة سلا فيما بين عام 998 و 1590/1010 ــ 1601 وكان له نائب بها هو

53) عبد العزيز الفشتالي، **مناهل الصفا**، ص 368.

54) أسر ابن القاضي في 24 شعبان 994 / 1586 وأطلق سراحه في رجب 995 / 1587

الأديب حسين الملوكي ثم عزل فرجع الى مسقط رأسه فاس واشتغل بالتدريس.(54م)

وقد أقام ابن القاضي في الزاوية الدلائية مدة غير قصيرة يدرس العلم ويفيد الطلبة. وأخذ عنه في هذه الفترة محمد بن أبي بكر الدلائي وإخوته علوم الادب والحساب والتوقيت وغيرها، وكان لابن القاضي طريقة مفيدة في التدريس، يقتصر على المهم من المسائل، ولا يتوغل في التفصيلات المتشعبة العقيمة، معتنيا باللب والجوهر، خصوصا في الفقه الذي تكثر فيه عادة الاقوال والاحتمالات. فكان يقرىء **مختصر الشيخ خليل** ويختمه كل أربعة أشهر، بينما لاينتهى منه غيره إلا في سنوات. واشتغل في آخر عمره بتدريس **صحيح البخاري** في جامع الأبارين بفاس، فكان الذي يسرد الحديث بين يديه هو الشيخ عبد الواحد بن عاشر صاحب **المرشد المعين**، ويحضر مجالسه الحديثية الحافظ أحمد بن يوسف الفاسي، والامام أحمد المقري صاحب **نفح الطيب** وغيرهما من أكابر العلماء.

## تآليف ابن القاضي

ألف أحمد بن القاضي كثيرا من الكتب في الفقه، والفرائض، والحساب، والهندسة، والمنطق، والتاريخ. ويذكر أصحاب التراجم أن المادة التي كان يتفوق فيها ابن القاضي على معاصريه هي الرياضيات، غير أن كتبه في هذا الفن قد ضاعت للأسف أو لم يعثر أحد عليها بعد فيما أعلم(55). وبالعكس من ذلك بقيت لنا جل الكتب التي ألفها في التاريخ والتراجم. ولعل أهمها **جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس** بدأه بمقدمة تحدث فيها عن موقع المغرب في الاقليم الرابع من الاقاليم السبعة التي رسمها حكماء اليونان القدماء. وذكر مزايا هذا الاقليم

54م) ذكر ابن القاضي في شرح الاكسير أنه شرع في تأليفه بفاس عام 1608/1017

55) بعد كتابة هذه الترجمة وقفت في الخزانة الملكية بالرباط وفي خزانة ابن يوسف بمراكش على بعض هذه المؤلفات كما سياتي في الجدول التالي :

الأوسط بقوله «وهو أعمرها، وفيه أرض بابل وجزيرة العرب، وفيه بغداد فلاعتداله اعتدلت أبدان أهله، فسلموا من شقرة الروم وسواد الزنج وغلظ الترك وجفاء أهل الجبال. وكما اعتدلوا في الخلقة اعتدلوا في الفطنة والذكاء والعلم»(56). وتنبه للوحدة الجغرافية لبلاد المغرب الكبير، فقال إن أول بلاد المغرب من ناحية الشرق جبال برقة. التي هي آخر أعمال مصر وأول أعمال القيروان مستدلا على ذلك بأن جبل درن (الأطلس الكبير) يمتد عبر الجزائر وتونس ولا ينتهي إلا في برقة. ثم انتقل للكلام عن حكم أرض المغرب هل فتحت صلحاً أو عنوة، واستعرض أقوال الفقهاء مرجحا انها «مختلطة هرب بعضهم عن بعض فمن بقي بيده شيء كان له»(57) وبعد ذلك تكلم عن قدوم إدريس الاول إلى المغرب ومبايعة قبائل أوربة له، وارتياد ادريس الثاني فحص سايس الذي أسس فيه مدينة فاس يوم الخميس فاتح ربيع الاول عام 192، بدأ بعدوة الاندلس وأدارها بالسور ثم بعد سنة بنى عدوة القرويين. وقد تتبع ابن القاضي مراحل بناء المدينة بما فيها من مساجد ودور وأسواق وأسوار وأبواب، وتعرض للتغييرات الطارئة على فاس عبر القرون والدول. ثم سار على النهج الذي اختطه لنفسه في المقدمة عندما قال «أذكر على ترتيب حروف المعجم ملوكها (فاس) وعلماءها وأعلامها، وما لهم من نظم وتآليف، ومن أخذوا عنه أو أخذ عنهم، سواء كان من الغرباء القادمين عليها أو من أهلها. الا أنني ان شاء الله تعالى أفرد في كل حرف ترجمة للغرباء الوافدين عليها»(58).

وكتاب **المنتقى المقصور على محاسن الخليفة المنصور** هو كاسمه خاص بتمجيد الملك السعدي أحمد المنصور الذهبي، ألفه ابن القاضي بعد فكاكه من الاسر اعترافا بجميل هذا الخليفة الذي بذل لتخليصه من أيدي الروم فدية عالية. ورتبه على مقدمة وستة وعشرين بابا وخاتمة، تكلم في المقدمة على نسب المنصور

---

56) النسخة الخطية من جذوة الاقتباس خزانة الرباط، 2362د، ورقة 3 / أ

57) نفس المصدر، ورقة 3 /ب. وتجدر الاشارة الى أن أكثر ما ورد في مقدمة **الجذوة** وبعض فصولها من الاخبار العامة منقول من **القرطاس** لابن أبي زرع، أو من **زهرة الآس** لابي الحسن الجزنائي أو من غيرهما. وتكمن أهمية كتاب ابن القاضي فيما اشتمل عليه من تراجم أعلام فاس والوافدين عليها.

58) ابن القاضي، **الجذوة**، ورقة 2 / أ

وحقيقة الخلافة وما يجب للسلطان على الرعية، وتحدث في الباب الاول عن حسن خلق المنصور وعقله وكمال خلقه، وفي الثاني عن محافظته على التكاليف الشرعية، وفي الثالث عن عدله في رعيته وقيامه بالشريعة، وفي الرابع عن تعظيمه للمولد النبوي وهكذا الى آخر الابواب، وذكر في الخاتمة «نكتا غريبة. وطرفا عجيبة، يصغي اليها المنتهي والشادي، والعاكف في ربع الأدب والبادي»[59] ويظهر ابن القاضي في خلال الكتاب أستاذا مرحا منطلقا على سجيته يمزج التاريخ بالأدب، ويستطرد القصة والخبر، وينشد ما يستحضره من الشعر الذي يناسب الموضوع، ويعتذر في الباب الرابع عن عدم إيراده المولديات الكثيرة التي كانت تنشد بين يدي الخليفة المنصور لضياعها منه في المحنة التي أصابته عندما أسره الروم في البحر. ونجده في المقدمة يثير انتباه القارىء الى طريقته هذه بقوله «وقد أذكر بعض حكايات وقصائد ومقطعات أنشدتها،وملح غريبة استفدتها، ليكون ذلك كالمعين على مطالعة الكتاب، لان النظر في فن واحد قد ترغب عنه النفوس، بخلاف ما اذا نمق بغيره فقد يسلي العبوس.

لا يُصلِحُ النفس إذْ كانت مدَابرَةً        إلا التَّنقلُ من حال الى حال[60]

أما كتاب **لقط الفرائد من لفاظة حقاق الفوائد** فجعله ابن القاضي ذيلا لوفيات ابن الخطيب القسنطيني المعروف بابن قنفذ[61] وأرخ فيه لثلاثة قرون،

---

59) أحمد بن القاضي للمنتقى للقصور، ورقة 2

60) للمنتقى للقصور، ورقة 1 هذا وقد وقفت على ثلاث نسخ قديمة مبتورة من كتاب للمنتقى للقصور، أولاها مصورة عن مخطوط الخزانة الزيدانية بمكناس ومسجلة في الخزانة العامة بالرباط تحت عدد 1057 د. والثانية مخطوطة بالخزانة العامة أيضا تحت عدد 764 د. والثالثة مخطوطة في الخزانة الملكية بالرباط تحت عدد 1153. وبين هذه النسخ بعض اختلاف في عناوين الابواب وترتيبها. على أن أقربها الى الكمال النسخة الاولى المصورة. وبعد المقارنة وتكميل ما أمكن تكميله من نقص في بعضها بما تنفرد به النسخ الاخرى تبين أن الابواب المفقودة من الكتاب هي التاسع عشر، والعشرون، والواحد والعشرون.

61) ابن قنفذ الخطيب القسنطيني (741ــ810 /40ــ1341ــ7ــ1408) هو القاضي المحدث أحمد بن حسن ابن علي بن الخطيب بن قنفذ القسنطيني، تلميذ الخطيب ابن مرزوق الجد وأستاذ ابن مرزوق الحفيد. ارتحل من قسنطينة الى المغرب وبقي فيه 18 سنة صحب خلالها الشيخ أحمد بن عاشر السلاوي وألف تآليف كثيرة منها كتاب **الوفيات** الذي ذكر فيه وفيات الصحابة والعلماء والمحدثين والمؤلفين، ورتبه على المئين من السنين.. وانتهى بذكر وفيات العشرة الاولى من المائة التاسعة. وهذا الكتاب هو الذي ذيله ابن القاضي بلقط الفرائد.

يبتدىء من أول المائة الثامنة الى آخر المائة العاشرة. وقد أهداه كذلك الى ولي نعمته الخليفة المنصور الذهبي. ولم يقتصر ابن القاضي في **لقط الفرائد** على ذكر وفيات علماء الاسلام في الشرق والغرب، بل اهتم الى جانب ذلك باعطاء نظرة موجزة عمن يترجم لهم. يذكر للبعض ما تولاه من المناصب خصوصا القضاء ويشير الى ما للبعض الآخر من انتاج علمي أو أدبي. ويمزج ذلك بذكر الأحداث البارزة في السنوات التي يؤرخها سواء كانت تتعلق بالسياسة والحروب، أو بالتشييد والعمران. فعندما تعرض مثلا للسنة الخامسة من المائة الثامنة 705 ذكر استيلاء أهل الاندلس على سبتة قبل أن يذكر وفاة شرف الدين الدمياطي وغيره. وكذلك فعل في سنة 721 أتى بطائفة من أسماء العلماء الذين توفوا فيها ثم قال «وبنى أبو الحسن[62] مدرسة الصهريج، وبنى حولها سقاية... ودارا لسكنى شيوخ جامع الاندلس، وجلب الماء الى ذلك كله من عين خارج باب الحديد ورتب الفقهاء والاساتيذ لتدريس العلم، وأسكنها بالطلبة، وحبس ربعا كثيرة للنفقة عليها[63] وكانت وفاة أحمد بن القاضي بفاس عام 1025 /1616. (*)

---

62) أبو الحسن المريني (731—752 /1331—1351) أو السلطان الاكحل كما كان يدعوه العامة، لان أمه سودانية هو أعظم ملوك بني مرين، امتد نفوذه الى اقطار المغرب كله والاندلس، وكانت له علاقات طيبة مع ملوك مصر والسودان، وأسس كثيرا من المدارس والزوايا، وبنى القناطر والسقايات.

63) أحمد بن القاضي، **لقط الفرائد**، ص 140

(*) انظر مصادر ترجمة أحمد بن القاضي في كتابنا **الحركة الفكرية** ، 2 : 368 والهامش 65.

## مؤلفات أحمد بن القاضي

ذكر ليفي بروفنسال في **مؤرخي الشرفاء** أن لأحمد بن القاضي أربعة عشر مؤلفا، منها أربعة في التراجم وثلاثة في التاريخ، أضفت اليها ثلاثة، وذكرت ما وقفت عليه منها مخطوطا في الخزانات العامة والخاصة، كما نبهت على ما طبع منها.

| عنوان الكتاب | مكـــان الكتاب |
|---|---|
| 1 **جذوة الاقتباس، فيمن حل من الأعلام مدينة فاس.** | طبع على الحجر بفاس عام 1309هـ. ثم أعيد طبعه بالرباط عام 1974 م |
| 2 **درة الحجال، في اسماء الرجال.** جعله ذيلا لوفيات الاعيان لابن خلكان، وضمنه تواريخ الاعيان من عام وفاة ابن خلكان 681 الى أوائل القرن الحادي عشر 17 م. | نشره ب.س. علوش بالرباط سنة 1934 ثم اعيد طبعه بمصر عام 1970 بمصر، بتحقيق محمد الأحمدي أبو النور. والطبعتان مشوهتان. |
| 3 **درة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك** أرجوزة ضمنها أسماء الملوك مرتبين حسب تواريخ وفياتهم. | مخطوط خ.ع. رقم 52 د. |
| 4 **بدر الحلوك، المشرق بدرة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك.** شرح به الارجوزة السابقة. | مخطوط خ.ع. رقم 52 د. |
| 5 **رائد الفلاح، بعوالي الأسانيد الصحاح.** فهرس ضمنه مقروءاته وتراجم شيوخه، وأجاز به الامير زيدان بن أحمد المنصور عام 1010 / | كان يوجد بفاس في خزانة الشيخ علال بن عبد الله الفاسي. وتوجد النسخة الاصلية بخط المؤلف في 156 ورقة بالمكتبة الأكاديمية بمدريد تحت رقم CAYANGOS XVIII |
| 6 **غنية الرائض في طبقات أهل الحساب والفرائض** | |
| 7 **لقط الفرائد، من لفاظة حقاق الفوائد** ذيل به وفيات ابن قنفذ | طبع بالرباط سنة 1976 ضمن كتاب **ألف سنة من الوفيات.** |
| 8 **المنتقى المقصور على محاسن الخليفة أبي العباس المنصور.** | طبع أخيرا بالرباط سنة 1986 في جزءين بتحقيق محمد رزوق. |

| | | |
|---|---|---|
| | **فقه وفرائض وتفسير** | |
| 9 | **التيسير العجيب، في تفسير الغريب.** | مخطوط زاوية تنغملت رقم 344، الثاني في المجموع. |
| 10 | **الرائض، لطالبي الناهض، بأعباء علم الفرائض** وهو شرح لأرجوزة ابن داود التلمساني | مخطوط خ.م. رقم 8840. |
| 11 | **القانون الوفي، بجداول الحوفي — في الفرائض** | |
| 12 | **نيل الامل، فيما به بين المالكية جرى العمل.** | |
| | **حساب وهندسة** | |
| 13 | **فتح الخبير، بحسن التدبير، لفك رموز الاكسير.** شرح به منظومة الاكسير في الهندسة لسعيد التجيبي المتوفي عام 570 /1349 | مخطوط خ.م. رقم 5455. |
| 14 | **الفتح النبيل، بما تضمنه من أسماء العدد ومعنى الحساب التنزيل.** | مخطوطة خزانة ابن يوسف بمراكش رقم 472 لعلها بخط المؤلف. وفيها انه فرغ من تأليفه يوم الاثنين 16 رجب 1008 بسلا. |
| 15 | **المدخل في الهندسة** | |
| | **كتب ضاعت في أسر المؤلف** | |
| 16 | **نظم منطق السعد.** | |
| 17 | **نظم تلخيص ابن البنا.** | |

## ب) أساتذة آخرون درسوا في الزاوية الدلائية

### الحسن الدرعي

أبو محمد الحسن بن أحمد الدرعي المعروف بالدراوي، العالم المعقولي، المشارك المتبحر، مؤلف شرح **صغرى السنوسي في** التوحيد، وشرح **لامية الامام**

**الجراد السلوي** في قواعد الجمل. اشتهر هذا العالم بالانكباب على التدريس وبذل الجهود في افادة الطلاب، والحرص على نفعهم، سواء في موطنه الأول بدرعة أو في فاس، أو في الزاوية الدلائية «وكانت له اليد الطولى في معرفة العقائد والمنطق، وفي النحو، والقراءات، مع كمال التحقيق، وجودة الفهم والتدقيق. أقام مدة في الزاوية الدلائية يقرىء حتى عم النفع به هناك..»(65).

حط الحسن الدرعي رحاله في الدلاء في السنوات الأولى لتأسيس الزاوية، ونال من حظوة أبي بكر ورعايته ما يليق بمقامه العلمي والديني، وأقبل عليه الطلبة يأخذون عنه، وفي مقدمتهم محمد بن أبي بكر الدلائي الذي درس عليه التوحيد والفقه، والأصول، والمنطق، والبيان، وغير ذلك من منقول العلم ومعقوله، كما أخذ عنه كثير من إخوة محمد بن أبي بكر وغيرهم. وارتحل حسن الدرعي في أواخر أيامه الى فاس حيث وافته المنية عام **1598/1006** (66).

## أحمد بن عمران الفاسي

أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران السلاسي ثم الفاسي العلامة المحدث الحافظ الأديب البليغ مفتي فاس، والمدرس بجامع القرويين، كان أبوه علي قاضي الجماعة، وجده عبد الرحمن من شيوخ الفقه والنحو. وسبب مجيئه الى الزاوية البكرية انه أصابه عسر في فاس وضاقت حاله بها فقصد الشيخ محمد بن أبي كر الدلائي تاركا عياله وأولاده بفاس، وأقام عنده يقرىء أبناءه وغيرهم من الطلبة. فأرسل ابن أبي بكر الدلائي الى أسرة الفقيه ابن عمران كثيرا من المواد الغذائية والملابس والنقود، دون أن يعلمه بشيء من ذلك، ثم غمره بالعطايا حينما أراد الرجوع الى مسقط رأسه. وكان الشيخ ابن عمران يحدث نفسه وهو في طريقه الى فاس أنه سيأتي أهله بهذا الرزق الوفير ليبدل عسرهم يسرا، فإذا به يجدهم في رغد من العيش لا عهد لهم به. فلما علم بجلية الأمر أسرع بالرجوع الى الزاوية الدلائية وألقى عصا التسيار بها، واستقر مطمئن الخاطر مرتاح البال،

---

(65) سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 25/ب.

(66) ترجم للحسن الدرعي محمد القادري نشر **المثاني** 1 : 63. سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 25/ب.

منقطعا للتدريس والافادة. «وحضر الشيخ محمد بن أبي بكر يوما مجلسه، وهو غاص ببنيه وذوي قرابته ومودته فقال لهم من أحبني منكم فليعط لهذا الشيخ، يعني أبا العباس بن عمران. فأتى كل من الحاضرين بما يقد عليه، ثم بلغ ذلك النساء فأعطت كل واحدة منهن ما قدرت عليه من قرط أو سوار أو غيرهما، ثم بلغ ذلك الخبر أهل السوق وأهل البوادي فانتقلوا إليه، فكان الرجل يأتي بالفرس وغيره مما تيسر له فيعطيه له وقامت لذلك سوق عظيمة..»(67).

وممن أخذ عن أبي العباس بن عمران بالزاوية البكرية محمد المرابط الدلائي وأبو عَمَر بن محمد الدلائي المتقدمان، والحسن اليوسي الذي أخذ عنه **كبرى الشيخ السنوسي** مع شرحها في التوحيد(68).

وكانت وفاة أحمد بن عمران بفاس علم 1654/1065 (69).

## حمدون الأبّار

أبو العباس أحمد المدعو حمدون بن محمد بن موسى الأبار الفاسي العلامة الخطيب البليغ، شيخ الجماعة بفاس، وخطيب جامع الأندلس. كان أهله من التجار الموسرين فسلك سبيلهم أولا متجولا في الأقطار للاتجار وكسب الأموال، ثم شغف بالعلم فانصرف عن ذلك الى الدرس والتحصيل، حتى صار اماما في كثير من العلوم، خصوصا النحو والفقه. وسار في حياه العلمية سيرته في حياته التجارية، فجال في البلدان ينشر العلوم، وحل بالزاوية الدلائية مدة يدرس لطلبتها مختلف الفنون حيث أخذ عنه فيها الطيب بن المسناوي الدلائي المتقدم وغيره، وكان أكثر ما يقرىء **مختصر الشيخ خليل و ألفية ابن مالك** «وتخرج به جماعة من الأعلام، بل جل طلبة المغرب عليه انتفعوا في **المختصر**. وله عليه حاشية هي موجودة بأيدي الطلبة. وله فتاوى كثيرة حسنة»(70).

توفي بفاس في 23 جمادى الأولى عام 1071 /1661 (*)

---

(67) سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 46/ب.

(68) الحسن اليوسي، **الفهرست**، ورقة 66/ا.

(69) توجد ترجمة ابن عمران عند : محمد الافراني، **الصفوة** ص 141. ومحمد القادري نشر المثاني 2 74 — 75.

(70) محمد القادري، نشر المثاني، 2 109.

(*) ترجم لحمدون الأبّار محمد القادري، نشر المثاني، 2 109. وعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، **أزهار البستان**، (مخطوط خ. ح. رقم 583، ورقة 12/أ.

## محمد بن سودة

أبو عبد الله محمد[71] بن محمد بن أبي القاسم ابن سودة. الفقيه المشارك الذي اشتهر بالعلم والدين وقيل عنه إنه آخر قضاة العدل بفاس. أخذ عن خاله عبد الواحد بن عاشر وطبقته، وتتلمذ له كثير من أعلام فاس، وأقام مدة في الزاوية الدلائية يدرس فيها للطلبة، وأخذ عنه هناك جم غفير، في مقدمتهم الطيب بن المسناوي الدلائي. وتولى محمد بن سودة القضاء في فاس بأمر من السلطان محمد الحاج الدلائي، وكانت وفاة ابن سودة علم **1665/1076** [72].

## محمن بن سعيد المرغيثي

أبو عبد الله محمد بن سعيد السوسي المرغيثي نسبة إلى مرغيتة (وينطق السوسيون الآن بالغين خاء ويقولون مرخت ومرختي) وهي إحدى فروع قبيلة الأخصاص المشهورة بناحية تيزنيت. كان محمد بن سعيد موقتا حيسوبيا مدققا، وهو صاحب النظم المشهور المسمى **بالمقنع في التوقيت وشرحيه الكبير والصغير**. انتقل الى مراكش وتصدى للتدريس بمسجد المواسين مدة طويلة وقصده الناس للأخذ عنه. ثم انتقل الى الزاوية الدلائية للتدريس فيها، وقد قال عنه تلميذه الحسن اليوسي «حضرت عنده مجلسا واحدا في **ألفية ابن مالك** أيام الحداثة، ثم لقيته بالزاوية البكرية، فجالسته مرارا، وصافحني عن شيخه أبي محمد عبد الله بن علي ابن طاهر الحسني وقال بسنده الى أنس بن مالك رضي الله عنه فأفصح بالحديث ولم يفصح بالسند..» وقد عمر محمد بن سعيد طويلا وكثر الآخذون عنه، واشتهر نظمه المقنع في جميع النواحي المغربية ووقع عليه إقبال كبير حتى

---

(71) هناك عالمان سوديان يسمى كل منهما محمدا، الأب والابن، لم أقف على نص يعين من درس منهما في الزاوية الدلائية، وقد رجحت أن يكون هو الابن نظرا لذكر اسمه مقرونا باسم حمدون الابار أثناء وجودهما في الدلاء وهما متعاصران وتاريخ وفاتهما متقارب. أما محمد بن سودة الأب فانه توفي علم **1606/1015**.

(72) انظر ترجمة ابن سودة عند عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، **أزهار البستان**، (مخطوط خ. ح. رقم 583) ورقة 11/ب. محمد القادري، نشر **المثاني** 2 150.

(73) الحسن اليوسي، **الفهرست**، ورقة 68/أ.

اليوم. ومن تآليفه أيضا **الإشارة الناصحة لمن طلب الولاية بالنية الصالحة**، وكتاب **المستعان في احكام الاذان**، و**اختصار السيرة اليعمرية**، و**الفهرست** التي ذكر فيها أشياخه وأودعها كثيرا من الفوائد والفتاوي. وكانت وفاة المرغيثي عام 1089/78 — 1679 (74).

**— تلاميذ الزاوية الدلائية**

ظلت الزاوية البكرية كعبة الطلاب يحجون اليها من كل أصقاع المغرب طيلة قرن كامل، ويتنافسون في الأخذ عن علمائها المبرزين الكثيرين. ولا شك أنها عرفت خلال هذه الفترة الطويلة من الزمن عددا كثيرا منهم، ليس لدينا من أسمائهم مع الأسف إلا نزر يسير ورد ذكرهم عرضا عند من تعرض لهذه الزاوية من المؤرخين أو أصحاب التراجم. وتلاميذ الزاوية الدلائية طائفتان، طائفة لازمت الزاوية منذ أول عهدها بطلب العلم الى أن تخرجت منها ثم اشتغلت بالتدريس فيها، وهذا شأن أكثر الدلائيين المتقدمين في الفصل السابق وبعض من سنأتي على ذكرهم هنا، مثل محمد بن عبد الرحمن الصومعي، وابن مسعود المراكشي؛ وطائفة أخرى كان لها سابق دراسة في فاس أو مراكش أو غيرهما من مراكز الثقافة، ثم وردت على الزاوية البكرية وكرعت من حياض معارفها حتى رويت وتم تكوينها العلمي، فاستقرت بها مشتغلة بالتعليم والافادة، كالإمام الحسن اليوسي والأخوين العكاريين محمد وعلي، أو غادرتها بعد مدة طويلة أو قصيرة لترجع الى مساقط رؤوسها أو لتلقي عصا التسيار في بلد آخر، كأبي حامد الفاسي، وأحمد المقري،

---

(74) أنظر ترجمة المرغيثي عند
— الحسن اليوسي، **الفهرست** ورقة 68/أ — 69/أ.
— محمد الافراني، **الصفوة**، ص 177 — 179.
— محمد القادري، نشر **المثاني**، 2 241 — 245.
— محمد المكي الناصري، **الدرر المرصعة**، ص 15 — 17 ،
— عباس التعارجي المراكشي، **الاعلام**، 4 319—328.
— عبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس**، (ط. بيروت) ص 554—556.
والسيرة اليعمرية هي **نور العيون في تلخيص سيرة الامين المامون**، لابي الفتح محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري الربعي الاشبيلي المتوفى في القاهرة عام 1334/734. أنظر مقال الأستاذ محمد المنوني، مكتبة الزاوية الحمزاوية. مجلة تطوان العدد 8 سنة 1963 ص 176.

وعبد الواحد ابن عاشر، ومحمد ميارة وغيرهم. وسأورد فيما يلي تراجم مختصرة لمن لم يسبق التعريف بهم من تلاميذ الزاوية الدلائية.

## أ) الحسن اليوسي

أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي، من قبيلة أيت يوسي البربرية. مفخرة المغرب وأشهر من أنجبته الزاوية الدلائية من العلماء حتى ارتبط اسمه باسمها وظن البعض أنه من أبنائها. وقد تتلمذ اليوسي لكثير من العلماء الدلائيين مثل محمد المرابط، ومحمد بن عبد الرحمن، وأبي عَمر بن محمد بن أبي بكر الدلائي ؛ وأخذ عنه عدد وافر من أبناء الدلائيين وغيرهم من الطلبة الذين كانوا يقيمون في الزاوية الدلائية. وكان دخول اليوسي الى الزاوية الدلائية حوالي عام 1060 وهو ما يزال شابا طالبا للعلم، فتزوج فيها فور وصوله اليها، وانقطع عن لهو الشباب ولغوه[75] ومكث بها نحو عشرين سنة طالبا ثم أستاذاً وفيها أنجب الأبناء والبنات ولم يغادرها إلا بعد أن أزعجه السلطان الرشيد عنها عند تخريبها. وقد انفرد اليوسي بوصف حادثة إخلاء الزاوية الدلائية وعنه نقل ذلك سائر المؤرخين.

يمتاز هذا العالم الكبير بقوة العارضة، وشدة التحصيل، وجدة الأسلوب، فهم يسير في كتبه خصوصا **المحاضرات**، على غير ما عهد عند معاصريه من العلماء المغاربة. وإنك لتجد في هذا الكتاب وغيره من مؤلفات اليوسي طريقة جديدة في الكتابة، تذكرك بطريقة أكابر الكتاب القدامى أمثال ابن المقفع، والمبرد وأضرابهما، فالألفاظ جزلة متينَة والأسلوب سلس منطلق لا تقيده الأسجاع وغيرها من المحسنات البديعة اللفظية إلا متى أتت عفوا دون تكلف، أو وقعت في رسائل خاصة تستدعي ذلك ؛ والمواضيع المطروحة جدية متنوعة متسلسلة يربط بينها رغم تباينها نوع من التعلق بحيث تتكامل ويستدعي بعضها البعض الآخر.

ويحدثنا اليوسي نفسه في **فهرسته** عن بعض الكتب التي درسها على أستاذه محمد المرابط الدلائي بقوله «حضرت عنده **تلخيص المفتاح بمختصر**

---

(75) الحسن اليوسي، **المحاضرات**، ص 141. **الفهرست**، ورقة 70/ أ

**السعد**(76) ومواضع من **الخلاصة**(77) وصدراً من تفسير القرآن **بتفسير الجلالين**(78) وأجازني في فنون العلم كلها..»(79) ويروي لنا كذلك في **المحاضرات** حادثة أدبية طريفة وقعت له عند وصوله إلى الزاوية البكرية وهي تدلنا على مدى قوة شخصيته وسرعة بديهته منذ حياته العلمية المبكرة، اذ وجد شيخه محمدا المرابط قد ألف كتابا في الخطب الوعظية قرظها الناس وامتدحوها «فكتب كل ما قدر له من نثر ونظم، فلما رأيت ذلك كتبت أنا أيضا، فوقع في مكتوبي لفظة القطائف واللطائف، فاعترض عليَّ ورام تبكيتي وقال إنا لا نعرف القطائف إلا هذه المفروشات. فقلت له إن القطائف هنا جمع قطيفة بمعنى مقطوفة فقال هو صحيح في اللغة، ولكن الأدباء لهم الاختيار، وعندهم ألفاظ يستعملونها مخصوصة، فلا يرتكب عندهم كل ما يقع في اللغة، فقلت له حينئذ هذا أبو محمد الحريري(80) يقول في **مقاماته**

فلا تعذلوني بعد ما قد شرحته ... على أن منعتم في اقتطاف القطائف
على أنَّ ما زودتمُ مِن فكاهة ... ألذُّ مِن الحلوى لدى كلِّ عارف

فتلون وجهه رحمه الله وخجل ولم يراجعني بكلمة فلولا معرفة **المقامات** واستحضار هذا البيت لأخجلني عوض ما كنت أخجلته»(81).

---

(76) **تلخيص المفتاح** في البلاغة تدارسه الناس واعتمدوه في هذا الفن منذ القرن الثامن الهجري حتى الآن لتركيزه واختصاره. ومؤلفه هو الخطيب القزويني جمال الدين محمد بن عبد الرحمن الاناضولي المتوفى بدمشق علم 38/739 ـــ 1339. وكتاب **التلخيص** هذا هو اختصار للقسم الثالث من كتاب **مفتاح العلوم** ليوسف بن أبي بكر السكاكي المتوفى علم 28/626 ـــ 1229. وقد شرح متن **التلخيص** سعد الدين التفتازاني (نسبة الى تفتازان. قرية من أعمال خرسان) المتوفى علم 88/791 ـــ 1389 بشرحين، **مطول، ومختصر**. والى هذا الأخير يشير اليوسي.

(77) **الخلاصة هي الالفية** المشهورة لمحمد بن مالك الطائي الأندلسي.

(78) الجلالان المشاركان في تفسير القرآن الكريم هما جلال الدين محمد بن أحمد المحلي المتوفى علم 1459/864 وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى علم 1506/911.

(79) الحسن اليوسي، **الفهرست**، ورقة 66/ أ.

(80) أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري، صاحب **المقامات** المشهورة المشتملة على كثير من كلام العرب ولغاتها وأمثالها، توفي علم 22/516 ـــ 1123.

(81) الحسن اليوسي، **المحاضرات**، ص 141.

نفهم من هذه المناظرة القصيرة أن اليوسي قدم الزاوية البكرية وقد حصل على نصيب لا يستهان به من المعلومات، فكان يحفظ **المقامات** الحريرية ويستطيع أن يدلي بدلوه مع الأدباء في تقريظ كتاب لعالم كبير، بل كان يحاج شيوخ العلم ويحجهم على حداثة سنه، وهو أمر يذكرنا بمناظرة بديع الزمان الهمداني لشيخ الأدباء أبي بكر الخوارزمي[82]. ويظهر أن هذه الحادثة كانت عابرة لم تتلها ذيول، فاليوسي أخذ مجلسه بين الطلبة في حلقة الشيخ المرابط العلمية ليستفيد منه طيلة مقامه بالزاوية الدلائية، والأستاذ المرابط بدوره قدر في تلميذه النابغة نباهته وكفاءته وأحله المنزلة اللائقة بمقامه الممتاز، ليجيزه بعد عشرين سنة من تلك المناظرة ويحليه بقوله «الصدر الرئيس، فارس الاملاء والتدريس، شيخ الجماعة بالديار البكرية، والحضرة الدلائية، ذو التدقيق المعهود، أبو الحسن بن مسعود، صاحب النباهة الشامخة، والنزاهة الباذخة، والجلالة العليا، والهمة التي نيطت بالثريا..»[83] وقد انتقل اليوسي بعد تخريب الزاوية الدلائية الى فاس بأمر من السلطان الرشيد، وتصدر للتدريس فيها، وأقبل عليه الطلبة والعلماء يأخذون عنه ألا طائفة من منافسيه فانهم تخلفوا عن مجالسه العلمية، وفيهم يقول

ما أنصفت فاسٌ ولا أعلامها علمي ولا عرفوا جلالةَ منصبي
لو أنصفوا لَصَبَوْا إليَّ كما صبا راعي سنين إلى الغمام الصيِّب

ليس هذا من باب الزهو والغرور وانما هو نوع من الصراحة البدوية التي يمتاز بها اليوسي، فهو يتحدث بنعمة الله عليه، ويعرف قيمته ومكانته العلمية ويعبر عما يجول في خاطره بدون لبس أو تمويه. وقد ذكرنا في الباب الثاني أبياتا أخرى مشابهة لهذه قالها اليوسي في علماء الزاوية البكرية وطلبتها حينما انتقل منها مرة إلى قرية الدلاء.

وقد حظي اليوسي بتقدير السلطان الرشيد الذي كان يحضر بعض مجالسه العلمية بالقرويين، ويجالسه في قصره مع خاصته، ويحدثه بدون كلفة، كما يذكر

(82) أنظر صورة هذه المناظرة الأدبية الطريفة عند زكي مبارك في **النثر الفني** الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة عام 1352هـ/1934 ج 2 ص 331 وما بعدها.

(83) انظر النص الكامل لاجازة محمد المرابط لليوسي في ملحق رقم 7.

ذلك لنا اليوسي نفسه بقوله «أصابني مرة إسهال، فدخلت على السلطان رشيد بن الشريف، وكان يكرمني ويجلني فرأى تغيرا في وجهي، فسألني فأخبرته فقال وماذا صنعت من علاج ؟ فقلت له إن الطبيب يصنع لي شراب الريحان، فتضاحك ثم قال سبحان الله، مالنا ولشراب الريحان، وأين عهدته ؟ خذ سويق الشعير واخلطه بالماء، فذلك دوواؤه..»(84) وكان السلطان الرشيد يعرف شدة تعلق اليوسي بالزاوية الدلائية وأهلها فلامه مرة على ذلك، فأجابه اليوسي متسترا ومتقيا «لا ناقة لي فيها ولا جمل». وظل اليوسي يتمتع بحظوته في البلاط العلوي حتى بعدما تولى الملك السلطان اسماعيل، وكان من بين العلماء الذين وافقوا على بيعته إثر وفاة أخيه الرشيد بمراكش. ولليوسي مراسلات عديدة مع هذا السلطان العظيم أخلص فيها النصح لأمير المومنين ونبهه الى مواطن الضعف في حكمه، وخاطبه بصراحة لم يجرؤ غيره على مثلها في جانب هذا الملك المعروف بشدة البأس وقوة البطش. ومنها رسالة مطولة في 147 صفحة بعث بها اليوسي الى السلطان جوابا عن كتب تلقاها منه يقول في أولها «هذا وقد وردت عليَّ كتبُ سيدنا الكريمة، ومراسمه الجليلة العظيمة، فاذا هو قد أحسن فيها وأجاد، وأبدأ وأعاد، وبلغ من كل فصل المراد، وفوق المراد، ثم رأيت أن أمر سيدنا أيده الله بالجواب عن فصول الكتاب لا ينبغي أن يهمل، ولعل فيه إن شاء الله فوائد تفصل فتُحَصَّل..»(85) وغادر اليوسي فاسا الى مراكش حيث أقام ثلاث سنوات متصدرا للتدريس في مساجدها. ونجده في عام 1682/1093 يتشوق للرجوع الى مسقط رأسه ويحن الى عشيرته، وكان قد خلف الأهل في جبال الأطلس المتوسط، والكتب وما معها في مكناسة، والقبيلة في ملوية «وجرى يوما ذكر البيتين اللذين أنشدهما سيدنا بلال ــ رضي الله عنه ــ فهاج بي إلى الأوطان اشتياق، فقلت على نحو هذا المساق

---

(84) الحسن اليوسي، **المحاضرات**، ص 67.

(85) الحسن اليوسي، **رسالة الى المولى اسماعيل**،مخطوط بالخزانة العامة بالرباط 1348 د ورقة 13/أ.

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً  بِسهب الشّنين أو بِسهب بَني وَرَا
وهل تَعْبُرَنْ نهرَ العبيدِ ركائبي  وهل تَتْرُكَنْ دايا وأدواؤُها وَرَا.»(86)

تحققت لليوسي أمنياته الثلاث في الحياة، فوفر حظه من العلم، وكثر ماله، وزار البقاع المقدسة(87). وظل وفياً للزاوية الدلائية طيلة حياته يحن إليها ويذكر محاسن أهلها، ولم يرْثِها أحد بمثل قصيدته الرائية الشهيرة التي يبلغ عدد أبياتها 162، ومطلعها

أُكَلِّفُ جَفْن العين أن يَنْثُرَ الدُّرَا  فيأبَى ويعتاضُ العقيقَ بها حمرا
وأسأله أن يكتمَ الوجدَ ساعةً  فيُفشي، وإنَّ اللوم آونةً إغْرا(88).

## مؤلفات الحسن اليوسي

وضع الأستاذ بيرك في آخر مؤلفه عن اليوسي جدولا مفصلا لكتب اليوسي أتى فيه بأسماء 33 مؤلفا مع الاشارة الى المكتبات التي يوجد فيها بعض هذه الكتب. وقد أضفت اليه 14 مؤلفا لليوسي في الطبعة الأولى و 13 في الطبعة الثانية فصار المجموع 60 كتابا أو رسالة. كما أشرت الى مكتبات توجد فيها كتب لليوسي لم يقف عليها. وجعلت على كل زيادة هذه العلامة (×).

---

(86) الحسن اليوسي، **المحاضرات**، 126.
السهب (بضم السين) من الأرض : البعيد المستوي (وينطق به في اللسان المغربي الدارج، بفتح السين مرادا به هذا المعنى) وسهب الشنين، وبنى ورا موضعان بالأطلس التوسط، ونهر العبيد يقع في إقليم بني ملال وعليه سد بين الويدان المشهور، وداي هي مدينة الصومعة المجاورة لبني ملال الحالية، وكانت مشهورة بكثرة الأمراض والوخم.

(87) الحسن اليوسي، **الفهرست**، ورقة 64/ا.

(88) شرح هذه القصيدة عالمان دلائيان في مجلد ضخم سنتحدث عنه في كلامنا عن مؤلفات الدلائيين، كما شرحها محمد بن المهدي بن سودة في 6 مجلدات، أنظر هذه القصيدة تامة في ديوان **اليوسي**، وفي **النبوغ المغربي** لعبد الله كنون ج 3، ص 277 وما بعدها.
للتوسع في ترجمة اليوسي والتعرف على مصادرها ارجع الى مقدمة الطبعة الثانية **للمحاضرات** (ط. بيروت 1982) أ/ل.

| اسم الكتاب | المكتبات التي يوجد بها |
|---|---|
| **التوحيد والفقه والأصول** | |
| 1 ــ أجوبة في التوحيد | مخطوط خ. ع. 1241 د ضمن مجموع (ص 8 ــ 9). |
| 2 ــ (×) **تأليف في أصول الدين وفروعه.** | مخطوط زاوية تنغملت 408 الأول في المجموع |
| 3 ــ (×) **جواب** عن سؤال العطار المراكشي عن دليل ابطال حوادث لا أول لها. | مخطوط خ. ع. 1755 د الثامن في المجموع 153 ب ــ 160 أ). |
| 4 ــ **حاشية على شرح كبرى السنوسي.** | مخطوط خ. ع. 2645 ك. وخزانة القرويين بفاس 40 ــ 837، 40 ــ 732. وفي دار الكتاب المصرية بالقاهرة 222، 266، 273، 562، 1117 كلام. × وفي خ. م. 263 و 1006. وفي الخزانة الحمزاوية بالأطلس 69. |
| 5 ــ **الرد على القرافي** في التفريق القديم والحدث في كلام الله. | (×) مخطوط خزانة ابن الطيفور بسوس (م.الختار السوسي، خلال جزولة 4 197). |
| 6 ــ **شرح صغرى السنوسي.** | (×) مخطوط خ. م. 6654. |
| 7 ــ **شرح قول خليل وخصصت نية الحالف وقيدت.** | (×)مخطوط خ. ع. 9/2223 د ص 149 ــ 151) خ. م. 6726 تامة في كراسة. |
| 8 ــ (×) **عقيدة صغرى** تنبني على معرفة الله وحُكمه وحكمته. | مخطوط خ. م. 3623 ز. آخر مجموع. |
| 9 ــ (×) **فقهية** منظومة في بحر الرجز على مثال **المرشد المعين** لابن عاشر تشتمل على التوحيد، فالعبادات، فالتصوف. | مخطوط خ. ع. 157 ح ضمن مجموع (ورقة 124. أ ــ131. ب).1164 د (انتسخت في حياة المؤلف عام 1099) خ. م. 7705. |
| 10 ــ (×) **قواعد الاسلام، من مضمون حديث النبي عليه السلام** موضوعها واجبات المكلف كالرسالة الآتية رقم 54 إلا أنها أوسع منها وأطول. | مخطوطا خ. ع. 157 ح و 612 ج. (ضمن مجموع، ورقة 27. أ ــ 42 ب) ومخطوط خ. م. 4660. |

| العنوان | ملاحظات |
| --- | --- |
| 11 ــ **الكوكب الساطع، بشرح جمع الجوامع** لتاج الدين السبكي، لم يكمله اليوسي وإنما وصل فيه إلى «إذا الفجائية». | مكتبة خاصة. |
| 12 ــ **مشرب العام والخاص من كلمة الاخلاص**، أو منهج الخلاص من كلمة الاخلاص(*). | **مطبوع على الحجر بفاس عام 1327** في مجلد ضخم. |

## التفسير والحديث

| العنوان | ملاحظات |
| --- | --- |
| 13 ــ(×) **رسالة في العلم النبوي** رد بها على القاضي عبد الملك التجموعتي | مخطوط خ. ع. 115 ح (فيه رسالة التجموعتي بعدها رد اليوسي، فتعليق لمحمد الحجوي مؤلف **الفكر السامي**) وميكروفيلم 17/926. ومخطوطا خ. م. 3807 ز. (وسط مجموع، بعدها مباشرة رسالة التجموعتي المردود عليها). 3838 ز (أواخر المجموع). |
| 14 ــ(×) **فتح الملك الوهاب، فيما استشكله بعض الأصحاب، من السنة والكتاب.** | مخطوط خ. ع. 618 ج، في 129 صحيفة. |

## المنطق

| العنوان | ملاحظات |
| --- | --- |
| 15 ــ **تاج المفرق، في شرح الطالع المشرق**، لمحمد العربي الفاسي (**) | (×) ذكر أحمد الهشتوكي في فهرسه أنه قرأه على اليوسي. |
| 16 ــ(×) **رسالة في النسبة الحكمية بين الطرفين الموضوع والمحمول.** | مخطوط خ. ع. 2143 د (ضمن مجموع، ص 193 ــ 195. |
| 17 ــ(×) **شرح السلم المرونق**، للأخضري | ذكره عبد الله كنون في **النبوغ المغربي**، أ 303. |
| 18 ــ **القول الفصل، في الفرق بين الخاصة والفصل**، أو الفرق ما بين الذاتي والعرضي. | مخطوط خ. ع. 1072 د ضمن مجموع. (ص 196 ــ 223) |

---

(*) عبر بعض مترجمي اليوسي عن مشرب العام والخاص بكتاب في الهيللة. كالقادري في نشر المثاني، والصقلي في الصفحة الأولى من القانون المطبوع في فاس، وقد اختلطت كلمة (الهيللة) على الأستاذ بيرك فقرأها هيئة، وجعل ــ خطأ ــ لليوسي مؤلفا في الفلك.

(**) سماه الأستاذ بيرك شرح الطالع المنتشر وقال إنه لم يكمل.

19 ــ **نفائس الدرر على شرح المختصر**، للسنوسي.

مخطوطات خ. ع. 1072 د (ضمن مجموع، ص 52 ــ 195) 451 د. 1.751 ك. وفي خزانة القرويين بفاس دون رقم. وفي المكتبة الوطنية بالجزائر 2 و 1382. وفي المكتبة الوطنية بباريز 2400 (ورقة 104 ب ــ 251).
(×) ومخطوطا خ. م. 1999 و 2419.
ومخطوط خزانة ابن يوسف بمراكش 246.

## اللغة والأدب والبلاغة

20 ــ (×) **دالية في التوسل**.
ربِّ أنت المولى إليك استنادي

مخطوط خزانة تطوان 657.

21 ــ **الديوان** جمعه ولد اليوسي بعد وفاة والده.

طبع على الحجر بفاس. وتوجد منه نسخ مخطوطة عديدة في خ. ع. منها واحدة جيدة ضمن مجموع 32 ج، وبالمكتبتين الوطنيتين بباريز والجزائر.

22 ــ (×) **رحلة حجازية** كتبها ولد اليوسي لما صحب والده الى الديار المقدسة عام 1101.

مخطوط خ. م. 2343.

23 ــ **زهر الأكَم، في الأمثال والحِكَم**.
رتبه على حروف المعجم، فلم يتممه ووقف عند حرف الصاد.

(×) حققته أنا والأستاذ محمد الأخضر، ونشره مركز الدراسات والابحاث للتعريب بالرباط سنة 1981 في 3 أجزاء، وتوجد منه مخطوطات عديدة بالرباط وفاس وسلا والقاهرة والجزائر وباريز.

24 ــ **شرح تلخيص المفتاح**، للقزويني ــ لم يكمل ــ.

؟

25 ــ **شعر في رثاء الشيخ عبد القادر الفاسي**.

؟

26 ــ **شعر في مدح خير البرية**، يبتدىء بقصيدة اليوسي الشهيرة
جدَّ سيرها فلستَ تلام
هذه طيبة وهذا المقام

(×) مخطوط خ. م. 2343.

27 ــ **القصيدة الدالية أو التهاني** في مدح الشيخ مَحمد بن ناصر عارض بها دالية البوصيري في مدح الشيخين الشاذلي والمرسي.

طبعت بمصر مع شرحها الذي سيذكر بعدُ. وتوجد منها مخطوطات بالرباط وفاس والقاهرة وباريز.

28 ــ **القصيدة الرائية في رثاء الزاوية الدلائية**(*) تشتمل على 162 بيتا.

مخطوطة خ. ع. 163 د (ضمن مجموع، 98 ــ 103).

29 ــ (×) **قصيدة فائية في الاستغاثة**

يا رعاة الحمى إغاثة ملهوف.

مخطوطة خزانة تطوان 518.

30 ــ (×) **قصيدة في التوسل**، 30 بيتا مطلعها

يا رب باسمك العظيم الأعم.

مخطوط خ. م. 916.

31 ــ **نيل الأماني، في شرح التهاني** شرح للقصيدة الدالية المتقدمة.

طبع بمطبعة الكوكب الشرقي بالاسكندرية عام 1291.

(×) ثم طبع بمطبعة التقدم بالقاهرة عام 1329. وتوجد منه نسخ مخطوطة بالرباط والجزائر والقاهرة وباريز.

## التصوف والرد على المبتدعة

32 ــ (×) **أجوبة** أولها في حكم الصلاة على النبي عليه السلام في الورد.

مخطوط خ. ع. 1644 د.

33 (×) **أربعة وعشرون سؤالا وجوابا** تتعلق بمصاحبة الشيخ وتأدية الأوراد.

مخطوط خ. ع. 612 ج (ورقة 48 ب ــ 52 أ).

34 ــ **تأليف في العكاكزة** الفرقة الضالة بتادلا وزمور.

(×) مخطوط خ. ع. 1224 ك (ضمن مجموع. 167 ــ 187) ومخطوط خ. م. 3822 ز، أواخر مجموع. حديثة لكنها جيدة واضحة.

35 ــ (×) **جواب في السماع عند الصوفية.**

مخطوطة مكتبة حسن حسني عبد الوهاب المنقولة الى المكتبة الوطنية بتونس. 178. أوائل مجموع.

---

(*) ظن الأستاذ بيرك أن موضوع هذه الرائية الحِكم والتصوف، وهي في الحقيقة في رثاء الزاوية الدلائية وان كانت لا تخلو من اشارات صوفية، وأمثال حِكمية على طريقة زهير بن أبي سلمى في معلقته.

36 ــ (×) **رسالة في التصوف.**

مخطوط خ. م. 886.

37 ــ **شرح عقد جواهر المعاني، في مناقب الغوث عبد القادر الجيلاني** لأحمد بن المختار (بنخدة).

؟

## موسوعات

38 ــ **الفهرس** لم يكمل.

مخطوط خ. ع. 1234 ك (ضمن مجموع 103 ــ 147) (×) ومخطوط خ. م. 1183.

39 ــ **القانون** في العلوم والتعليم

طبع على الحجر بفاس عام 1310و1315. وتوجد منه نسخ مخطوطة بالرباط وفاس وباريز

40 ــ (×) **كناشة علمية** فيها فوائد في التفسير والحديث والتصوف والتراجم، نقلها أحد تلاميذ اليوسي من خطه.

مخطوط خ. م. 5995.

41 ــ **المحاضرات** في اللغة والأدب والتصوف.

طبعت على الحجر بفاس عام 1317ه (×) ثم نشرتها بالرباط سنة 1976، وحققتُها مع الأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال، ونشرتها الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر بالرباط في دار الغرب الاسلامي ببيروت في جزءين، سنة 1982.

## موضوعات مختلفة

42 ــ **أخذ الجنة، عن اشكال نعيم الجنة**

(×) ميكرو فيلم خ. ع. 126. معرض مخطوطات جائزة الحسن الثاني سنة 1973، الثاني في المجموع. 7 ورقات، ومخطوط خ. م. 6602 – ضمن مجموع.

43 ــ **تقريظ اللمعة الخطيرة، في مسألة خلق أفعال العباد الشهيرة**(*) للمهدي الفاسي.

مخطوط خ.ع. 1234 ك (101/100)

(*) ذكرتُ هذا التقريظ ــ وان كان صغيرا غير ذي أهمية ــ نظرا لكون الأستاذ بيرك أثبته في جدوله. ولو تتبعنا آثار اليوسي من هذا النوع لأتينا بالمآت.

44 ـــ **الدلالة الوافية، في الرسالة الاسفية.**
نصيحة وجهها اليوسي الى من في ثغر أسفي وما حوله من الاخوان والمحبين ختمها بقصيدة ضمنها ملخص الرسالة وامرهم بقراءتها، مطلعها
عليكم بتقوى الله في السر والجهر
وإخلاص ما تأتون من عمل البِر.

مخطوط خ. ع. 612 ج (ورقة 56 أ ـــ 57 ب).

45 ـــ **رسالة الى السلطان اسماعيل**
ينصحه ويعظه.

مخطوط خ. ع. 611 د (ص 1 ـــ 4). 1348 د (ص 13 ـــ 36) نقلها صاحب الاستقصا، 7 :82 ـــ 86.
(×) وتوجد منها نسختان مخطوطتان في خ. م. 7150 و 7154. وهذه الأخيرة جيدة مشكولة تامة في 7 صفحات بحروف بارزة. والأولى كذلك جيدة تامة في 4 ورقات.

46 ـــ **رسالة الى السلطان اسماعيل**
(أخرى مطولة) يرفض فيها الذهاب الى فاس.

مخطوط خ.ع. 849ج (ورقة 1 - 146)
(×) وتوجد منها نسختان مخطوطتان في خ. م. 75 و 2998. والأولى نسخة ملوكية جيدة واضحة مذهبة التجليد.
وأشير الى ان رسائل اليوسي كانت موضوع رسالة جامعية للأستاذة فاطمة خليل بكلية الآداب بفاس، وطبعت في جزءين بالدار البيضاء سنة 1981.

47 ـــ **رسالة الى الصوفيّين الحاج علي وأبي القاسم بن معمر.**

مخطوط خ.ع. 1138 ك (ص 32-39)

48 ـــ **رسالة إلى العربي وعبد السلام ابني الطيب القادريين.**

؟

49 ـــ **رسالة إلى المهدي الفاسي.**

؟

50 ـــ (×) **رسالة حول من لا يحسن النحو والصرف هل يجوز له ان يفسر القرآن.** مع حكم الرقص والغناء والتصفيق وضرب الغربال الخ.

مخطوط خ. ع. 612 ج.(ورقة 46 أ ـــ 48 ب) ومخطوط خ. م. 7704 ـــ ضمن مجموع ـــ.

| | |
|---|---|
| 51 — (×) **رسالة صغيرة في التصوف،** سماها الناسخ **مفتاح الوصول.** | مخطوط خ. ع. 612 ج (44 ب — 45 ب). |
| 52 — (×) **رسالة في النصائح.** بعث بها اليوسي الى من بمكناسة الزيتون وأعمالها. | مخطوط خ. ع. 612 ج (ورقة 57 ب — 64 أ). |
| 53 — (×) **رسالة في نصح المومنين.** | مخطوط خ. ع. 612 ج (ورقة ا ب — 15 أ) 1138 ك (ص 1 — 31). |
| 54 — **رسالة في واجبات المكلف** — رسالة صغرى —. | (×) مخطوط خ. ع. 612 ج (12 —27) |
| 55 — **رسالة في وصل الشعر.** | ؟ |
| 56 — (×) **رسالة لبعض الاخوان** تشتمل على نصائح دينية. | مخطوط خ. ع. 612 ج (ورقة 42 أ — 44 ب). |
| 57 — **ندب الملوك الى العدل** في آداب الملوك. | مخطوط خ. ع. 364 د (ضمن مجموع 113 — 116). |
| 58 — (×) **وصايا دينية.** | مخطوط خ. م. 2973. |
| 59 — (×) **وصايا واجوبة.** | ميكرو فيلم خ. م. 1523 في مجموع. |
| 60 — (×) **وصية اليوسي لأولاده واخوانه.** حبّس فيها كتبه على أبنائه وطلبة العلم. | مخطوطا خ. م. 1577 و 3555. |

## ب) أحمد المَقَّري

أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد **المَقَّرِي** القرشي التلمساني ثم الفاسي. العلامة الكبير، الأديب البارع المؤلف الشهير، صاحب كتاب **نفح الطيب**، **وأزهار الرياض** وغيرهما. كان أعجوبة الزمان في القدرة على الكتابة المسجعة المنمقة، وقرض الشعر المحلي بأنواع البديع. كما كان فقيها محدثا. أقام مدة في الزاوية الدلائية يدرس الحديث على محمد بن أبي بكر الدلائي، وكان هذا الشيخ يعجب بقوة حافظة المقري وسرعة ادراكه، ولكنه كان يفتقد فيه التثبت والتحري اللازمين في الرواية فيجرحه على طريقة المحدثين ويقول عنه «انه حافظ ضابط غير ثقة». ولعل ذلك من جناية الأدب على المقري، فالأدباء معروفون منذ القديم بالتساهل في الرواية، والتزيد في النوادر والملح. الأمر الذي يتنافى وطبيعة المحدثين ذوي التشدد في

قبول السند، والدقة في نقل متن الحديث. ويؤيد هذه النظرية ما ذكره أبو سالم العياشي في رحلته[91] من أن المقري كان إذا أفتى في نازلة فسئل عنها مرة أخرى امتنع من الجواب ثانيا، مخافة أن يكون في الثانية ما يخالف الأولى. وما أرى ذلك الا نتيجة لتصرفه الكبير وعدم تقيده بمقررات الفقهاء المدونة، حتى انه ليوشك أن يفتي في النازلة الواحدة بحكمين مختلفين. وبالرغم من هذا الحكم القاسي الذي أصدره في حقه الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي وسارت بذكره الركبان، فإن العلاقة ظلت طيبة بين الرجلين الى آخر حياتهما. بقي ابن أبي بكر يثني على المقري في الدلاء ويشيد بقدرته العلمية وأدبه الرفيع، والمقري بدوره يراسل أستاذه محمد بن أبي بكر الدلائي من الشرق ويبعث اليه بنسخ مما يؤلفه هناك من الكتب، ويطرفه بالنسخة الأصلية لقصيدة العمامة التي كتبها بجوار القبر النبوي الشريف بالمدينة، ويقول في مطلع رسالة وجهها اليه من مصر عام 1041هـ:

خَليلِي إن جئتَ الدلا وجرى ذكرى لدى حضرة الشيخ الرضى ابن آبي بكر
نتيجةِ سرِّ الأولياء محمدٍ معرّف كلياتِ فضل بلَا نكر
فأخبره أنّي لم أحُلْ عن وداده ولم يُوهِنِ البيْن الملمُّ قُوَى صبري

ثم يقول المقري في أثناء الرسالة «فأما الشوق الى سيدي ووليي فلا يستوفي وصفَه القلم واللسان، وحدِّث عن مسند أحمد بما شئت من طرق هي مع غرابتها حسان..»[92] وقد وجه الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي الى المقري في البلاد الشرقية أسئلة مختلفة من مهمات الأصول والفروع، وطلب منه أن يكتب على كل واحدة منها ما ظهر له من موافقه أو مخالفه ليختبر مدى تقدمه في العلوم الدينية «فقبّلها المقري ووضعها على رأسه، وعلم أن يومه بسببها خير من أمنه، ثم كتب عليها ما ظهر له بقدر الامكان، وأبرزها في صورة تأليف حسن الوضع

---

(91) نقلها عن رحلة العياشي محمد الإفراني، الصفوة، ص 74.

(92) انظر النص الكامل لهذه الرسالة في ملحق رقم 8.

سماه **إعمال الذهن والفكر، في المسائل المتنوعة الأجناس، الواردة من الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر، بركة الزمان وبقية الناس،** ووجهها الى شيخه بالزاوية البكرية فسر بها كثيرا»(93).

وكان خروج المقري من فاس بسبب اهامه بالميل الى قبيلة شراكَة في فسادها وبغيها أيام السلطان محمد الشيخ المامون السعدي، فارتحل إلى الشرق عام **1617/1027** وحج مرارا وجاور في المدينة المنورة مدة، ألف فيها كتبا عديدة وأملى الحديث بالحرمين الشريفين. ودخل الى مصر والشام ونال فيهما حظوة كبيرة، وألف كتابه العجيب **نفح الطيب،** لكنه مع ذلك لم يصفُ له العيش اذ لقي عنتا كبيرا من بعض العلماء الشرقيين الذين نافسوه وشوشوا عليه. وكان المقري قد ترك زوجه وبنته وكتبه بفاس، وظل قلبه معلقا بذلك، فأسرع اليه الهرم واشتعل رأسه شيبا. وفي **محاضرات** اليوسي «حدثني الرئيس الأجل أبو عبد الله محمد الحاج بن محمد أبي بكر الدلائي ــ رحمه الله ــ قال : لما نزلنا في طلعتنا الى الحجاز بمصر المحروسة خرج للقائنا الفقيه النبيه أبو العباس أحمد بن محمد المقري، قال وكنت أعرفه عند والدي لم يشب، فوجدته قد شاب. فقلت له شبت يا سيدي ! فاستضحك ثم قال

شيَّبَتْني غُرَنْدَرٌ وفِجَارُ وبِحَارٌ فيها اللبيبُ يَحَارُ

توفي أحمد المقري في مصر عام **1632/1041** (95).

---

(93) سليمان الحوات، **البدور الضاوية،** انظر فيه هذا التويلف بتمامه من ورقة 64 الى ورقة 71.

(94) الحسن اليوسي، **المحاضرات،** ص58. والغرندر مشكولة في إحدى النسخ الخطية بضم الغين وفتح الراء والدال وسكون النون.والفجار (بكسر الفاء) الطرق الواسعة بين جبلين.

(95) ترجم للمقري، محمد الافراني في **الصفوة** ص 72 وما بعدها. ومحمد القادري في **نشر المثاني،** 1 157 ــ160. والمحبي في **خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر.** ج 1 ص 302 وما بعدما. وقد ألف الحبيب الجنحاني التونسي **كتابا في ترجمة المقري.**
أنظر أيضا كتابنا **الحركة الفكرية** ، 2 : 367، الهامش 63.

# مؤلفات أحمد المقري

| اسم الكتاب | المكتبات التي يوجد بها |
|---|---|
| **في التوحيد والفقه وعلوم القرآن** | |
| 1 ـــ **إتحاف المغرم المغرى، في شرح الصغرى**، للسنوسي. | مخطوط خ م. 3544 و 5928. |
| 2 ـــ **إضاءة الدجنّة، بعقائد أهل السنة.** أرجوزة أقرأها في الحرمين الشريفين وسائر بلاد المشرق التي زارها، وانتسخ منها في حياة المؤلف نحو ألفي نسخة(*). | طبعت في مصر بمطبعة محمد أفندي ميصفى عام 1304 بهامش شرح الشيخ عليش للعقيدة السنوسية. وتوجد منها نسخ خطية جيدة في خ. ع، رقم 2742 ك و 1227 د ضمن مجموع (ص 454 ـــ 943)؛ وفي خ. م. رقم 614 و 7193. وهذه الأخيرة مشكولة. |
| 3 ـــ **إعمال الذهن والفكر، في المسائل المتنوعة الأجناس، الواردة من الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر. بركة الزمان وبقية الناس.** | أدمجها كاملة سليمان الحوات في كتابه **البدور الضاوية**، ورقة 64 أ ـــ 71 ب. |
| 4 ـــ **حاشية على شرح أم البراهين**، للسنوسي. | ذكرها المحبي في **خلاصة الأثر**، 1 303. |
| 5 ـــ **قطف المهتصر، في شرح المختصر** حاشية على **مختصر خليل**. | المصدر السابق في نفس الجزء والصفحة. |
| 6 ـــ **مقصورة في سور القرآن.** | ذكرها العباس بن ابراهيم في **الأعلام** 2 113 في جملة ما أخذه أحمد البوسعيدي عن المقري بفاس. |

(*) لما زار محمد الحاج الدلائي مصر عام 1630/1040 أعطاه المقري نسخة من هذه القصيدة بخطه، فكانت النسخة الأصلية في المغرب، وعنها أخذ الناس جميعا (انظر **الدر الثمين** لمحمد ميارة ج 1، ص 82).

7 ــ **أزهار الرياض، في أخبار عياض.**

طبعت منه ثلاثة أجزاء بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام 1939/1358 ضمن مطبوعات المعهد الخليفي للأبحاث المغربية بتطوان. ثم أعادت وزارة الأوقاف المغربية طبعه في المحمدية سنة 1980 في 5 أجزاء بتحقيق الأساتذة أعراب وابن تاويت والهراس وفي خ. م. 5 مخطوطات لأزهار الرياض، احداها تامة في سفرين.

8 ــ **أزهار الكمامة، في شرف العمامة.**
رجز في العمامة النبوية نظمه بالمدينة في 320 بيت، وارسل نسخة منه كتبها هناك الى الشيخ مَحمد بن أبي بكر الدلائي..

مخطوط خ. ع. 984 د ضمن مجموع (ورقة 99 ب 106 أ).
كانت هذه الارجوزة موضوع دراسة جامعية وترجمت الى اللغة الفرنسية.

9 ــ **الجمان، في مختصر أخبار الزمان.**

مخطوط خزانة حسن حسني عبد الوهاب المنقولة الى المكتبة الوطنية بتونس رقم 507. في 104 ورقة. وثمة مخطوط آخر للجمان رقم 568.

10 ــ **الدر الثمين، في أسماء الهادي الأمين.**

ذكره المحبي في **خلاصة الأثر**، 1 303.

11 ــ **ديوان صغير في الأمداح النبوية.**
يبدو أن المقري نفسه هو الذي جمعه، لأنه يذكر فيه أحيانا تاريخ ومكان نظم القصيدة.

مخطوط خ. م. 6735 ــ ضمن مجموع ــ

12 ــ **رجز في النعال الشريفة.**
جعله المقري خاتمة لكتابه **فتح المتعال**، ثم أفرده في نسخة بعث بها الى الشيخ محمد بن ابي بكر الدلائي، فانتشرت في المغرب.

مخطوط خ. ع. 565 ج. ــ في الأخير ــ

13 ــ **روضة الآس، العاطرة الأنفاس، في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس.**

لا تعرف منه لحد الآن إلا نسخة واحدة مبتورة من الأول في خ. م. تبتدىء أثناء ترجمة أحمد النصور الذهبي، وعنها طبعت في المطبعة الملكية بالرباط سنة 1964/1383. ثم أعيد طبعها بالاوفسيط بنفس المطبعة.

14 ــ **شرح مقدمة ابن خلدون.**

ذكره صاحب **كشف الظنون،** 2 106.

15 ــ **عرف النشق، من أخبار دمشق.**

ذكره المحبي في **خلاصة الأثر،** 1 :303.

16 ــ **فتح المتعال، في مدح النعال.**

جمع فيه ما ورد في النعال الشريفة من الأحاديث النبوية والأشعار، وتوسع في الشرح والاستطرادات الأدبية.

توجد منه عدة مخطوطات في خ. ع. أحسنها رقم 565 ج. ومخطوط خ. م. 4915 بخط شرقي جميل ملون الا ان به رطوبة كثيرة. ومخطوط خزانة حسن حسني عبد الوهاب المنقولة الى المكتبة الوطنية بتونس رقم 712. وهي مؤرخة سنة 1110.

والكتاب مطبوع بالهند.

17 ــ **كنوز الأسرار في الأنساب.**

ذكره القادري في المقصد الثاني بخاتمة **نشر المثاني** (4 270) ونقل عنه.

18 ــ **نفح الطيب، من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب.**

طبع مرارا وآخر طبعة وأحسنها صدرت في بيروت سنة 1968 بتحقيق إحسان عباس في 8 مجلدات. آخرها خاص بالفهارس. ويوجد طرف من مسودة نفح الطيب بخط المؤلف في خ. م.

## موضوعات مختلفة

19 ــ **البدأة والنشأة.**

كتاب مملوء أدبا وشعرا.

ذكره المحبي في **خلاصة الأثر،** 1 303.

ولعله هو المخطوط رقم 427 بخزانة حسن حسني عبد الوهاب المنقولة إلى المكتبة الوطنية بتونس، اذ جاء عنه في الفهرس «مجموع أدبي يحتوي على قصائد ومقاطع كثيرة من نظم مشاهير الأدباء المتقدمين بين مشارقة ومغاربة وافريقيين وأندلسيين خاصة. الراجح أن جامعه أحمد بن محمد المقري التلمساني».

20 ــ **الغث والسمين، والرث والثمين.**

ذكره المحبي في **خلاصة الأثر،** 1 303.

| 21 ـ **نيل المرام المغتبط، لطالب المخمس الخالي الوسط.** وهو رجز في علم الوفق وسرّ الأسماء مطلعه<br>أحمد مَن وفقنا وأفهمـــا<br>ما لم نكن نعلمه وألهما | مخطوط خ. ع. 2878 ك. |
|---|---|

## ج) العربي الفاسي

أبو حامد محمد العربي بن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي، المؤرخ الأديب، العلامة المشارك، مؤلف كتاب **مرآة المحاسن**، يمتاز بالجرأة النادرة في الحق، والدعوة الى الدفاع عن حوزة الوطن. وهو الذي أفتى بوجوب الجهاد لطرد المحتلين الأجانب من الثغور ولو مع عدم وجود الإمام، تأييدا للمجاهد العياشي السلوي. ومما ورد في هذه الفتوى الطويلة قوله «ولا يتوهم متوهم أن ترك مدائن المسلمين في أيدي الكفرة يدل على عدم الوجوب، لأن ذلك من تقصير الملوك، وهم بذلك في محل العصيان، لا في محل الاقتداء بهم والاستنان، ولا فرق في الحكم بين ما أدركنا زمن أخذه كالعرائش والمعمورة، وان كانت غير معمورة، وبين ما لم ندركه كسبتة وطنجة(97)، لأن الوجوب متعلق بالمسلمين لا بقيد زمان ولا مكان.»(98).

وكانت حادثة تسليم العرائش للاسبانيين على يد محمد الشيخ المامون السعدي طمعا منه في نصرة طاغية النصارى ومساعدته له على استخلاص الملك من يد أخيه زيدان، وما ترتب عن ذلك من استفتاء المامون علماء فاس لتبرير فعلته الشنيعة مدعيا اضطراره لافتداء أولاده وحشمه المرهونين في بلاد العدو بهذا الثغر الاسلامي، كانت هذه الحادثة سبباً في خروج أبي حامد الفاسي وأخيه الحافظ أحمد من فاس فراراً بدينهما، وامتناعاً من ممالأة ذلك الأمير الضال على

---

(97) كان استيلا الاسبانيين على سبتة عام 1416/819م، وعلى طنجة عام 1437/841 وعلى المعمورة عام 1515/911، وعلى العرائش عام 1610/1019.

(98) عبد العزيز الزياتي، **الجواهر المختارة، مما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة**، 2: 121/ب.

فساده وبغيه، وقصدا قبيلة مصمودة بناحية وزان، حيث توفي الامام أحمد الفاسي هناك بعد نحو سنة من خروجهما[99]، وبقي أبو حامد متنقلا في البوادي، وكان أكثر إقامته في هذه الفترة بالزاوية الدلائية، حيث أخذ عن الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي، وسمع منه **صحيح البخاري**، وتصدر للتدريس فتتلمذ له أكثر علماء الدلاء، وأجاز منهم الشرقي بن أبي بكر الدلائي، وأخاه أحمد الحارثي وغيرهما. وقد ذكر العربي الفاسي في آخر كتابه **مرآة المحاسن** محمد بن أبي بكر الدلائي في جملة شيوخه وخصص له ترجمة حافلة قائلا عنه «عالم حافظ دراك، خاتمة مشائخ المغرب، انتهت اليه رياسة الدين والدنيا، واستقل بسياسة الأمور الجليلة والرتب العليا»[100].

وكانت تطوان خاتمة مطاف أبي حامد، وبها توفي عام 1642/1052 [101].

## د) علماء آخرون تخرجوا من الزاوية الدلائية

### محمد العكاري

الأخوان العكاريان محمد وعلي درسا بالزاوية الدلائية وتخرجا فيها على يد الامام أبي علي اليوسي وغيره، ثم قصدا مدينة فاس واشتغلا فيها بالتدريس مدة. وأخيرا رجع محمد العكاري الى مسقط رأسه بمراكش وأقام بها الى أن توفي، بينما قصد أخوه العدوتين واستقر بهما الى أن وافاه الأجل بمدينة الرباط. هذا ما اتفق عليه كل من تعرض لخبر هذين الشيخين، خصوصا أبا الحسن العكاري الحفيد

---

(90) كان خروج الأخوين أحمد وأبي حامد من فاس صبيحة يوم السبت السابع عشر من صفر عام 1611/1020 كما ذكره في **مرآة المحاسن**، ص 55. وتوفي الحافظ أحمد الفاسي عام 1612/1021.

(100) العربي الفاسي، **مرآة المحاسن**، ص 225 وما بعدها.

(101) ارجع في ترجمة العربي الفاسي الى : **نشر المثاني**، 2 10 ـــ 20. السلطان سليمان العلو، **عناية اولى المجد**، ص 29 – 32، محمد بن جعفر الكتاني، **السلوة** 2 313 – 315. وإلى كتابنا **الحركة الفكرية**، 2 420، والهامش 12.

في كتابه **البدور الضاوية في ذكر الشيخ وأصحابه وبناء الزاوية** الذي ترجم فيه لجده علي العكاري صاحب الضريح المشهور في الرباط. لكن المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان صاحب **اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس** جعل الرباطي من الأخوين العكاريين هو محمد[102] ونسب اليه كثيرا مما ذكره الناس لأخيه علي، معبراً عن مؤلف البدور الضاوية المذكور بأنه حفيده، ناقلاً عنه بالنص فقرة طويلة لم أجدها في النسختين المحفوظتين بقسم الوثائق من الخزانة العامة بالرباط (رقم 88 د و 2392ك) وان كانت بعض الأخبار التي يتحدث عنها النص المنقول موجودة في النسختين المذكورتين بعبارة أخرى. لذلك نتساءل هل هناك كتابان في مناقب شيخ الرباط العكاري ؟ أم أن الأمريتعلق بنسخ مختلفة لكتاب واحد؟ ويرجح الاحتمال الثاني لما ذكره المؤرخ الرباطي محمد بوجندار في كتاب **الاغتباط** من أن النسخ الموجودة من **البدور الضاوية** كلها مبتورة من الأوائل والأواخر والأثناء، وأنها وقعت أولاً في يد الفقيه الحاج محمد بن الغازي الرباطي فلفق ما عثر عليه منها وأنشأ لها خطبة وخرجها بعد التنبيه على ما بها من البتر[103] ولعل الخزانة الزيدانية تحتوى على نسخة سالمة من ذلك البتر كله أو بعضه. غير ان تسمية شيخ الرباط محمداً العكاري سبقُ قلم لا يحتمل الشك ولا يقبل الجدل، اذ المتواتر عند الناس خلافه، والقصائد الكثيرة التي قيلت في رثاء شيخ الرباط تكنيه أبا الحسن أو تسميه عليا

فغدا مع الشيخ الشريف　　أبي حسن عليٍّ أوحدِ العصر

وفي مرثية الأديب أحمد بن محمد عمور الفاسي

ذخري أبو الحسن الشريف أخو　　الإفضال والإكرام ذو العزم

والخلط واقع كذلك لا محالة عند المؤرخ ابن زيدان في قوله أن أبا الحسن العكاري مؤلف **البدور الضاوية** هو حفيد الشيخ محمد العكاري، مع أن ترجمة

---

(102) عبد الرحمن بن زيدان، **الاتحاف**، ج 1، ص 340.
(103) محمد بوجندار، **الاغتباط**، ورقة 239/أ.

العكاري الحفيد معروفة بخلاف ذلك، بل نجده هو نفسه يترجم في كتابه **البدور الضاوية** لوالده محمد ولجده علي، ويذكر محمداً العكاري دفين مراكش على أنه أخو جده. وقد عدَّ ابن زيدان من تلاميذ العكاري الرباطي القاضي عبد الله بناني، وأحمد عاشور، مع أن الأول اتصلت حياته الى حدود عام 1220/5 ــ 1806 والثاني الى حوالي عام 1250/34 ــ 1835. والثابت في كتب التراجم أن الشيخ عبد السلام بناني جد القاضي عبد الله بناني هذا هو الذي أخذ عن الشيخ علي العكاري بالرباط.

والعكاري المراكشي هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الشريف الحسني. كان أديبا خطيبا مصقعا، استقر بالزاوية الدلائية طالبا للعلم مدة طويلة، ساكنا مع رفيقه محمد بن عبد الرحمن الصومعي في بيت واحد من بيوت مدارسها. ولما لحق به أخوه علي من مراكش ليدرس كذلك بالزاوية أقام معهما في نفس البيت. وقد حضر محمد العكاري مجالس الدلائيين في مختلف الفنون، ولازم دروس الشيخ الحسن اليوسي آخذا عنه النحو والبيان والمنطق والفقه والأصول والتوحيد إلى أن نال منه إجازة عامة. ولما حصل على ملكة علمية أخذ يدرس بالزاوية الدلائية للمبتدئين من الطلاب، وكان من جملة الآخذين عنه فيها رفيقه محمد بن عبد الرحمن الصومعي.

وبعد تخريب الزاوية الدلائية توجه محمد العكاري إلى فاس، وأقام بها مدة يطلب العلم، وأجازه الشيخ عبد القادر الفاسي إجازة عامة قبل أن يرجع إلى مسقط رأسه مراكش. لكنه لم يستقر به المقام طويلا حتى ورد عليه كتاب السلطان إسماعيل يأمره بالقدوم إلى مكناس ليكون إمامه في الصلوات، وخطيب الجمعة والأعياد في المسجد الكائن داخل القصبة السلطانية؛ فاستقر محمد العكاري بالعاصمة الاسماعيلية مدة اشتغل فيها علاوة على الإمامة والخطبة بالتدريس وافادة الطلاب، وتخرج على يده عدد كبير منهم. وقد ابتُلي هذا العالم في أواخر حياته بالمرض المعروف (بالضيقة) فطلب من السلطان أن يأذن له في الرجوع الى مراكش «فأعفاه وتركه بعد أن كتب له عهدا كبيرا بليغا باحترام

جميع من هو في جواره، وتوقيرهم ومحاشاتهم»[104] وألح المرض على الشيخ العكاري في مراكش الى أن توفي، ودفن بتربة جده الإمام الشيخ التركي، إذ هي مقبرة آل العكاري بمراكش. ولم يذكر له حفيد أخيه ولا غيره ممن ترجم له تاريخ وفاة. ولعله هو الذي توفي عام 81/1092 ــ 1682 لا أخوه شيخ الرباط على ما ذكره ابن زيدون في **الاتحاف** نقلا عن كناشة الوزير اليحمدي[105].

## علي العكاري

وأما العكاري الرباطي فهو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحسني، العلامة المشارك المدرس النفاع، ورد الزاوية البكرية طالبا للعلم بعد أن صحب الشيخ محمد بن عبد الله السوسي وأخذ عنه طريقة التصوف في مراكش «فكان مع أخيه في البيت فاذا هو بحالة أخرى من التحري ومجاهدة النفس والوقوف على الحدود، فكان لا يُغتاب أحد بين يديه، ومع ذلك فهو يشاركنا في أخذ العلوم الآلية عن الشيخ ابن مسعود مثل البيان والمنطق وأصول الفقه وغيرها كالفقه وأصول الدين[106]»وكان ذكيا حسن الأدراك لا يحفظ القرآن الكريم ولا المتون، خلافا لما كان شائعا في ذلك الوقت من تغلب الحفظ على الفهم، فكان رفاقه الطلبة يتعجبون من حسنِ تحصيله بالرغم عن عدم إمعانه النظر في الشروح والحواشي، خصوصا وقد كان يدرس معهم كتبا صعبة مثل **جمع الجوامع** في الأصول بشرح جلال الدين المحلي، فيطالعه مرة واحدة قبل حضور المجلس ويكفيه ذلك لتفهم الموضوع والاحاطة به. وقد أجازه مع أخيه محمد المتقدم الامام الحسن

---

(104) علي العكاري الحفيد، **البدور الضاوية**، ص 108.

(105) اليحمدي هو العلامة محمد بن أحمد وزير السلطان اسماعيل وأمين مكتبته. له كناشة علمية هامة في 10 مجلدات بالخزانة الزيدانية بمكناس، وفي الخزانة العامة بالرباط نسخة في مجلدين ضخمين بخط دقيق تحت عدد 5330.
انظر ترجمة محمد العكاري عند علي العكاري، **البدور الضاوية**، في صفحات متفرقة. وعباس بن ابراهيم، **الاعلام**، ج 4 ص 363. وأحمد الولالي، **مباحث الأنوار**، في صفحات متفرقة.

(106) أحمد بن يعقوب الولالي، **مباحث الانوار**، ورقة 7/أ.

اليوسي إجازة عامة، ذكر فيها أنهما لازما دروسه في مختلف الفنون. كما أجازهما الشيخ عبد القادر الفاسي[107]. وبعد تخريب الزاوية الدلائية قصد علي العكاري مدينة فاس واشتغل بالتدريس فيها. ويحدثنا القاضي أبو عثمان سعيد العميري المكناسي [108] عن هذه الفترة من حياة علي العكاري بقوله «لما دخل الشيخ العكاري حضرة فاس حين قفل من الزاوية الدلائية، والعلماء اذ ذاك متوافرون بها غاية، وكنت حينئذ بالحضرة المذكورة بصدد تحصيل العلم، شرع يدرس **كبرى الامام السنوسي**[109] بجامع القرويين منها. فسمع بذلك فقهاء الحضرة، وكان هذا الكتاب من أجل ما يتنافس فيه المتنافسون، فاجتمعت جماعة من الفقهاء، وجئنا قاصدين مجلسه لننظر قراءته ونختبر حاله، بقصد الانتقاد عليه والامتحان له، فحضرنا مجلسه بهذه النية، فألفيناه جالسا وقد غص عليه المجلس بالطلبة، وضربوا عليه حلقة عظيمة حفيلة، وهو يدرس بصوت فصيح جهير، وشاشيته مائلة لأحد شقي رأسه اشارة إلى تمهره، وعدم اكتراثه بمنتقد عليه، لمعرفته لأحكام الفن المذكور، وكأنه تحدى بذلك الكتاب اذ ذاك..»[110].

وبعد ذلك توجه علي العكاري إلى مدينة سلا، وأقام فيها يدرس العلم بمسجدها الأعظم، وأخذ عنه كثير من أعلامها، كالقاضي أبي عبد الله محمد المنصوري السوسي[111] والقاضي أبي عبد الله محمد زنيبر[112] والفقيه أبي محمد عبد

(107) أنظر نص إجازة الامامين الحسن اليوسي وعبد القادر الفاسي للاخوين العكاريين عند: علي العكاري، **البدور الضاوية**. ص 2 — 5.

(108) سعيد بن أبي القاسم العميري — بفتح العين وكسر الميم نسبة الى بني عمير قرب تادلا المشهورين — كان آية في النحو والبيان، واختاره السلطان اسماعيل للتدريس بحضرته وولاه قضاء عاصمته، وجعل له الشورى في مهماته، فكان له بذلك نفوذ كبير في البلاط الاسماعيلي بمكناس، حتى كان يعبر عنه بعض معاصريه بالوزير. أخذ العميري عن الشيخ علي العكاري والحسن اليوسي وطبقتهما، وتوفي بمكناس عام 1718/1131.

(109) الامام السنوسي هو محمد بن يوسف عالم تلمسان وامامها الكبير، صاحب **العقائد الكبرى و الوسطى و صغرى الصغرى**، وصاحب الحواشي على **صحيح مسلم**. توفي بتلمسان عام 89/895 — 1490.

(110) علي العكاري الحفيد، **البدور الضاوية**، ص 7.

(111) محمد المنصوري السوسي قاضي سلا والمحلة البخارية. له شرح على **مختصر السنوسي** في المنطق، وشرح على **كبراه**، وحواش على **العقيدة الكبرى** للسنوسي أيضا. توفي عام 1729/1142 ودفن بزاوية سيدي مغيث في حي الطالعة بسلا.

(112) أبو عبد الله محمد زنيبر المحدث الأديب قاضي سلا. صاحب **شرح همزية البوصيري** وقعت له محنة مع عامل سلا عبد الحق فنيش فهاجر الى الرباط. كان حيا عام 1752/1165 وقبره في سلا معروف بالقرب من ضريح الشيخ أحمد بن عاشر. أنظر ترجمته عند : محمد بن علي الدكلي، **الاتحاف الوجيز**، ص 105.

الله الجزار بن أحمد حجي[113]. والعلامة أحمد بن عاشر الحافي[114] والأديب محمد ملّاح[115]. وكان الأمير عبد الواحد بن السلطان اسماعيل[116] ساكنا بالرباط، فلما سمع بالشيخ علي العكاري قصده بسلا للأخذ عنه، ثم طلب منه أن ينتقل الى العدوة الأخرى، فلبى الشيخ طلبه، ونزل معه بداره في رباط الفتح، وبدأ يلقي دروسه في ضريح أبي العباس أحمد بن موسى العايدي[117] تارة وفي المسجد الأعظم تارة أخرى، وكان يحضر هذه المجالس العلمية علماء العدوتين، كابنه محمد العكاري[118] وأبي العباس أحمد والزّهراء[119] وعامل الرباط أحمد حجي مرينو الأندلسي[120] وأخيه القاضي محمد مُرينو[121] وأبي عبد الله محمد الزبدي[122]

(113) عبد الله الجزار حجي اشتهر بالعلم والنسك، وكان من أخص تلاميذ الشيخ علي العكاري وأحبهم اليه، لازمه حتى بعد انتقاله الى السكنى بالعدوة الأخرى فكان يحضر معه صلاة الجمعة في الرباط ولا تفوته مجالسه العلمية فيه. توفي عام 1710/1122.

(114) أبو العباس أحمد بن محمد بن عاشر بن عبد الرحمن الحافي السلاوي صاحب **الفهرست** التي ذكر فيها علماء عصره، ومؤلف **تحفة الزائر في ترجمة فخر سلا ابن عاشر** الذي عرف فيه بالشيخ أحمد بن عاشر الجزيري السلاوي. وتوفي أحمد الحافي بسلا عام 1165/49 ـــ 1750.

(115) أبو عبد الله محمد ملاح السلاوي. قال عنه أبو الحسن العكاري الحفيد مؤلف **البدور الضاوية** انه كان يعبر النهر كل يوم ليحضر مجالس الشيخ علي العكاري بالرباط، وقد وقف له على قصائد رائقة بليغة. وكتب بعضهم في الهامش انه عاش الى حدود عام 1175/61 ـــ 1762.

(116) الامير عبد الواحد بن السلطان اسماعيل العلوي، أمه عربية من قبيلة بني مالك الشهيرة بضواحي سوق أربعاء الغرب. وهي قبيلة المجاهد محمد العياشي السلاوي ولعل لذلك علاقة باقامة الأمير بالعدوتين ولم أقف على تاريخ وفاته. انظر **الدرر البهية** للفضيلي 1 511.

(117) يوجد هذا الضريح بحي السويقة بالرباط قرب مسجد مولاي سليمان بينهما طريق ممتدة بين (البويبة) وسيدي فاتح.

(118) محمد بن علي العكاري العلامة المشارك لم يقرأ الا على والده، وكتب من املاء والده تعاليق مهمة على **مختصر الشيخ خليل**، و **ألفية ابن مالك**، و **كبرى السنوسي**، و **سلم الاخضري** وغير ذلك، وتصدر بعد والده للتدريس والافتاء بالرباط. لم أقف على تاريخ وفاته.

(119) أبو العباس أحمد بن يحيى والزهراء، عالم مشارك أجازه الشيخ العكاري إجازة عامة، وكان جده من وجهاء الاندلسيين أهل الحل والعقد بالرباط أواخر الدولة السعدية. توفي بعد عام 1698/1110 في سفره الى الحج بعد أداء الفريضة.

(120) أبو العباس أحمد حجي الأندلسي الأديب الشاعر الوشاح، كان يسرد **صحيح البخاري** على الشيخ العكاري بالمسجد الأعظم بالرباط، مات بعد عام 1722/1135.

(121) محمد مرينو قاضي الرباط أخذ عن الامام المسناوي الدلائي في فاس ثم عن الشيخ العكاري بالرباط. وقد خلف أخاه أحمد في سرد **صحيح البخاري** بين يدي الشيخ العكاري. توفي بعد عام 1730/1143.

(122) محمد بن الحاج ابراهيم الزبدي الأندلسي أحد فقهاء الرباط المتخرجين على يد الشيخ العكاري ومن أكبر خواصه. ترجم له محمد بوجندار في **الاغتباط** ورقة 57 ولم يذكر تاريخ وفاته.

والحافظ أحمد بن عبد الله الغربي[123]. وقد لقي الشيخ العكاري السلطان إسماعيل وتحادث معه طويلا. وتختلف الروايات في مكان هذا اللقاء وكيفيته. فيروي أبو الحسن العكاري الحفيد — على ما ورد في نسخة الخزانة العامة بالرباط — عن الفقيه أبي يعزى بن محمد المسطاسي السلاوي تلميذ الشيخ علي أن الملاقاة كانت بمدينة مكناس وزاد قائلا «وأنا حاضر واقف خلف الشيخ اذ ذاك، فحين تلاقى بالملك خضع له الملك وأهوى ليد الشيخ يريد تقبيلها، فقال له الشيخ لا تفعل وقل السلام عليكم. فطلب منه الدعاء بأن قال له يا سيدي علي ادعُ الله لي. الله يجعلني عبدا مخلصا لله. فقال له عند ذلك : اللهم آمين. الله يجعلك يا مولاي عبداً مخلصا لله. وفرح الملك بذلك فرحا شديدا، وعظمه غاية التعظيم وقال له أردناك أن تكون إمامنا في هذا المسجد، وكان إذ ذاك يبني مسجد الأنوار[124] بمكناسة دار مملكته. فقال له الشيخ رضي الله عنه حتى يتم المسجد بالبناء إن شاء الله ولا يكون إلا ما يحب السلطان..»[125].

ويذكر ابن زيدان في كتاب **الاتحاف** أن اللقاء بين السلطان اسماعيل والشيخ العكاري كان في المسجد الأعظم بالرباط، وذلك — على ما يظهر — من جملة النص الذي نقله عن **البدور الضاوية**، قال «.. ثم ورد السلطان الأعظم مولانا إسماعيل على رباط الفتح. ولما التقى به نجله المولى عبد الواحد المذكور حدثه بحال الشيخ المترجم ومناقبه وفضائله ومحاسنه. فقال له لا بد لي أن ألتقي معه في هذا اليوم وآخذ عنه الطريقة الشاذلية تبركا. فركب السلطان وولده، فوجدوا المترجم بالجامع الأعظم يسرد **صحيح الامام البخاري**، وكان السارد لديه الفقيه العلامة القاضي سيدي عبد الله بناني الأندلسي[126]. ولما دخل السلطان صلى تحية

(123) الحافظ أحمد بن عبد الله الغربي العلامة الرحالة الذائع الصيت بالمغرب والمشرق توفي عام 1764/1178 ودفن بالزاوية المنسوبة اليه قرب ضريح مولاي ابراهيم بمدينة الرباط.

(124) مسجد الأنوار بمكناس هو المعروف اليوم بمسجد سوق السباط. أنظر أخباره في **الاتحاف** 1 162.

(125) علي العكاري الحفيد، **البدور الضاوية**، ص 44.

(126) لا يوجد اسم عبد الله بناني من بين تلاميذ الشيخ علي العكاري في نسخة **البدور الضاوية** المحفوظة بخزانة الرباط. ولم يترجم بوجندار في **الاغتباط** الا للقاضي عبد الله بن محمد بن عبد السلام بناني المتوفي في حدود العشرين من القرن الثالث عشر الهجري وقال إن جده قدم من فاس الى الرباط لنشر العلم بأمر من السلطان اسماعيل.

المسجد وجلس لاستماع الحديث والشيخ لم ينظر اليه. ولما تم الدرس نظر الشيخ الى القاضي وقال له اختم الفاتحة فقال له حاشا معاذ الله والسلطان ينظر بعينه. ولما قام من مجلسه جذبه السلطان وعانقه وجلس بإزائه وقال له عظني يا ولي الله. وتذاكروا ساعة زمانية وافترقوا»[127].

ويذكر ابن زيدان بعد ذلك أن الشيخ العكاري لما رجع الى داره بعد هذه المقابلة وحد بها مالا كثيرا أهداه اليه السلطان إسماعيل، فبعث الى تلميذه أبي عبد الله الزبدي وقال له خذ هذا المال وافعل به ما شئت. فاشترى الزبدي للشيخ دارا كبرى بدرب البروزى من حومة السويقة[128] مجاورة للدار الصغرى التي كان يسكنها ودفن فيها بعد مماته. ولم ينفصل السلطان عن الرباط ويتوجه الى سجلماسة ــ حسب رواية ابن زيدان ــ إلا بعد أن صحب معه الشيخ العكاري وعشرة من تلاميذه من فقهاء العدوتين وذلك ليؤم به في الصلوات الخمس ويختم معه صحيح البخاري، ويتبرك به أنجال السلطان في تافيلالت.

ولما استرجع السلطان إسماعيل مدينة المهدية من يد الاسبان عام 1681/1092 وكان قد شارك في هذا الفتح كثير من المجاهدين السلاويين، منهم الشيخ أحمد حجي رفيق الشيخ علي العكاري وصديقه الحميم، طلب السلاويون من السلطان إسماعيل أن يأذن برجوع الشيخ علي العكاري الى مدينتهم فوافقهم على ذلك وعاد العكاري من جديد إلى سلا، وسار فيها سيرته الأولى من تدريس العلم بمسجدها الأعظم وأقبل عليه طلبتها وعلماؤها إقبالاً كبيراً. ولا ندري المدة التي قضاها الشيخ علي العكاري في هذه الاقامة الثانية بسلا، ولعلها لم تطل اذ كانت للشيخ تعلقات كثيرة بالعدوة الأخرى، لاسيما وهو يمتلك هناك دارين صغرى

---

(127) عبد الرحمن بن زيدان، **اتحاف أعلام الناس**، ج 4، ص 96.

(128) ما يزال حفدة الشيخ علي العكاري يسكنون هذه الدار بزنقة سيدي عبو بحي السويقة في الرباط، وهي تتصل بضريح الشيخ العكاري بواسطة ممر صغير (خراجة) موجود حتى اليوم.

وكبرى كما رأينا. فرجع الى الرباط وقضى بها آخر أيامه في حالة مرضية من النسك والعبادة، ونشر العلم وتعميم الإفادة، إلى أن توفي عام **1706/1118** [129].

## محمد بن عبد الرحمن الصومعي

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الزمراني التادلي الصومعي، نسبة الى قرية الصومعة الشهيرة بتادلا[130]) العلامة المشارك. الورع الصالح، صاحب شرح **سينية ابن بادس**[131] وشرح **همزية البوصيري**[132]. مكث مدة طويلة في الزاوية الدلائية مقيما في غرفة من غرف مدارسها مع الأخوين العكاريين المتقدمين. وكان يلازم مجالس الشيخ أبي علي اليوسي وغيره، ثم انقطع مدة عن دروسه للالتحاق

(129) جعل ابن زيدان وفاة الشيخ العكاري الرباطي عام **81/1092 — 1682** نقلا عن **كناشة الوزير اليحمدي**. وهذا من ذيول الخلط بين الأخوين العكاريين وربما كان المتوفى في هذه التاريخ هو محمد العكاري دفين مراكش، اذ هو أكبر من علي سنا، فيناسب عادة أن تتقدم وفاته عليه، كما أنه هو الذي يستأثر باهتمام الوزير اليحمدي أكثر ما دام قد عاش واياه في بلاط السلطان اسماعيل إماما وخطيبا كما تقدم في ترجمته.
أنظر كذلك في ترجمة علي العكاري، زيادة على المراجع المذكورة في الهوامش السابقة
1 — **حرز الأمانة في سبب تسمية دار الضمانة** لمحمد بن أحمد بن الغازي **1313** في مجلدين (بخزانة محمد ابراهيم الكتاني بالرباط).
2 — **رسالة** في مناقب وسيرة الشيخ علي العكاري، لأبي يعزى المسطاسي تلميذه.
3 — **فهرس** أحمد بن عاشر الحافي السلوي — مخطوط.
4 — **مجالس الانبساط** ، لمحمد دنية (طبعة الرباط **1986**) ص **86 — 90**.
5 — **مطلع الدراري، في اخبار سيدي علي العكاري**، لمؤلف مجهول الاسم.

(130) ما تزال قرية الصومعة قائمة حتى اليوم متصلة بمدينة بني ملال. وقد أنجبت كثيرا من العلماء مثل عبد الرحمن بن اسماعيل الصومعي صاحب **التشوف في رجال السادات أهل التصوف** المعروف بالتشوف الصغير. وأحمد بن أبي القاسم الصومعي شيخ زاوية الصومعة أيام ازدهار الزاوية الدلائية، وهو الذي أجاز المقري صاحب **نفح الطيب** وأخرج له ستين مجلدا كلها من تصنيفه، وكانت له خزانة علمية تحتوي على **1080** مجلدا. توفي عام **1604/1013**.

(131) أبو الحسن بن أبي القاسم بن حسن بن باديس القسنطيني، صاحب **النفحات القدسية** وهي قصيدة سينية مطلعها

ألا صِلْ إلى بغدادَ فهْيَ هَنا النفسِ　　وحدِّثْ بها عمن ثوَى باطنَ الرمسِ

ذكر فيها الشيخ عبد القادر الجيلاني وأشهر تلاميذه وجعل لها شرحا سماه **اللمحات الانسية**. وقال محمد القادري في **نشر المثاني** (2 :108) إنه وقف على شرح الصومعي لهذه السينية وهو شرح عجيب جمع فيه بين الاختصار والتحقيق، وتوفي ابن باديس عام **1385/787** م.

(132) شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري المصري المتوفى عام **696هـ/1296**، له قصيدتان شهيرتان في مدح الرسول الكريم احداهما ميمية وتعرف **بالبردة** والأخرى **همزية** ولها شروح كثيرة. ويمتاز شرح الصومعي بعدم الاطالة والاستطراد، والاقتصار على ما لا بد منه لتحليل الأبيات ومعرفة ما تشير اليه من أحداث في السيرة النبوية الكريمة. ويوجد هذا الشرح في قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد **232/ك**. ضمن مجموع، وبالخزانة الملكية تحت رقم **2166**.

بمراكش من أجل الاتصال بالشيخ الصوفي محمد بن عبد الله السوسي وسلوك طريق القوم على يده. فاغتم اليوسي لسفره اذ كان يرى فيه استعدادا كبيرا للاستفادة من دروسه ويعده من أنجب طلابه الذين يتوسم فيهم الأهلية لتحمل الأمانة العلمية. ولم تطل غيبة الصومعي في مراكش، فخرج منها مع شيخه ابن عبد الله السوسي راجعاً الى الزاوية الدلائية عام 1660/1071، وانقطع من جديد الى دروس الامام اليوسي وغيره من العلماء الدلائيين، إلى أن تخرج عالما كبيرا، ومصلحا ناصحا. ورجع الصومعي، بعد حادثة تخريب الزاوية الدلائية، إلى مسقط رأسه في تادلا وأقبل هناك على نشر العلم بين طلبة قبيلته وغيرهم من أبناء الاقليم التادلي، وتكاثر الآخذون عنه فيها، ثم صحب الشيخ الصوفي أحمد بن عبد الله صاحب زاوية المخفية بفاس وحج معه الى بيت الله الحرام عام 1688/1100، وظل يتردد اليه في مناسبات الأعياد الدينية. ويحدثنا أحمد الولالي عن حال رفيقه الصومعي عام 1697/1109 وهو التاريخ الذي ألف فيه **مباحث الأنوار** بقوله «وهو وفقه الله تعالى إلى الآن مقبل على ما يعنيه من العلم والعمل، تخرج عليه في العلم ناس من أصحابه، ومهذبت بمصاحبته أخلاقهم. وهو حسن العهد، منقطع عن الولاة، لا يرى غالبا الا ذاكرا أو مشتغلا بالعلم تعليما ومطالعة أو مذاكرة.

توفي محمد بن عبد الرحمن الصومعي عام 1712/1123[134].

أحمد بن يعقوب الولالي

أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب الوَلّالي (بفتح الواو وتشديد اللام الأولى) نسبة إلى بني ولّال أحد بطون قبيلة أيت عطّا (بتشديد الطاء) الصنهاجية المشهورة بأقصى جبال ملوية[135] وكان أحمد بن يعقوب من أعلام زمانه

---

(133) أحمد بن يعقوب الولالي، **مباحث الأنوار**، ورقة 31/ا.

(134) ترجم للصومعي أحمد الولالي في **مباحث الأنوار**. ورقة 31/ا وما بعدها، ومحمد القادري في **نشر المثاني**، 3 211.

(35) لبني ولال صلات وثيقة قديمة بأبناء عمومتهم المجاطيين، وكان محمد بن يعقوب الولالي من مريدي أبي بكر الدلائي، وعنه أخذ الطريقة الشاذلية كما كان ابنه محمد الولالي من تلاميذ محمد بن أبي بكر الدلائي. قضى أحمد

علما وتدينا «يجيد التعبير عن كل ما يريد، متبحرا في العلوم محققاً لها»(136) انقطع الى طلب العلم في الزاوية الدلائية زمنا طويلا مقيما في إحدى مدارس الزاوية، وقد توثقت الصلة بينه وبين محمد بن عبد الرحمن الصومعي والأخوين العكاريين المتقدمين. درس على الامام أبي علي اليوسي وأضرابه مختلف الفنون من فقه، وأصول، ونحو، ومنطق. ومن أهم الكتب التي درسها هناك، **جمع الجوامع** للسبكي، و **مختصر الشيخ خليل**، و **تلخيص المفتاح** للقزويني، و **التسهيل** لابن مالك. ولما حل الشيخ محمد بن عبد الله السوسي بالزاوية البكرية كما تقدم، أخذ عنه أحمد الولالي الطريقة الصوفية، فاكتمل بذلك تكوينه العقلي والروحي. وبعد أفول نجم الزاوية الدلائية قصد أحمد الولالي مدينة مكناس واستقر بها متصدرا للتدريس في قصبة الحضرة السلطانية الإسماعيلية، وأقبل الطلبة على مجالسه العلمية المفيدة. وممن تخرج على يده من علماء مكناس أبو القاسم بن سعيد العميري(137) والطبيب عبد القادر بن شقرون(138). وألف أحمد بن يعقوب كتبا عديدة أغلبها شروح وحواش على الطريقة المعروفة في عصره. منها شرح **مختصر المنطق** للشيخ السنوسي، وشرح **السُّلَّم المرونق في المنطق** أيضا للأخضري(139)، وشرح **تلخيص المفتاح**، في البلاغة للخطيب القزويني(139م)، وشرح **لامية الافعال**، في التصريف لابن مالك، وشرح **روضة الأزهار** في التوقيت

= هذا حياته كطالب للعلم في الزاوية البكرية، ولم تقتصر الصلات بين القبيلتين البربريتين على الناحية العلمية بل شملت الناحية الحربية أيضا، فكان بنو ولال من أهم القبائل المناصرة للرئيس محمد الحاج الدلائي ومن أحسن العناصر التي يعتمد عليها في ناحيتي مكناس وفاس وسهول سايس، لذلك تعرض الولاليون لغارة الرشيد بن الشريف فلوخهم قبل أن يتوجه إلى الدلاء.

(136) محمد القادري، نشر المثاني (الطبعة الحجرية) 2 114.

(137) أبو القاسم هذا هو ابن القاضي سعيد بن أبي القاسم العميري المتقدم. وكان مثل أبيه فقيها تولى القضاء بمكناس وأخذ عنه كثير من العلماء. توفي عام 1178/64 ــ 1765.

(138) عبد القادر بن العربي المنبهي المدغري، المعروف بابن شقرون المكناسي الفقيه النحوي الأديب الطبيب المشارك. من مؤلفاته شرح **البسط والتعريف** في التصريف للمكودي، و **الارجوزة الطبية** المعروفة بالشقرونية، مات بعد عام 1727/1140.

(139) عبد الرحمن بن محمد الصغير الاخضري، مؤلف **السلم المرونق** في المنطق و **رسالة الحساب** و **والجوهر المكنون في الثلاثة فنون** ــ المعاني والبيان والبديع ــ وغيرها من الكتب التعليمية المشهورة. من رجال القرن العاشر الهجري.

(139م) يوجد مخطوطا بمكتبة مكناس تحت عدد 149 وفيه انه أتم تأليفه بمكناس عام 1108.

للجادري(140) وحاشية على شرح المحلى لجمع الجوامع، في الأصول. ولعل أهم كتبه وأفيدها جميعا هو كتاب **مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار**، الذي ألفه في مطلع القرن الحادي عشر الهجري للتعريف بشيخه محمد بن عبد الله السوسي، وذكر فيه كثيرا ممن أخذوا عنه، كما ترجم فيه لأبيه وجده، وشيوخهما من الدلائيين وغيرهم، ولطائفة مهمة من العلماء الذين لقيهم أو كاتبهم. وقد خصص أحمد بن يعقوب الخاتمة لذكر من اشتهر شرفه بالمغرب، وفي هذا الكتاب تبدو قدرة المؤلف على التعبير وحسن الأداء في أسلوب سليم خال من التكلف. وقد تحدث فيه كثيرا عن الزاوية البكرية، خصوصا في المبحثين الأول والثاني، وسجل من أخبارها وأوصافها ما لا يوجد عند غيره من المؤرخين. وكانت وفاة أحمد الولّالي بمدينة مكناس عام 1715/1128 (141).

## أحمد القادري

أبو العباس أحمد بن عبد القادر القادري الحسني، الفقيه الأديب، العلامة الصوفي صاحب **نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس**(141م)، وهي رحلة حجازية مفيدة جدا على اختصارها، ألفها عندما حج للمرة الثانية عام 1100 /1688 صحبة الامام العارف أحمد بن عبد الله معن(142) وقد سبق للقادري أن حج للمرة الأولى عام 1083 /1672م وزار مصر حيث التقى بشيوخها وأعلامها. وأقام أحمد القادري في الزاوية الدلائية طويلا يأخذ العلم عن محمد المرابط الدلائي والحسن اليوسي وغيرهما، ثم أصهر الى الدلائيين فتزوج بنت

(140) أبو زيد عبد الرحمن بن أبي غالب الشهير بالجادري موقت جامع القرويين بفاس ومؤلف **روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار**، وهي أرجوزة تشتمل على 336 بيتا يدرسها الناس ويعتمدون عليها في هذا الفن حتى اليوم، توفي عام 1435/839.

(141) ترجم لأحمد الولالي محمد بن الطيب القادري في **نشر المثاني** 3 229ـ233. وعبد الرحمن بن زيدان في **الاتحاف** 1 340 وما بعدها.

(141م) توجد مخطوطة في الخزانة الملكية بالرباط تحت عدد 8787.

(142) أحمد بن محمد بن عبد الله معن الاندلسي الصوفي الكبير صاحب الزاوية المعروفة في فاس بالمخفية من عدوة الاندلس. وكان الذي اختطها هو أبوه الصالح محمد بن عبد الله في حدود عام 1048 /1638م. ثم جدد الشيخ أحمد بنائها ورفع خزانة الكتب المحبسة عليها في مستهل القرن الثاني عشر الهجري وكانت مجمع فقهاء فاس وعلمائها. توفي الشيخ أحمد عام 1120 /1708

الشاذلي أخي الرئيس محمد الحاج مستقرا نهائيا بالزاوية الدلائية الى أن خرج منها مع أهلها عندما خربها السلطان الرشيد، فقصد زاوية الصومعة بتادلا حزينا يبكي مجد الدلاء الغابر، ويندب جدها العاثر، وقد روى عنه صاحب **تحفة المعاصر**(143) عبارات مؤثرة وصف بها حادثة إخلاء الزاوية.

كان أحمد القادري يقرض الشعر في سهولة ويسر، وله رجز **فيمن هاجر الى الحبشة من الصحابة**. وبحث لطيف حول قاعدة ابن خلدون في تقدير الأجيال مع أمور تتعلق بالنسب الشريف من نسل الحسن والحسين بعد أن سأله عن ذلك شرفاء جبل العلم «فأجاب عن جميع مسائل السؤال بما ينبغي من النقل الممتع، وبما هو للمستفيد مقنع، وحقق أن قاعدة ابن خلدون ليست بمطردة..»(144) وقد سافر القادري مرة مع شيخه أبي علي اليوسي ومرا بقرية أزرو ومعهما كثير من الناس فنزلوا بها واجتمع أهلها على الشيخ اليوسي دون أن يظهروا له شيئا من كرم الضيافة. فلما ألح الجوع على الشيخ وأيس من قراهم عمد الى زاده وتناول منه سويقا، فأقبلوا يشاركونه في أكله، وكان فيهم قضاة وأعيان القرية فأنشد اليوسي أبياتا للاديب الدغوغي

قـريةٌ لا قِرى لابن السبيـل بهـا ... تبّاً لها ولأرجـاسٍ بهـا اجتمعـوا
لـولا أفارِدُهـا يَقْـرون واردهـا ... مِن سؤر باردِهـا في ضِمْنِـه وجـعُ
لقلـتُ مَنْ زار أزرُو زار مقبـرةً ... ورُبَّ مقبـرةٍ زُوارُها انتفعـوا

فزاد أحمد القادري على هذه الابيات مثلها وقال

وإن حللتَ بها فانــزل بروضتها ... ولا تُقِـمْ ساعةً فالخيـرُ ممتنـع
لقد أتيناهـم يومَ الخميـس ضحـىً ... فلـم يُنَـلْ منهـمُ قـوتٌ ولا شِبَـعُ
قالـوا القضـاةُ أتوا، قلـتُ لاكرامنـا ... إذا همُ في سويق الشيخ قد طعموا

(143) **تحفة المعاصر في بعض صالحي تلامذة أبي عبد الله محمد بن ناصر**، لمحمد بن عبد الله الحوات، أحد المصادر الهامة التي اعتمد عليها سليمان الحوات في كتاب **البدور الضاوية**. وقد نقل عبارات القادري في التحسر على الزاوية الدلائية في ورقة 116

(144) محمد القادري، نشر المثاني، (الطبعة الحجرية) ج 2، ص 121.

توفي أحمد القادري عام 1133 / 20ــ1721. ودفن بقرب ضريح الشيخ أحمد اليمني خارج باب فتوح من مدينة فاس(145).

محمد بن مسعود المراكشي

أبو عبد الله محمد بن مسعود المراكشي الفقيه النحوي العالم الصالح. انصرفت همته منذ أول عهده بالدراسة الى تحصيل قواعد اللغة العربية، والفقه المالكي فقرأ **ألفية ابن مالك**، و **مختصر الشيخ خليل** أكثر من مرة بالزاوية الدلائية على علمائها حتى أحرز قصب السبق فيهما، فأخذ يدرسهما بدوره لطلبة الزاوية مع كتب أخرى في هذين الفنين. وله تقاييد كثيرة وملاحظات مهمة كتبها على **مختصر خليل**. وكان في ابتداء أمره مفتونا بمظاهر الدنيا شغوفا بزخرفها ولهوها، يعاشر المترفين من شباب الدلائيين أولي السلطة والجاه لا يكاد ينتهي من إلقاء دروسه وينصرف من المسجد حتى يغشى مجالس الانس والطرب. وكان محمد بن مسعود بالاضافة الى شبابه وعلمه خفيف الروح حلو النكتة شأن كثير من المراكشيين، فتهافت عليه زملاؤه من شباب الزاوية وصادف ذلك منه ميلا ورغبة فتوثقت الصلة بينهم. ولما قدم الشيخ الصوفي محمد بن عبد الله السوسي من مراكش الى الزاوية البكرية اتصل به محمد بن مسعود في جملة العلماء، فأعجب باستقامة الشيخ وجده، ولازمه طيلة الأيام العشرة التي قضاها بين ظهرانيهم، فتبدلت حاله وتطهرت روحه من أدران المادة حتى إنه مزق ما كان عليه من ثياب فاخرة واستبدل بها ملابس خشنة، وانقطع عن رفاقه الأمراء، ولم يلبث أن غادر الزاوية الدلائية نهائيا فرارا من مجالس لهوه القديم وقصد قرية تمجت بتادلا حيث عاش بجوار الشيخ الصوفي على بن عبد الرحمن الدرعي(146) يدرس العلم في

---

145) ترجم لاحمد القادري ابن عمه محمد القادري في نشر المثاني 3 : 247ــ251. ومحمد الكتاني في سلوة الانفاس 2 353

146) الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الدرعي هو دفين تادلا بمنزله بها المسمى (تمجت) توفي بالطاعون، ولعله وباء عام 1090 /1679 م

زاويته ويؤم الناس في الصلاة. ثم جرت أحداث سياسية استهدف فيها الشيخ على ابن عبد الرحمن لعسف بعض الولاة، فغادر محمد بن مسعود هذه الزاوية الى قرية تَنْغْمَلْت بالقرب من مراكش وظل فيها على ديانته وعبادته واشتغاله بالتعليم والارشاد وتدريس الحديث الشريف الى أن توفي بالطاعون. ولعله الوباء الذي اجتاح المغرب عام 1090 /1679م(147).

علي بن عبد الواحد الانصاري السلوي

أبو الحسن على بن عبد الواحد بن محمد بن أبي بكر الانصاري السجلماسي أصلا السلوي ثم الجزائري، الفقيه المحدث العالم المؤلف النفاع، نشأ بسجلماسة وقرأ بفاس وزاوية الدلاء ورحل الى الشرق فأخذ عن علماء مصر مثل الامام الاجهوري(148). ثم استوطن مدينة سلا، وفيها نشر علمه وألف تآليفه العديدة، مثل **اليواقيت الثمينة**، وهو نظم في قواعد المذهب ونظائر الفقه على نسق منهج الزقاق(149) وشرح **تحفة ابن عاصم**(150) كما شرح **الأجرومية في النحو**(151) وغير ذلك.

وذكر الافراني في الصفوة (ص 135) أن علي بن عبد الواحد الانصاري قرأ **صحيح البخاري** على الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي نحو إحدى وعشرين مرة،

---

147) أنظر ترجمة محمد بن مسعود عند أحمد بن يعقوب الولالي، **مباحث الأنوار**، ص 103 ـــ 105 عباس بن ابراهيم ، **الاعلام**، 5 49.

148) أبو الحسن علي الأجهوري شيخ المالكية بمصر وصاحب شرح **مختصر خليل**. أدرك شهرة عظيمة بالمغرب حتى كانت توجه اليه منه الاسئلة للافتاء. توفي عام 1066 /1655

149) أبو الحسن على بن قاسم بن محمد التجيبي الشهير بالزقاق، الفاسي. له **نظم المنهج في أصول المذهب**، **ولامية في** أحكام فقهية جرى بها عمل فاس، توفي عن سن عالية عام 912 /1506

150) أبو بكر محمد بن محمد المعروف بابن عاصم، قاضي غرناطة، صاحب الرجز المشهور **تحفة الحكام في الأحكام** الفقهية الذي شرحه المغاربة والمشارقة وحفظه الناس لسهولته ورقة أسلوبه. توفي عام 829 هـ ـــ 1425 م

151) **الاجرومية** كتاب صغير يشتمل على مبادىء النحو، أقبل الناس عليه كثيرا. ومؤلفه أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي الفاسي المعروف بابن اجروم المتوفي عام 723 هـ ـــ 1323 م

كما قرأ عليه **الشفا** للقاضي عياض[152] **والموطأ** للامام مالك بن أنس[153] **ورسالة** الامام القشيري[154] **وحكم** ابن عطاء الله[155]

وقد استوطن علي بن عبد الواحد الجزائر في أواخر أيامه، وتخرج على يده هناك كثير من الاعلام. وتوفي بالطاعون عام 1054 /44 ــ 1645[156].

---

152) القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي، امام الحديث والفقه والادب، دفين مراكش المتوفى عام 544 هـ ــ 1149 م وقد أفرده أحمد المقرى بتاليف **أزهار الرياض في أخبار عياض** نشر منه بيت المغرب بالقاهرة 3 أجزاء. ثم نشرته وزارة الاوقاف المغربية كاملا في خمسة أجزاء.

153) الامام مالك بن أنس الاصبحي إمام دار الهجرة، وأحد أصحاب المذاهب الاربعة المشهورة توفي عام 179 هـ ــ 795 م

154) عبد الكريم القشيري من أشهر الصوفية الذين كتبوا في الورع ومحاسبة النفس. ويعرف كتابه **بالرسالة القشيرية**. طبعت في مصر مرارا، وتوفي عام 465 / 1072

155) تاج الدين بن عطاء الله الاسكندري الشاذلي، من أكبر مقاومى ابن تيمة، ألف نحو 20 كتابا أشهرها **الحكم** في أبحاث الصوفية. وتوفي عام 709 /9 ــ 1310

156) ترجم لعلي بن عبد الواحد الانصاري، محمد الافرني، **الصفوة**، ص 135 وما بعدها. ومحمد الحجوي، **الفكر السامي**، 4 111 ــ 112. وأخباره متفرقة في **نفح الطيب**، و **البدور الضاوية** وغيرهما.
وفي **تعريف الخلف** للحفناوي (ص 69 من القسم الأول) أنه توفي عام 1057 مطعونا في الجزائر.

# الباب الرابع

# الدلائيون والسياسة

## 1 ــ موقف الدلائيين من الاضطرابات الداخلية

ا) علاقة الدلائيين بالملوك السعديين
ب) موقف الدلائيين من ابن أبي محلي وأبي زكريا
ج) موقف الدلائيين من أبي حسون السملالي
د) علاقة الدلائيين بالمجاهد العياشي.

## 2 ــ زعامة محمد الحاج السياسية

ا) من هو محمد الحاج ؟
ب) نزوع محمد الحاج الى الحكم
ج) تأسيس مدينة الدلاء
د) بيعة أهل المغرب لمحمد الحاج

## 3 ــ أعمال محمد الحاج الحربية

ا) الحملتان الدلائيتان الأوليان (وقعة أبي عقبة)
ب) مهاجمة المجاهد العياشي
ج) غزو شرفاء سجلماسة (وقعة القاعة)
د) الجهاد ضد الاسبانيين في المعمورة
هـ) حملات تأديبية في بلاد زعير والحياينة

## 1 ـــ موقف الدلائيين من الاضطرابات الداخلية

### أ) علاقة الدلائيين بالملوك السعديين

لم يكن الدلائيون في بادىء الأمر يهتمون إلا بالناحيتين الدينية والعلمية. فالشيخ أبو بكر مؤسس الزاوية الدلائية كان زاهدا في الدنيا عزوفا عنها، لا يشتغل حتى بتدبير أموره الخاصة، ولا ينصرف عن عبادته وأذكاره إلّا ليرشد مريديه ويعظهم ويذكّرهم. وسار محمد بن أبي بكر الدلائي على نهج والده في الاعراض عن الدنيا وزخرفها والانقطاع الى عبادة الله وتربية المريدين وتدريس العلم للطلبة المقيمين بالزاوية، وإكرام الوفود والاحسان الى الناس جميعا. وظل يعترف بسلطة السعديين ملوك مراكش، حتى بعد أن مزقت الحوادث شملهم، وبدا عجزهم وقلة كفايتهم، وآخر من بايع منهم الوليد بن زيدان بن أحمد المنصور (1040 /1631 ـ 1045 /1636).

وعلى الرغم مما كان لمحمد بن أبي بكر الدلائي من نفوذ قوي لدى القبائل البربرية في الأطلس المتوسط، وما امتاز به بعض أبنائه من شجاعة وفروسية وما آتاه الله من بسطة في العلم والمال والجاه، على الرغم من ذلك كله لم يحاول ابن أبي بكر قط استغلال تلك الامكانيات الواسعة التي لم تتح لغيره ليدلي بدلوه في بحر السياسة والسلطان، وانما كان يدعو الى السمع والطاعة، والتمسك بالوحدة ولزوم الجماعة. وطالما ندد بما كان يشعر به عند/ بعض بنيه من الزهو وحب الرياسة. وعاش محمد بن أبي بكر الدلائي أربعا وثلاثين سنة من عهد الفوضى والاضطراب (1012ـــ1046 / 1603ـــ1636) الناتج عن تصدع السلطة المركزية وانقسامها وعجزها عن حفظ النظام في البلاد، خصوصا في الأطراف والجبال. وكان برابرة الاطلس خلال هذه الفترة يلتفون حول شيخ الدلاء لما يعرفون فيه من صلاح الحال وطهارة النفس ورحابة الصدر، ورعيا كذلك لعصبيته القوية، اذ كان رهطه مجاط في ذروة تلك القبائل شدة بأس وصعوبة مراس. وهكذا نجد

محمد بن أبي بكر الدلائي حكما يختصم اليه قومه، وملجأ يهرع اليه المستضعفون من جيرانه، فلا يألو جهدا في إصلاح ذات البين والعمل على إنصاف المظلومين، ساعيا دائما في الخير والسداد، داعيا الى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة. وقد عرفنا مما سبق أنه اضطر مرة الى الهجرة من الدلاء الى قرية تاغيا بناحية ميدلت عندما اشتد عناد بعض القبائل الطاغية، وتألبت على اذايته والكيد له.

وفي هذه الظروف التي لم يبق فيها لسلطة السعديين في جبال الاطلس وبلاد تادلا الا الاسم، كان لابد من وجود قوة محلية في هذه النواحي تعمل على حفظ النظام وتأمين السبل وحماية القوافل، فتكون في الدلاء جيش قوي من فرسان مجاط وأيت اسحاق وغيرهما من القبائل البربرية بقيادة ثلاثة من أبناء الشيخ محمد بن أبي بكر، اشتهروا بالشجاعة والاقدام وهم عبد الخالق، وعمر، ومحمد الحاج[1] ولم تقتصر تحركات هذا الجيش على العمل في النطاق المحلي المحدود، بل ذهب بعيدا عن الدلاء، فسار إلى سلا وفاس لمساعدة المجاهد العياشي في القضاء على بعض الفتن الداخلية. كما توجه الى تافيلالت لانجاد أهل قرية تابوعصامت والوقوف في وجه الجيوش السوسية مما سنراه مفصلا في فصل آت. وسيكون هذا الجيش الدلائي السند الأول الذي يعتمد عليه محمد الحاج بعد وفاة والده لاقامة إمارة دلائية مستقلة عن نظر السعديين.

## ب) موقف الدلائيين من ابن أبي محلي وأبي زكريا الحاحي

أبو محلي أو ابن أبي محلي (بفتح الميم والحاء وكسر اللام المشددة) هو أبو العباس أحمد بن عبد الله السجلماسي، كان يزعم أنه من نسل العباسيين. انتقل أبو محلي في مقتبل العمر الى فاس لطلب العلم، وتخلف عن المجاهدين الذين

---

1) عبد الخالق الدلائي عالم أديب وبطل مغوار، وهو أول رئيس من الدلائيين قتله أعراب تادلا غدرا عندما كان راجعا من حركة تأديبية قام بها ضد أعراب الشاوية ببلاد تامسنا عام 1059 /1649 وحمل الى الزاوية البكرية فدفن فيها. وأخوه عمر أديب شاعر وشجاع باسل كذلك درس بالزاوية البكرية وقاد الجيوش الى أن مات في أثناء قتاله ضد الحياينة بضواحي فاس عام 1055 /1645 وحمل مصبرا، وقيل جريحا ثم مات، ودفن بالدلاء.
أما محمد الحاج فستاتي ترجمته بشيء من التفصيل.

سارعوا الى لقاء العدو على وادي المخازن فارا الى البادية يحفظ المتون ويتسكع بين الخيام الى أن حمدت الفتنة وسكنت بانتصار المسلمين، فرجع إلى فاس وأقام فيها سنين عديدة الى أن تخرج منها عالما متبحرا في اللغة والمسائل الدينية بالخصوص. وألف أبو محلي عدة كتب تحوم كلها حول البدع والمنكرات. ويمكننا أن نأخذ فكرة صغيرة عن هذا الرجل من عناوين كتبه قبل أن نقرأها ــ أنظر جدول مؤلفات أبي محلي ــ ويمتاز بشدة التحامل على المبتدعين والمنحرفين عن الدين، فينعتهم بأقبح النعوت، ويدعوهم بالجهلة والسلفة، ولا يرى إلا شدخ رؤوسهم بالمهراس والمدارس والمنجنيق، وتقطيع أمعائهم بالسم الزعاف.

وقد سلك أبو محلي طريق التصوف، وصحب الشيخ محمد بن مبارك الزعري المتقدم، وبقي عنده في تستاوت نحو ثماني عشرة سنة. وكانت تعتريه عند شيخه أحوال، فيصيح قائلا «أنا سلطان ! أنا سلطان !» فيقول له الشيخ «إنك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا».

وبعد أن أقام أبو محلي مدة في الزاوية الدلائية، اتجه الى وادي الساورة في الصحراء[2] وادعى أنه المهدي المنتظر، وبدأ يكاتب رؤساء القبائل يأمرهم بالتمسك بالدين والسنة، وينهاهم عن المنكرات والبدع. ولما سلم الشيخ المامون السعدي مدينة العرائش إلى الاسبانيين عام **1019 /1610**، أظهر ابن أبي محلي الغضب والحمية للدين ودعا الناس للجهاد، فاجتمعت عليه العامة، وتقدم بهم الى سجلماسة فملكها، ثم استولى على بلاد درعة، وقصد مراكش فاقتحمها عنوة وطرد ملكها زيدان بن المنصور الذهبي. ولما دخل أبو محلي قصر الخلافة بمراكش فعل فيه ما شاء، وولد له هناك مولود سماه زيدان. ويقال إنه تزوج أم زيدان وبنى بها، ودبّت في رأسه نشوة الملك، ونسي ما بنى عليه أمره من الحسبةوالنسك[3]. وبالرغم من كون فتنة ابن أبي محلي لم تدم الا نحو ثلاث

---

2) وادي الساورة من جملة الاراضي التي اقتطعها الفرنسيون من المغرب أيام الحماية وألحقوها بالجزائر، وما يزال آل أبي محلي حتى اليوم في هذه المنطقة الصحراوية.

3) أحمد الناصري، **الاستقصا**، 6 : 101

سنوات، فانه ضرب السكة باسمه وكتب عليها «ضرب بلكتاوة حرسها الله عام احدى (كذا) وعشرين وألف»

باسم الله الرحمن الرحيم
القائم بأمر الله
أبو العباس الفاطمي
العباسي أيده الله
الملك لله الواحد القهار نقش خليفة الله الهاشمي المجار
لا اله الا الله
محمد رسول الله
أبو العباس المهدي
خليفة الله(4)

ولعل لمسارعة أبي محلي الى ضرب السكة باسمه علاقة بما يذكره عنه المؤرخون من أنه اشتغل بالكيمياء وتحويل المعادن «فكان صاحب حكمة لم تنقطع النار في جيشه لتذويب الرصاص وصبغته»(5). وقد توجه السلطان الطريد زيدان إلى زاوية الشيخ أبي زكريا الحاحي بجبل درن(6) ورجا منه أن يساعده على الرجوع الى عاصمة ملكه، والقضاء على منافسه أبي محلي. فسار أبو زكريا عام 1022 /1614 في جماعة كبيرة من أتباعه الى مراكش، حيث التقى بخصمه في جليز خارجها. ووقعت بين الفريقين معركة حامية الوطيس اسفرت عن مقتل ابن أبي محلي الذي احتز رأسه وعلق على سور مراكش مع رؤوس جماعة من أصحابه طيلة 12 سنة.

---

4) M. Henri Lavoix, Catalogue des monnais musulmanes, P. 492.

5) مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية، ص 101
6) جبل درن أو أدرار – ن – درن هو الأطلس الكبير.

| اسم الكتاب | المكتبات التي يوجد بها |
|---|---|
| 1) **اصليت الخريت، في قطع بلعوم العفريت، أو عذراء الوسائل، وهودج الرسائل، في مرج الارج، ونفخة الفرج، الى سادة مصر، وقادة العصر.** وهو كتاب ترجم فيه لنفسه وتحدث عن نسبه ونشأته الى أن قام بالثورة، وضمّنه أخبار رحلته الحجازية الثانية | توجد منه 3 نسخ مخطوطة في خ.م. تحت عدد 100 و 4009 و 4442. |
| 2) **جواب الخروبي عن رسالته الى الشيخ أبي عمر القسطلي المراكشي** | مخطوطة خ.ع، رقم 611 ك. |
| 3) **سلسبيل الحقيقة والحق، في سبل الشريعة والخلق.** | مخطوط خ.م. 4733 و 5916 أولهما تام انتُسخ عام 1022، خط شرقي مذهب. |
| 4) **سم ساعة، في تقطيع امعاء مفارق الجماعة.** | مخطوطة خ. ع. رقم 338 ق ضمن مجموع. (ص 2 – 126). |
| 5) **السيف البارق، مع السهم الراشق.** | نفس المخطوطة السابقة. |
| 6) **القسطاس المستقيم، في معرفة الصحيح من السقيم** تكلم فيه على العلم والعمل والخلافة | مخطوطة خ.ع. 576 ق. |
| 7) **منجنيق الصخور، في الرد على أهل الفجور.** | مخطوطة خ.ع. 338 ق (من ص 130 — 453) |
| 8) **مهراس رؤوس الجهلة المبتدعة، ومدارس النكوس السفلة المتدعة،** تحدث فيه أبو محلي عن المهدوية ورد فيه على خصومها. | مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط 192 ك. في 221 صفحة. |
| 9) **الهودج** | ذكره الناصري في **الاستقصا**، 6 33. |
| 10) **الوضاح، لكل متمشدق فضاح.** | ذكره ابن أبي محلي في طالعة كتابه الذي أجاب به الخروبي. |

ولعل أهم صلة جمعت بين الدلائيين وابن أبي محلي هي الطريقة الصوفية الشاذلية، إذا أخذ كل من محمد بن أبي بكر الدلائي وابن أبي محلي عن الشيخ محمد بن مبارك الزعري المتقدم، وأقاما مدة في زاوية هذا الشيخ بتستاورت. وبعد ذلك استقر ابن أبي محلي في الزاوية الدلائية زمانا غير قصير بدأ خلاله يحاول التظاهر بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكنه كان يلقى معارضة قوية من شيخ الدلاء الذي لم تخف عليه نوايا صاحبه القديم ذي الشطحات والصيحات الهستيرية «أنا سلطان ! أنا سلطان !» وتحدى ابن أبي محلي ذات يوم الشيخ محمد بن أبي بكر، وقام في الدلاء بتجربته الاولى في الاتصال بالجمهور والعمل على إغوائه واسهوائه عن طريق الارشاد الديني المزيف، وقضى يوما في التهريج والشعوذة، واشتبك مع بعض الناس الذين لم تنطل عليهم حيلته، ورجع في المساء الى الزاوية الدلائية منهوك القوى لم يؤد الصلاة في وقتها. فعنفه الشيخ ابن أبي بكر وقال له «أما أنا فقد قضيت مأربي وحفظت ديني، وانقلبت في سلامة وصفاء، ومن أتى منكرا فالله حسيبه، أو نحو هذا الكلام. وأما أنت فانظر ما الذي وقعت فيه»(7). ولم يرعو ابن أبي محلي عن غيه بل راح يضرب في الارض باحثا عن مكان صالح لنشر دعوته الباطلة، حتى وصل الى وادي الساورة في الصحراء، فأعلن مهدويته، وكان ذلك آخر عهد له بالدلائيين الى أن قتل في مراكش بعد نحو ثلاث سنوات.

أما أبو زكريا فهو يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي. أسس والده عبد الله بن سعيد زاوية تافيلالت(8) بزداغة الواقعة شمالي تارودانت على واد يسميه البربر (أسيف نتامنت) أي وادي العسل، واشتغل فيها بتدريس العلم وتربية المريدين، وكان مثل أبيه سعيد عالما مصلحا أرسل ابنه يحيى الى فاس ليدرس فيها، وطالت اقامة يحيى بفاس سنين عديدة، كان يسكن خلالها هو وابن أبي محلي بيتا واحدا في احدى المدارس، وحصل على نصيب وافر من العلوم الدينية

---

7) اليوسي، **المحاضرات**، ص 91

8) محمد المختار السوسي، **خلال جزولة**، جـ 2، ص 51. وقد أخبرني الاستاذ المختار السوسي أن اسم تافيلالت يطلق على أماكن متعددة في سوس.

والادبية، ورجع الى قريته الجبلية عالما كبيرا، وأديبا شاعرا[9] ليتولى أمر الزاوية بعد وفاة أبيه عبد الله عام 1012 / 1603—1604. وقد سلك أبو زكريا في بداية الأمر سبيل سلفه، فوقع عليه اقبال عظيم من قبائل جبل درن وبلاد سوس، وامتلأت رحاب زاويته بالمريدين وطلبة العلم الذين انكبوا على دروسه واشتغلوا بانتساخ الكتب القيمة[10] وألف أبو زكريا كتابا في العقائد، مثلما فعل جده سعيد من قبل. وشرح العقيدتين معا وعقيدة المهدي بن تومرت العالم السوسي إبورك من رجال القرن الحادي عشر للهجرة (القرن السابع عشر للميلاد).

وقد رأينا أن أبا زكريا استجاب لطلب الملك زيدان السعدي وقضى على خصمه ابن أبي محلي. وظل أبو زكريا مقيما بمراكش في حين كان السلطان زيدان في أسفي ينتظر على أحر من الجمر أوبة السوسيين الى مساقط رؤوسهم ليرجع هو الى دار ملكه. وطال به الانتظار فكتب الى أبي زكريا «أما بعد، فان كنت انما جئت لنصرتي وكف يد ذلك الثائر عني، فقد أبلغت المراد، وشفيت الفؤاد، وان كنت انما رمت أن تجر النار لقرصك، وتجعل الملك من قنصك، فأقر الله عينك به»[11] فاضطر أبو زكرياء الى مغادرة مراكش تحت ضغط أتباعه الذين لم يكونوا يعرفون الا أنهم أدوا واجبا دينيا فرضته عليهم بيعة السلطان التي في أعناقهم، وليس لهم بعد ذلك الا الرجوع الى الزاوية واستيناف حياتهم العادية في المداشر التي طالت غيبتهم عنها. واستولت فكرة الرياسة على نفس أبي زكريا بعد رجوعه من مراكش وفترت همته في تدريس العلم وتلقين الاوراد، وأخذ يراسل السلطان زيدان ويمن عليه بمناصرته، ويتجنى كثيرا دون أن يفصح عما يجول بخاطره[12]. وأخيرا أعلن أبو زكريا الثورة في سوس ضد السلطان زيدان السعدي،

9) ذكر المؤرخون أنه وقع تهاج كبير بين أبي زكريا وأبي محلي أنى الناصري في **الاستقصا**، 6 29 — 34 بنماذج لهذه النقائض الادبية، كما نقل عن الافراني أن القاضي أبا زيد السكتاني وقف على تأليف كبير مشتمل على ما وقع بين يحيى وأبي محلى من الشعر في غرض الهجاء وغيره. وأخبرني الاستاذ الحسن البونعماني أن العالم السوسي أحمد الجراري وقف في احدى المكتبات الخاصة بسوس على كتاب أدبي ضخم بعنوان **التحلي فيما وقع بين أبي زكريا وأبي محلي**.

10) وقف الاستاذ المختار السوسي في احدى المكتبات الخاصة بسوس على بعض المخطوطات القيمة التي انتسخت في زاوية تافيلالت على عهد أبي زكريا. انظر **خلال جزولة** 2 : 51

11) أحمد الناصري، **الاستقصا**، 6 43

12) نفس المصدر ، 6 : 46

موهما أتباعه أن عمله هذا يهدف الى حماية الدين، وجمع كلمة المسلمين ! وتقدم بهم الى تارودانت فملكها من يد أبي حسون السملالي بعد قتال شديد، واتخذها عاصمة لامارته. ولم يستطع أبو زكريا بعد ذلك أن يوسع دائرة نفوذه شمالا ولا جنوبا واكتفى بالسيطرة على هذه المنطقة الجبلية الضيقة، الممتدة من تارودانت الى زداغة، الى أن وافته المنية عام 1035 /1626. فنقل الى زاوية تافيلالت بالاطلس الكبير ودفن بجوار والده وجده. وما تزال جدران ضريحهم قائمة حتى اليوم. ولا يعرف لابي زكريا اتصال بالدلائيين، سواء أيام طلبه للعلم في فاس، أو تصديه للمشيخة بزداغة، أو على عهد استبداده بتارودانت وناحيتها.

### ج) موقف الدلائيين من أبي حسون

اذا كان الثائران ابن أبي محلي وأبو زكريا قد فشلت ريحهما وأفل نجمهما بسرعة، فإن أمر أبي حسون بخلاف ذلك، إذ استطاع أن يوطد أركان امارته عشرات السنين، ويستبد بالجنوب المغربي كله حينا، وببعضه حينا آخر. وأبو حسون، ويكنى أيضا أبا الحسن وبودميعة، وصاحب الساحل، من أحفاد الشيخ الشهير أحمد بن موسى السملالي (سيدي أحماد أُوموسى) صاحب الزاوية المشهورة في تازورالت بسوس. ولا يعرف لابي حسون باع في العلم الا ما كان من تحلية بعض بلدييه له بالفقيه. وليس هو أول الطامعين في الملك من الاسرة، بل سبقه الى ذلك من بني عمه إبراهيم والحسن فلم يتم لهما أمر. وكان قيام أبي حسون واستحواذه على بلاد سوس عام 1022 /1613 ـ 1614 فأسس قريبا من زاوية جده الشيخ أحمد بن موسي مدينة حصينة سماها إيليغ[13] واتخذها عاصمة لامارته. وصفا له أمر بلاد سوس كلها بعد موت أبي زكريا الحاحي، ثم امتد نفوذه الى درعة وسجلماسة حوالي عام 1040 /1630 ـ 1631 فصار أمير الجنوب المغربي كله، وتكون في ايليغ جهاز حكومي تام، يضم الى جانب أبي حسون

---

13) في سوس ثلاثة أماكن يطلق عليها ايليغ. عاصمة تازروالت هذه، وقرية في إدا وزكري، وقرية في الفايجة. المختار السوسي، المعسول 16 : 12

الذي تلقب بالسلطان، وزيرا يسمى محمدا(14) وقاضي الجماعة علي بن محمد التيلكاتي(15) والقائد حمو بن بلا(16) وغيرهم من ذوي المسؤولية والنفوذ.

واعترفت الدول الاوربية التي لها مصالح في المغرب بالامر الواقع، فأخذت تفاوض أبا حسون(17) بصفته صاحب الامر في الساحل(18) وتعقد معه المعاهدات التجارية، في نفس الوقت الذي كانت تتعامل مع السلطان السعدي فيما يرجع الى منطقة نفوذه بمراكش وأسفي وناحيتهما، وتتخابر مع العياشي ثم الدلائيين في شأن سائر الثغور الواقعة شمالي نهر أم الربيع. وكانت هذه العلاقات الخارجية من أهم الاسباب التي دعمت نفوذ أبي حسون في سوس، اذ جعلته يفيد أرباحا طائلة من الصفقات التجارية التي كان يعقدها مع الاوربيين، ويتزود منهم بالذخيرة الحربية لتجهيز جيش قادر على الدفاع عن الاقاليم الشاسعة التابعة لايليغ.

ولما تمكنت قدم أبي حسون في بلاد سوس أخذت أطماعه في التوسع تتجه نحو الشرق. وبدا يتحين الفرصة للانقضاض على درعة وسجلماسة، ويوطد العلاقات الودية مع أعيان هذه الاقاليم ليكونوا له خير عون على تحقيق مطامحه. وفعلا استطاع أبو حسون أن يبسط نفوذه على الجنوب المغربي كله حوالي عام 1040 / 1630ـ1631 كما سبق. وكان ممن صادقهم في سجلماسة الشريف بن علي جد الملوك العلويين الحاليين. وكان للشريف عداوة متمكنة مع جيرانه بني الزبير أهل حصن تابوعصامت. فاستعدى عليهم أبا حسون الذي قصد تافيلالت في جمع هام من جند سوس. ولم يجد الزبيريون أمامهم سوى الدلائيين يستصرخونهم. فسارع الشيخ محمد بن أبي بكر بإرسال كتيبة قوية من فرسان

14) وجد الاستاذ المختار السوسي اسم هذا الوزير (محمد) ضمن رسالة كتبت على غلاف مخطوط فقهي بالخزانة الازاريفية بسوس. انظر **خلال جزولة**، 2 89

15) كانت وفاة القاضي علي بن محمد بمدينته تيلكات عام 1043 /1633 ــ 1634. المصدر السابق، ص 140

16) سيرد اسم القائد حمو بن بلة بعد قليل، وسنرى أن الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي يثني عليه ويقترح تعيينه حاكما لبلاد سجلماسة.

17) يطلق الاوربيون على أبي حسون أسماء كثيرة، فيدعونه
Le Marabout du Sous, Le Saint de Massa, Le Marabout du Sahel, etc...

18) يطلق الساحل على المنطقة الجنوبية الغربية الممتدة من أكدير الى وادي نول.

الاطلس المتوسط الى سجلماسة، بقيادة ابنه محمد الحاج، وأعطاه رسالة الى أبي حسون يناشده فيها الله أن يكف عن البوعصاميين، ويحقن دماء المسلمين. وذلك عام 1043 / 1633 ـ 1634. فافترق الجمعان دون قتال. ولا ندري أكان ذلك استجابة من سلطان سوس لنداء الواجب أو إحجاما منه أمام القوة التي وجد أمامه دون أن يحسب لها حسابا. وقد تطورت العلاقات بعد ذلك بين السوسيين والعلويين وانقلب ما كان بينهم من مودة وصفاء الى عداوة وجفاء، وصرف أبو حسون هواه الى البوعصاميين وحالفهم قالبا ظهر المجن للعلويين، وانتهى الأمر باعتقال الشريف بن علي وحبسه في سوس عدة سنوات. وتختلف روايات المؤرخين في سبب هذا الاعتقال، فيذكر البعض أن أسر الشريف كان بسبب تسور ابنه محمد في جماعة من أنصار العلويين حصن تابوعصامت على حين غرة، وتحكيمهم السيف في رقاب الزبيريين واستيلائهم على ذخائرهم. فأخذ أبو حسون الشريف بجريرة ابنه الذي فرَّ إلى أقصى الصحراء. بينما يرى آخرون أن الشريف لم يلق عليه القبض الا لكونه تزعم حركة التمرد ضد نفوذ أبي حسون وبايعه أهل تافيلالت. وربما كان الحادثان معا سببا في نكبة شريف سجلماسة.

وفي هذه الفترة التي قضاها جد العلويين سجينا في سوس تجدَّد الاحتكاك بين الدلائيين وسلطان إيليغ. ويذكر المؤرخون أن أبناء الشريف توجهوا إلى الزاوية الدلائية للعمل على تخليص أبيهم من الاسر، فكتب الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي الى أبي حسون رسالة يعنفه فيها على سوء معاملته لأهل تافيلالت، ويذكره بنسب الشريف وقرابته من الرسول الكريم، طالبا منه أن يخلي سبيله، ويتخلى له عن بلاد سجلماسة. لكن أبا حسون ذكر في جوابه لشيخ الدلاء أن أهل تافيلالت بايعوه، ثم نقضوا العهد وبايعوا غيره فحل له أن يحكم فيه باجتهاده. وزاد قائلا «وأما ما قلت من أن نترك سجلماسة للشريف المذكور كغيرها من البلاد التي بأيدي غيره، فلا أتركها، لانهم رضوا بي وبايعوني ورضوا به وبايعوه فإن بعضهم معي وبعضهم معه، كأهل العراق مع الحسين بن علي الذين خرجوا على

يزيد بن معاوية. وانظر ما فعل بهم وبه. وأنا لم أفعل به ولا بهم شيئا من ذلك[19].

وبالرغم من خطابات شيخ الدلاء المتعددة التي سنتحدث عنها قريبا، وتحسن الجو بين الجانبين، لم يطلق أبو حسون سراح أسيره الشريف، وانما خفف من الضغط عليه، وجعله في شبه اقامة محروسة بسوس طيلة سنين عديدة، تسرّى خلالها بجارية من سبي المغافرة فولدت له المولى اسماعيل وشقيقه المهدي[20]. واستمرت معاملة أبي حسون القاسية لسكان تافيلالت وأثقل كاهلهم بالاتاوات والمغارم، وملأ السجون بالأعيان والأشراف، وحاصر مناوئيه الممتنعين عليه في الحصون، وأطلق أيدي جنده في حقول الناس وبساتينهم، يهلكون الحرث والنسل، ووقع الاستصراخ مرة أخرى بالدلائيين فكتب محمد بن أبي بكر رسالة مطولة الى سلطان سوس يطلب منه أن يكف أذاه عن أهل تافيلالت. وخصص صدر الكتاب للتحدث عن فضل أسرة الشيخ أحمد بن موسى ومجدها وأهلية أبي حسون للامارة، ثم تخلص لمطالبته بالرفق والاحسان فقال «لكن المرجو منكم، والمامول من همملكم، رحمة المسلمين، والشفقة على الضعفاء والمساكين، لانكم دار رحمة، لا دار نقمة. ان كان الملك مطلوبكم فأتوه من بابه، وتوصلوا اليه بأسبابه. ويسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا. وخذوا أموركم بسياسة ورفق، لا بشدة وعنف، واسعوا في عمارة البلاد، برحمة العباد..»[21] وبعد ذلك عدَّد محمد بن أبي بكر الدلائي ضروب العسف التي يلقاها السجلماسيون على أيدي عمال أبي حسون بقوله «.. وأقرب الناس من أمركم في حيرة وأعظم حسرة، فمن أطاع، أكثر عليه من التكاليف ما لا طاقة له به حتى ضاع، ومن أبى وخشي ما وقع بمن قبله وعصى، علي بالعصا. الناس في سجون حصونهم، النساء والرجال والدواب كأنهم في حشر، الثمار تجنى وأهلها ينظرون نظر حسرة، والاشجار تقطع، وقد حرم الشرع قطع أشجار الكفار فضلا عن المسلمين»[22]

19) سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 92 / 1

20) لم يرجع الشريف بن علي الى سجلماسة الا حوالي عام 1047هـ/1637 — 1638 بعد أن افتداه ابنه محمد من أبي حسون بمال كثير، على ما في أغلب الروايات.

21) سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 48 /ب

22) نفس المصدر في نفس الورقة

وتحدث الفصل التالي من الرسالة عن نقطة هامة يبدو أنها كانت تشغل بال أبي حسون وبطانته. وهي مسألة منافسة الدلائيين ومزاحمتهم له في امتلاك البلاد. فأكد محمد بن أبي بكر الدلائي في عبارات يتجلى فيها الصدق، ويدعمها الرأي والمنطق، انصرافه المطلق عن الملك وعزوفه عن الجاه والسلطان «وبلغنا أن من لا يبالي بما يقول ولا فيمن يقول يكاتبونكم بسوس أن العبد الفاني، العاجز عن اصلاح نفسه، يريد تافيلالت يتولى أمرها. فتأمل ــ أرشدك الله وسددك ــ أدنى تأمل، هل لهذا الكلام وجه أو يلتفت المنصف اليه. هذه البلدة بينكم وبينها نحو ثلاثين مرحلة، وبيننا وبينها ست مراحل. ولضعف ملك المغرب منذ نحو ثلاثين عاما، ما المانع لنا لو كانت لنا فيها شهوة أو رغبة. فمن بلغ أو قرب سنه الثمانين، والتفت للملك المحدود بالسنين، فأعدده من المجانين. حاصلها إن كانت لكم رغبة في الملك ولابد وعلمت من نفسك القدرة على وظيفها، من احاطتك بالعدل والرحمة لقويها وضعيفها، فتقدم، ان لم نعنك لم نمنعك، وان كان مرادك جمع المال، والغاء النظر عن مصالح العباد والقاء أمورهم في زوايا الاهمال، فأنت وذلك، فالرب عالم قدير، رحيم بعباده قوي عزيز...»(23)

وفي ختام الرسالة يتحدث شيخ الدلاء عما بلغه من عزم أبي حسون على استلاب زروع الزاوية الدلائية في بلاد غريس بتافيلالت، وينبهه الى شناعة هذا العمل، خصوصا وان هناك روابط متينة تجمع بين الزاوية الدلائية والسملالية، فكلتاهما تنتسبان الى الطريقة الشاذلية بواسطة الامامين الجزولي والتباع. ويتنازل في الاخير عن زرع الزاوية في غريس ويهبه حلالا لابي حسون شريطة أن يكف أذاه عن المسلمين.

هذه الرسالة العجيبة غفل من التاريخ، غير أن ما ورد فيها من الاشارة الى ضعف الملك بالمغرب منذ نحو ثلاثين سنة. وتحدث شيخ الدلاء عن نفسه بأنه بلغ الثمانين أو قاربها، يدلنا على أنها أرسلت حوالي عام 1045 /1635 ــ 1636. كان لهذا الخطاب الأثر الطيب في نفس أبي حسون بالرغم مما اشتملت عليه بعض فصوله من التقريع والتعنيف. ولعل الذي فتح قلب سلطان سوس اليه هو

23) سليمان الحوات، البدور الضاوية، ورقة 59 /أ

لهجته الصريحة التي لا تعرف المراوغة ولا الايهام. فقد اتضح لابي حسون أن الدلائيين يأخذون عليه جوره وعسفه، وسوء معاملته للناس، ولكنهم لا يزاحمونه في الحكم والتملك ولا يعترضون سبيله اذا ما استقامت أحكامه، بل يعدونه في هذه الحال النصر والعون.

وتوطدت عرى الصداقة بعد ذلك بين الدلائيين والسملاليين السوسيين، واتصلت المواصلات الودية بينهم، وتبادلوا الزيارات في ايليغ والدلاء، وهادوا بأطيب الطعام والادام وغير ذلك[24] وشملت الاتصالات بين الزاويتين فيما شملت الناحية العلمية، فكان أبو حسون يستنسخ الكتب القيمة من الدلاء[25]. ويمكننا أن ندرك مدى الصفاء والثقة بين الجانبين اذا عرفنا أن محمد بن أبي بكر الدلائي أشار في إحدى رسائله على أبي حسون باجلاء جنوده عن تافيلالت، وتعيين حاكم لها من ذوي الصلاح والكياسة، هو القائد حمو بن بلة الذي سبق أن تعرف عليه في الدلاء، وعرف فيه سعة الصدر، وشدة الحلم، والمبالغة في النضح لاميره السملالي وللرعية[26].

غير أن هذه العلاقات الطيبة بين الدلائيين والسملاليين لم تلبث أن تغيرت على اثر وفاة الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي وقيام ابنه محمد الحاج الراغب في السيطرة على البلاد. واشتدت لهجة المراسلات المتبادلة بين ايليغ والدلاء، فكان أبو حسون يرمي الى اقناع محمد الحاج بضرورة التخلي عن أطماعه في الرياسة وحمله على الاعتراف بسلطة الملك السعدي صاحب مراكش — ليخلو له الجو — ثم انقطع حبل الاتصال نهائيا بين الدلائيين والسملايين بسبب انصراف محمد الحاج الى نشر سلطته في تادلا وبلاد الغرب، واشتغال أبي حسون بالفتن الخطيرة القائمة ضده في الصحراء، تلك الفتن التي انتهت باقصائه نهائيا عن سجلماسة ودرعة حوالي عام 1050 /1640-1641 على يد محمد بن الشريف.

---

24) من رسالة لمحمد بن أبي بكر الدلائي الى أبي حسون ذكرها سليمان الحوات في **البدور الضاوية**، ورقة 60 / ب

25) محمد المختار السوسي، **خلال جزولة**، 2 62

26) سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 60 /أ

وقد انكمشت امارة أبي حسون بعد ذلك، وعاد نفوذه مقتصرا على سوس كما بدأ. وتوفي أبو حسون عام 1070 / 1659 ــ 1960 فخلفه ابنه محمد في امارة ايليغ، وظل بها الى أن دكها مدافع السلطان الرشيد بن الشريف وهدمها على رؤوس أهلها عام 1081 /1670. ووصف الاستاذ لمختار السوسي أطلال ايليغ المهدمة فقال «لا يزال برجان الى الآن، أما أحدهما فكان متعبدا للشريف العالم سيدي أبي بكر ابن السلطان بودميعة، والثاني يسامت هذا شرقيا في زاوية من زوايا السور. وذكر انه مركز المدافع (الصقالة) وبين البرجين دار الامير الكبرى لا يزال بعض جدرانها قائما، وشوارع المدينة طولا وعرضا لا يزال بعض آثارها واضحاً. وقد استفاض عند السكان اليوم مواضع الابواب في منتهى الشوارع الرئيسية في المدينة، كما لا يزال يظهر موضع مسجد المدينة الكبير الذي كان انهدم مع المدينة، والمدينة المهدومة تاتي في شمال إيليغ المحدثة التي سكنها أهلها الآن...»[27]

## د) علاقة الدلائيين بالمجاهد العياشي

المجاهد العياشي هو محمد (بفتح الميم) بن أحمد المالكي الزياني (بفتح الزاي وتشديد الياء) العياشي السلاوي. أصله من قبيلة بني مالك بن زغبة من العرب الهلالية المستوطنة في بلاد الغرب، وفصيلته القربى بنو زيان القاطنون اليوم بأحد أولاد جلول بدائرتي القنيطرة وسوق أربعاء الغرب. كان العياشي من أخص تلاميذ الشيخ عبد الله بن حسون الذي أشار عليه بالجهاد في سبيل الله.بدأ يظهر على مسرح السياسة في أوائل العقد الثاني من القرن الحادي عشر للهجرة (أوائل القرن 17 للميلاد) كمجاهد متطوع في بلاد دكالة يرابط فيها لقتال البرتغاليين في الجديدة. وبلغ خبر تضييقه على النصارى المحتلين وانتصاره على جيوشهم في وقائع حربية متعددة الى بلاط السعديين بمراكش، فكافؤوه بعمالة مدينة آزمور، ليظل

---

27) محمد المختار السوسي، **خلال جزولة**، ج 2. ص 22 وما بعدها.

شوكة في جنب البرتغاليين يقض مضجعهم ويبعث في قلوبهم الرعب والهلع. وتضايق البرتغاليون كثيرا من حركات العياشي ومرابطته الدائمة حول المنطقة التي يحتلونها، فعمدوا الى المكر والخديعة، واشتروا ضمائر حاشية السلطان زيدان بهدايا ثمينة. ونجحت المؤامرة الدنيئة. فجهز زيدان سرية قوية وجهها الى مدينة أزمور للقبض على العامل وقتله. لكن قائد السرية محمد السنوسي الذي كان على علم بجلية الامر بعث الى المجاهد العياشي خفية أن ينجو بنفسه، وأفسح له المجال للخروج الى مسقط رأسه. ورجع العياشي الى سلا عام 1023 / 1614 — 1615 فوجد الاسبانيين قد احتلوا ثغر المعمورة[28] قبل ذلك بسنة، وعاثوا في ضواحيه فسادا. وكان السلويون استغاثوا بالسلطان زيدان، ووفد جماعة منهم عليه بمراكش طلبا للنجدة والمعونة. «فصار يوعدهم (كذا) بالنصرة وهو يهزأ بهم الى أن خرجت له هدية عظيمة من عند النصارى من البريجة ودفعوها له، ففهم أهل سلا أنه قبض حق البلاد كيف فعل أخوه الشيخ بالعرائش، فانصرفوا راجعين الى بلادهم، وأخذوا في العدة والحزم والعسة على الاسوار..»[29] وهكذا اضطر السلويون الى الاعتماد على أنفسهم في مدافعة العدو النازل بأبواب مدينتهم، وقدموا عليهم المجاهد محمد العياشي وبايعوه على الجهاد واقامة الحدود، وكتبوا بذلك وثيقة أمضاها سكان المدن والقرى من بلاد تامسنا الى تازا. ووافق عليها فقهاء الوقت وقضاته. وبذلك نصب العياشي أميرا للمجاهدين في سلا وسائر بلاد الغرب. وامتد نفوذه فشمل تطوان وأقاليم الشمال. واتسع نطاق العمل أمامه فصار يتنقل في حركاته الجهادية بين المعمورة، والعرائش، وطنجة، وسبتة، ومليلية، والجديدة، ويقارع في حملات موفقة المحتلين الاسبانيين والبرتغاليين. وجابه العياشي في نفس الوقت صعوبات داخلية متعددة، منها ما كان ناتجا عن التمرد المعتاد لبعض القبائل ونزوعهم الى الاغارة والسلب والنهب وقطع السبل لاثارة الشغب والاضطراب انسياقا مع تيار الاحقاد والضغائن. وكثيرا ما تعرضت فاس لغارات قبائل

---

28) ثغر المعمورة، ويسمى أيضا المهدية وحلق سبو، يقع شمال مدينة سلا على مصب نهر سبو
29) مؤلف مجهول، **تاريخ الدولة السعدية**، ص 103

شراكَةوالحياينة، وتوجه العياشي الى عين المكان لكف المعتدين وزجرهم. وكان بعض رؤساء قبائل الغرب ينافسون العياشي ويحسدونه على ما يتمتع به من نفوذ وشفوف، بالرغم من وشائج القربى التي تربطهم واياه، وقد استطاع العياشي أن يتغلب على جميع الصعاب ويسير في خطته الجهادية قدما، فيصول ويجول ويرعب المحتلين ويدفعهم الى أن يقبعوا وراء أسوار المدن التي يحتلونها، ولا يبرحوها إلا نادرا.

على أن هناك طائفة أخرى من خصوم العياشي كانت أعظم خطرا عليه وأكبر ضررا. وهي جماعة من الفقهاء النفعيين الذين كان يحركهم البلاط السعدي بمراكش ليُفسد على العياشي خطته، ويصرف الناس عنه بعد أن فشل في القضاء عليه بأزمور. أخذ هؤلاء المتفقهون ينشرون بين الناس أن الجهاد لا يجوز الا مع وجود الامام وباذن منه، فتصدى لدحض هذه المزاعم علماء ذلك العصر وفي مقدمتهم محمد العربي الفاسي الذي أصدر فتوى هامة مطولة في الموضوع، اشتملت على خمس مسائل. ومما جاء فيها فيما يخص الامام واذنه قوله «لا يتوقف وجوب الجهاد على وجود الامام ولا على اذنه في الجملة، وذلك شرط كمال لا شرط وجوب. ومن المعلوم الواضح أن الجهاد مقصد بالنسبة الى الامامة التي هي وسيلة له، لكونه في غالب العادة لا يحصل على الكمال الا بها، فاذا أمكن حصوله دونها لم يبق معنى لتوقفه عليها. فكيف نترك المقاصد الممكنة، لفقد الوسائلَ المتعذرة ؟ ومن المعلوم في الفقه أن جماعة المسلمين تتنزَّلُ منزلة السلطان اذا عدم السلطان. وما مهذي به بعض الألسنة في هذه الأزمنة من أنه لا يجوز الجهاد لفقد الامام واذنه، فكلمةٌ أوحاها شيطان الجن الى شيطان الانس وقَرَها في أذنه، ثم ألقاها على لسانه، في زخارف هذيانه، إغواءً للعباد، وتثبيطا عن الجهاد. وحسبك فيمن يقول ذلك أنه من أعوان الشيطان، واخوانه الممدين في الغي والطغيان. والذي تشهد به الادلة أن الجهاد الآن أعظمُ أجراً من الجهاد مع الامام، لأن القيام به الآن عسير..»(30)

(30) عبد العزيز الزياتي، الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة ورقة 122.

خرست ألسنة المشاغبين مدة، وتبين للناس تدجيلهم وتلاعبهم بالدين، لكنهم عاودوا الكرة مرة أخرى واستغلوا فرصة نشوب الخلاف والقتال بين العياشي والاندلسيين المقيمين في الرباط والقصبة، فركزوا دعومهم هذه المرة على أن العياشي طامع في الملك يدعو الناس للدخول في طاعته ويقاتلهم على ذلك، مُضفين حلة الجهاد والقداسة على خصومه الأندلسيين، معللين مهادنة السلطان السعدي للنصارى بأنها ضرورة اقتضتها الظروف ليموِّن بواسطة سفنهم الحربية قصبة الرباط المحاصرة من طرف العياشي. وكان الذي تصدى للافتاء في ذلك هو أبو مهدي عيسى السكتاني قاضي الجماعة بمراكش[31] فأسهب في الكلام. ومما قاله في العياشي «.. ان حاصل أمر هذا الرجل المسؤول عنه أنه خَلَط عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليه إن الله غفور رحيم. أما جهاده ورباطه وحراسته ونسكه فنِعِمَّا هي، وأما مقاتلته للمسلمين وعدم اكتراثه بدمائهم واعتقاده حليتها، ومحاصرته لسكان الثغر وافساده بلادهم التي هي في نحر العدو، وحل نظامهم والسعي في ضعفها وإخلائها من عمالها فمن الشرع والدين والصواب فيها بمعزل..»[32] ولسنا بصدد البحث عن تاريخ العياشي لندرس بتفصيل موقفه من مهاجري الأندلس، ونناقش أقوال خصومه ومزاعمهم. على أنه بالرغم من نبل مقصد المجاهد السلوي، وثبوت استقامته وصلاحه باجماع كل من تعرض لأخباره من المؤرخين، يبدو أنه اشتط قليلا في القساوة التي عامل بها المورسكيين، وليته غض الطرف عن هفواتهم ــ مهما كانت عظيمة ــ وتركهم ولو الى حين على ما يرومون من استقلال في مدينتهم، وعمل على ايلافهم واجتذاب أفئدتهم، وتعويدهم الاشتراك في المجتمع الجديد الذي انتقلوا اليه.

وقد سبق لمحمد بن أبي بكر الدلائي أن تعرف على المجاهد مَحمد العياشي في مدينة سلا عند الشيخ عبد الله بن حسون، فتوطدت عرى الصداقة والمحبة بين

(31) الشيخ أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمان السكتاني أستاذ الحسن اليوسي صاحبُ **الحاشية على شرح العقيدة الصغرى** للسنوسي. كان قاضيا بتارودانت الى أن استولى عليها أبو زكريا الحاحي، فالتحق بمراكش حيث سماه عبد المالك بن زيدان السعدي قاضي الجماعة، وظل في عمله الى أن توفي بمراكش عام 1040/1630 ــ 1631.

(32) عبد العزيز الزياتي، **الجواهر المختارة**، ورقة 126/أ.

الرجلين، وظلا يذكران طوال حياتهما صفاء المنبع الصوفي الفياض الذي كرعا منه معا، ويتبادلان في شتى المناسبات رسائل تبدو فيها الصراحة والثقة والتقدير والاحترام.فالعياشي يكاشف صديقه الدلائي بما يعتزم القيام به من الحركات الجهادية، ويطلعه على خططه الحربية، ويتحدث اليه في غير كلفة ولا احتراز عما يعترضه من صعوبات مادية ومعنوية. وجاء في رسالة وجهها المجاهد العياشي الى الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي بعد الانتصار الذي كللت به إحدى غزواته ضد الاسبانيين في العرائش، وذلك عام 1631/1040 «وقد ورد علينا كتابكم المعظم أثير المحل لدينا، كريم الورود علينا، بغزوة العرائش أعادها الله دار اسلام، وقد قوي الأمل في الله سبحانه أن تكون تلك الغزوة مفتاحا لفتحها، ومقدمة تلزم لعزائم الاسلام نتيجة نجحها. فالمسلمون نازلون الآن بعقر دارها، ومرسلون الصواعق على أسوارها، حتى تغرق إن شاء الله بكفارها، ويأذن الله عز وجل ببوارها، وتطهيرها من أدناسها وأوضارها، وعَوْدِها الى مِلك الاسلام بعد إباقها وفرارها. هذا الذي انعقدت عليه النية، وانطوت عليه الحنية. لكن يا سيدي أين المساعد ؟ والأمر لا ينهض به الواحد..»(33) وكانت الرسائل الواردة من الدلاء تحمل للعياشي من التشجيع والتأييد ما يدفع به للسير قُدما في ميدان المقاومة والجهاد، والذود عن حوزة البلاد. وأخطر عقبة كانت تعترض طريق العياشي هي اختلاف القبائل وتخاذلهم. خصوصا بني عمه أعراب بلاد الغرب. ولما طَرَق خَبرُ فتنتهم سَمْعَ الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي كتب الى العياشي يقول «.. هذا وقد بلغنا وانتهى الينا أن تلكم القبائل المحيطة بسلا، حسبما نقله الرواة حديثا صحيحا ومسلسلا، ما قاموا بواجب شكر الله في نعمه التي أسداها اليهم، وأسبغها عليهم، وهي ذاتكم التي نابت على الأمة المحمدية في أداء هذا الفرض، الذي حمدت سعيَه أهلُ السموات وأهل الأرض. واذا كانت عادة القبائل أن يردوا أمورهم لمن فيه خصلة واحدة من شجاعة، أو رأي، أو جود، أو دين، ويجعلوه المعول، فكيف لا يرده قبيلكم لمن جمع الله به وفيه هذه الخصال وزيادة، وأحله

(33) عبد القاهر املاق، الخبر عن ظهور العياشي، ص 34.

بجهاده الرتبة العليا من الرياسة والسيادة، وسلك بهم مسلك الطاعة، وشيد لهم فخرا تبقى مناقبه الى قيام الساعة، فثق بربك، وشُدَّ يديك على الاعتصام بحبله والانتصار به وبأوليائه المومنين»[34].

وكتب الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي رسالة أخرى في نفس الموضوع الى أحد رؤساء بلاد الغرب من ذوي العصبية القبلية والسلطة الروحية، وهو الشيخ أبو زيد عبد الرحمن العايدي من أعيان أعراب سجير [35] يحثه على نصرة المجاهد العياشي وندب القبائل الى الائتمار بأمره ودعوتهم للالتفاف حوله والعمل معه يدا واحدة. وهي رسالة طويلة مؤثرة سلك فيها شيخ الدلاء مسلكا حكيما بين اللين والشدة، والترهيب والترغيب. وكان يعرف من مخاطبه الدين والميل الى التصوف. فحاول أن يؤثر عليه من الناحية الروحية، وذكر له أن للعياشي مددا من نور النبي ﷺ بواسطة شيوخه عبد الله بن حسون، وعبد العزيز التباع، ومحمد بن سليمان الجزولي، وطلب منه أن يبين ذلك لقومه «واشرحوا لهم أصل الهداية، فما هي إلا من النبي ﷺ ومن أهل المدد من نوره، وكل هداية غير هذا ضلال. واستدعوا من الله بقاء هذا السيد المرابط المجاهد في سبيل الله، الولي الصالح، العالم الناصح، العارف بالله المحقق الصوفي الرباني. أبو عبد الله سيدي محمد العياشي — وفر الله أنصاره — فله مدد من هذا النور..»[36] وتحدث ابن أبي بكر بعد ذلك عن المسائل الثلاث التي كانت سبب الخلاف القائم بين العياشي وقبائل العرب، وهي قطعهم للطرق، وامتناعهم عن دفع الزكاة، والجهاد معه في سبيل الله، فقال

«... أما نهي القبائل عن قطع الطريق والظلم ففيه صلاح دنياهم ومعاشهم، وأما الآخرة فما شعروا بها ولا عرفوها، ولو عرفوها ما احتاجوا الى هذا. فالظلم يُخلي الخيام، ويُعمرها بالأيتام. وأما أمرهم بدفع الأعشار والزكوات فلأنه لا يتم الايمان إلا

(34) عبد القادر املاق، **الخبر عن ظهور العياشي**، ص 18 — 19.

(35) الشيخ أبو زيد العايدي هذا هو قريب سيدي الحسن العايدي صاحب المزارة المشهورة بحي السويقة بسلا، والمتوفى عام 1718/1131. وهناك صلحاء آخرون من قبيلة سجير ذكر بعضهم الناصري في **الاستقصا**.

(36) عبد القادر املاق، **الخبر عن ظهور العياشي** ص 22 — 23.

بذلك. قال الله تعالى وأقيمُوا الصلاةَ وءَاتُوا الزكاة، وقد صرفها في مصرفها الشرعي وأعان بها المجاهدين.وأما دعاؤه الناس للجهاد واستنجادهم واجتماعهم عليه فان فيه قهر العدو الكافر، وبه رد الله كيده في نحره. مات والله الاسلام. قد قطع العدو البحر ودهم المسلمين في بلادهم، وتخطَّف الناس وأسرهم من بين خيامهم..»[37] وسار شيخ الدلاء في رسالته على هذا النمط متفجعا على الاسلام، مذكرا بما جرى للمسلمين في الأندلس، والمراحل التي قطعها العدو في امتلاك بلادهم، إلى أن أخرجهم منها نهائيا، وأخذت أطماعه تتجه لاحتلال هذه العدوة أيضا؛ ثم عاد فذكر فضل العياشي وجمعه لكلمة المسلمين، ودفاعه عن بلادهم دون أن يجد منهم مؤازراً أو معينا.

لم يقتصر تأييد الدلائيين للمجاهد العياشي على تشجيعه بالمراسلات وندب القبائل لمؤازرته ونصرته، وإنما كانوا يقدمون له الاعانات المادية، ويبعثون اليه بالجنود المقاتلة عند الحاجة. وقد أرسل الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي أواخر عام 1623/1032 جيشا قويا بقيادة ابنه محمد الحاج[38] لمساعدة العياشي على إخماد فتنة شراكَة [39]بضواحي فاس. وكان المجاهد العياشي يهادي الدلائيين بما يستطيع من التحف والطرائف اعترافا منه بالجميل. وبعث اليهم عام 1633/1043 ــ 1634 مع ابنه عبد الله بهدية عظيمة «اشتملت على أنواع الملف والكتان، وغيرهما من الثياب الرفيعة الغالية الأثمان»[40] حتى إن الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي تعجب من تلك النفائس التي امتلأت بها صناديق عدية، ورأى في استعمالها ترفا لا يليق بصوفي زاهد مثله، فوزعها كلها على الشرفاء والضعفاء والطلبة المقيمين بالزاوية الدلائية، ولم يحتفظ منها لنفسه ولا أهله بشيء.

(37) عبد القادر املاق، **الخبر عن ظهور العياشي**، ص 23.

(38) نفس المصدر، ص 13.

(39) أصل شراكَة من أعراب تلمسان، اصطنعهم عبد الله بن الشيخ المامون السعدي سلطان فاس(1022/1613/1032 – 1623) واتخذ منهم جيشاً خاصاً يعتمد عليه. وكانوا في بادىء الأمر يسكنون قصبات فاس وفنادقها ثم أخرجوا من المدينة بسبب طيشهم وفسادهم. ولما توفي عبد الله بن الشيخ عاث أعراب شراكة في ضواحي فاس فسادا. وكانوا ذوي بأس شديد. لم يتمكن العياشي من القضاء عليهم الا بمساعدة فرسان الدلاء.

(40) سليمان الحوات، **البدور الضاوية**. ورقة 49.

وصفوة القول أن العلاقات بين الدلائيين والمجاهدين السلاويين قامت على أساس متين من الاخلاص والوفاء. وكان الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي يولي الرئيس أبا عبد الله العياشي كثيرا من التقدير والاجلال، ويعتبره قائما بواجب ديني ووطني، نيابة عن جميع المسلمين في المغرب، حتى انه اتخذ دعاء خاصا مع أوراده يدعو به لهذا المجاهد فيقول «اللهم اجز عنا سيدي محمد العياشي أفضل المجازاة، وكافئه أحسن المكافأة، واجعل مكافأتك له كشف الحجب عن قلبه حتى تكون أقرب اليه منه. اللهم لا تحرمه توجهه اليك، وانقطاعه لخدمتك. اللهم نفس كربته، وكمل رغبته، وأجب دعوته، وسدد رميته، واردد له إلكرة على من عاداه في الحق، انك على كل شيء قدير»(41).

وسنرى في الفصل الرابع من هذا الباب التطورات المؤسفة التي طرأت على العلاقات بين العياشي والدلائيين الى أن أفضى الأمر بهم الى القتال.

## 2 ــ زعامة محمد الحاج السياسية

(1668 - 1636/079 - 1046)

### أ) من هو محمد الحاج ؟

محمد الحاج هو أكبر أبناء الشيخ مَحمد بن أبي بكر الدلائي. ولد في الدلاء عام 1589-1588/997 (42) ونشأ كسائر إخوته وبني عمه مكبا على الدرس والتحصيل في الزاوية البكرية. ونال اجازات عامة في مختلف الفنون الدينية من شيوخه أحمد بن القاضي، وأحمد بن عمران السلاسي، والعربي بن يوسف الفاسي المتقدمين. «وكان ذا وجه حسن، وذلاقة لسان، حسن الشارة، بارع الفهم والعبارة، موصوفا بالرجولة والمروءة الفائقة»(43) وتوجه محمد الحاج الى البقاع

---

(41) أحمد الناصري، **الاستقصا**، ج 2، ص 91.

(42) أبو القاسم الزياني، **الترجمان المعرب**، ص 362. ويجعل مؤرخون آخرون ولادة محمد الحاج عام 1592 ــ 1591/1000.

(43) سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 109/ب.

المقدسة عام 1631/1041 ــ 1632 في موكب حافل ضم كثيرا من رجال العلم والفضل والدين، من جهات مختلفة حتى من بلاد توات. ولقي في رحلته الحجازية كثيرا من مظاهر العناية والتقدير، فخطب الناس في عرفات، ودرس بالمدينة المنورة، وقدم فيها خطيبا واماما، ولدى مروره بالقاهرة خرج للقائه الامام أحمد المقري، فأقام عنده وعند شيخ المالكية بمصر علي الأجهوري مدة كان محمد الحاج خلالها يعقد مجالس علمية بالجامع الأزهر ويلقي دروسا في التفسير والحديث وغيرهما.

وبدت كفايةَ محمد الحاج السياسية والحربية في حياة والده الذي كان يعتمد عليه في المهمات، ويرسله على رأس جيش الدلاء الى ما وراء نهر ملوية والى بلاد الغرب فيرجع ظافرا منصورا. وقد انفرد أبو القاسم الزياني ــ فيما أعلم ــ بذكر أخبار غريبة عن نشأة محمد الحاج، زعم نقلها عن الشيخ اليوسي فقال عن أمير الدلاء إنه كان في ابتداء أمره طالبا صعلوكا مملقا، طرده والده لاشتغاله بما لا يعنيه ومصاحبته للبطالين، فكان يأوى الى كهف في جبل يدلا أوقد فيه النار ذات ليلة فرأى أثر باب داخله فثقبه واستخرج منه سبعة قماقم نحاسية في كل منها عشرة آلاف دينار مريني «فأصلح حاله وواسى أقاربه وأصحابه. وولع بركوب الخيل، واستركب الأقارب والأقران، فلم تكمل عليه السنة الى أن كان يركب في مائة من الخيل من الأولياء والمصطنعين. واشتغل بتقويم الأتباع من قبيلة مجاط وغيرهم من صنهاجة أيت أومالو(44). وصار يشنُّ الغارة على مَن بملوية وتادلا من العرب، فعلا صيته»(45).

وأخبار الصعلكة والبطالة والاملاق تناقض ما أجمع عليه المؤرخون وأصحاب التراجم من حسن تربية أبناء الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي جميعا،

---

(44) أيت أومالو ومعناها بنو الظل هم سكان شمال الأطلس. يقابلهم أيت أسمار (بتشديد الميم) أي بنو الشمس وهم سكان جنوب الأطلس.

(45) أبو القاسم الزياني، **البستان**، ورقة 1/5.

وتنافق وتأثير البيئة الصالحة في نفوس الناشئين فيها، خصوصا ونحن نعرف ما أوتي الدلائيون من بسطة في المال والعلم والصلاح. وكتبُ اليوسي بين أيدينا لم نعثر فيما قرأناه منها على هذه الأساطير، بل بالعكس من ذلك نجد اليوسي في **المحاضرات** يخصص فصلا طويلا في نحو 18 صفحة يروي فيه مباشرة عن محمد الحاج كثيرا من الأخبار العلمية والأدبية ويتحدث عنه بكامل التعظيم والتقدير.

## ب) نزوع محمد الحاج الى الحكم

بمجرد وفاة الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي عام 13636/1046 ظهر نزوع محمد الحاج الى الاستقلال بالأمر، وبدأت أعناق مختلف القبائل تشرئب اليه، وأحمال أعشارهم وزكواتهم تُحمل لديه، فامتلأت رحاب الدلاء بالوفود، وتضاعف فيها عدد الأتباع والجنود. ورأى ملك مراكش محمد الشيخ السعدي في ذلك الأداة الفعالة للقضاء الحتمي على ما بقي له من نفوذ، فعمل على تدارك الأمر بالحكمة، وسلك نحو هذا الرئيس الطموح سبيل المجاملة واللين. فسارع في بادىء الأمر الى بناء ضريح الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي، وشيد عليه قبة أنيقة بعث لاقامتها الصناع والأدوات اللازمة من مراكش، وأنفق عليها بسخاء. وبعد ذلك بعث ملك مراكش قاضيه الشيخ محمد المزواري الى الدلاء، ليستميل اليه محمد الحاج ويحضه على الطاعة والبيعة. لكن نصائح القاضي ومواعظه ذهبت أدراج الرياح، فمحمد الحاج كان مصمما على أن يقبض على زمام الحكم في المغرب، بعد أن تأكد له اضمحلال نفوذ السعديين واستبداد الثوار عليهم في كل مكان. ويذكر المؤرخون أن محمد الحاج اعتذر لقاضي مراكش بمسائل لم يفصحوا عنها، ولعله أفهم مخاطبه بأن عجز السعديين في ذلك الحين عن القيام بمهمتهم، أفقدهم أهم أركان الخلافة الذي هو الكفاية، فلم تعد لهم عصبية قبلية، ولا سلطة روحية مستمدة من نسبتهم القرشية، فغدا بذلك جلوسهم على العرش غير ذي موضوع. إذ ليس من المعقول أن تشتعل نيران الفتنة في أرجاء البلاد وتاتي على الأخضر واليابس، وينعدم الأمن ويختل النظام، في الوقت الذي يوجد ملك صوري قابع في قصره لا يحرك ساكنا وكأن الأمر لا يعنيه!

وبالرغم من فشل القاضي لم ييأس محمد الشيخ، وكتب رسالة مطولة الى محمد الحاج وعشيرته، حاول فيها أن يكون لبقا يجمع بين الوعد والوعيد، ويسلك سبيل اللين والتهديد، لكن قلم الكاتب جمح فأسهب في اختلاق المعايب والنقائص للدلائيين، مما يتنافى وما يتطلبه الموقف من اجتلاب قلوبهم والتودد اليهم. وقد جاء في هذه الرسالة «ولم تراقبوا مكر من رفعكم عن غمار عموم البرابر، وأقعدكم في القباب على الأسرة وفي بيوت الله على الكراسي والمنابر. عويتم علنيا معشر الثوار كالذئاب من كل عراء وشعبة، لتكون عزيمة نهوضنا اليكم معطلة صعبة، وان لا ندري أين تميل النفوس، ألتلك الصحاري أم إلى إيليغ السوس. وهذا المغرب لا يخلو ملآن من نواميس كل كاهن ومدع قرقار[46] تمسي فيه البومة خاملة وتصبح بالمخلب والمنقار»[47] واقترح محمد الشيخ في آخر هذه الرسالة على الدلائيين أن يتنازل لهم عن قسط من الجبايات، يكفي شؤون الزاوية وأهلها، مقابل أن يعترفوا بسلطته ويكفوا أيديهم عما عدا ذلك،.. فقال «وحتى الآن دعوناكم لعقد البيعة الواجبة لنا على كل من أطاع أو عصى، من وجدة الى حدود السوس الأقصى، فنزهد لكم فيما يقوم بحق تلك الزاوية وأهلها، بشرط أن تفيقوا من سِنة الغفلة وجهلها، وان أمسكتم أقدام الانقياد، عن سلوك سبيل السداد، وقبولِ سوله، فأذَنوُا بحرب من الله ورسوله»[48].

وقد أجاب محمد الحاج عن هذه الرسالة بأخرى بليغة من انشاء أخيه محمد المسناوي، ظهر فيها استنكاف الدلائيين مما لمزهم به محمد الشيخ من النقائص، واعتذروا عن عدم تجديد البيعة بأمرين، أولهما أن قبائل البربر لم تعد تعترف بسلطة السعديين، فلو بايعهم الدلائيون لانفض البربر من حولهم ونزحوا عن ساحتهم. وثانيهما قيام محمد بن الشريف في الصحراء وتقويه ببرابرة صنهاجة وعرب دخيسة، وتشوفه لامتلاك المناطق الخاضعة للدلائيين على ضفاف نهر ملوية

---

(46) القرقار  الذي يهدر كالجمل.

(47) أحمد الناصري، **الاستقصا**، 6  99.

(48) نفس المصدر، ص 100.

ورباط تازا. وبعد أن ذكر الدلائيون ما هم عليه من المنعة وشدة البأس قالوا «وحتى الآن ان قصدتم الغرب أو حصن فاس، فلا تنالكم من جانبنا مساءة ولا بأس، فبعد أن يكون لكم في المدينة البيضاء الجديدة والقديمة[49] قرار، يكون لنا بعد ذلك حكم الاختيار، بين أن نومن لك أو نترك لك الديار، أو نستصرخ بمن هو مثلك شريف حقيقي وسلطان، له شغف أكثر منك في ضبط الأوطان، وان قنعت بحوز الحمراء من مراكش، ورفضت عنك معاناة الهراش والتناوش، فدعنا ومراعاة من تجارته الرئاسة، وهمته اشتراء نفيس السياسة، ضرغام غاب سجلماسة»[50]. والرسالتان خاليتان من التاريخ، وقدّر الناصري في **الاستقصا**[51] أنهما تبودلتا خلال عام 1046. (1636 ــ 1637) والظاهر أنهما كانتا في أواخر عام 1047 أو في أوائل 1638/1048 لأنهما تتحدثان عن الضريح الذي شيده السعديون للشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي المتوفى شتاء عام 1636/1046. وتتعذر المواصلة في هذا الفصل إن لم نقل تنقطع بين مراكش والمنطقة الجبلية التي تقع فيها الزاوية الدلائية. وبذلك فإن العمل في بناء الضريح لم يبتدىء الا في أواخر ذلك العام أو مطلع العام الذي يليه. ولا يمكن عادة نقل المواد اللازمة للبناء من مراكش الى الدلاء، وتشييد القبة وزخرفتها في أقل من سنة، أضف الى ذلك فترة سفارة القاضي المزوار التي سبقت الاشارة اليها. على أي حال فإن الرسالتين السابقتين كانتا آخر محاولة للتفاهم بين السعديين والدلائيين، وسيتقابل الفريقان في معركة حاسمة على ضفاف وادي العبيد ليقرروا المصير النهائي لعلاقاتهما كما سنراه في الفصل التالي.

### ج) تأسيس مدينة الدلاء

عرفت الزاوية الدلائية القديمة في هذه الفترة تطورا كبيرا، فتضخم عدد سكانها حتى ضاقت بهم الأبنية والاخصاص، وامتلأت السبل المؤدية اليها على

(49) المراد بالمدينة البيضاء الجديدة فاس الجديد، وبالقديمة فاس الادريسية.

(50) الناصري، **الاستقصا**، ج 6، ص 102.

(51) ج 6، ص 97.

وعورتها بالواردين والصادرين. ورأى محمد الحاج أن يؤسس مدينة جديدة واسعة في منبسط من الأرض يسهل الوصول إليه. فارتاد لعاصمة امارته المكان الذي توجد فيه اليوم زاوية أيت إسحاق في سفح الأطلس المتوسط على الطريق الرابطة بين خنيفرة وقصبة تادلا(52) وفي ذلك يقول محمد بن الطيب القادري «وفي عام 1048 [1638] شرع أمير المومنين السلطان سيدي محمد الحاج الدلائي في بناء قصبة الدلاء في منتصف يوم الأحد سادس وعشري ربيع الأول من العام، وانتظر لذلك طالع سعيد»(53) وقد أخذت هذه المدينة الجديدة أسماء كثيرة فبعض المؤرخين دعاها قصبة الدلاء، وبعضهم سماها مدينة الدلاء أو مدينة ازغار أو زاوية محمد الحاج، والى ذلك كان يطلق عليها إسم الزاوية الدلائية أو الزاوية البكرية، لانتقال الدلائيين الي السكنى بها وهجرة العلماء والطلبة اليها، حتى إن الزاوية الدلائية القديمة في عهد محمد الحاج لم تعد سوى قرية ثانوية يسكنها الفقراء والعجزة ويدفن فيها موتى الأسرة الدلائية كما سبق. واتخذ محمد الحاج لنفسه قصرا وديوانا عظيمين في وسط المدينة الجديدة كان يحيط بها سور داخلي ما يزال بعضه ماثلا للعيان حتى اليوم.(54) وأسكن معه في العاصمة خمس قبائل بربرية من أكثر سكان الأطلس المتوسط عصبية وحمية، وهي مجاط، وأيت يمور، وأيت نضير (بني مطير)، وكَروان، وأيت إسحاق. فاستكمل الدلائيون بذلك مظاهر الأبهة والسلطان، وتكونت لديهم أهم قوة حربية بالبلاد سيصول محمد الحاج بها ويجول، ويمتلك أهم أقاليم المغرب مدة تنيف عن ثلث قرن.

### د) بيعة أهل المغرب لمحمد الحاج

لما استتب الأمر لمحمد الحاج، وقضى على خصومه ومنافسيه، ودان له وسط المغرب وغربه وشماله، وكثر جنده وأنصاره، أخذ يفكر في إضفاء صبغة شرعية على موقفه، ويعمل على تنصيب نفسه ملكا على البلاد لاسيما وقد كان تدهور السعديين في مراكش بلغ غايته، وأصبح من السهل التخلص من القائمين في

(52) تبعد مدينة محمد الحاج المعروفة اليوم بزاوية أيت اسحاق عن خنيفرة بـ 35 كلم، وعن قصبة تادلا بـ 64 كلم.

(53) محمد القادري، نشر المثاني ، 1 376.

(54) انظر اللوحة رقم 8.

الجنوب. فطالب الناس ببيعته والتزام طاعته، وذلك في أوائل عام 1651/1061.
«فقام أهل المغرب بدعوة سيدي محمد الحاج وأدعنوا لطاعته وأمره، وجاءته البيعات من البلدان المغربية، وبايعه أهل فاس الادريسية والعليا بالخلافة، وكتبوا له البيعة بجامع القرويين، وحضرها من هو أهل لذلك من الأعيان، والجم الغفير من أهل الديوان، في مهل ربيع الثاني عام 1061 وقدموا عليه بها للزاوية الدلائية فقرئت على منبر مسجدها، ووضعت في صندوق مع غيرها من بيعات أهل نواحي المغرب في خزانة كتب الجامع المذكور..»(55).

## 4 ــ أعمال محمد الحاج الحربية

### أ) الحملتان الدلائيتان الأوليان

قضى محمد الحاج الدلائي السنتين الأوليين في إعداد العدة وتنظيم الجيش، وتأسيس العاصمة وترتيب القبائل، ولم يتحرك جنده إلا في عام 1638/1048، فقام في هذه السنة بحملتين كبيرتين، على ضفاف نهر وادي العبيد وفي بسائط بلاد سائس. وقد ترأس محمد الحاج بنفسه الحملة الأولى، عندما بلغه خبر تحرك جيش محمد الشيخ السعدي من مراكش في اتجاه الدلاء. والتقى الجمعان على ضفة وادي العبيد ببلاد تادلا، في المكان المعروف بأبي عقبة على بعد 12 كلم من المركز الحالي لدار ولد زيدوح. وجرت معركة حامية الوطيس أسفرت عن انهزام محمد الشيخ ورجوع جيشه مفلولا الى مراكش. وانقطع بذلك نظر السعديين نهائيا عما شمله نفوذ الدلائيين من البلاد.

وكان سبب الحملة الدلائية الثانية هو استنجاد المجاهد العياشي بمحمد الحاج، ليساعده في القضاء على فتنة الحياينة(56) وشراكَة الذين قويت شوكتهم، وأمسوا يغيرون على الفاسيين ويسلبونهم أموالهم وأمتعتهم، ويتخطفون أولادهم

(55) سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 111/ب.
وذكر خبر قيام أهل المغرب بدعوى محمد الحاج في التاريخ المذكور أيضا محمد القادري في نشر المثاني، 2 :53.

(56) الحياينة قبيلة عربية في شمال فاس، مستقرة بين نهري سبو وورغة، تشتمل على ثلاث عمائر كبيرة وعشائر كثيرة ــ (هامش العز والصولة، ص 17).

ونساءهم. وقد توجه وفد من علماء فاس وأعيانها الى المجاهد العياشي بسلا[57]، ورجوا منه أن يخلصهم من بلاء القبيلتين المجاورتين. فأحالهم العياشي على محمد الحاج، وبعث معهم بخطاب يشرح له الحال ويرجو منه الاغاثة والنجدة. فلبى أمير الدلاء نداء الواجب، وأرسل الى العياشي جيشا قويا من البربر تحت امرة أحد قواده المسمى شعشوع. ويمكننا أن ندرك مدى أهمية هذا الجيش اذا عرفنا أن المجاهد العياشي استطاع به أن يقضي نهائيا على القبيلتين المتمردتين ويلاحق فلولهما في قنن الجبال، ويفرق بقاياهما في القبائل لتنحل عصبيتهما، ويأمن الناس شرهما، وطالما عالج العياشي أمر الحياينة وشراكة قبل ذلك فلم يحصل على طائل.

### ب) مهاجمة المجاهد العياشي

لم تطل مدة الصفاء بين الدلائيين والعياشي بعد ذلك، إذ كان نظر محمد الحاج متجها نحو الغرب، بعد أن تركزت قدماه في ملوية العليا وبسائط تادلا وما والاهما من البلاد. وكان لا بد له اذا أراد تحقيق مطامحه أن يتخلص من العياشي صاحب النفوذ في الثغور. ولا نظن حادثة الأندلسيين الا تعلة اتخذها محمد الحاج لتبرير موقفه العدائي من مجاهد سلا، وفرصة اهتبلها للقضاء على منافسه من أجل التوسع وبسط النفوذ. وقد اتهم العياشي الأندلسيين المقيمين على الضفة اليسرى لنهر أبي رقراق بممالأة الأسبانيين على المجاهدين، وأفتاه العلماء بجواز قتالهم، فحاصرهم وضيق عليهم الخناق الى أن تمكن من مدينة الرباط، وبقيت القصبة تقاوم الحصار مدة طويلة، اذ كانت حاميتها تتألف من الموريسكيين وجنود الملك السعدي صاحب مراكش، يشدُّ أزرَهُم الاسبانيون من البحر. ومما يؤكد الاتهامات الموجهة ضد الأندلسيين ما ورد في رسالة بعث بها دورستان «DE RASTIN» القائم بأعمال قنصلية فرنسا في سلا الى رئيس الوزراء ريشوليه «RICHELIEU» بتاريخ 16 يوليوز 1639 يخبره بأن سلا الجديدة (الرباط) قد

---

(57) أشار الى هذه الزيارة التي قام بها وفد علماء فاس للمجاهد العياشي بسلا محمد بن أحمد ميارة في مقدمة شرحه للمرشد المعين، وكان ذلك أواسط ذي الحجة عام 1638/1047.

سقطت في يد العياشي، وان الحصار قائم حول القصبة التي تمون بواسطة الاسبانيين(58).

وقد أهدر العياشي دماء الأندلسيين في الرباط والقصبة وأباح أموالهم، وفرت طائفة منهم الى الدلاء فأجارهم محمد الحاج وشفع لهم عند العياشي فلم يقبل هذا الأخير الشفاعة فيهم، وأبى إلا أن يستأصل شافتهم. فكان رد محمد الحاج أن زحف بجنده على منطقة نفوذ العياشي، في أوائل عام 1640/1050 وملك مدينة مكناس، ثم اتجه الى فاس فاعترض العياشي طريقه، ووقعت الحرب بين الصديقين القديمين، واقتتل الجيشان المتحالفان الى عهد قريب. وكان النصر في البداية حليف محمد الحاج، فتقدم الى فاس وحاصرها مدة. ثم كر عليه العياشي في جموع وفيرة من رجال الغرب فانهزم الدلائيون لأول مرة ورفع الحصار عن المدينة. عرف محمد الحاج أنه لا يستطيع القضاء على خصمه ما دام في عزة ومنعة من قومه وأنصاره قبائل الغرب، فرأى أن يبحث عن منافسي العياشي من بين رؤساء هذه القبائل، وفي مقدمتهم التاغي والد خيسى، فحالفهم وجذب بواسطتهم الى جانبه طائفة مهمة من الأعراب. واغتنم محمد الحاج فرصة تغيب العياشي في بلاد الفحص لقتال الاسبانيين في طنجة، فحشد جموع العرب والبربر شمال نهر سبو، وترصد وهو على أتم أهبة وأكمل استعداد عودة خصمه من الجهاد. وفوجىء العياشي بهذا الجيش الجرار الذي اعترض طريقه، ورأى ألّا قِبَلَ له به، فجنح الى السلم والمهادنة، لكن المجاهدين الذين كانوا معه أبوا إلا الدفاع عن أنفسهم ومواجهة خصومهم، فوقعت المعركة الثالثة بين العياشي والدلائيين في ضواحي سوق أربعاء الغرب أواخر 1641/1050. وكان من الطبيعي أن لا يصمد المجاهدون الذين أنهكتهم الاغارات على الاسبانيين، خصوصاً وهم قلة أمام هذه الحشود المستريحة، وقُتل فرس العياشي تحته في المعركة فلجأ الى قبيلة الخلط(59) وهو لا يعلم أنها

58) De Castries, **Les Sources inédites**, France I, 3 384

(59) الخلط قبيلة غربية مساكنها بين سوق أربعاء الغرب وعرباوة.

انحرفت عنه فيمن انحرف من الأعراب. فلم يستقر به المقام عندهم حتى اغتالوه في عين القصب التي تبعد عن مركز سوق أربعاء الغرب بنحو 20 كلم غربا، واحتزوا رأسه وبعثوا به الى خصومه، وذلك في 9 محرم عام 1641/1051. وبموت العياشي وتفرق أنصاره خلا الجو للدلائيين وتساقطت في أيديهم المدن والأقاليم تباعا. فملكوا فاسا بعد حصار دام ستة شهور، ثم استولوا على سلا وتطوان وسائر بلاد المغرب.

وقد عدد أبو القاسم الزياني المدن والقبائل التي شملها نفوذ محمد الحاج فقال «استولى الرئيس محمد الحاج بن الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي على وادي ملوية كيف جرى، والريف، وقبائل صنهاجة[60] والاخماس وغمارة[61] وتطوان. وقصر مصمودة[62] والبصرة [63] وقصر كتامة[64] وقبائلهم، وبلاد ورغة[65] وتازة، ومكناسة الزيتون، وبني يازغة[66] وقبائلها من الجبال»[67].

حاول عبد الله العياشي[68] أن يثأر والده المجاهد القتيل فحشر لذلك أنصاره من قبائل الغرب، ولقي جيش الدلائيين بقيادة محمد الحاج على ضفاف واد الطين بالقرب من مركز أحد كورت الحالي، في أوائل ربيع الأول عام 1643/1053 وجرى بين الفريقين قتال شديد كان التفوق فيه للدلائيين، وطارد محمد الحاج أنصار العياشي وجاس خلال ديارهم، فعمت الفتنة قبائل الغرب وفشا فيهم القتل والنهب.

(60) يراد بقبائل صنهاجة ما يعرف اليوم بأيت أومالو في الأطلس المتوسط، وتشمل زيان واشقرن وأيت شخمان وبني مكيلد.

(61) الاخماس وغمارة من جملة قبائل جبالة. وديارهم في ضواحي مدينتي شفشاون وتطوان.

(62) قصر مصمودة ويقال له أيضا قصر المجاز والقصر الصغير يقع بين طنجة وسبتة.

(63) تقع البصرة بين عرباوة ووزان. وهي الآن خراب.

(64) قصر كتامة ويقال له أيضا قصر عبد الكريم هو مدينة القصر الكبير الشهيرة جنوبي العرائش.

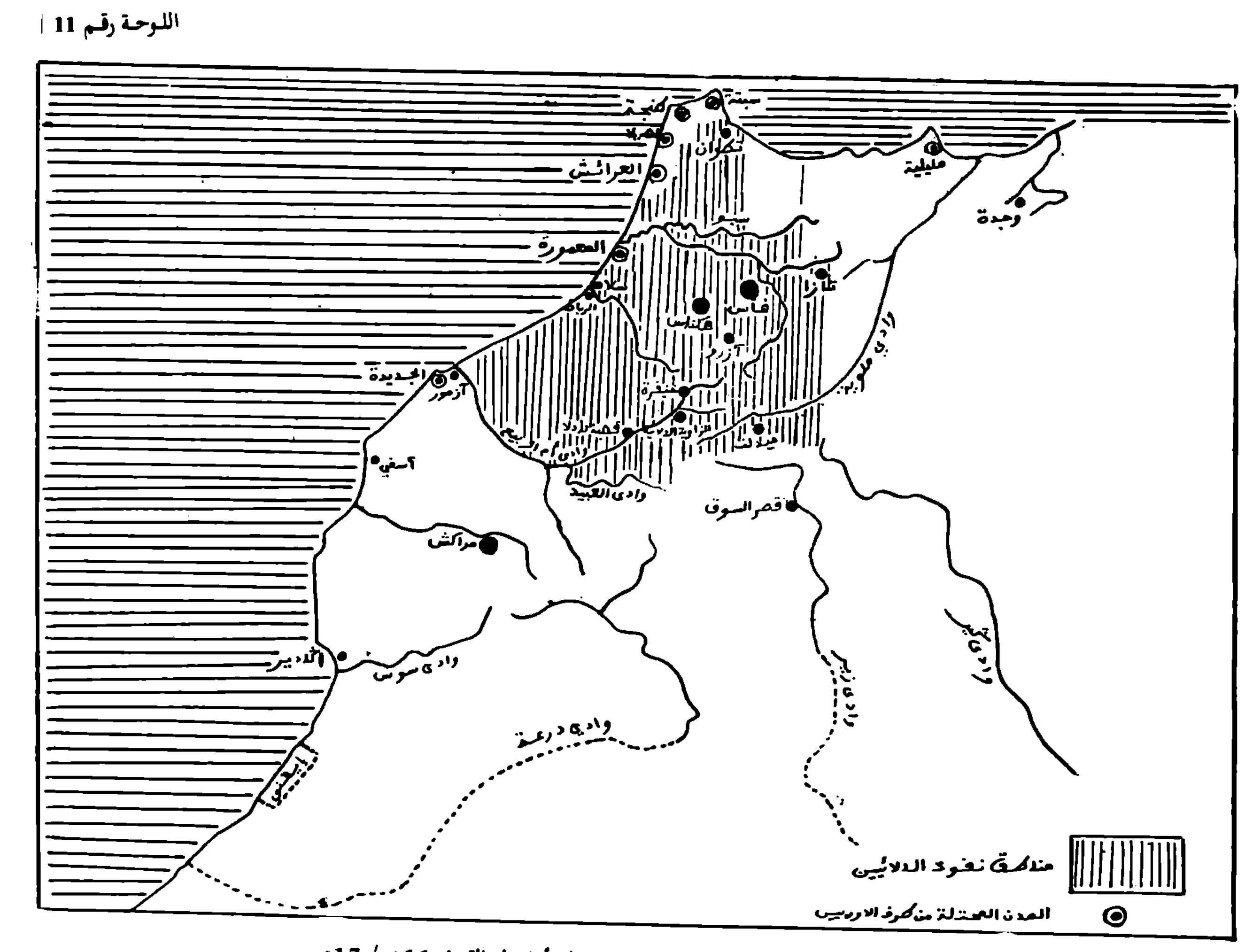
(65) نهر ورغة أحد روافد وادي سبو، يجري شمال فاس وتقطن حوله قبائل جبالة.

(66) بني يازغة تابعة لدائرة صفرو ومن أشهر قراها المنزل.

(67) أبو القاسم الزياني، **رسالة البلديين**، ص 479.

(68) عبد الله بن محمد العياشي عالم أديب وبطل مغوار أثنى عليه الشيخ محمد ميارة في مقدمة شرحه للمرشد المعين (1 3) وحلاه بألقاب علمية عالية. كان عبد الله العضد الأيمن لوالده في الحركات الجهادية ورسوله الى الدلائيين وغيرهم. توفي عام 1663/1073 ودفن على ساحل المحيط الاطلنطيقي بالقرب من مولاي بوسلهام.

اللوحة رقم 11




المناطق التي شملها نفوذ الدلائيين بالمغرب خلال أواسط القرن 11هـ / 17م

من تصميم المؤلف

### ج) غزو شرفاء سجلماسة

بعد أن قضى محمد الحاج على منافسيه في بلاد الغرب وجه نظره الى ما وراء نهر ملوية، وكان يتوجس خيفة من انتشار نفوذ محمد بن الشريف في الصحراء، وطالما بحث محمد الحاج دون جدوى عن وسيلة تضمن له بسط سلطانه على سجلماسة(69) وتحد من طموح الشريف وأبنائه. وبالرغم من تفوق الدلائيين المطلق في الناحية العسكرية كان يصعب عليهم أن يضايقوا آل البيت وينكلوا بهم. ولعل إحجامهم عن الاساءة الى العلويين في الوقائع الحربية العديدة التي ظهروا عليهم فيها يرجع قبل كل شيء الى ما وَقَرَ في صدور آل أبي بكر الدلائي من حب صادق في الجناب النبوي، بالاضافة الى ما يفرضه عليهم الوسط السجلماسي المشبع بتعظيم الشرفاء. ولكن السياسة تُعمي وتُصم، والرئاسة تدفع بصاحبها الى حيث يريد وحيث لا يريد. وهكذا أكلت الغيرة صدر محمد الحاج وأعياه الصبر فزحف الى تافيلالت على رأس جيش جرار من البربر في أوائل عام 1056 /1646 ليقضي على منافسه مَحمد ابن الشريف. وكانت بينهما وقعة القاعة المشهورة التي أسفرت عن انتصار الدلائيين ودخول محمد الحاج الى مدينة سجلماسة، حيث أباح للبربر أن يفعلوا فيها ما يشاءون، فروعوا السكان، واستباحوا الدماء والأموال والأعراض. ثم استجاب الدلائي لتوسلات أعيان تافيلالت وشفاعتهم، وكف أيدي الجند عن الناس، وصالح محمد بن الشريف على اقتسام مناطق النفوذ، فجعلوا ما دون جبل العياشي من الأقاليم الصحراوية من نصيب ابن الشريف، وما فوق ذلك من البلاد خاصا بالدلائيين. واستثنى محمد الحاج من منطقة نفوذ الشرفاء خمسة مراكز احتفظ بها لنفسه، لما كان له فيها من مصالح حيوية خاصة، وهي الشيخ مغفر في أولاد عيسى بالرتب(70)) والسيد

(69) سجلماسة مدينة عتيقة أسسها بنو مدرار في القرن الثاني للهجرة، ولعبت أدوارا مهمة في تاريخ المغرب، وظلت آهلة بالسكان بل عاصمة لاقليم تافيلالت الى ما بعد القرن الحادي عشر /القرن السابع عشر. وما زالت أطلالها ماثلة للعيان بالقرب من الريصاني، ويسميها الفيلاليون المدينة الكبيرة أو القديمة.

(70) أولاد عيسى قصر يقع على الضفة الغربية لوادي زيز، ويبعد عن قصر السوق بنحو 40 كلم جنوبا.
والقصر في اصطلاح أهل تافيلالت يعني قرية صغيرة، ويُطلق عليها البربر اسم إغْرَم (بكسر الهمزة وفتح الراء وتسكين الغين والميم)، واذا صغر القصر ولم يضم الا منازل قليلة سمي قُصيرا أو تَغْرَمت (بفتح التاء وتسكين الغين والراء والميم والتاء).

الطيب في قصر السوق(71)والسيد أحمد بن علي العثماني في بني عثمان من الخنق(72) وقصر كَلميمة في وطن غريس(73) وأسرير في بلد فركلة(74). غير انه لم يكد ينصرف محمد الحاج من الصحراء حتى هجم محمد بن الشريف على القصور التابعة للدلائيين واستولى عليها. وتطورت العلاقات بين الطرفين تطورا سيئا كان السبب في القضاء على الزاوية الدلائية كما سنرى في الباب التالي.

## د) الجهاد ضد الاسبانيين في المعمورة

لم يهم محمد الحاج كثيرا بالجهاد ولو أن النصارى كانوا يحتلون ثغوراً عديدة بجوار المراكز التي يسيطر عليها. ولعله كان مشغولا عنه بالأحداث الداخلية. فهو بالرغم من اتساع رقعة نفوذه ووفرة جنده، لم يستطع أو لم يجرؤ على التخلص نهائيا من منافسيه بمراكش وسجلماسة وإيليغ، زيادة على خصومه شيعة العياشي المنبثين في بلاد الغرب وأقاليم الشمال. على أن محمد الحاج دعا الناس للجهاد في أواخر رجب عام 1643/1053 واشتغل نحو نصف شهر بتهييء الحملة لكنه انصرف عنها لأسباب خاصة(75) ثم قام بغزوة كبرى ضد الاسبانيين بثغر المعمورة عام 1647/1057 بعد أن استنفر المجاهدين للحركة معه من جميع الأقاليم(76). وكان ممن استجاب لدعوته أهل فاس ومعهم الشيخ محمد بن عبد الله معن صاحب زاوية المخفية بعدوة الأندلس، وابنه الصالح أحمد، فأبليا البلاء الحسن في قتال العدو. وضعف الشيخ يوما عن صعود عقبة بضواحي المعمورة لكبر

(71) قصر السوق ويسمى اليوم الراشدية هو مقر عمالة تافيلالت، ويبعد عن مكناس بنحو 330 كلم.

(72) بني عثمان ويعرف اليوم بأيت عثمان. عبارة عن عدة قصور تقع على بعد نحو 27 كلم من الراشدية شمالا. ويوجد الآن مشروع بناء سد على وادي زيز يعرف بمشروع خزان أيت عثمان.

(73) تقع كلميمة على ضفة نهر غريس على بعد نحو 60 كلم من الراشدية غرباً في طريق ورزازات. ويسكنها حتى اليوم أيت مرغاد من البربر.

(74) أسرير قصر على ضفاف وادي فركلة. بعيد عن الراشدية بنحو 86 كلم غربا.

(75) سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 110/ب.

(76) محمد القادري، **نشر المثاني**، 2 41.

وقد ذكر المحققان لكتاب **الاستقصا**، في الهامش (6 :98) احتمال وقوع هذه الغزوة عام 1052 وهو خلاف الواقع لتضافر النصوص العربية والأفرنجية على تحديد عام 1647/1057 تاريخا لحصار المعمورة من طرف محمد الحاج الدلائي.

سنه، فحمله ابنه أحمد على ظهره حتى قطع به المواضع المخوفة، وكان ذا نجدة وإقدام، وحمية في الدفاع عن حوزة الاسلام.

وقد أورد الكونت دو كاستر(77) رواية مفصلة لحصار المعمورة. تتحدث بإسهاب عن مراحل الهجوم والدفاع والإغاثة. وتحدد تاريخ الحصار من 10 غشت الى 3 شتنبر 1647. وهذا التاريخ يتفق في المبدأ تماما مع ما ذكرته المصادر العربية. فالقادري في نشر المثاني وغيره يقولون إن المسلمين خرجوا للجهاد في المعمورة في 7 رجب 1057. وهو يوافق 7 غشت 1647 ومن الطبيعي ألا يقع الزحف على الحصن الا بعد ثلاثة أيام من خروج المجاهدين من فاس مثلا. لكن تختلف الروايات الاسلامية والفرنجية في مدة الحصار. فالمصادر العربية تقول ان المسلمين رجعوا الى ديارهم بعد 18 يوما بسبب تفشي المرض والموت فيهم من ماء فاسد شربوه هناك، بينما تدعي الرواية الأخرى استمرار الحصار نحو شهر. وتؤكد انتشار الحمى حتى في صفوف الاسبانيين. ويمكن الجمع بين الخبرين بأن انسحاب المسلمين بدأ بعد 18 يوما وبقي بعض المجاهدين في نحر العدو بضعة أيام أخرى. وبالرغم مما تمتاز به الرواية الأفرنجية من دقة تحديد الأيام والساعات للمعارك، وذكر أسماء الضباط المشاركين فيها، والمراسلات المتبادلة في الموضوع بين الحامية المحاصرة وملك اسبانيا، فانها لا تخلو من مبالغات وتهويلات. ومجمل الخبر الذي أورده دو كاستر أن حصار المعمورة أو كما يسمونها
S. Miguel de Ultramar ou Saint-Michel d'outremer.
بدأ بهجوم ثمانية آلاف من برابرة جبال سوس(78) جاؤوا للجهاد ومع كل واحد منهم خنجر، وسنة «Hâche à deux tranchants» وبندقية خفيفة Escopette (79)

---

77) De Castries, **Les Sources Inédites**, France I, 3 618

(78) من المعلوم أن بلاد سوس كانت خاضعة في ذلك العصر الى أبي حسون السملالي، لذلك فان البرابرة الذين تتحدث عنهم الرواية الاسبانية هم بدون شك من المنطقة الخاضعة للدلائيين بالأطلس التوسط والكبير. ولفظ «جبال سوس» في الرواية إما أن يكون غلطا، أو باعتبار الاصطلاح القديم الذي كان يعتبر أن السوس الأدنى يشمل المناطق الواقعة بين وادي ملوية ووادي أم الربيع.

(79) « Escopette » نوع من البنادق الخفيفة المشهورة منذ القرن الخامس عشر

وقد لوحظ وجود السوسيين في الخندق (80) يومي السبت والأحد 10 و 11 غشت 1647 لكن جنود الحراسة الاسبان لم يأخذوا حذرهم، فزحف المسلمون يوم الاثنين 13 غشت حوالي الساعة الرابعة صباحا، وارتموا في خندق باب سلا وبدؤوا يقطعون الجسر المتحرك دون أن يشعر بهم الاسبانيون، الى أن استيقظ القبطان أنطونيو دي باديلا « Antonio de padilla » على إثر أصوات الطرق، وما كاد يصيح «الى السلاح ! أيها الاسبانيون !» حتى سقط ميتا بطلقة نارية من إحدى البدقيات الخفيفة. وتراجع المسلمون من الخندق بعد أن أخذت مدافع الاسبانيين تطلق النار عليهم، ثم كروا بسرعة وتسلقوا بسهولة البرج SAINT JOSEPH » دون أن يدافعهم جنود الحراسة الذي أدوا ثمن إهمالهم بموت عشرة منهم وجرح اثنين آخرين. وحاول المسلمون أن يستولوا على الآبار التي تموّن الحصن، لكن الاسبانيين استماتوا في الدفاع عنها طيلة ثلاث ليال.

وقد بعث السوسيون إلى الأمير عبد الله الدلائي في سلا يخبرونه باستيلائهم على القنطرة والبرج، فأمر أن ينادى في جميع مناطق امارته لياتي رعاياه في ظرف ثلاثة أيام الى مدينة سلا لجهاد النصارى، فاستجاب لندائه في الأجل المحدد جميع من كانوا يستطيعون حمل السلاح، واجتمع أكثر من 30.000 راجل و20.000 فارس، علاوة على كثير من باعة المؤونة للجند. وتحرك جيش المسلمين من سلا حاملا معه ثلاث قطع من مدفعية القصبة، اثنتان من الحديد، ومدفع صغير من النحاس، واحتل هذا الجيش المراكز التي كان المقاتلون البربر قد استولوا عليها، وأخذ يوجه قذائف المدافع الى المواقع الأمامية للاسبانيين، وبقي يتقدم إلى أن لم يعد يفصل بينه وبين أسوار الحصن الا أقل من 30 قدما أمام قنطرة فاس وسلا. وكانت مقاومة الجنود الاسبانيين ضعيفة لأن مُعظمهم كان مصاباً بالحمى الثلاثية. وأرسل القبطاان دون فرانسيسكو بانوس دي هيريرا « Don FRANCISCO BANOS DE HERRERA » الذي كان قائما بقيادة حامية

---

(80) يبدو أن حصن المعمورة كان محاطا بخنادق دفاعية، يسمى ما يقع منها في الناحية الجنوبية خندق باب سلا.

المعمورة زورقا سريعا الى إسبانيا وفيه رسالتان احداهما الى الملك والأخرى الى دوق المدينة والقلعة، يخبرهما بحالة الحصار ويطلب الاغاثة والنجدة بأسرع ما يمكن. وبمجرد ما توصل الدوق بهذا الاعلام يوم 16 غشت سارع الى مهيىء الأسطول بالرغم من كونه كان في طور النقاهة من حمى ثلاثية خبيثة، وبدأت الاستعدادات في نفس اليوم، وانتهت في اليوم الرابع، وانتظرت المراكب الريح المواتية فلم تنصب أشرعتها الا في يوم 24 غشت. وكان أسطول الاغاثة يحتوى على سفينة دانكيرك المسماة سان بيدرو « SAIN PEDRO » وسفينة انجليزية كبيرة، وعشر سفن طويلة، ثم انضمت اليه في الطريق سفن حربية أخرى مليئة بالضباط والجنود. ولما وصل الأسطول الى العرائش طلب قائده من حاكم المدينة الاسباني أن يزوده بأخبار المعمورة، فأجاب بأنه لا علم له تماما بهذا الحصار لأنه لم يصل إليه أي رجل من المغاربة المتعاونين[81]. وقد أعد قائد الأسطول الترتيبات اللازمة للقتال في حالة ما اذا وجدوا الحصن قد سقط في أيدي المسلمين. وفي يوم الاربعاء 28 غشت على الساعة العاشرة وصل أسطول الاغاثة واقترب إلى أن صار بمرأى من الحصن وخيام المسلمين، لكنه لم يستطع الدخول إلى وادي سبو نظرا للطلقات النارية التي توجهها مدفعية المسلمين المركزة على ضفة النهر. وفي اليوم التالي عُين بطريق القرعة مركبان على ظهر كل منهما ضابطان وأربعة جنود للتوجه ــ بالقوة ــ الى الحصن، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل، وفي يوم الجمعة 30 غشت عاودت سفينتان أخريان الكرة بدون نتيجة، فقر رأي قائد الأسطول على أن يقتحم النهر بنفسه تفاديا لأخطار الانتظار والتردد. وفي يوم السبت 31 غشت على الساعة الرابعة صباحا وصل الى الأسطول زورق كبير قادم من الحصن دون أن يصيبه سوء أو يشعر به المسلمون. وكان يحمل رسالة من قائد الحامية المحاصَرَة يطلب فيها بالحاح كبير من قائد الأسطول أن يدخل الى النهر في أسرع وقت ممكن، لأن الحصن المحاصر من مسافة قريبة جدا معرض للسقوط، ولأن الحاجة ماسة إلى

(81) المغاربة المتعاونون أو من يسمونهم MOROS DE PAS عبارة عن مغاربة شبه جواسيس كانوا يؤدون يمين الاخلاص الى ملك اسبانيا ويستخدمهم النصارى في مفاوضاتهم مع المسلمين.

الرجال بسبب كثرة المرضى والجرحى. فتقدم قائد الأسطول بسفينته الكبرى تتبعه السفن الحربية الأخرى، إلا السفينة الانجليزية التي تمرد قائدها وهدد بنسفها إذا ما أرغم على الدخول الى النهر، ووقعت معركة حامية بين المسلمين والبحارة الاسبانيين تبادل الطرفان خلالها طلقات المدافع في النهر، ثم وقعت اشتباكات عديدة في البر، وتمكن الاسبانيون أخيرا من الدخول الى الحصن وربط حبل الاتصال معه.

وفي يوم الاثنين 3 شتنبر 1647 أخذ المسلمون المدفع الصغير النحاسي، وتركوا المدفعين الحديديين محطمين، ورفعوا الحصار عن حصن المعمورة، بعد أن أضرموا النار في مصف المدافع ليلا أثناء انسحابهم.

## هـ) حملات تأديبية في بلاد زعير والحياينة

قام محمد الحاج خلال العشرين سنة الأولى من ولايته بغارات عديدة في مختلف الأقاليم حالفه النصر في غالبها، واستطاع أن يثبت الأمن ويقضي على الثوار واللصوص والعابثين. ومن أشهر حملاته التأديبية قتاله لقبائل زعير بالقرب من وادي الشراط[82] خلال عام 1061/1650 ــ 1651 فشتت جموعهم وطارد رئيسهم الدقاق، وجاست جنود الدلاء خلال ديار زعير وتعقبت آثار رؤوس الفتنة فيها الى أن أذعنت القبيلة كلها بالطاعة، وركنت الى الخضوع والاستكانة واستراح الناس من عيثها مدة طويلة. وفي السنة الموالية قام محمد الحاج بحركة مماثلة في ضواحي فاس، قارع فيها قبيلة الحياينة وكسر شوكتها، وكانت قد رجعت الى سابق عهدها في السلب والنهب وقطع الطرق وسفك الدماء. وتوجه وفد من علماء فاس الى مدينة الدلاء يرجون من السلطان محمد الحاج أن يكف عنهم القبيلة الباغية ويخلصهم من أذاها. وحملوا معهم سبعا من فتاوي أكابر فقهاء المدينة الادريسية

(82) يبعد وادي الشراط عن الرباط بنحو 37 كلم جنوبا.

تصرح بوجوب مقاتلة الحياينة الذين حاربوا الله ورسوله وسعوا في الأرض فسادا(83).

وسنتحدث في الباب السادس عن باقي العمليات الحربية التي خاض غمارها الدلائيون في العقد الأخير من دولتهم، لأن تلك الفترة تمثل عهد التدهور والانحدار نحو النهاية الحتمية للزاوية الدلائية.

---

(83) انظر نص هذه الفتاوي عند سليمان الحوات في **البدور الضاوية**، من ورقة 112/أ الى ورقة 114/أ. كما توجد بالخزانة العامة بالرباط رقم 3270ك نسخة مخطوطة خاصة بهذه الفتاوي. وأصحابها هم القاضيان أحمد الأزموري ومحمد بن سودة، والعلماء محمد ميارة، وحمدون الأبار، وعبد السلام بن محمد، وعلي بن محمد المري، وعبد القادر الفاسي. ومما جاء في فتوى القاضي ابن سودة «وقال مالك أيضا في أعراب قطعوا الطريق، جهادهم أحب إليَّ من جهاد الروم».

# الباب الخامس

# انتشار نفوذ الدلائيين السياسي

## 1 ــ الموريسكيون ينضوون تحت لواء الدلائيين

أ) المدجنون والموريسكيون

ب) الموريسكيون في تطوان

ج) الموريسكيون في الرباط

د) أسطول الجهاد أو القرصنة السلاوية

هـ) عبد الله الدلائي أمير سلا

## 2 ــ علاقات الدلائيين بأوربا

أ) الدلائيون وفرنسا

ب) الدلائيون وانجلترا

ج) الدلائيون والبلاد الواطئة (هولاندا)

د) السفارة المغربية في لاهاي

هـ) قضية تنصر أمير دلائي

## 3 ــ الدلائيون في فاس

أ ) أحمد بن محمد الحاج أمير فاس

ب) محمد الدلائي يخلف أخاه في إمارة فاس

## 4 ــ آثار الدلائيين

أ ) المباني في الدلا وفاس

ب) النقود الاشقويية

## 1 ـ الموريسكيون ينضوون تحت لواء الدلائيين

### أ) المدجنون والموريسكيون

المدجنون أو «MUDIJARES» هم الأندلسيون الذين رضوا بحكم النصارى عندما استولى هؤلاء على بلادهم فلم ينزحوا عنها تشبثا بما لهم فيها من ضياع ومتاع. وتكاثر عدد أهل الدجن بتوالي سقوط القلاع والحصون الاسلامية، وتسامح معهم الاسبان في بادىء الأمر، ثم ضيقوا عليهم الخناق وألزموهم المقام في أحياء منعزلة خاصة بهم كاليهود، ومنعوهم من حق شراء الأراضي وحمل السلاح، وانتهى الأمر بالمدجنين بتوالي السنين والأجيال الى فقد لغتهم ودينهم.

ولما استولى الاسبانيون على غرناطة آخر معقل للاسلام في الأندلس عام 1492/897 هاجر كثير من أشراف هذه المدينة الى المغرب، وتخلف آخرون واثقين بالعهود التي قطعها الملكان (فرديناند) و (ايزابيلا) «FERDINAND et IZABELLA» (1) على نفسيهما بتأمين المسلمين في أنفسهم وأموالهم، واحترام دينهم وشعائرهم. غير ان الاسبان ما لبثوا أن نكثوا عهدهم وسلكوا حيال المسلمين المغلوبين سياسة وحشية لم يعرف التاريخ لها مثيلا. فأرغموهم على التنصر، وطاردوهم بالاتهامات الملفقة على يد ديوان التحقيق(2) وقتلوا آلاف الأبرياء ومثلوا بهم، وأحرقوا الكتب العربية أكداسا في ساحات غرناطة. وعُرفت هذه الطائفة

---

(1) ارتقى (فرديناند) الخامس عرش مملكة (أرجون) بعد وفاة أبيه الملك يوحنا الثاني سنة 1479. وكان تزوج قبل ذلك بالأميرة (ايزابيلا) التي جلست على عرش مملكة قشتالة على إثر وفاة أخيها الملك (هنري الرابع) سنة 1474. وهكذا اتحدت المملكتان الاسبانيتان في ظل عرش واحد، وتعاهد الملكان الكاثوليكيان المتعصبان على متابعة حرب المسلمين والقضاء عليهم نهائيا في اسبانيا.

(2) لديوان التحقيق أصول قديمة في الديانة المسيحية. أحدث لأجل التأكد من سلامة العقائد الكنسية الرومانية، وتطور مفهوم ديوان التحقيق فغدا يطارد الزيغ في العقيدة والسحر معا. وتأسس ديوان التحقيق في قشتالة سنة 1478 بمرسوم من البابا «لمناهضة الكفر ومحاكمة المارقين» وابتدأ الديوان أعماله في اشبيلية وصب نقمته أولا على اليهود المتنصرين وكانوا كثيرين في هذه المدينة فقتل منهم وأحرق ألوفا خلال عام واحد، ثم أنشئت محاكم التحقيق في سائر أنحاء اسبانيا، وبث عيونها في كل مكان للتجسس على المدجنين ثم على الموريسكيين، فكان من أكبر الجرائم التي يعاقب عليها بالتعذيب الوحشي والقتل والحرق، أن يكون لباس المعهم يوم الجمعة أفضل من لباسه يوم الأحد، أو أن يمتلك كتابا عربيا أو يقرأه أو يتكلم باللغة العربية.

المتنصرة من الأمة الأندلسية بالموريسكيين «MORISCOS» أو العرب الأصاغر، ذاقوا الأمرّين على يد الاسبانيين المتعصبين طيلة القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر، وعوقبوا أشد العقاب على كل بادرة منهم تنبىء عن تذمر أو مقاومة. ويحدثنا المقري عن نهاية مأساة الموريسكيين في الأندلس بقوله «وقاموا في بعض الجبال على النصارى مرارا، ولم يقيض الله تعالى لهم ناصرا، إلى أن كان إخراج النصارى إياهم بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر وألف، فخرجت ألوف بفاس، وألوف أخر بتلمسان من وهران، وجمهورهم خرج بتونس، فتسلط عليهم الأعراب ومن لا يخشى الله تعالى في الطرقات ونهبوا أموالهم، وهذا ببلاد تلمسان وفاس، ونجا القليل من هذه المضرة. وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكثرهم، وهم لهذا العهد عمروا قراها الخالية وبلادها، وكذلك بتطوان وسلا وفيجة الجزائر. ولما استخدم سلطان المغرب الأقصى منهم عسكرا جرارا وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور الآن، وحصنوا قلعة سلا[3] وبنوا بها القصور والحمامات والدور. وهم الآن بهذا الحال»[4].

### ب) الموريسكيون في تطوان

تطوان مدينة قديمة أسست قبل الاسلام لتخلف جارتها تمودة الرومانية، وقد خربت تطوان القديمة وخلت من السكان في مستهل القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، ثم جدد بناءها في أواخر هذا القرن نفسه المهاجرون الأندلسيون الذين نزحوا الى المغرب قبيل سقوط مملكة غرناطة، وكانوا قلة لا يتجاوزون أربعين أسرة، وتلاحقت وفود المهاجرين من الفردوس المفقود لتسكن المدينة المجددة في فترات متقطعة الى أن قضى الملك فيليب الثالث PHILIP III [5]

(3) المراد بقلعة سلا قصبة الوداية الحالية.

(4) أحمد المقري، نفح الطيب، 2 617.

(5) تولى فيليب الثالث عرش اسبانيا بعد وفاة والده الملك فيليب الثاني سنة 1598. وكان فتى ضعيف الرأي يتأثر كأبيه بآراء الرهبان المتعصبين والوزراء المستبدين. وقد أصدر قرار النفي النهائي للموريسكيين في 15 شتنبر 1609 وأمرهم بالاحتشاد في الثغور، وألا يأخذوا من متاعهم الا ما يستطيعون حمله على ظهورهم، لتنقلهم السفن الاسبانية الى عدوة المغرب.

بطرد جميع الموريسكيين من أرض شبه جزيرة ايبيريا عام 1609/1018 [6] فعبروا البحر الى العدوة الافريقية، واستقر عدد كبير منهم في تطوان.

وقد توارث آل المنظري الغرناطيون حكم مدينة تطوان منذ تجديدها واشتغل مهاجرو الأندلس بالجهاد في البر والبحر والاغارة على البرتغاليين الذين كانوا يحتلون مدن سبتة والقصر الصغير وطنجة[7]. وكان قوام جيش المجاهدين التطوانيين في أوائل القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) أربعمائة من الفرسان وخمسمائة من المشاة، وخمس عشرة سفينة حربية يهاجمون بها السواحل الاسبانية بمساعدة مراكب القراصنة الجزائريين. ثم تضخم عدد المجاهدين بكثرة المهاجرين المبعدين في القرن الحادي عشر (السابع عشر) وانتقل حكم مدينة تطوان الى أولاد النقسيس الذين ظلوا على رأس هذه المدينة مدة طويلة (1006 1597/1083 ــ 1672). وأول من ذكره المؤرخون من أفراد هذه الأسرة هو المقدم[9] أحمد بن عيسى النقسيس الذي انتصر على الاسبانيين انتصارا كبيرا حتى كاد يطردهم من مدينة سبتة أيام أحمد المنصور الذهبي. وبعد انقسام الدولة السعدية الى مملكتي فاس ومراكش، انضم أولاد النقسيس الى سلطان فاس لقربه منهم ولم يخضعوا للمجاهد العياشي عندما امتد نفوذه على أقاليم مملكة فاس المنقرضة، فاقتحم عليهم قائده سليمان بن يوسف تطوان عام 1631/1041 وجند نحو ثمانية آلاف رجل من الأندلسيين لمطاردة عبد الله النقسيس الذي فر

---

(6) انفق المؤرخون الاوربيون على أن اقصاء المسلمين عن شبه جزيرة ايبيرياء قد تم خلال سنتي 1609 ــ 1610 وهذا يوافق من التاريخ الهجري 1018 ــ 1019 وهو لا يختلف عما ذكره المقري في النص السابق من أن هذا الحادث قد وقع «أعوام سبعة عشر وألف» لما تشعر به كلمة «أعوام» من التقريب.

(7) احتل البرتغاليون مدينة سبتة عام 1415/818 ــ 1416 بعد حصار دام ست سنوات، وظلت تحت حكمهم أكثر من قرنين ونصف، ثم سلموها الى الاسبانيين حوالي عام 1669/1080 – 1670. وملكوا القصر الصغير الذي يسمى أيضا قصر مصمودة وقصر المجاز، بين سبتة وطنجة، عام 1457/862 1458. واحتل البرتغاليون بعد ذلك طنجة عام 869/1464–1465 وحكموها ما ينيف عن قرنين، ثم تنازلوا عنها لانجلترا عام 1661/1072 كمهر قدمته كاترين دوبراكانس شقيقة ملك البرتغال لزوجها شارل الثاني ملك انجلترا. وقد استرد المولى اسماعيل مدينة طنجة من انجلترا عام 1684/1095.

(8) محمد داود، **تاريخ تطوان**، القسم الثاني من المجلد الأول، ص 174.

(9) المقدم لقب خاص برئيس جماعة المجاهدين.

الى بلاد غمارة أولا ثم التجأ عند الاسبانيين في سبة. وظل نفوذ العياشي قائما بتطوان حتى أواخر أيامه. وبعد ذلك «استقلت هذه المدينة بحكم نفسها، وباشر الحكم فيها مجلس من أهلها الذين كان جلهم في هذا العهد من مهاجري الأندلس، ثم بعد مدة عاد الأمر فيها الى أولاد النقسيس»[10] والدلائيون هم الذين أعادوا أولاد النقسيس الى تطوان ونصبوهم عمالا عليها يحكمونها باسمهم، غير انه نظرا لبعد مدينة تطوان من عاصمة الدلائيين وضعف وسائل المواصلات آنذاك، ووقوع الاضطرابات في القبائل من حين لآخر، كان لرؤساء تطوان نوع من الاستقلال في الحكم، فكانت صلتهم برؤسائهم الدلائيين تقوى أو تضعف تبعا لاستقرار الأحوال الداخلية أو اضطرابها. لكن لا يمكن بحال أن نعتمد على بعض مظاهر التصرف المطلق لأولاد النقسيس لنزعم أن مدينة تطوان كانت مستقلة لم يشملها نفوذ الدلائيين. والنصوص الصريحة المتقدمة تعد هذه المدينة من جملة مناطق نفوذ محمد الحاج[11]، والمعاهدة التي أمضاها سلطان الدلاء في 8 ذي القعدة عام 19/1067 غشت 1657 مع الحكومة الانجليزية تؤكد انه صاحب النفوذ في تطوان[12] وظلت هذه المدينة وفية للدلائيين حتى بعدِ قيام الثورات ضدهم في بلاد الغرب. ولم تستسلم تطوان الى الخضر غيلان إلا بعد أن اندحرت أمامه جيوش محمد الحاج في وقعة «وادي بوحريرة»[13] بالقرب من ساحل مولاي بوسلهام عام 1660/1070.

---

(10) محمد داود، **تاريخ تطوان**، ج 1 ص 232.

(11) بعث اليّ الأستاذ عبد السلام بنسودة — مشكورا — بقصيدة نظمها بعض الشعراء من أهل تطوان حين دخل الأمير محمد الحاج الدلائي مدينتهم أيام ولايته، مطلعها

بشراكِ تطوانُ بشرى | سموتِ عزاً وفخرا
ونلتِ كل المعالي | وحزت صيتا وذكرا

ومنها

وكيف لا قد أتانا | رب للمواهب خيرا
مولانا سلطان عدل | قد صار فضله بحرا

12) De Castries, **Les Sources Inédites**, Angleterre I, 3 588

(13) وادي بوحريرة يقع بالقرب من المرجة الزرقاء غرب مركز سوق أربعاء الغرب، لا في ناحية القصر الكبير كما يظن ذلك بعض الأوربيين.

## ج) الموريسكيون في الرباط

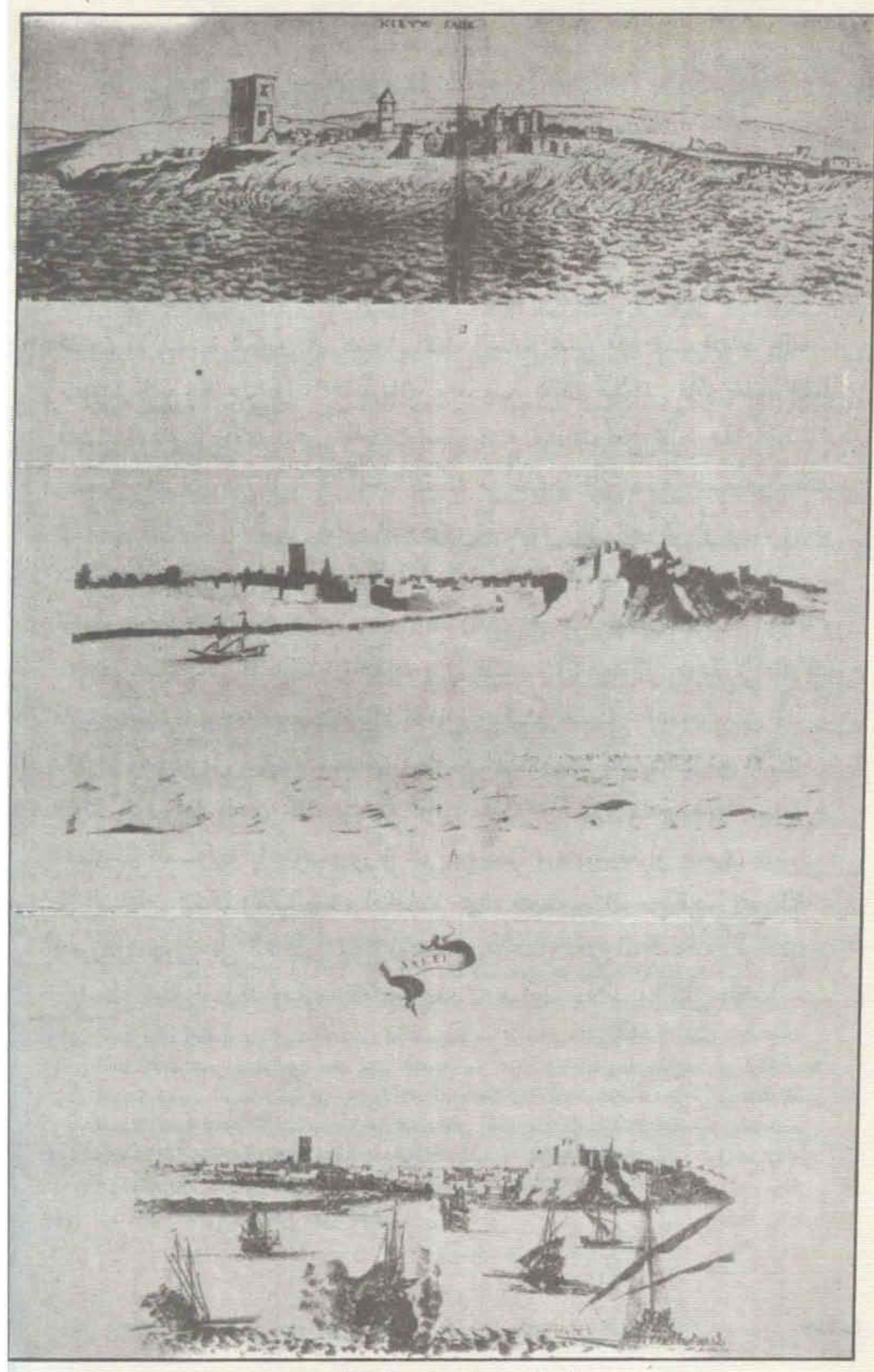
إن أهم جالية أندلسية قدمت الى المغرب استوطنت الرباط والقصبة[14] وقبل أن يُلزم الموريسكيون بالجلاء العام عن شبه جزيرة ايبيريا، هاجر الى المغرب سكان هورناتشو[15] المعروفون بصدق عقيدتهم الاسلامية وثرائهم الواسع، فاستقروا بقصبة سلا وحصنوها وبنوا فيها الدور والقصور والحمامات، ثم كانت الهجرة الاندلسية الكبرى في مستهل القرن السابع عشر فازدحمت الرباط والقصبة بالموريسكيين، ودخلوا في طاعة زيدان بن المنصور ملك مراكش فأمّر عليهم القائد فاضل الزعروري الأنصاري. وحدث بعد بضع سنوات من تولية هذا القائد أن رجع المجاهد العياشي الى سلا ناجيا بنفسه من المؤامرة التي دبرها السعديون ضده في أزمور، فبعث زيدان الى قائده الزعروري أن يقبض على العياشي أو يغتاله، لكن شيوخ الاندلسيين وأعيانهم عارضوا في تنفيذ هذا الأمر، وتطوعت جماعة منهم لملازمة مجاهد سلا وحمايته من كل اعتداء[16] ثم صدر أمر ثان الى الزعروري بتجهيز جيش من الاندلسيين المقيمين في القصبة وتوجيهه إلى درعة لاخماد فتنة قامت هناك، فوجه منهم أربعمائة مقاتل وطالت غيبتهم بالصحراء الى أن فر أكثرهم ورجعوا الى ديارهم متسلّلين، وامتنع الاندلسيون بعد ذلك من الاستجابة للقائد الزعروري الذي كان يبلغهم أوامر ملك مراكش، بالتجنيد والمساهمة في العمليات العسكرية بالجنوب، ورأوا أن يتخلصوا منه بوسيلة أو بأخرى فوشوا به الى السلطان زيدان ولفقوا ضده اتهامات مثيرة، فبعث زيدان من قبض على القائد الزعروري، وولى على المدينتين مملوكا له يسمى عجيبا، لكن الموريسكيين لم يلبثوا أن ثاروا على هذا المملوك وقتلوه، قاطعين بذلك صلتهم ببلاط مراكش،وأقاموا عنهم

(14) كانت الرباط والقصبة قبل مجيء الأندلسيين إليهما تنسبان معا الى سلا، فيقال رباط سلا وقصبة سلا. ثم صارت المدن الثلاث تدعى إجمالا مدن سلا. وعند التفصيل يعبر عن سلا الحالية بسلا القديمة، وعن الرباط بسلا الجديدة، وبقيت القصبة منسوبة إلى سلا إلى أن سكنها جيش الودايا أيام السلطان عبد الرحمن بن هشام العلوي فسميت قصبة الودايا، كما استرجعت الرباط الاسم الذي أطلقه عليها مؤسسوها الموحدون وهو رباط الفتح.

(15) هورناتشو HORNACHOS مدينة تقع بإقليم بطليوس BADAJOZ في جنوب غربي اسبانيا بين اشبيلية وماردة، بعيدة على الأولى بنحو 170 كلم شمالا، وعن الثانية بنحو 50 كلم جنوبا.

(16) عبد القاهر املاق، **الخبر عن ظهور العياشي**، ص 10.

اللوحة رقم 12



مناظر العدوتين في منتصف القرن السابع عشر

عاملا جعلوه مسؤولا أمام مجلس مختار لمدة محدودة يقع تجديده بطريقة الانتخاب. فتكونت بذلك الجمهورية الموريسكية الأولى بالرباط، ثم فعل سكان القصبة ما فعله جيرانهم فكونوا جمهورية ثانية مماثلة وذلك حوالي عام 1630/1440.
وربطت الجمهوريتان في بادىء الأمر علاقات طيبة مع المجاهد العياشي الذي كان نفوذه يمتد من سلا الى تطوان، واعترفتا بسلطته مع الاحتفاظ باستقلالهما الداخلي، وساعدوه في حركاته الجهادية «بالرماة والبارود والانفاط»[17] ثم فسد الجو بين العياشي والموريسكيين حين امتنعوا عليه فيما كان يريده من توحيد وادماج، وأبوا الا أن يظلوا متميزي الشخصية. وبحث الموريسكيون عن سند يعتمدون عليه، وحليف يظاهرهم على خصمهم الرابض أمامهم وراء النهر، فلم يجدوا غير الملك السعدي صاحب مراكش، لكنه كان عاجزا عن أن ينجدهم بله أن يرجح كفتهم. فمدوا أيديهم الى الاسبانيين ـــ حسب الروايات المستفيضة ـــ ووطدوا الصلات مع حامية المعمورة وأمدوها بالطعام والذخيرة في الوقت الذي كان العياشي وصحبه يرابطون حول هذا الحصن ويضيقون عليه الخناق حتى كاد يسقط في أيديهم. وقد رأينا ما فعل العياشي بالموريسكيين من الحصار والقتل والتشريد اعتمادا على فتاوي العلماء الى أن تدخل الدلائيون لصالح مهاجري الأندلس، فكان في ذلك نهاية المجاهد العياشي. وعلى اثر ذلك تكونت في سلا جمهورية ثالثة على غرار الجمهوريتين القائمتين في الرباط والقصبة. ولم يكن تكوين الجمهوريات على هذا النحو بدعا من النظم في ذلك العصر خصوصا في مراكز القرصنة الغنية. وقد أقر الدلائيون هذا الوضع في الجمهوريات الصغرى الثلاث بعد أن أسندوا أمر النيابة عنهم فيها جميعا الى قائد سلا الأمين سعيد الجنوي[18] وبذلك أصبح له الاشراف على قائد الرباط أبي الطيب بن عبد الرحمان عبدون[19] وقائد القصبة الحاج يوسف السنسياض[20]. ثم ترك سعيد الجنوي أمر قيادة سلا الى عامر بن

(17) عبد العزيز الزياني، **الجواهر المختارة**، ورقة 125/ب.

(18) الامين سعيد الجنوي قائد سلا وحاكم العدوتين من طرف الدلائيين. صار خليفة للأمير عبد الله الدلائي عام 1651/1061 وظل أمين سره الى أن توفي بسلا في أوائل ذي الحجة عام 1655/1065.

(19) أسرة عبدون أندلسية كانت في الرباط ثم انقرضت.

(20) السنسياض (بفتح السين الأولى، وسكون النون والسين الثانية، وضم الضاد) اسم اسباني من جملة الأسماء التي احتفظ بها الموريسكيون المهاجرون الى المغرب وقد انقرضت هذه الأسرة الآن.

محمد[21] ليتفرغ هو للاشراف على الشؤون العامة وتنفيذ سياسة الدلائيين في العدوتين. وسارت الأمور في المدن الثلاث سيرا عاديا بضع سنوات، غير ان الموريسكيين في القصبة عاودهم الحنين الى الاستقلال التام، ورغبوا في الانفصال عن الدلائيين، وجددوا صلاتهم بالملك السعدي صاحب مراكش فتصدى لقتالهم محمد الحاج الدلائي. وبعد أن أمر الرباطيين بأن يهاجموهم من البر، أغرق في مدخل النهر سفينة لتعزيز حصار القصبة من البحر. ولم تجد النجدات التي قدمها للمحاصرين (بالفتح) أتراك الجزائر وسلطان مراكش، واستسلم الموريسكيون في النهاية، فأخرجهم الرئيس محمد الحاج من القصبة ولم يترك فيها الا جنودا مغاربة.

### د) أسطول الجهاد أو القرصنة السلاوية

لا أقصد بالقرصنة هنا ما يدل عليه أصلها الأعجمي «Course» من لصوصية بحرية، وانما أعنى بالقراصنة السلاويين أولئك المجاهدين الأندلسيين والمغاربة الذين خاضوا بسفنهم عباب البحر للدفاع عن حوزة الوطن، أو للثأر من الاسبانيين الذين ساموا المسلمين في الأندلس سوء العذاب وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم بغير حق. واذا كان تاريخ البحرية في مصب أبي رقراق يرجع الى القرن السادس (الثاني عشر الميلادي) أيام الملك الموحدي عبد المومن صاحب الأسطول الحربي الجبار ومؤسس دار الصناعة البحرية بضاحية مدينة سلا، فإن القرصنة لم تعرف في المغرب الا على عهد المرينيين حينما استقر وكر قرصني في حلق المعمورة «فعظم شأنه واستفحل أمره. وكان القائمون عليه اخلاطا من أجناس، فيهم من المسيحيين أكثر من المسلمين، ثم صارت سلا المدينة القرصنية الرابعة ــ حسب دو كاستر ــ بعد طرابلس الغرب، وتونس، والجزائر»[22]. وقد كوّن المهاجرون الأندلسيون بالرباط والقصبة في مستهل القرن السابع عشر أسطولا حربيا قويا أخذوا يغيرون به على مراكب الأعداء في عرض البحر، ويهجمون على السواحل الاسبانية، كما فعل اخوانهم المقيمون في تطوان. وتطورت هذه القوة

(21) عامر بن محمد من أسرة حركات الشهيرة بسلا حتى اليوم.

(22) عبد العزيز بن عبد الله، **البحرية المغربية والقرصنة**. مجلة تطوان 1958 ــ 1959. العددان 3 ــ 4 ص. 68.

البحرية في عهد العياشي والدلائيين، وظلت تثير الرعب في نفوس البحارة المسيحيين طيلة القرنين السابع عشر والثامن عشر، الأمر الذي حمل الدول الاوربية على أن تخطب ود المغرب وتؤدي له الجزية لضمان سلامة سفنها التجارية التي تمخر عباب الاطلنطيق(23). وازدهرت مع أسطول الجهاد من جديد صناعة السفن على ضفاف نهر أبي رقراق، وزودت هولاندا، وهي من أعظم الدول البحرية في ذلك العصر، هذه المصانع بما تحتاج اليه من المواد. وكان البحارة العاملون في أسطول الجهاد مزيجا من الموريسيكيين والسلاويين وغيرهم من المتحمسين للقتال في سبيل الله، أو الطامعين في الكسب والإثراء. وقد سماهم الاوربيون قراصنة سلا «LES CORSAIRES DE SALE» واشتهروا بهذا اللقب فدعوناهم كذلك، على أن القرصنة البحرية كانت عامة في ذلك العصر يُقبل عليها المسيحيون والمسلمون دون تستر أو استحياء، وكأنها نوع من الحرب القائمة باستمرار بين الدول الغير المتهادنة أو المتحالفة. وقد غنم هؤلاء المجاهدون أو (القراصنة السلاويون) في ظرف عامين فقط أربعين سفينة، واستولوا فيما بين سنة **1618** وسنة **1626** على ستة آلاف أسير من الافرنج، وخمسة عشر مليون ليبرة(24) وكان الاسترقاق شائعا آنذاك عند المسلمين والاوربيين على السواء، فنفقت أسواق النخاسة في العدوتين، وملك المسلمون المسيحيين عبيدا وإماء، وامتلأت أيدي البحارة بأثمان الأسرى المماليك أو بالأموال التي يحصلون عليها مقابل إطلاق سراحهم وردهم إلى ذويهم أو حكوماتهم.

## ٥) عبد الله الدلائي أمير سلا

رأى السلطان محمد الحاج الدلائي بعد أن حُملت اليه بيعات المدن والقرى عام **1651/1061** أن يغير سياسته تجاه منطقة الغرب التي تعد أهم ناحية في مملكته، والا يكتفي باستنابة أحد الأهالي مهما بلغ حزمه وإخلاصه

---

(23) نفس المصدر ونفس الصفحة.

(24) نقل ذلك عن دو كاستر محمد بوجندار في **مقدمة الفتح**، ص 54.

فأسند أمر المدن الثلاث سلا والرباط والقصبة، الى ابنه عبد الله الذي تلقبه المصادر الاوربية بأمير سلا أو سيد سلا «LE SEIGNEUR DE SALE» واستقر عبد الله الدلائي في قصر الامارة بالقصبة، وقرَّب اليه الأمير سعيد الجنوي وجعله خليفته وأمين سره، وأخذ يرجع في مهام الأمور الى أعيان العدوتين فلا يقطع أمراً دون مشورتهم. واتخذ الفقيه الأديب عبد المالك التاجموعتي[25] كاتبا خاصا له، فكان يحبر الرسائل التي تصدر عن أمير سلا إلى مدينة الدلاء وغيرها. بل وحتى المراسلات الموجهة باللغة العربية الى الأعاجم في أوربا لم يخل بعضها من سجع وجناس ومحسنات بديعية أخرى. وكان ديوان الأمير الدلائي يضم الى جانب التجموعتي كتابا آخرين من الموريسكيين يحررون الرسائل والمعاهدات باللغة الاسبانية. وكان مجلس الأمير الدلائي في سلا لا يخلو من علماء وأدباء يذاكرهم ويدارسهم على نحو ما درج عليه في الزاوية الدلائية، كما كان يساجل اخوانه وأقرانه في الدلاء وغيرها، ويعقد المجالس العلمية في المساجد بحيث لم تنقطع صلته بالعلم والأدب بالرغم من أشغاله السياسية والحربية.

لم تكن مهمة الأمير عبد الله الدلائي تقتصر على النيابة عن والده في تولي شؤون مدن أبي رقراق، وانما كان يقوم الى ذلك بوظيفة وزير الخارجية في الحكومة الدلائية، فيستقبل ممثلي الدول الأجنبية ويفاوضهم ويعقد معهم المعاهدات التجارية وغيرها، ويراسل رؤساء الدول باسم والده ويتلقى خطاباتهم. كما كان كثيرا ما يتولى قيادة الجيوش في تحركاتها بمختلف الأقاليم الخاضعة لنفوذ الدلائيين، فينوب عنه في تصريف الأمور عندما يتغيب عن سلا خليفته الأمين سعيد الجنوي. وهكذا امتاز هذا الأمير الدلائي بالعلم والأدب والشجاعة والاقدام، فكان رب السيف والقلم معاً. إلا أنه كان مفرط الرزانة كثير التأني والتريث، يدرس الأشياء

---

(25) أبو مروان عبد المالك بن محمد التجموعتي قاضي سجلماسة. أديب شاعر ناثر. ألف كتابين في الرد على الامام اليوسي. أولهما **ملاك الطلب في جواب أستاذ حلب** يعني بأستاذ حلب أبا العباس الحلبي دفين فاس، ولما انتقده اليوسي ألف فيه رسالة ثانية سماها **خلع الاطمار البوسية بدفع الاسطار اليوسية**. توفي عام 1706/1118 ــ 1707.

على مهل، ويقلّب وجوه النظر في الأمور قبل ان يبت فيها. وقد لايبدو له وجه الصواب في المسألة فيتركها معلقة، أو تردُ عليه قضايا مستعجلة وهو يشتغل بأخرى، فيؤجلها الى أن يتفرغ لها دون أن يعير جانب الاستعجال أي اهتمام. أما جوابه عن الرسائل فكان بطيئا متثاقلا سواء في ذلك المراسلات الرسمية والاخوانية. وقد كتب له أبوه في الأيام الأولى من اضطلاعه بمهام الأمور في مدن سلا يستخبره عن الأحوال فلم يرد عليه بشيء. فكتب اليه مرة ثانية يستحثه الجواب ويؤنبه على هذا التأخير الذي يقلق بال الوالد ويجعله فريسة الهواجس والأوهام. وكذلك فعل عبد الله مع بني عمه تباطأ عنهم فلاموه وعاتبوه، ورماه بعضهم بالترفع والتكبر. وكاد هذا التريث الغريب يجر على الأمير عبد الله الدلائي شرورا كثيرة في علاقاته مع ممثلي الدول الأجنبية، فقد همَّ مرة قائد الأسطول الهولاندي أن يقنبر العدوتين بعد أن طال انتظاره في عرض البحر أمام سلا دون أن يتلقى جواب الأمير عبد الله عن الوثائق التي حملها اليه من حكومته، وعد هذا الابطاء اهانة له واستخفافا بشأنه(26).

وهناك جانب آخر من شخصية الأمير عبد الله الدلائي لا ينبغي اغفاله، وهو غيرته الدينية وحميته الاسلامية. فقد كان يزن أعماله بميزان الشرع ولا يتساهل في أي شيء مهما كان ضئيلا اذا خالف أصلا من أصول الدين. ويكفي للتدليل على ذلك معارضته للمعاهدة التي أبرمها قبيل مجيئه الى مدن سلا رؤساءُ هذه المدن مع الولايات العامة (هولاندا) لأن الفصل الرابع منها نص على مجافاة طائفة من المسلمين وعدم التعامل معهم بالبيع والشراء، وقطع العلاقات معهم نهائيا في سبيل حلفاء غرباء لا تكاد مصالحهم تتبدل حتى ينقلبوا خصوما محاربين. وظلت المخابرات جارية بين الرباط ولاهاي نحو 7 سنوات لتعديل هذه المعاهدة، والرسائل تتردد بين البلدين حاملة الاقتراحات المضادة في الموضوع،

---

(26) بقي قائد الأسطول الهولاندي G. DE WILDT في عرض البحر ينتظر جواب الأمير عبد الله الدلائي من 27 يوليوز الى 5 غشت 1658. انظر دو كاستر، **وثائق غير منشورة لتاريخ المغرب**، سلسلة البلاد الواطئة، 6 : 392 — 416.

والعلاقات تتوتر حتى توذن أحيانا بشر مستطير. ومع ذلك لم تلن قناة الأمير عبد الله الدلائي ولم يصادق على الاتفاقية مع هولاندا الا بعد حذف الفصل الرابع وادخال تعديلات أخرى لصالح المسلمين.

### 2 ـــ علاقات الدلائيين بأوربا

للمغرب علاقات قديمة مع أوربا يرجع تاريخ توطيدها إلى أواخر القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) حينما تردد في أوربا من أقصاها الى أقصاها صدى الانتصار الباهر الذي أحرز عليه المغرب ضد البرتغال في معركة وادي المخازن عام 1578/986. وأدركت الدول الاوربية اذ ذاك أهمية القوة الحربية لهذه البلاد، فسارعت إلى إرسال السفراء والهدايا الى بلاط مراكش للتودد إلى الملك السعدي أحمد المنصور الذهبي، وللعمل على كسب صداقته والتحالف معه. وبعد موت المنصور وانقسام السعديين على أنفسهم بتكوين مملكتي فاس ومراكش، وقيام الثوار في كثير من الجهات، رأت الدول الأوربية أن تساير الواقع للمحافظة على مصالحها وسلامة رعاياها في المغرب، فأخذت تفاوض ذوي السلطة والنفوذ في كل منطقة مهمها، سواء كانوا من السعديين أو غيرهم. حتى إذا آل أمر وسط المغرب وشماله الى الدلائيين مدَّ الأوربيون أيديهم وعقدوا معهم الصفقات التجارية، وأمضوا المعاهدات السلمية التي تقوم على التعاون والتحالف، وبعثوا بقناصلهم الى سلا وتطوان.

وقد استفاد الدلائيون كثيرا من احتكاكهم بالأوربيين، واستغنوا بالاعشار التي فرضوها على البضائع المصدرة الى أوربا والمستوردة منها. وازدهرت في أيامهم المبادلات التجارية، فكان المغرب يصدر الى الخارج الجلود والصوف، والشمع، زيادة على القصدير الذي اكتشف منجمه بالقرب من سلا أيام المجاهد العياشي، وأعطى امتياز استغلاله الى تجار فرنسيين. ويجلب المغرب في مقابل ذلك من أوربا التبغ والأقمشة وبعض المصنوعات الأخرى. وكان الدلائيون يتملصون من التعهد بالمحافظة على قيمة الضرائب المفروضة على البضائع في الموانىء، واذا اضطروا الى قبول مثل هذا الشرط تحت إلحاح المفاوضين الأجانب، وأمضوه في الاتفاقيات

والمعاهدات، فانهم لا يلبثون أن يغتنموا أول فرصة سانحة للتحرر من هذا القيد والزيادة في التعريفات الجمركية. ومنذ أن عُين الأمير عبد الله الدلائي حاكما على مدن سلا (عام 1651/1061) أخذ يتاجر بطريق البحر مع أقطار شمال افريقية، وخاصة الجزائر، ولم تنقطع السفن التجارية صادرة عن سلا أو واردة اليها، وعلى ظهرها حمولات هامة من البضائع المختلفة التي تدرُّ على الدلائيين أرباحا طائلة. وكانت هذه الحركة التجارية، ومسألة تأمين السفن والتجارة، وتعويضهم عن الخسائر التي تصيبهم عن أعمال القرصنة، محور كثير من المفاوضات مع الأجانب وموضوع مراسلات ومعاهدات. على أن هناك ناحية أخرى أفاد منها الدلائيون في اتصالهم بأوربا، وكانت مهمهم أكثر من مسألة المداخيل الوفيرة، وهي ناحية التزود بالاسلحة والذخيرة الحربية من بندقيات ومدافع ومسحوق البارود. وكانت البلاد الواطئة (هولاندا) في مقدمة الدول الأوربية التي تمد الدلائيين بهذه المواد الهامة، زيادة على الأدوات والقطع اللازمة لسير معامل صنع السفن وترميمها القائمة على ضفتي نهر أبي رقراق.

وشملت العلاقات بين الدلائيين والأوربيين فيما شملت الناحية الثقافية وإن لم تلمسها إلا لمساً خفيفاً. فقد كان المستشرق (جاكوب كَوليوس) «JACOB GOOL ou GOLIUS» » أستاذ اللغة العربية في جامعة ليدن يستجلب المخطوطات العربية من المغرب، لا سيما المتعلقة منها بالتاريخ، أو بقواعد اللغة العربية. وكانت حكومة البلاد الواطئة تقتني هذه الكتب لحسابها الخاص بواسطة قنصلها في سلا (دافيد دو فريس) «DAVID de VRIES»وسبق لهذا المستشرق في المدة التي قضاها بالمغرب مع القنصل الهولاندي (البير رويل) «ALBERT RUYL» أن اقتنى كثيرا من المخطوطات العربية النادرة وحملها معه الى بلاده. وعندما زار السفراء السلاويون مدينة لاهاي (1659/1069) قدمت لهم الحكومة الهولاندية من جملة الهدايا كتبا عن جغرافية البلاد الواطئة، وأرسلت بواسطتهم الى الأمير عبد الله الدلائي كتابا ثمينا في نفس الموضوع.

واذا كانت لبعض الدول الأوربية مطامع توسعية تهدف اليها من وراء تشجيع الثوار والخارجين على السلطة الشرعية في المغرب، فإن مساعدة هولاندا للدلائيين كانت لأمرين، أولهما ضمان سلامة أسطولها التجاري في المحيط الاطلنطيقي والبحر المتوسط، والثاني الانتقام من اسبانيا عدوة الهولانديين والمغاربة على السواء. وقد ظلت مسألة اتصال الدلائيين بأوربا مجهولة عند المؤرخين المغاربة الى أن كشف عنها القناع الكونت دو كاستر في كتابه **مصادر غير منشورة لتاريخ المغرب** «LE CONTE DE CASTRIES. LES SOURCES INEDITES DE L'HISTOIRE DU MAROC» وقد اعتمدت في هذا الفصل على ما نشره دو كاستر من وثائق وما كتبه من مقدمات وتعليقات مقتصرا على ذكر علاقات الدلائيين بثلاث دول أوروبية بقدر ما يمكن من الاختصار، وهي فرنسا وانجلترا والبلاد الواطئة (هولاندا).

## أ) الدلائيون وفرنسا

كانت العلاقات متوترة بين المغرب وفرنسا في مطلع القرن السابع عشر بسبب أعمال القرصنة البحرية وما ترتب عنها من تدهور في تجارة الفرنسيين بالمغرب وأسر عدد منهم في البحر بيعوا عبيدا في سلا. فرأت الحكومة الفرنسية أن تعين (30 نونبر 1629) أحد تجار مرسيليا المسمى أندري برا ANDRE PRAT قنصلا في مدينتي سلا وتطوان ليهتم بمشاكل الفرنسيين بالمغرب ويعمل على افتداء الأسرى. غير أن هذا القنصل لم يلتحق بمقر عمله بسبب خلاف نشب بينه وبين حكومته في قضية التعيين وظل بمرسيليا يتمتع بالحقوق القنصلية ويستخلص الأعشار المفروضة على السفن الصادرة عن ذلك الميناء[27]. وبعد نحو ست سنوات رأى أندري برا أن يرسل كاسبار دورستان «GASPARD DE RASTIN» لينوب عنه في مهمة القنصلية بسلا. وفعلا قام دورستان بالأمر، واستطاع أن

---

(27) كانت وظيفة قنصل في ذلك العصر تعتبر حقا مكتسبا لصاحبه يتصرف فيه كيف يشاء، فله أن يباشر العمل بنفسه أو أن ينيب عنه من يراه أهلا للقيام بالمهمة.

يحصل خلال عم 1639/1049 على اتفاق مع المجاهد العياشي لحماية الفرنسيين من القراصنة السلاويين، واعطائهم حق الامتياز لاستغلال معدن القصدير الذي اكتشف بالقرب من مدينة سلا. إلّا أن مشكلة المشاكل بين البلدين في ذلك التاريخ هي قضية الأسرى التي سبق لفرنسا أن اتفقت مع المجاهدين السلاويين على تحريرهم في أجل محدد مقابل فداء خاص. لكن لم تف فرنسا بتعهداتها فاضطربت الأحوال وتوقفت التجارة نهائيا بسبب أعمال العنف المرتكبة من الجانبين، ورأى القنصل أندري برا حينئذ أنه أصبح من الضروري أن يذهب بنفسه الى المغرب ليذلل الصعوبات القائمة، واصطحب معه ابنه هنري «HENRI» وقد عرف القنصل كيف يستميل اليه السلطان محمد الحاج الدلائي بما كان يقدم اليه من هدايا، ونجح في إقناعه بأن من مصلحة السلاويين أن يضربوا صفحا عما لهم قديما مع فرنسا، ليربطوا معها علاقات تجارية جديدة. وبعد مفاوضات طويلة مع رؤساء مدن أبي رقراق العاملين باسم السلطان محمد الحاج الدلائي عقد معهم أندري برا اتفاقية لتوطيد العلاقات التجارية بين فرنسا والمغرب، ثم أمضى معهم في السنة التالية اتفاقية ثانية في نفس الموضوع. وبالرغم من كون القنصل برا عقد هاتين الاتفاقيتين بصفة شخصية دون تفويض رسمي من حكومته فانهما استطاعتا على الأقل أن تعملا على تحسين العلاقات بين البلدين ولو الى حين. وأخيراً رجع أندري برا الى بلاده متنازلا لولده هنري عن مهمة القنصلية في المغرب، وأقرت الحكومة الفرنسية ذلك وأصدرت مرسوما مؤرخا في 20 أكتوبر 1648 تعين بمقتضاه هنري برا «HENRI PRAT» قنصلا في سلا وتطوان. غير أن هذا القنصل الشاب كان يتسم بالفتور واللامبالاة، فلم يعمل على تحسين العلاقات بين بلاده والمغرب، وجرت في أيامه أحداث عنف متعددة كان من بينها استيلاء القراصنة السلاويين على سفينة فرنسية قادمة من الأرض الجديدة «TERRE NEUVE»(28)

---

(28) الأرض الجديدة أو TERRE NEUVE هي جزيرة كبرى في أمريكا، تبلغ مساحتها 110677 كلم وسكانها اليوم 361400. بقيت الأرض الجديدة الى سنة 1949 مستعمرة انجليزية، ثم أصبحت من هذا التاريخ مستقلة تكون الولاية العاشرة من ولايات كندا.

وعلى ظهرها أربعون من النصارى، بيعوا جميعا في سلا بطريق المزاد العلني، وأضيفوا الى العدد الوافر من العبيد الفرنسيين الموجودين بهذه المدينة.

بقي هنري برا يتولى منصب قنصل فرنسا في سلا وتطوان الى ما بعد نهاية امارة الدلائيين، وسلك نفس الخطة التي سار عليها أبوه من قبل، فرجع الى فرنسا وجعل يرسل نوابا عنه يقومون بأعمال القنصلية، منهم أنطوان جوليان بارازول «ANTOIN JULIEN PARAZOL» وفرانسوا جوليان «FRANCOIS JULIEN» وهكذا ظل مشكل العلاقات المغربية الفرنسية قائما لم تستطع الحلول الجزئية والموقتة التي أشرنا الى بعضها أن تعمل على حسمه. وسيكون هذا المشكل موضوع مفاوضات وسفارات بين الملكين مولاي اسماعيل ولويس الرابع عشر.

### ب) الدلائيون وإنجلترا

تمتنت العلاقات بين المغرب وانجلترا أيام الملك أحمد المنصور الذهبي والملكة اليزابيت[29] وشهد مستهل القرن السابع عشر تعاونا مثمرا بين البلدين خصوصا في الميدان التجاري. ولما قام العياشي بحركة الجهاد ضد الاسبان والبرتغال حاول أن يستعين بالانجليز لطرد المحتلين من شواطىء المغرب، لكن الانجليز كانوا يطمعون في احتلال مدينتي سبتة وطنجة ويميلون الى الموريسكيين المقيمين في تطوان والرباط أكثر مما يميلون الى المجاهد العياشي. لاعتقادهم أن هؤلاء الموريسكيين الغرباء المطرودين من شبه جزيرة ايبيريا يمكن أن يساعدوهم في احتلال سبتة وطنجة لمجرد الانتقام من أعدائهم الاسبانيين والبرتغاليين، بعكس الحال مع المجاهد العياشي الذي كان يعمل لاسترجاع الثغور المحتلة الى حظيرة الوطن. هذا الى ما كان يشاع من تفتح قلوب المويسكيين للمذهب البروتستاني. وقد جاء في تقرير للسفير الانجليزي هاريسون «..كثير منهم قد اعترفوا لي بأنهم في داخليتهم مسيحيو القلوب، وهم يتظلمون بمرارة من تلك الطردة القاسية. ويعرضون خدماتهم باسم

---

(29) انظر في موضوع العلاقات بين المنصور الذهبي وايليزابيت. عبد العزيز الفشتالي، **مناهل الصفا**، مخطوط الخزانة العامة بالرباط ص 247 وما بعدها.

جميعهم اذا كانت هناك أية حالة حرب ضد اسبانيا، مشتاقين جداً الى أن يصبحوا تحت حكم مسيحي مرة أخرة..»(30).

وفي منتصف القرن السابع عشر كانت انجلترا فقدت مكانتها القديمة في المغرب كلدولة صديقة بعد أن ظهرت أطماعها الاستعمارية في تصرفاتها الملتوية المتناقضة، واغضبت كلا من حلفائها التقليديين الملوك السعديين بمراكش، والدلائيين أصحاب النفوذ في الثغور الواقعة شمال أم الربيع. يتجلى ذلك في حادثة السفينة الانجليزية التي كانت متجهة الى جزر كناري وألقت بها العواصف بالقرب من أسفي. فقد اعتقل محمد الشيخ الأصغر السعدي ركاب هذه السفينة الانجليز، وعددهم 27 رجلا انتقاما من حكومتهم التي كانت تسمح لرعاياها التجار ببيع الأسلحة الى الثوار في مرسى أكَادير. كما أغار القراصنة السلويون خلال هذه الفترة على كثير من السفن الانجليزية وأغرقوا احداها عندما كانت راجعة من اسبانيا (ديسمبر 1651) وأسروا عددا وافرا من البحارة الانجليز باعوهم عبيدا في مدينهم.

وكان من نتائج متابعة حرب القرصنة وعدم وجود معاهدة انجليزية لا مع السعديين ولا مع الدلائيين قطع الصلات بين التجار الانجليز والموانىء المغربية. وأخذت انجلترا تحاول افتداء أسراها في المغرب، وتفرض ضرائب جديدة على الصادرات والواردات لهذا الغرض. وقد كلف مجلس الدولة البريطاني بأمر مؤرخ في 15 ماي 1653 أحد أعضائه (روبير بلاكبورن) «R. BLACKBORNE»أن يعقد اتفاقا مع التاجر (روبير داون) و «R. DOWNE» لشراء الأسرى الانجليز من سلا، وقام هذا التاجر بالمهمة التي أنيطت به، وكتب من مدينة سلا الى (بلاكبورن) بعد نحو أربعة أشهر يخبره بأنه تمكن من شراء 22 أسيرا انجليزيا، وبقي تسعة آخرون، منهم سبعة في ملك الأمير عبد الله الدلائي الذي رفض فداءهم بأي ثمن. ولما استعادت انجلترا قوتها الحربية في البحر، عملت على أن تفرض احترامها على

(30) من تقرير للسفير هاريسون الانجليزي في 8 أكتوبر 1630، المترجم في تاريخ تطوان القسم الثاني من المجلد الأول، ص 226.

البحارة المسلمين في بلاد المغرب، وقد حطم أمير البحر الانجليزي (بلاك) «L'AMIRAL BLAKC» خلال سنة 1655 الأسطول التونسي، وأمضى لصالحه معاهدة مع الجزائر، وكان ينوي أن يفرغ بذلك لقراصنة سلا لولا أنه اضطر إلى العودة إلى انجلترا حينما أعلنت الحرب على اسبانيا في شهر فبراير 1656. ثم رجع (بلاك) بعد بضعة أشهر الى سلا على رأس أكثر قطع أسطوله، ومعه مساعده (ادوارد مونطاكَى) «EDWARD MONTAGU» [31] وطلب (بلاك) بمجرد وصوله الى المرفأ من الأمير عبد الله الدلائي أن يعين له مفوضين يتخابرون معه في تهيء اتفاقية وفي انتظار حضور هؤلاء المفوضين وصلت سفينتان سلويتان، وقبل دخولهما الى المرفأ ارتطمتا بالصخور للنجاة من السفن الانجليزية.

وبالرغم من استعداد المفاوضين السلاويين لعقد الاتفاقية، فانهم أبوا أن يطلقوا سراح الأسرى الانجليز دون مقابل. وقد قبل الأمير (بلاك) أن يعوض مالكي العبيد الانجليز بهدايا من البضائع، دون أن يؤدي لهم الفداء الذي يرى فيه إهانة لبلاده، وبعد نصف شهر من الاتصالات قطعت المفاوضت بسبب رفض الأمير عبد الله الدلائي أن يسلم طفلين انجليزيين ولدا في سلا، ورجع الأسطول الانجليزي من حيث أتى تاركا ثلاث قطع حربية لمتابعة حصار العدوتين.

وشهدت السنة التالية 1657 تطورا مرضيا للعلاقات المغربية الانجليزية بسبب السياسة الجديدة التي أخذ ينهجها (كروميل) في البحر المتوسط، فسمّى (نثانيل لوك) «NATHANIEL LUKE» قنصلا في الثغور المغربية يقيم في تطوان. وهو تاجر انجليزي قضى شطرا مهما من حياته في الاتجار بهذه المدينة. وأطلق السلاويون سراح الأسرى الانجليز، ثم عقد اللورد الحامي (كروميل) معاهدة سلم وصداقة مع السلطان محمد الحاج في 19 غشت 1657، تتلخص كما يلي

---

(31) (ادوارد موطانكَى) (1625 — 1672) عينه (كروميل) مساعدا لأمير البحر (بلاك) في قيادة قسم الأسطول الموجه ضد اسبانيا سنة 1656. بالرغم من كونه لم يكن قد عمل قط في البحرية.

1) يلتزم الطرفان المتعاقدان بتناسي المظالم القديمة، والعيش في السلم استقبالا. ويمكن لرعاياهما أن يختلفوا الى موانىء القطرين، دون أن يؤدوا من الأعشار الا ما يلزم للسلعة المبيعة في تلك الموانىء.

2) يسمح للرعايا الانجليز بمزاولة طقوسهم الدينية في البلاد الخاضعة لنفوذ شيخ الدلاء.

3) يحظر أسر سفن الجانبين.

4) اذا غرقت سفينة يبقى الناجون ممن كانوا على ظهرها أحرارا، وتسلم الأمتعة التي يمكن انقاذها الى أصحابها.

5) لا يمكن في المستقبل أن يكون رعايا الدولتين أسرى عند أحد الجانبين وستعطى الحرية للانجليز المقيمين في تطوان أو غيرها من البلاد التابعة لشيخ الدلاء ليغادروا هذه المنطقة مع ذويهم متى شاءوا.

6) يعاقب عن كل قذف أو إهانة تلحق رعايا الطرفين.

7) يمكن للسفن الحربية لكلتا الدولتين أن تأخذ المؤنة والزاد من مرافىء البلدين.

8) لا يمكن لأية حادثة أن تتسبب في نقض السلم. اللهم إلّا في حالة رفض اجراء العدالة. ويمكن للطرفين باتفاق منهما أن يغيرا أو يتمما هذه الفصول.

وقد وقع هذه الاتفاقية من الجانب المغربي زيادة على محمد الحاج الدلائي الغزوان (كذا) بن بوبكر، وعبد الكريم النقسيس حاكم تطوان، وأحد العدول[32]. وبذلك ساد السلم من جديد وتوطدت عرى الصداقة بين الدلائيين والانجليز.

---

(32) De Castier **Les Sources Inédites**, Angleterre, 3 : 588

### ج) الدلائيون والبلاد الواطئة (هولاندا)

كانت البلاد الواطئة «PAYS-BAS» تشتمل على هولاندا، وبلجيكا، ولوكسمبورغ الحالية، مع جزء من شمال فرنسا. وتخلصت البلاد الواطئة من الاستعمار الاسباني والمذهب الكاثوليكي سنة **1581** فكونت حكومة فيدرالية متركبة من سبع دويلات، تحتفظ كل منها باستقلالها الداخلي، تحت اسم جمهورية الأقاليم المتحدة السبعة REPUBLIQUE DES SEPT PROVINCES UNIES وتكوّن من ممثلي الأقاليم مجلس يحمل اسم (الولايات العامة) LES ETATS GENERAUX فكان المؤسسة الوحيدة القائمة بالمهام السياسية للحكومة الفيدرالية. ولم يمض وقت قصير حتى صار أسطول البلاد الواطئة سيد البحار، وكانت السفن الهولاندية(33) ــ كسفن سائر الدول المعادية لاسبانيا ــ لا تستطيع أن تعبر مضيق جبل طارق دون أن تتعرض لخطر مزدوج، فهي ان اقتربت من الساحل المغربي أسرت، وان جنحت الى الساحل الآخر حطمها الاسبان وأخذوا تجارتها للتجذيف في سفنهم الكبيرة.

وتعتبر جمهورية الأقاليم المتحدة من الدول الأوربية السابقة الى التحالف مع المغرب أيام أحمد المنصور الذهبي. وكانت هناك عوامل متعددة ساعدت على التقارب بين المغرب وهذه الأقاليم، منها حقدها المشترك على اسبانيا، واقامة جالية من اليهود المطرودين من الأندلس في البلاد الواطئة نظرا لما اشتهرت به من التسامح الديني. فكوّن أفراد هذه الجالية اليهود الثرية علاقات تجارية مع إخوانهم المقيمين في المغرب والجزائر، وربطوا معهم صلات متينة، فكانت السفن لذلك تتردد بين الموانىء المغربية والهولاندية بدون انقطاع. واحتفظت البلاد الواطئة بصداقتها بعد موت المنصور مع ابنه زيدان. لكن لما استبد أبو حسون بسوس والجنوب المغربي، واستقل العياشي ببلاد الغرب ومدن أبي رقراق، وجدت البلاد الواطئة نفسها مضطرة للتفاهم مع هذين الحاكمين للمحافظة على مصالحها في هذه الأقاليم.

---

(33) يعبر أحيانا عن الأقاليم السبعة باسم أهم اقليم فيها وهو هولاندا.

ونظرا لقيام جمهوريات صغيرة في مدن سلا والرباط والقصبة (1040–1071 / 1630–1660) تحت نظر العياشي ثم الدلائيين، كانت الولايات العامة تراسل رؤساء هذه المدن وتتفاوض معهم بصفتهم المباشرين للسلطة في هذه الثغور، وسمت خلال عام 1643/1053 «هندريك دوبير» «HENDRICK DOPPER» (34) قنصلا ممتازا للبلاد الواطئة في المغرب، فكان يتردد بين مراكش وسلا، ويتصل بالملك السعدي ورؤساء العدوتين على السواء.

ولما استحكم أمر الدلائيين وقوي نفوذهم في الأقاليم التابعة لهم، لم يعد رؤساء مدن سلا يبيحون لأنفسهم الاتصال المباشر مع رؤساء الدول الأجنبية. وقد رد سعيد الجنوي النائب العام عن الدلائيين في هذه المدن ردا سلبيا على رسالة وجهتها الولايات العامة ـــ كالعادة ـــ الى حكام سلا، في موضوع الصلح والمهادنة، وأشعر حكومة البلاد الواطئة بضرورة مخاطبة السلطان محمد الحاج الدلائي الذي يرجع اليه وحده أمر الحرب والسلم. ومما جاء في الرسالة «.. والصلح نِعم السبيلُ لمن سلكها، والطريقُ لمن اقتفى سنتها، وثبوت الصلح على هذه المثابة، من الأمور التي فيها الغرابة، قل أن يتم فيها المرام(35) أو ينتهي بيننا وبينكم الكلام. كيف وقد تركتم في الخطاب من تولى أمرنا، ومَن طاعَتُه أوكدُ الفروض علينا، مولانا عزُّ الاسلام وجابره، ومغيثه حيث عزَّ ناصره، الامام الذي تضاءلت الاغوار والانجاد لصولته، واستكانت الآفاق لهيبته ووطئته، واستنار الاسلام بظهوره، وخمدت نيرانِ الكفر باضواء نوره، المقدام الذي حمل على كاهله راية المسلمين، وساد الأولياء والعلماء والمجاهدين، صاحب الأمر المطاع أبي عبد الله سيدي محمد بن محمد بن أبي بكر نوره الله، ورزق كلا من المسلمين رضاه. ولا غرو إن كان الصلح مطلوبكم فأتوه من أبوابه، وتوصلوا اليه بأسبابه، واعرفوا لكل

(34) هندريك دوبير بورجوازي من سكان امستردام، بقي يشغل منصب قنصل البلاد الواطئة في المغرب الى أن توفي سنة 1651.

(35) وقع تحريف في عبارة «قل أن يتم فيه المرام» في كتاب دو كاستر باستبدال نون «ان» راء فصارت عنده «قل اريتم..».

ذي فضل فضله، وخاطبوا كل رئيس بما يناسب قدره.»[36] وقد أجابت الولايات العامة عن هذه الرسالة بكتاب تستبشر فيه بالاستعدادات الطيبة التي عبر عنها حكام مدن سلا، وتعتذر عن عدم الكتابة من قبل الى السلطان محمد الحاج. وأرسلت في نفس الوقت رسالة أخرى الى أمير الدلاء، حملها اليه القنصل الهولاندي في المغرب (هندريك دوبير) HENDRICK DOPPER وفيها تقدم الولايات العامة الى محمد الحاج لأول مرة هذا القنصل الذي ندبته ليؤكد للأمير ما تكنه له من ود وتقدير، وترجوه أن يطلق سراح الأسرى الهولانديين في سلا، ويضمن الحرية والأمن لرعاياها من التجار، وأن يتفضل باستقبال القنصل الهولاندي كلما رغب في المثول بين يديه.

ظلت العلاقات عادية بين الدلائيين والهولانديين باستثناء بعض الاحداث العابرة الناتجة عن أعمال القرصنة البحرية. وكانت المحادثات مستمرة بين الفريقين لعقد معاهدة سلم وصداقة. وفي أوائل عام 1061 /1651 قبيل مجيء الامير عبد الله الدلائي الى سلا أرسلت الولايات العامة مفوضين عنها برئاسة الضابط البحري (جيديون دو ويلدت) «GEDEON DE WILDT» على رأس أسطول، وندب حكام مدن سلا من طرفهم الحاج ابراهيم معنين والحاج محمد فنيش ليفاوضا باسمهم وأعطوهما حق التصرف المطلق في التعاقد مع ضباط أسطول البلاد الواطئة. وبعد محادثات طولة وقع الطرفان في 17 صفر 1061 /9 فبراير 1651 معاهدة تشتمل على تسعة فصول. مجملها ان يطلق سراح الاسرى الهولانديين مقابل أداء ثمن الشراء لمالكيهم في ظرف ثلاثة أشهر، وألا تتسلح أية سفينة سلاوية للقرصنة في البحر ما لم تقدم ضامنا يتكفل بتعويض الخسائر التي قد تلحقها برعايا البلاد الواطئة، وانه سيخلى سبيل الهولانديين الذين قد يوجدون على ظهر سفن محايدة، والا يسمح لقراصنة الجزائر وتونس وطرابلس أن يبيعوا في سلا ما يستولون عليه من أسرى الهولانديين وبضائعهم، وألا يزاد في واجبات الجمرك الحالية، وان يحمي السلاويون التجار رعايا البلاد الواطئة، وألا يسمحوا للأتراك وغيرهم بحمل رسائل

(36) أنظر صورة هذه الرسالة، وبطرتها توقيعات رؤساء سلا والرباط والقصبة في اللوحة رقم 13.

اللوحة رقم 13

رسالة من حكام سلا إلى دول الاقاليم المتحدة (هولاندا) بتاريخ 18 رجب 1053 (27 اكتوبر 1643) يطلبون منها أن توجه الخطابات الى أميرهم عبد الله الدلائي

عن مصادر دو كاستر

امتياز في سلا، وفي مقابل ذلك لن يعترض الاسطول الهولاندي طريق السفن السلاوية، كما ان السلاويين لن يأسروا الاجانب الراكبين على ظهر السفن الهولاندية.

وفي أواخر هذه السنة (1061 /1651) عين الامير عبد الله الدلائي حاكما على مدن سلا. ولما اطلع على نص المعاهدة السابقة لم تعجبه في مجملها، وأنكر منها بالخصوص الفصل الرابع الذي يحرم على المغاربة أن يتعاملوا بالبيع والشراء مع اخوانهم الجزائريين والتونسيين والطرابلسيين، ارضاء ومؤازرة لحلفاء مسيحيين، ورفض امضاء هذه المعاهدة. وفي ذلك التاريخ أرسلت الولايات العامة قنصلا جديدا الى سلا هو (دافيد دوفرييس DAVID DE VRIES[37]) الذي استقبل استقبالا حسنا من طرف قائدى سلا والرباط أولا، ثم حظي بمقابلة الامير عبد الله الدلائي في القصبة. وكتب الامير سعيد الجنوي على اثر ذلك الى الولايات العامة يخبرها بوصول قنصلها الجديد، ومصادقة الامير عبد الله الدلائي على معاهدة 9 فبراير 1651 باستثناء الفصل الرابع منها لمخالفته تعاليم الديانة الاسلامية.

وأرسل الامير عبد الله الدلائي بدوره كتابا الى الولايات العامة ردا على الرسالة التي وافته منها جاء فيه «... أما بعد حمد الله الذي لا إله هو فانه ورد علينا كتابكم الوسيم، وقفنا على شروط الرسم وفصوله[38] وتأملنا منتخب مسائله وأصوله. فليكن في علمكم انا قبلنا ما فيه واستحسناه، وسطرنا حقيقة مقتضاه وأثبتناه، وأعملنا بشرطه، وما في قبضه وبسطه، وأبرمنا عقده، وأنجزنا وعده وعهده، وأعلمنا بذلك لأهل بلدنا، ولأصحاب السفن من قرصاننا، وقبلنا أموره الخاصة والعامة قبولا تاما، لكن عندنا ما نذكر في بعض الشروط، وسياتيكم مسطرا مع آخر صحبة هذا المكتوب[39] واما خديمكم القنص (كذا) دابيد دبرييس فإنّا قد

37) سبق لدافيد دو فرييس أن شغل منصب قنصل الولايات العامة في بلاد أخرى قبل أن يعين قنصلا في سلا سنة 1651. وظل يباشر عمله في هذه المدينة الى أن توفي سنة 1662

38) يشير الى معاهدة 9 فبراير 1651

39) الاشارة الى الاقتراحات المضادة التي بعث بها الامير الدلائي الى الهولانديين.

أنزلناه منزلة العز والكرامة، وفرحنا بقدومه، اذ لنا معرفة سالفة معه وخلطة قديمة...»(40)

وبعث الامير عبد الله الدلائي صحبة الكتاب المتقدم اقتراحات مضادة لتعديل معاهدة 9 فبراير 1651(41) وتشتمل على أربعة فصول يختص أولهما بنقض الشرط الرابع من المعاهدة وإبطاله، وتتعلق الثلاثة الاخرى بتحفظات في بعض الحالات الاستثنائية التي ينتقض فيها العهد وتصبح سفن الهولنديين وتجارتهم وبضائعهم غنيمة للمسلمين. ولما لم يتلق الامير عبد الله جواب الولايات العامة عن اقتراحاته بعد نحو ثلاثة أشهر رأى أن يتخذ إجراء يفهم منه عدم تقيده بالمعاهدة ما دامت على حالها لم تغير، فزاد في الضريبة المفروضة على الصادرات والواردات، ولم تجد نفعا احتجاجات قناصل الدول المقيمين في سلا، وفي مقدمتهم (دو فرييس) الذي كتب الى الولايات العامة يخبرها بالضرائب الجديدة والمحاولات التي قام بها في هذا الصدد، مقترحا في الاخير على حكومته أن تكتب الى الامير عبد الله والى أبيه السلطان محمد الحاج «الذي لا يرغب في ازعاج التجار ولا في القضاء على التجارة، ولن يلبث أن يبطل هذه الضرائب الجديدة»(42) ثم حدث حادث قرصني جديد زاد في توتر العلاقات بين سلا والبلاد الواطئة. ذلك ان الاسطول الهولاندي بقيادة الضابط (كورنللى طرومب) CONTRE AMIRAL CORNELIS TROMP(43) استولى على سفينة تجارية سلوية كانت قادمة من الجزائر بشحنة مهمة في ملك أمير المدينة وحاكمها وغيرها من الاعيان. وتسمى الوثائق الهولاندية هذه السفينة DE HASEWINDT OU WINDTHONDT والاسمان معا يدلان على السلوقي. وكانت ملاقاة الاسطول الهولاندي لهذه السفينة قبيل غروب الشمس، فاعترض طريقها بشكل جعلها لا تجاوز حدود المعمورة، وفي الصباح بدأ

---

40) De Castries, Les Sources Inédites, Pays-Bas, 5 296

41) أنظر صورة هذه الاقتراحات المضادة في اللوحة رقم 14

42) De Castries, Les Sources Inédites, Pays-Bas, 5 316

43) كانت هناك فرقتان من الاسطول الهولاندي تعملان بالقرب من شواطىء المغرب. أولاهما بقيادة الضابط (ديرويتر) DE RUYTER تخفر السفن التجارية الهولاندية المتجهة نحو البحر المتوسط والثانية بقيادة الضابط (كورنلى طرومب) CORNELIS TROMP وهي مكلفة بحماية السفن التجارية الهولاندية المتجهة نحو موانيء المحيط الاطلنطيقي.

اللوحة رقم 14

بسم الله الرحمن الرحيم سبحانه لا رب غيره ولا معبود سواه

معنى الامور التي كان الاعلام بها للانجاد الرؤساء

الاستاضص الكبير اصحاب البلاد الفلمنكية المنيعة

أما الأول [illegible]

والثاني [illegible]

والثالث [illegible]

والرابع [illegible]

اقتراحات مضادة لعبد الله الدلائي تتعلق بالمعاهدة المبرمة بين البلاد المنخفضة والسلويين. ويلاحظ توقيعه على الهامش

عن مصادر دو كاستر

(طرومب) يوجه اليها طلقات مدافعه الى أن استولى عليها واقتادها الى ميناء قادس. وقد أحدث خبر هذه القرصنة التي وقعت على بضعة أميال من سلا أثرا سيئا في نفوس سكان المدينة، وفرضت حراسة قوية على منزل القنصل (دوفريس) حتى لا يلتجىء الى المعمورة أو يفر في البحر. ووقع حجز السفينة الهولاندية (دوتيجر DE TYGER مع بحارتها بأمر من الامير عبد الله الدلائي. وكتب القنصل الى حكومته (20 يوليوز 1654) يخبرها بهياج السلاويين وغضبهم لأسر سفينتهم التجارية، وبالحالة الخطيرة التي أصبح يعيش فيها هو ومواطنوه الهولانديون.

حضر قائد الاسطول (طرومب) الى مرفأ سلا استجابة لدعوة القنصل وأرسل الى الامير عبد الله خطابا يبرر فيه الاستيلاء على السفينة التجارية السلوية ويدعوه — ان لم يقتنع — أن يوجه احتجاجا الى الولايات العامة في (لاهاي) فأجاب الامير عبد الله انه اذا كان (طرومب) لم يستول على السفينة السلوية بأمر من حكومته، فلا حاجة له في اذنها ليرد المركب الى صاحبه. لكن (طرومب) لم ينتظر هذا الجواب ورجع من حيث أتى. فأمر عبد الله الدلائي بأن يسجن الضباط والتجار الهولانديون الموجودون بسلا في مطمورة. وجاءت الاخبار بعد ذلك الى سلا بأن (طرومب) قد باع السفينة السلوية وكل ما كانت تحتوي عليه من البضائع في ميناء قادس. فاشتد الحنق على الهولانديين، وكتب القنصل (دوفريس) الى القيادة العليا للاسطول في أمستردام L'AMIRAUTE D'AMSTERDAM[44] يطلعها على الحالة، ويرجو فيما اذا كان الاستيلاء على السفينة السلوية بطريقة غير مشروعة، ان تقدم الولايات العامة تعويضا مناسبا للسلاويين. وفعلا توصل القنصل من حكومته برسالة وقرار في الموضوع باسم حاكم سلا. فغير الحاكم العنوان، وقرأ الرسالة على عبد الله الدلائي كما لو كانت موجهة اليه. فرضي الامير بالوعود التي وردت فيها وأفرج عن الهولانديين المعتقلين.

---

44) امستردام AMSTERDAM هي العاصمة الحالية لهولاندا. كانت مقر القيادة العليا لاسطول الاقاليم المتحدة، بينما كانت (لاهاي) مقر الولايات العامة.

لم تكن مسألة السفينة الماسورة بالقرب من المعمورة هي الحادثة القرصنية الوحيدة التي شهدتها سنة **1654**، بل جرت فيها حوادث أخر مماثلة، فقد أسر الضابط الزيلاندي (فيليب راس) « PHILIP RAS » مركب ابراهيم الرايس السلاوي، وعلى ظهره **44** من المغاربة، و **3** من أسرى النصارى، فأحرق المركب واحتفظ بابراهيم الرايس، وعزم على بيع البحارة لولا أن تعرض القنصل الهولاندي في قادس ضد هذا البيع حتى تثبت شرعية أسر السفينة. واستولى الضابط الهولاندي (طونيس بوسط) « LE CAPITAINE THENNIS POST » على سفينة سلوية كبيرة من نوع (كرافيل) CARAVELLE(45) ذات خمس سوار، وخمسة مدافع كبيرة، ومدفعين صغيرين، بقيادة الرئيس الحاج فاضل. وكان على ظهرها مائة من المغاربة، وثمانية من أسرى النصارى. واقتيدت هذه السفينة الى ميناء قادس، وبعد التأكد من وجود الجواز القانوني من طرف حاكم سلا وقنصل الولايات العامة بهذه المدينة وقع تحرير الاسرى المسيحيين، وتُخلي سبيل السفينة وركابها المسلمين.

هذا النشاط الهولاندي الغير المعتاد في أعمال القرصنة ضد سفن سلا، كان يستهدف ولا شك الضغط على الامير عبد الله الدلائي، واشعاره بضرورة مهادنة الولايات العامة والتحالف معها. وقد رأت الولايات العامة أن تجس نبض الامير عبد الله الدلائي فعزلت قائد الاسطول الهولاندي بالمحيط الاطلنطيقي الضابط طرومب الذي خلق لها صعوبات مع السلويين مستعيضة عنه بقائد أسطول البحر المتوسط. وفعلاً وصل (دورويتر) « DE RUYTER » الى مرفأ سلا (أكتوبر **1654**) ووجه رسالة الى الامير عبد الله الدلائي يخبره بأنه جاء عندما علم بالصعوبات التي أحدثها استيلاء الضابط (طرومب) على السفينة التجارية السلوية، ليؤكد للامير أنه اذا كانت هذه السفينة قد أخذت في الظروف التي يشتكي منها، فان ذلك يكون على غير رغبة الولايات العامة. ويأسف لكون

---

45) (كارافيل) CARAVELLE نوع من السفن الكبيرة ذات الشهرة العظيمة منذ القرن الخامس عشر. وبهذا النوع من السفن خاض البرتغاليون غمار رحلاتهم الاستكشافية. وقام كريستوف (كولومبوس) بسفرته الاولى في ثلاثة سفن من هذا النوع. وكانت (كرافيل) من أسرع السفن وأحسنها قيادة، تسع من **50** الى **90** بحارا زيادة على الركاب.

التعليمات الموجهة اليه تمنعه من مغادرة سفينته. ولولا ذلك لكانت مقابلة واحدة مع الامير كافية لتطمينه وترضيته، وإعادة توطيد أواصر الصداقة معه. وجاء رد الامير عبد الله الدلائي على هذه الرسالة بعد يومين يعتذر عن تأخر الجواب وعدم خروج المبعوثين اللذين عينهما ــ مع القنصل ــ للترحيب بمقدم الضابط (دورويتر) نظرا لرداءة أحوال المرفأ. وبعد أن بين له الاجراءات التي اتخذت منذ الاسيلاء على سفينة السلاويين، ومنها حجز السفينة الهولاندية « TYGER »

تأخر وصول أسطول الولايات العامة الى سلا عدة شهور، وبقيت السفن الهولاندية محجوزة في المرفأ، وضباطها وبحارتها في اقامة محروسة بسلا. وكتب الامير عبد الله الدلائي الى الولايات العامة (15 يونيه 1655) يستحثها على ارسال مندوبيها ويستنجزها ما وعدت به من التفاوض لحسم الخلافات وانصاف الرعايا الذين سلبت أموالهم وأمتعتهم[46]، وأخيراً تلقى أمير سلا رسالة من قائد الاسطول ديرويتر بعث بها من قادس يعتذر عن تأخر وصوله بسبب تسلح بلاد السويد الذي أرعب الدول المسيحية وبخاصة البلاد الواطئة، ويقول انه مكلف من قبل الولايات العامة بتسوية الخلافات السابقة وتوطيد عرى الود والتحالف بين الدولتين، ويرجو أن تاتي المفاوضات المقبلة بنتائج حاسمة، ويامل ــ في انتظار ذلك ــ أن يمنح الامير عبد الله الدلائي المعتقلين المسيحيين قسطا أوفر من الحرية.

ولما وصل أسطول القائد دو رويتر الى مرفأ سلا طلب من الامير الدلائي أن يبعث اليه بالمفاوضين السلاويين، ومعهم القنصل. فبعث اليه الامير بنسخة مترجمة من مطالب السلويين الذين لحقت بهم أضرار من جراء استيلاء الهولانديين على سفينة أحمد الرايس واعتذر عن عدم السماح للقنصل دوفرييس بالتوجه الى الاسطول، لامتناع الديوان من الاذن له بذلك، ووعد بأنه سيعمل للحصول على هذا الاذن فيما بعد. ثم خرجت من مرفأ سلا سفينة صغيرة تحمل أطعمة وأشربة

---

46) انظر صورة هذه الرسالة وبها توقيع الامير عبد الله الدلائي عند
De Castries, Sourses Inédites, Pays-Bas, 6 : 135

قدمها الامير الدلائي الى دو رويتر وصحبه، فردَّ هذا الاخير على ذلك بهدية تشتمل على أربعة قناطير من مسحوق البارود. وهكذا ابتدأت المفاوضات في جو تسوده المجاملة والمهاداة، ووقع الاتفاق على الطريقة التي ستتبع في دراسة الحسابات ومراجعة مطالب المتضررين من الطرفين. وأرسل دو رويتر الى اليابسة نائب الخزينة ديفيانان DE VYANEN والترجمان بنجامن كوهن BENJAMIN KOHEN ليكونا مع القنصل دوفريس الوفد المفاوض باسم الولايات العامة. وكان الوفد السلوي يتألف من عبد الله القصري القائم مقام سعيد الجنوي وابراهيم الدك، وعلى القرطبي من أعيان العدوتين. وقد اعترضت المفاوضات صعوبات منذ البداية. اذ لم يقبل السلاويون لوائح تقدير الخسائر المقدمة من طرف أصحاب المراكب الهولاندية، ورأوا فيها مغالاة كثيرة وتشبثوا برأيهم في عدم مشروعية أسر السفينة التجارية السلوية في حين رفض الهولانديون بعض الحجج المقدمة من قبل الشاكين السلويين وأبوا أن يقبلوا غير العقود العدلية. وعقد وفد الولايات العامة جلسات عمل مع الامير عبد الله الدلائي نفسه مدة يومين لتذليل الصعوبات. وبعد مخابرات طويلة وتنازل الهولانديين عن السفينة ويث فالك WITTE WALCK كتعويض للسلاويين عن سفينتهم الضائعة تم في **22** أكتوبر **1655** التوقيع على اتفاقية مختصرة تشتمل على سبعة فصول. يتضمن الفصل الاول منها أن يطلق الامير عبد الله الدلائي سراح دافيد دوفريس القنصل العام للولايات العامة في الثغور المغربية وأن يعيد اليه حريته، وتشتمل الفصول الاخرى على اطلاق سراح أسرى الجانبين، واسترجاع كل منهما السفن التي وقع الاستيلاء عليها وتعويض الخسائر التي لحقت بكلا الجانبين وقد وقع هذه الاتفاقية مبدئيا ابراهيم الدك وعلي القرطبي، عن السلويين، ودو فريس « DE VRIES » و دو فيانان « DE VYANEN » عن الهولانديين، ثم صادق عليها الامير عبد الله الدلائي وأشعر الاسطول الهولاندي المرابط في عرض البحر بذلك بخمس طلقات من مدافع القصبة ووقع دو رويتر من جانبه النسخة الاصلية للاتفاقية على ظهر سفينته قبل أن يتجه الى قادس(47).

---

47) De Castries, Les Sources Inédites, Pays-Bas, 6 : 135

وقد أعد الوفدان المتفاوضان في نفس الوقت مشروع معاهدة سلم وصداقة بين السلويين والولايات العامة تشتمل على 27 بندا قدماه الى الامير عبد الله الدلائي وأرسله دو رويتر الى حكومته بقصد الدراسة وابداء الرأي. غير أن الامير الدلائي أمر بقطع المفاوضات على اثر سفر قائد الاسطول دورويتر الذي كان له التفويض الرسمي من الولايات العامة، بالرغم مما أبداه هذا الاخير من رغبة ملحة في أن تتابع المفاوضات في غيبته بواسطة القنصل ومن معه.

وأرسلت الولايات العامة الى قنصلها بسلا في 23 ماى 1656 تعليمات تحتوي على عشر نقط، ليتخذها أساسا في مفاوضاته المقبلة من أجل ابرام معاهدة سلم مع الامير الدلائي. وتهدف هذه التعليمات الى أن يستأنف القنصل دو فريبس المفاوضات من جديد مع السلاويين، مبتدئا من النقطة التي توقفت عندها المفاوضات الاخيرة، ويعمل بمقتضى التفويض الذي خولته اياه الولايات العامة في هذا الصدد، مستوحيا من الاتفاقية المبرمة بين الفريقين في 9 فبراير 1651 باستثناء التغييرات المنصوص عليها في هذه التعليمات. وخصصت النقطة السادسة في التعليمات للكلام عن الفصل الرابع من معاهدة 9 فبراير الذي كان السبب في معارضة الامير عبد الله الدلائي لهذه المعاهدة وبقائها معلقة منذ نحو 6 سنوات. وقد أوصت لولايات العامة القنصل بأن يعمل ما في وسعه للاحتفاظ بهذا الفصل على حاله، فان لم يستطع تنازل درجات معينة، فان لم يستطع الحصول على شيء شرط فقط الا يرسل أسارى قراصنة الجزائر من رعايا البلاد الواطئة الى مكان آخر غير سلا ليسلموا الى القنصل مقابل فداء معين بحسب رتب الأسرى(48).

كان الضابط دو ويلدت «DE WILDT» تلقى أمرا من القيادة العليا للأسطول بأمستردام بالتوجه الى سلا على رأس سفن حربية كبرى لمساندة المفاوضات الجارية هناك، لكن قبل أن يصل الأسطول الهولاندي إلى سلا توصل القتصل دو فريبس مع المفاوضين السلاويين بعد محادثات طويلة الى الاتفاق على

48) De Castries, Les Sources Inédites, Pays-Bas, 6 : 271

مشروع معاهدة سلم وصداقة يتألف من اثني عشر فصلا، وقعه جميع المتفاوضين من الطرفين في 22 مارس 1657 (49) ووجه القنصل الهولاندي نص المشروع إلى حكومته للمصادقة عليه. ولما وصل دو ويلدت وجد كل شيء تم بسلام، فكتب إلى الأمير عبد الله الدلائي يشكره على حسن تصرفه، ويعرض عليه استعداده للخدمة، ورجع بعد أسبوع الى قادس مرتاح البال.

مكث مشروع المعاهدة في البلاد الواطئة أزيد من سنة، اذ لم تصادق عليه الدول العامة إلا في 25 ماي 1658 ولم يتوصل عبد الله الدلائي بالنسخة الأصلية ليوقعها إلا في شهر غشت من نفس السنة. ووقعت في هذه الفترة أحداث كثيرة كادت تعصف من جديد بالعلاقات بين سلا ولاهاي، ومن أخطرها اعتداء القبطان الهولاندي براكل BRAKL التابع لأسطوب دورويتر يوم فاتح شتنبر 1657 على سفينة سلوية كانت قادمة من الجزائر بحمولة تجارية مهمة بقيادة الرئيس علي مرشيك، فهاجمها براكل بالقرب من مرسى تطوان، واستولى عليها بعد أن فر الرئيس مرشيك ومن معه من التجار. وقد حرر السلويين لائحة بما ضاع لهم في هذه السفينة، وختم الأمير الدلائي هذه اللائحة بطابعه قبل أن يوجهها الى الولايات العامة في ربيع الثاني 1658/1068 (50).

ولما طال انتظار عبد الله الدلائي ولم يستلم جواب الولايات العامة على هذه المطالب، ولا المصاقدة على المعاهدة، رأى أن يلجأ الى العنف، فأغلق مخرج النهر على المراكب طيلة شهر كامل وأخطر القنصل دو فرييس بأنه سينتصف بنفسه لرعاياه، ويرد عليهم ما ضاع لهم بعد أن يأخذه من الهولانديين المقيمين في سلا. وكتب القنصل الى حكومته بجلية الأمر، طالبا منها أن تعجل بالمصادقة على المعاهدة، وبتعويض الخسائر التي ألحقت بالسلويين. وبناء على ذلك اتخذت الولايات العامة في 25 ماي 1658 قرارا يقتضي تكليف ضابط بحري بالتوجه على

---

49) De Castries, Les Sources Inédites, Pays-Bas, 6 323

رأس فرقة من الأسطول الى مرفأ سلا لتبادل وثائق المعاهدة المصادق عليها مع الأمير عبد الله الدلائي، وللعمل معه على تسوية المشاكل القائمة لا سيما ما يتعلق منها بسفينة الرئيس علي مرشيك، واطلاعه على أن الضابط دورويتر لم يعثر في السفينة السلوية المأخوذة في خليج تطوان لا على النقود ولا على البضائع المثبتة في اللائحة، وانه سار في هذه الحادثة على مقتضى المعاهدة، فحرر أحد سكان سلا الذي عثر عليه في السفينة المأسورة. أما المغربي الأعمى[51] الذي كان كذلك على ظهر السفينة فسيقدم اقتراح بتعويضه ان لم يعثر عليه. ولا تقبل الدول العامة بحال أن يعوض الأمير بنفسه رعاياه على حساب أشخاص وأموال رعايا البلاد الواطئة. وكان الضابط الذي كلف بمهمة الاتصال بالأمير عبد الله الدلائي هو دو رويتر، الا انه فضل أن ينيب عنه الضابط دو ويلدت «DE WILDT»الذي وصل الى مرفأسلا في 27 يوليوز 1658 على رأس فرقة من الأسطول الحربي. وكتب دو ويلدت بمجرد وصوله الى أمير سلا ينبئه بأنه يحمل مصادقة الولايات العامة على المعاهدة، ويطلب أن يحضر الى سفينته مفوضون سلويون لتبادل الوثائق. وأسرع الأمير عبد الله الدلائي كعادته بتقديم القِرَى إلى ضيفه، وكان من جملة ما حملته السفينة الصغيرة الى الأسطول الهولاندي المرابط خارج المرفأ أربعون من الغنم. فرد الضابط الهولاندي دو ويلدت على ذلك برسالة شكر وامتنان معتذرا بأنه لا توجد عنده أشياء ثمينة يمكن أن يبعث بها الى الأمير الكريم لكنه لما كان يعلم أن الأمير جندي كبير مولع بالأسلحة الجيدة فإنه يقدّم اليه هدية متواضعة تشتمل على ستة براميل صغيرة من مسحوق البارود الخاص بالمدافع وبندقية جيدة طويلة. وبعد ذلك خرج القنصل دو فريس صحبة الترجمان كوهن للسلام على الضابط والترحيب به، والمخابرة معه في المسائل المعلقة وبخاصة قضية سفينة الرئيس علي مرشيك لمعرفة موقف الولايات العامة منها، وأجاب (دوويلدت) بأن حكومته لم

---

(51) لا ندري من أين عرف الهولانديون أن هذا المغربي الذي لم يعثر عليه كان أعمى وفي رواية أخرى لهم انه كان أسود. والذي ورد في نص لائحة السلويين الرسمية هو «مملوك الحاج ابراهيم الخياط خديم المقام العلي بيع بجبل الطر ــ يعني جبل طارق ــ» ولهذا المملوك علاقة بقضية اختلاق تنصر أمير دلائي على ما سيأتي في الفصل التالي.

تعثر في السفينة الماسورة بالقرب من تطوان على الأموال والسلع التي ورد ذكرها في اللائحة التي بعث بها الأمير الدلائي، وبذلك فإنه لا يمكن إلا أن تكون تلك الأشياء قداختلست من طرف بحارة لاذوا بالفرار، وتمت المصادقة على المعاهدة من طرف عبد الله الدلائي بعد لأي، (في ذي القعدة 1068/غشت 1658) ولم تنته المفاوضات في شأن السفن والبضائع الضائعة. وسيكون ذلك احدى المهمات التي يضطلع بها السفراء السلويون في (لاهاي).

### د) السفارة المغربية في (لاهاي) (1659/1069)

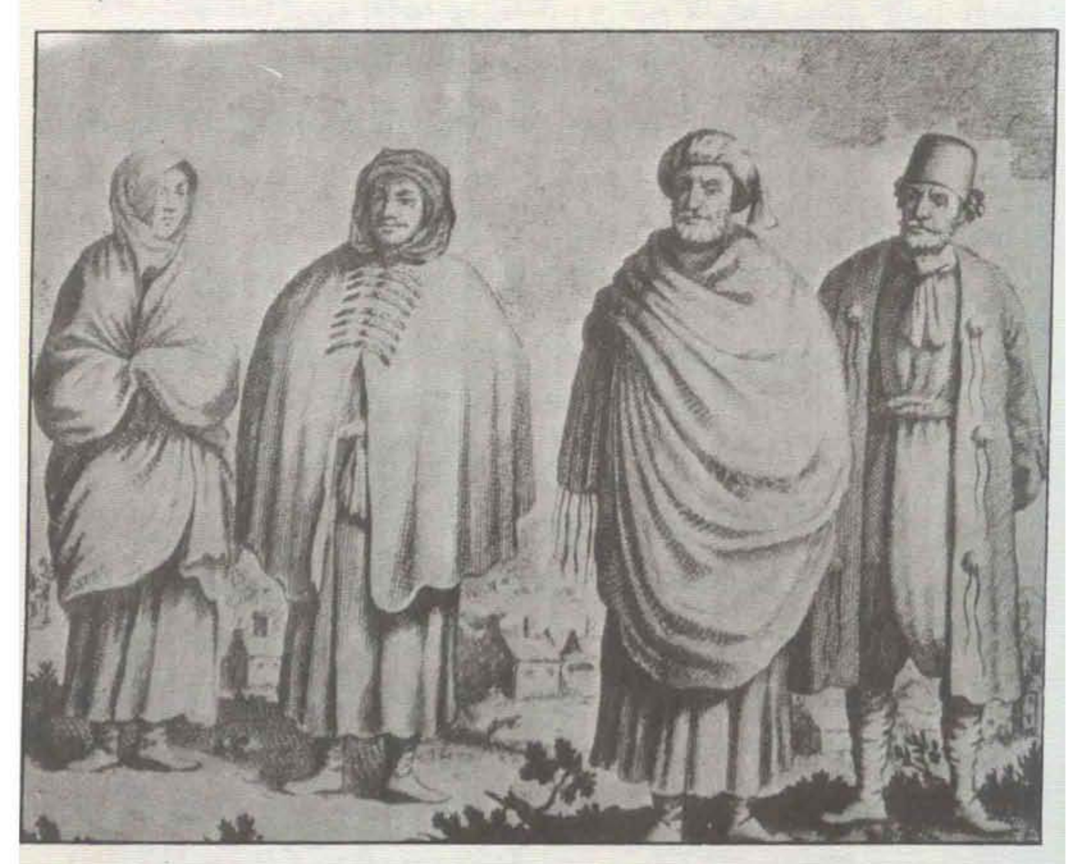
هناك دواع كثيرة دفعت بالأمير عبد الله الدلائي إلى ايفاد سفراء الى البلاد الواطئة، فبالرغم عن امضاء معاهدة السلم والصداقة مع هذه البلاد بقيت مسائل كثيرة معلقة تنتظر الحل، كالسفن الماسورة والبضائع الضائعة. والى ذلك كان السلطان محمد الحاج قد أصيب في احدى عينيه بمرض السادة، أو ما نسميه (بالجلالة أو العمى الأزرق) CATARACTE ورغب في استجلاب طبيب للعيون من هولاندا يعالجه(52).

تألفت هذه السفارة من ثلاث شخصيات بارزة في العدوتين، هم ابراهيم معنينو من سلا، وابراهيم الدك ومحمد بنيالوز من الرباط والقصبة، مع حاشية مؤلفة من رجال ونساء. واصطحب الوفد معه هدية الى الولايات العامة احتوت على فرسين عربيين أصيلين وشبل ولبؤة ونعامة(53). ووصل السفراء الى امستردام في أوائل شهر شوال 1069/يوليوز 1659 وأدخلوا الى لاهاي من طرف الأمين

(52) ذكر أخبار هذه السفارة الكونت دو كاستر في سلسلة **وثائق البلاد الواطئة**، ج 6، من ص 350 الى آخر الجزء. وبالاضافة الى الوثائق الرسمية التي تحتوي على معلومات كثيرة في الموضوع، أورد دو كاستر في نفس الجزء مقتطفات من كتاب صدر في امستردام سنة 1668 — أي بعد ثماني سنوات من قدوم السفراء المغاربة الى البلاد الواطئة — للطبيب الهولاندي أوليفي دوبير OLIVIER DOPPER تحدث فيه عما شاهده وعرفه عن هذه السفارة. وقد اعتمدت في هذا الفصل على الوثائق والمقتطفات معا.

(53) مات الشبل في البحر، كما ماتت النعامة بعد وصولها الى امستردام لكثرة ما ازدردت من كل ما قدم اليها، خصوصا المسامير التي كان الأطفال الهولانديون يلقون بها اليها، ظانين أن هذا الطائر العجيب يمكنه أن يهضم الحديد كما يهضم الخبز. وقد وجد في بطنها عندما فتح أكثر من 80 مسمارا.

**اللوحة رقم 15**



**السفارة المغربية في لاهاي عام 1069 ه (1659 م)**

وتتركب من ابراهيم الدك وابراهيم معنين ومحمد بنيالوز

المبعوثين من طرف عبد الله الدلائي

كتب لاكروا (لوسيورفيروطي دو...) رواية عامة حول افريقيا القديمة والحديثة نشاهد فيها حوادث القرصنة وغيرها... والسفارة المغربية بهولاندا سنة 1659. انظر العدد الخاص بذكرى السلطان اسماعيل من مجلة تطوان ص 88.

هيسلت «L'INTENDANT HESSELT» الذي خف لاستقبالهم في المحطة الواقعة خارج المدينة، وأقاموا في النزل الخاص بالسفراء فوق العادة، وعينت لهم الحكومة الهولاندية مترجما خاصا يرافقهم، هوجاكوبيس كَوليوس «JACOBUS GOLIUS» (54) أستاذ اللغة العربية بجامعة ليدن(55). وفي اليوم السابع من شهر يوليوز زارهم الوكيل دو هايد L'AGENT DE HAYDE «في النزل الذي يقيمون فيه، واصطحبهم في عربتين تجر كلا منهما أربعة خيول الى مقر مجلس الولايات العامة حيث وقع استقبالهم حسب المراسيم المتبعة في مثل هذه المناسبة.

وبعد أن دخل السفراء الى القاعة، وجلسوا على أرائك وثيرة قدموا لأعضاء الولايات العامة تحيات الأمير عبد الله الدلائي، ثم عرضوا اقتراحاتهم مشفوعة بعبارات الود والمجاملة المستعملة في مثل هذا المقام، وذلك حسب رسالة اعتمادهم المؤرخة في فاتح رمضان 23/1069 مايه 1659 (56) وإثر ذلك تكلم رئيس المجلس فرحب بمقدم السفراء المغاربة، وهنأهم بسلامة الوصول، ثم رجعوا في نفس الموكب إلى مقر إقامتهم.

وقد طال مقام السفراء المغاربة في البلاد الواطئة أزيد من خمسة أشهر قضوا جلها في المفاوضات مع اللجنة السباعية التي عينتها الولايات العامة، باعتبار نائب عن كل إقليم من الأقاليم المتحدة. وقدم السفراء المغاربة في 8 غشت 1659 مذكرة مطولة يقترحون فيها تعديل معاهدة السلم والصداقة المبرمة بين البلدين سنة 1657 بإضافة خمسة بنود جديدة اليها، ويقدمون مطالب تتعلق بحوادث القرصنة

(54) الأستاذ جاكوبيس كَوليوس هو من رواد الاستشراق في هولاندا. ولد في لاهاي سنة 1596 من أسرة عريقة في الارستقراطية، ودرس في ليدن، وبرّز في اللغات والاداب. وتعلم اللغة العربية على الأستاذ طوما اربينيوس THOMAS ERPENIUS الذي كان صاحب كرسي اللغة العربية في جامعة ليدن، ثم جاء كَوليوس الى المغرب مع سفير الولايات العامة البير رويل ALBERT RUYL خلال سنتي 1622 ــ 1623 رغبة منه في اتقان اللغة العربية. وحمل معه من المغرب كثيرا من الكتب النادرة سواء في التاريخ أو غيره، وقام بزيارات عديدة لبلاد الشرق العربي ثم أسند اليه كرسي اللغة العربية في جامعة ليدن بعد وفاة أستاذه طوما اربنيس سنة 1624. وكانت الولايات العامة تعتمد على الأستاذ كَوليس في ترجمة الوثائق التي تتوصل بها من المغرب الى أن توفي في 28 شتنبر 1667.

(55) ليدن LEYDEN مدينة جامعية في هولندا، وفيها مطبعة بريل الشهيرة والمكتبة الغنية بالمطبوعات والمخطوطات العربية النادرة.

(56) أنظر صورة هذه الرسالة في اللوحة رقم 16.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة عبد الله الدلائي التي يعتمد فيها سفراء إلى هولاندا

السابقة، وحلولا للمشاكل القائمة، معززين دعاويهم بحجج عدلية ووثائق تؤيد مطالبهم، ثم قدم السفراء إلى الولايات العامة مذكرة ثانية في 23 شتنبر 1659 تنازلوا فيها عن الفصلين الأخيرين اللذين رفضهما المفاوضون الهولانديون.، وقبلوا بعض المقترحات المقدمة لتعديل معاهدة 1657. وأثاروا من جديد نقط الخلاف مبينين وجهة نظرهم في تسويتها. واتخذت الولايات العامة قرارا نظرت فيه بعين الاعتبار الى كثير من مطالب السفراء، وسوت بصفة نهائية بعض القضايا المترتبة عن حوادث القرصنة وكتبت الى الأمير عبد الله الدلائي تعرب له عن اغتباطها بزيارة سفرائه، وتثني على حكمتهم ولباقتهم.

وقد تم في 22 أكتوبر 1659 تحضير مشروع تعديل المعاهدة ويتلخص في ست نقط

1) تثبيت معاهدة 22 مارس 1657.
2) حماية رعايا البلاد الواطئة من أي عمل عدائي قد ينالهم من القراصنة السلاويين.
3) اتخاذ الجانبين موقفا وديا عند اللقاء.
4) تحديد الاجراءات التي يجب على ضباط البحرية الهولاندية اتخاذها عند زيارة السفن السلاوية في عرض البحر.
5) الزام قناصل البلاد الواطئة المقيمين في الموانىء الاسبانية بحجز كل سفينة سلاوية يقتادها الضباط الهولانديون، وردها الى اصحابها.
6) تبادل المصادقة على هذه الوثيقة في غضون ستة أشهر.

وقد وقع السفراء الثلاثة هذه الوثيقة، كما وقعوا المذكرتين السابقتين وكل الوثائق والرسائل المقدمة الى الولايات العامة. وكان الناطق باسمهم طيلة المدة التي قضوها في لاهاي هو ابراهيم الدك الذي «سجل مذكرات على الورق، ولم يكن يمل من الحديث عن العجائب التي شاهدها في هذه البلاد. وقد أجريت على السفراء

نفقات باهظة على حساب الدولة، ومع ذلك فانهم كانوا يعملون دائما على اختصار مدة الاقامة والرجوع في أقرب وقت ممكن الى بلادهم..»(57).

والى جانب هذه المفاوضات السياسية اشتغل السفراء بمسألة الطبيب، وامضوا عقدة مع طبيب العيون اسحاق ساسبوط «L'OCULISTE ISHAC SASBOUT» ليتوجه الى الدلاء من أجل معالجة السلطان محمد الحاج. لكن هذا الطبيب تراجع عن التزامه، وأبدى كثيراً من التعنت والتذلل والاعتذار بمرض زوجته، فاستبدل به السفراء طبيباً آخر أكثر منه كفاءة وخبرة، يسمى جوهن دونكارت «JOHAN DONKART» وهو جراح ماهر أجرى عليه اختبار عملي حول العلاج الذي يطلب منه القيام به. وذلك أمام أكبر جراح في البلد، وبحضور أمهر طبيب للعيون. وقد باشر جوهن بمهارة فائقة عملية استئصال السادة لشيخ هولاندي مريض قبل أن يتوجه الى المغرب.

وأخيرا خصصت الولايات العامة مقابلة لوداع السفراء المغاربة، وقررت أن تقدم لهم هدايا فتعطي كل سفير سلسلة ذهبية، وميدالية، وكتابا في وصف مدن البلاد الواطئة المتحدة، وتحملهم هدية للأمير عبد الله الدلائي، هي عبارة عن كتاب مماثل بغلاف أكثر زخرفة وتنميقا. ورجت الولاية العامة أن يعترف هؤلاء السفراء بحسن الاستقبال الذي حظوا به في البلاد الواطئة، ويعملوا في بلادهم على تسهيل قضايا الرعايا الهولانديين. ولما علمت الولايات العامة في 25 أكتوبر بنبأ خروج السفراء من لاهاي، المقرر يوم 27 من نفس الشهر، أمرت الوكيل ديهايد بتشييعهم عند مغادرتهم العاصمة، وكلفت الأمين هيسلت بموافقتهم الى ليدن. ثم أرسلت مبعوثا عنها في 31 أكتوبر إلى امستردام ليقدم الهدايا المذكورة الى السفراء المغاربة الذين كانوا يتأهبون لمغادرة البلاد الواطئة، لكن سفرهم تأخر إلى ما بعد 2 دجنبر 1659. ولما وصل السفراء إلى شواطىء المغرب وجدوا الثورة قائمة ضد

(57) الطبيب الهولاندي أوليفي دابير، انظر
De Castries, Les Sources Inédites, Pays-Bas, 6 : 604

الدلائيين في العدوتين وبلاد الغرب، واضطروا إلى النزول في تطوان «المدينة الوحيدة التي ظلت وفية للدلائيين»(58).

### هـ) قضية تنصُّر أمير دلائي

شغلت قضية تنصر أمير دلائي بال الأوربيين مدة طويلة، وتبودلت في شأنها عشرات الرسائل بين الشخصيات والهيئات الكاثوليكية في ايطاليا واسبانيا وفرنسا. وظهر أثر ذلك في الأدب الأوربي فألفت مسرحيات في هذا الموضوع مثلت في مدارس اليسوعيين بألمانيا وبولونيا وغيرهما. وهذه القصة إن دلت على شيء فانما تدل على مدى صيت الدلائيين وانتشار سمعتهم في الأوساط الأوربية. ويبدو أثر الاختلاق والتلفيق واضحاً في أخبار هذا الأمير الدلائي المزعوم. وسأذكر باختصار هذه القصة كما أوردها الكونت دو كاستر(59) ما دامت المصادر العربية لم تعرفها ولم تتحدث عنها بشيء

في سنة 1651 أعلن في جزيرة مالطة(60) عن ركوب حجاج مغاربة في سفن انجليزية، وخروجهم من ميناء تونس قاصدين مكة المكرمة. وفي الحين أبحرت من الجزيرة سفن شراعية كبيرة للتجذيف GALERES بقيادة الضابط البحري بلطزار دوماندولص BALTHAZAR DE-MENDOLS وهو راهب كاثوليكي يشتغل بالقرصنة في البحر المتوسط ضد المسلمين.

اعترض بلطزار طريق السفينة الانجليزية وأسر كل من كان على ظهرها من الحجاج، واقتادهم الى مالطة حيث أودعهم سجن الميناء BAGNE الذي يدخل

---

58) من رسالة وجهها السفراء المغاربة الى الولايات العامة في 20 يوليوز 1660.
De Castries, Les Sources Inédites, Pays-Bas, 6 : 620

59) De Castries, Les Sources Inédites, Pays-Bas, 6 230

(60) مالطة إحدى جزر البحر المتوسط تقع غربي تونس، وقد سلمها ملك اسبانيا شارل كان CHARLES QUINT (1500 — 1558) الى فرسان جزيرة رودس سنة 1530 لمقاومة الأتراك في البحر، ثم صارت مالطة مستعمرة انجليزية منذ مستهل القرن التاسع عشر وأحرزت على الاستقلال سنة 1962 ضمن دول الكومنويلث.

اليه المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة(61) وكان من بين هؤلاء الأسرى شخص ممتاز يعمل على اخفاء حقيقته، حتى لا يقع التغالي في ثمن فدائه. وقد استطاع هذا الأسير أن يحصل من باي تونس على أربعين ألفا من نقود ايكوس ECUS(62) المحددة لتحريره مع زملائه. وعندما أخذ هذا الشخص الممتاز يتأهب للسفر الى تونس يوم 11 يونيه 1656 حدثت صعاب غريبة منعته من ركوب البحر، واضطر للمبيت عند الرئيس دوماندولص «DE MENDOLS» الذي كان يوليه كثيراً من العطف،. وفي الليل حدثت المعجزة ! ورأى في منامه حلما عجيبا دعاه الى الردة، وأعلن في صباح الغد رغبته في التنصر. ولما مثل بين يدي الرئيس الأكبر بول دولاسكاري كاسطيلار LE GRAND MAITRE PAUL DE LASCARIS CASTELLAR عرف بنفسه، وقال إنه أمير مغربي اسمه محمد من أبناء سلطان الدلاء. فَعُلِّمَ الديانة المسيحية في بيت اليسوعيين بواسطة ترجمان يسمى جان بارى «JEAN-PARIS» وعُمد في مهرجان كبير يوم 31 يوليوز 1656 وأخذ اسم الضابط الذي أسره وصار يسمى «بالطازار لوايولا مانديز» «R. P. BALTHAZAR LOYOLA MENDEZ» وتطور أمر هذا المتنصر ورسخت قدمه في الكاثوليكية حتى أصبح راهبا كبيرا وداعية للديانة المسيحية، وانتدبته هيئة المبشرين لنشر الدعوة النصرانية في بلاد الهند، وتقرر أن يبحر من لشبونة في بلاد البرتغال ويعرج في طريقه على مدينة الجديدة لنشر الدعاية المسيحية في أوساط المغاربة قبل التحاقه بالهند. وهنا تتكرر معجزة تعذر ركوب البحر على الراهب بلطازار لوايولا !! ويرجع من لشبونة ليسلك في سفره طريق البر، لكنه لم يكد يصل الى مدريد حتى توفي بالطاعون في 15

---

(61) كانت مثل هذه السجون معروفة في المراكز القرصنية، وتسمى في المغرب بالمطامير أو الأهراء. وقد ذكر المؤرخ محمد بن علي الدكالي في **كتابه عن الرباطات** أنه وقف في الدار البيضاء على هري عظيم مشرف على المرسى قرب ضريح سيدي بليوط، وقد نقشت بحيطانه وأقواسه الحجرية ورؤوس سواريه أسطر بالخط البرتغالي تتضمن أسماء ستين من الأسرى اختطفهم قرصان سلوي لأسباب مجهولة من ميناء لشبونة بالبرتغال في دولة السلطان محمد بن عبد الله العلوي، وأودعهم هذا السجن المؤبد. وزاد المؤرخ الدكالي أن الفرنسيين نقلوا انقاض هذا الهري الى الثكنة العسكرية خارج الدار البيضاء، وأعادوا بناء الهري على الصورة التي كان عليها من قبل.

(62) ايكوس ECUS عملة فضية قديمة، أول من ضربها الملك الفرنسي سان لوي (1215 — 1297) وهي تساوي ثلاث ليبرات «LIVRES» في أقل حالات صرفها. وهناك أيضا نوع آخر منها يساوي ست ليبرات،

صورة الراهب بلطازار لوايولا منديز الذي يزعم الاوربيون أنه محمد الدلائي

اللوحة رقم 18

الحمد لله ومن التسليات التي تضحك لعصرنا بقلم ابن [illegible] من تاريخ المواصلة بين المغرب ومن [illegible]
للكث و وكراسته الرابع [illegible]

قال فيه ان محمد بن محمد بن محمد الحاج الدلائي الذي كان خليفة بفاس وولي العهد [illegible]
رحل [illegible] ما بين [illegible] من اكبر علماء النصارى ورهبانه [illegible] الحال الى ان توفي
[illegible] من بلاد الاصبانيا [illegible] الى المغرب [illegible] الى سلطانه سنة 1667 الى [illegible]
وحوزه بصورة راهب بلباس الرهبنة [illegible] علامة [illegible] حال
اسلامه [illegible] (معنا انما [illegible]) وذكر المؤرخ
[illegible] مع ان الدلائيين [illegible]
[illegible] المعاصرة [illegible] وامير [illegible]
السباعية السلوكية [illegible] الحاج ابراهيم معنيني والحاج ابراهيم [illegible]
ان [illegible] مملوك الحاج ابراهيم الخياط [illegible]
العالم [illegible] ولا [illegible] ان هذا المملوك [illegible] انه [illegible]
[illegible] ولما [illegible]
[illegible] من [illegible] المستولي على [illegible]
[illegible] من النصارى [illegible]
[illegible] عليه من [illegible] ومن انقطع
بالمعارف والعلوم [illegible] لا تشتغل [illegible]
[illegible] هذه هي صورة الدلائي [illegible] صورة [illegible]
[illegible] التاريخ
[illegible] عليه [illegible] محمد بن علي الدكالي
[illegible] الجمعة [illegible] شوال [illegible] عام [illegible] 13 [illegible]

صحيفة بخط المؤرخ محمد بن علي يرد فيها على ادعاء تنصر أمير دلائي

شتنبر 1667. ذلك هو مجمل الحياة المسيحية المعروفة للراهب بلطازار لوايولا. أما أصله وحياته السابقة في الاسلام فليست الا مجرد رواية وتخمين ـــ باعتراف المصادر الأوربية نفسها ـــ ولم تسفر الأبحاث التي أجريت في مالطة وروما وفلورانسا ومدريد وغيرها من المدن التي دخلها هذا الراهب عن أي برهان يثبت صحة نسبه الدلائي، أو حقيقة حاله فيما قبل الأسر. وقد عاد الأوربيون الى افتراض انه حفيد للسلطان محمد الحاج بعد أن كانو يقولون انه ابنه مباشرة. وزعموا أن هذا المتنصر كان ابنا لمحمد بن محمد الحاج الذي خلف أخاه أحمد في امارة فاس من عام 1044 الى 1654/1070 ـــ 1660. وادعوا ان المتنصر تولى امارة فاس مدة بعد وفاة والده في انتظار أن يصير سلطان المغرب في يوم من الأيام.. وكل هذه الافتراضات باطلة، إذ كان الأمير محمد بن محمد الحاج ما يزال حيا في سنة 1651 التي أخذ فيها هذا الأسير المتنصر، بل إن محمد بن محمد الحاج لم يتول إمارة فاس الا بعد ثلاث سنوات من تاريخ الأسر، وامتدت حياته الى سنة 1660. هذا بالاضافة الى أن أسرة الدلائيين في ذلك العصر كانت من الشهرة والنباهة بحيث لا يخفى فرد منها على المؤرخين والنسابة المغاربة. وقد عاصر الدلائيين خصوم ومنافسون كثيرون من السعديين والعلويين وشيعتهم، ما كانوا ليسكتوا عن التشهير بهم لو كان أمر التنصر حقيقة واقعة. ونحن نعلم أن خصوم الدلائيين عيروهم بأصلهم البربري، وقبحوا عليهم اطعامهم الضيوف، وتصدرهم المجالس وارتقاءهم المنابر بعد الضعة والخمول، فكيف كانوا يغضون الطرف عن سبة التمسح والمروق من الدين لو كانت.

ويرى المؤرخ السلوي محمد بن علي الدكالي(63) أن هذا المتنصر ليس إلّا علجاً من مماليك الدلائيين، ادعى عندما أسر أنه أمير دلائي لتحصل له الحظوة عند النصارى، أو لينجو من العقاب الصارم الذي كان يتعرض له كل مسيحي ثبت عليه أنه اعتنق الاسلام. ويعتقد المؤرخ السلوي أن هذا المتنصر هو مملوك

(63) أنظر صورة الصفحة التي يرد فيها المؤرخ السلوي على قضية تنصر أمير دلائي في اللوحة رقم 18.

الحاج ابراهيم الخياط خديم الأمير عبد الله الدلائي الذي أسره الهولانديون في سفينة الرئيس علي مرشيك وباعوه في جبل طارق. وهذا لا يصح لما عرفنا من أن أخذ سفينة الرئيس مرشيك كان يوم فاتح شتنبر 1657، في حين كان أسر المتنصر قبل ذلك بست سنوات، أي خلال سنة 1651. على أن حوادث الأسر كانت متعددة، والأسرى من المماليك وغيرهم كثيرون، ولا يبعد أن يكون على أي حال هذا المتنصر من قدماء العلوج المسيحيين الذين سبق أن ملكه بعض المسلمين من الدلائيين أو غيرهم، كما يظهر ذلك من ملامح الراهب بلطازار لوايولا مانديز(64).

## 3 ــ الدلائيون في فاس

لما استولى محمد الحاج على مدينة فاس (عام 1051 ــ 1641) عقب مقتل المجاهد العياشي، ولّى عليها القائد أبا بكر التاملي، وأسند القضاء الشرعي الى أحمد الأزموري(65) والفتيا الى محمد بن سودة(66). وكانت فاس اذ ذك تشتمل على ثلاث مدن متميزة المدينة الجديدة البيضاء أو فاس الجديد، وعدوة الأندلس، وعدوة القرويين أو فاس القديم. وكان يتولى أمر كل من العدوتين رئيس من أعيانها. وقد توارث آل الليريني الأندلوسيون رئاسة عدوة الأندلس بفاس، وأول من ولاه الدلائيون أو أقروه في هذا المنصب من أفراد هذه الأسرة هو عبد الكريم الليريني. ولم تتزعم أسرة معينة ــ على ما يظهر ــ عدوة القرويين، والحاكم الذي تولى أمرها على عهد الدلائيين هو ابن الصغير. وكانت مقاليد المدن الثلاث بيد المتولي علي فاس الجديد دار الامارة ومعقل الديوان، ويعتبر قائدا العدوتين مساعدين له يزورانه في قصره كل صباح، ويتشاوران معه في مهمات الأمور قبل الرجوع الى مقر عملهما لمباشرة الأعمال العادية وتنفيذ الخطة المتفق عليها.

(64) انظر صورة الراهب بلطازار في اللوحة رقم 17.

(65) القاضي أحمد بن محمد بن علي الأزموري، الشيخ، النحوي الفقيه كان أعجوبة الدنيا في الحفظ والفهم كثير الاستشهاد في التدريس. توفي في جمادى الثانية 1057/يوليوز 1647. انظر ترجمته عند محمد الكتاني، **سلوة الانفاس**، ج 2، ص 70.

(66) الفقيه محمد بن محمد بن أبي القاسم ابن سودة، أستاذ الزاوية الدلائية، تقدمت ترجمته في الباب الثالث. وقد ولاه الدلائيون بعد ذلك القضاء في فاس عام 1057/1447.

وهكذا كان أبو بكر التاملي القائد المسؤول عن مدن فاس في السنوات العشر الأولى من امارة الدلائيين (1051 ــ 1641/1061 ــ 1651) وهو وان استقر في فاس الجديد، فإنه لم يسكن قصر الأمارة الذي تركه الدلائيون لأبناء الشرفاء السعديين احتراما منهم لآل البيت النبوي الكريم. ولم يغادر السعديون هذا القصر إلا على يد السلطان الرشيد بن الشريف[67]. وعرفت فاس في هذه الفترة عهدا سعيدا امتاز بالطمأنينة والاستقرار، لكن هذا الصفاء لم يلبث أن تكدر بسبب الخلاف الذي نشب بين القائد التاملي ورئيسي العدوتين، وتطور الخلاف الى نزاع مسلح، فقامت الحرب على قدم وساق بين المدينتين الفاسيتين الجديدة والقديمة، وقطع القائد التاملي النهر عن المدينة القديمة وحرم خصومه من الماء وضيق عليهم الخناق، فاستنجد أهل فاس القديم بمَحمد بن الشريف صاحب سجلماسة الذي لبى دعوتهم مسرعا، وقبض على القائد التاملي وزج به في السجن. غير أن محمداً الحاج الدلائي ما كاد يعلم بجلية الأمر حتى زحف الى فاس في جيش قوي من البربر، والتقى بمحمد بن الشريف في المكان الذي يسمى (ظهر الرمكة) بضاحية فاس، ولم يثبت ابن الشريف في المعركة الا يوما أو بعض يوم ثم رجع الى سجلماسة؛ فتحصن الفاسيون الذين كانوا معه في مدينتهم القديمة، وضرب عيهم القائد أبو بكر التاملي الحصار مدة طويلة، هلك أثناءها عبد الكريم اللّيريني رئيس عدوة الأندلس وغيره من أعيان البلد، وأخيرا استسلمت المدينة ورجعت الى طاعة الدلائيين.

## أ) أحمد بن محمد الحاج الدلائي أمير فاس

رأى السلطان محمد الحاج ــ بعد القضاء على الفتنة التي قامت في فاس ــ أن يولي على هذه المدينة ابنه الثاني أحمد. فأقامه نائبا عنه في مدن فاس الثلاث وما يليها من البلاد. واستقر الأمير أحمد الدلائي في المدينة البيضاء (فاس

(67) أبو القاسم الزياني، **رسالة البلديين**، ص 479. وورد في **كناشة اليحمدي** وزير السلطان اسماعيل (ج 2، ورقة 176/ب) أن بنات الشرفاء السعديين خرجن من قصر الامارة بفاس الجديد عام 1066. وهكذا تتفق الروايتان على بقاء السعديين في قصر الأمارة في معظم السنوات التي كانت فاس فيها تابعة للدلائيين، وان كان اليحمدي قد حدد لخروج الشريفات تاريخا متقدما قليلا عما ذكره الزياني.

الجديد)، واشتغل في أول عهده بتصفية الجو وتتبع رؤوس الفتنة الذين كانوا قد لجؤوا الى ضريح المولى ادريس، واحتموا ببعض الشرفاء الجوطيين. وكان ضريح الشيخ محمد بن عباد[68] داخل باب الفتوح قد تهدم ولم يبق منه الا الجدار الشرقي، فجدد الأمير أحمد الدلائي بناءه، وجعل على القبر سقيفا. وأعطى كاتبه محمد (المدعوحم) الطاهري حق التصرف فيما يحمل لهذا الضريح من الهدايا والصدقات، وكتب له بذلك ظهيرا بقي بيده وبيد عقبه.

لم يكن أحمد الدلائي رجل حرب وكفاح، ولم تتوفر له صفات البطولة التي كان يتحلى بها أبوه وأخوه عبد الله. فكثر بسبب ذلك عيث القبائل المجاورة لفاس وفسادهم، ولاسيما قبيلة الحياينة التي طغت ورجعت الى سالف عهدها في السلب والنهب. ولما لم يجد أهل فاس غناءً في أميرهم أحمد، توجهت جماعة منهم الى والده في الدلاء تحمل اليه الفتاوي القاضية بمشروعية قتال الأعراب المحاربين، وترجو منه أن يحمي فاسا من المعتدين عليها. فكان ذلك سببا في الحملة التأديبية الكبرى التي قادها محمد الحاج بنفسه ضد قبيلة الحياينة كما سبق. ولم يطل مقام الأمير أحمد لدلائي في فاس الا ثلاث سنين وبضعة أشهر، إذ توفي في ربيع الأول 1651/1064.

## ب) محمد الدلائي يخلف أخاه في إمارة فاس

يمتاز الأمير محمد بن محمد الحاج الدلائي بالعلم والأدب وحسن الخلق، وقد «خلف أخاه أحمد في امارة فاس وما والاها من أعمال المغرب، وسار مع الناس بسيرة حميدة، وأمور سديدة»[69] ولم تجد علينا المصادر بأكثر من ذلك فيما يخص الأعمال التي قام بها هذا الأمير في مدينة فاس، اللهم إلّا ما كان من تجديده ضريح ابن عباد الذي بناه أخوه أحمد، وذلك «بعد أن احترق بشمعة، ومات كثير

---

(68) الشيخ مَحمد بن عباد النفزي الرندي تلميذ الشيخ أحمد بن عاشر السلاوي، هو امام القرويين وخطيبها، ومؤلف الشرح المشهور **لحكم** ابن عطاء الله، وغيره من الكتب في مختلف الفنون. كانت وفاته عام **1390/792**. انظر ترجمته مسهبة، وأخبار تجديد ضريحه عند محمد بن جعفر الكتاني **سلوة الانفاس**، ج **2** ص **142/133**.

(69) سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة **240**%ب.

من الناس ممن كانوا يطفئون النار»(70) وهذه البناية هي الأثر الوحيد الذي بقي حتى اليوم مما شيده الدلائيون في فاس. ونحن لا نستطيع بهذه المعلومات الضحلة أن نأخذ فكرة واضحة عن الأمير محمد الدلائي، لكن يمكن أن نعتقد بأن حظه من الفروسية والنجدة والحنكة السياسية لم يكن بأوفر من حظ أخيه أحمد. اذ لم يستطع خلال السنوات الست التي قضاها في عمالة فاس أن يفرض احترام السلطة الدلائية في المدينة ولا في خارجها، وقام ثوار في الأقاليم الشمالية التي كانت تابعة له دون أن يحرك ساكنا أو يحاول معارضتهم والضرب على أيديهم.

وكان للدلائيين علاقة مصاهرة بأسرة الشرفاء القادريين(71) فأعطوهم حق التصرف في فتوحات(72) ضريح أبي الحسن بن حِرْزَهم(73)، الأمْرُ الذي أثار حنق بعض الأسر الفاسية فأخذت تكيد للدلائيين وتعمل على التخلص منهم. ولم يكن هؤلاء وحدهم خصوما للنظام القائم وانما كان يشاطرهم هذا الرأي كل الذين أصيبوا بسوء في حوادث قمع الثورة الأخيرة، وهم كثيرون. وداخل هؤلاء الخصوم رئيس احدى الفرق العسكرية الدلائية المرابطة في فاس، وهو القائد أبو عبد الله الدريدي، وربط معه رئيس عدوة الأندلس أحمد بن صالح الليريني علاقات المصاهرة، وتم التآمر على اغتيال الأمير محمد الدلائي بالسم (ربيع الثاني 1659/1070). وقد حُمل جثمان الأمير محمد الى الدلاء ودفن في الزاوية القديمة، واستخلف السلطان محمد الحاج على فاس حفيده أحمد بن عبد الله(74) وكان ما يزال حدثا صغيرا، فرجع بعد قليل الى الدلاء، ومعه كل ما كان في قصر

(70) أبو عبد الله الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ورقة 12/ب. وقد ذكر خبر احتراق ضريح ابن عباد وتجديده أيضا محمد بن الطيب القادري في نشر المثاني 2 ـ108.

(71) عرفنا في الباب الثالث أن أحمد بن عبد القادر تلميذ الزاوية الدلائية تزوج بنت الشاذلي أخ السلطان محمد الحاج. وتزوج بعد ذلك أخوه علال بن عبد القادر القادري ـــ جد محمد بن الطيب القادري صاحب كتاب نشر المثاني ـــ بنت أحمد بن صالح الليريني الذي تولى قيادة فاس من قبل الدلائيين.

(72) المراد بالفتوحات الهدايا التي تقدم لضريح الولي من مال وشمع وزيت وماشية الخ.

(73) أبو الحسن بن حرزهم (بكسر الحاء وسكون الراء، بعدها زاي مكسورة) حُرف اسمه الى (حرازم). عالم كبير، وصوفي شهير، ولد ونشأ في فاس، وتتلمذ على القاضي أبي بكر بن العربي، والشيخ أبي يعزى، توفي في شعبان 1164/559. وابنه محمد هو المعروف اليوم بسيدي حرازم، في الحمة ذات المياه المعدنية الشهيرة بضاحية فاس.

(74) أحمد الدلائي هذا هو الذي سيتزعم ثورة البربر أيام السلطان اسماعيل.

عمه بفاس الجديد من العيال والحشم والعبيد. واستقدم السلطان محمد الحاج الى الدلاء جماعة من أعيان فاس تزيد على مائة رجل فوبخهم على غدرهم بولده محمد، وزج بهم في السجن أياما، «ثم بعثهم لفاس الجديد مكبلين فذبحوا جميعا»(75) مهدت هذه المذبحة السبيل أمام القائد الدريدي الذي أعلن نفسه حاكما على فاس الجديد، وآزره في ذلك صهره الليريني في عدوة الأندلس، وابن الصغير رئيس عدوة القرويين، وقطعت فاس بذلك صلتها بالدلائيين. وسنرى في الباب التالي التطورات التي طرأت في العلاقات بين الدلاء وفاس، ونهاية هؤلاء الرؤساء الثلاثة.

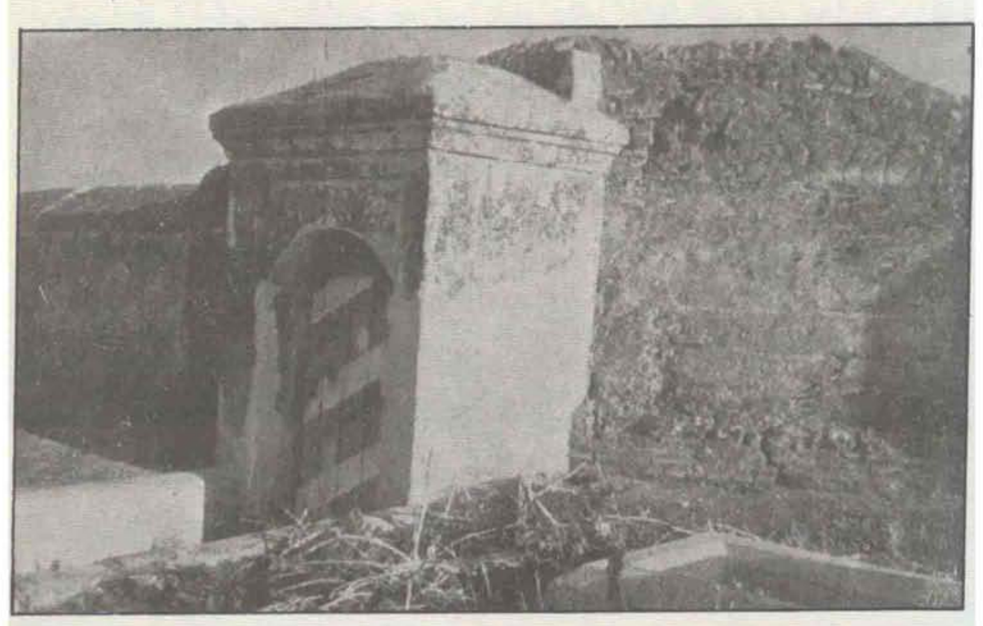
## 4 ـــ آثار الدلائيين

### أ) المباني في الدّلا وفاس

شيد الدلائيون كثيرا من المباني سواء في العهد الأول الذي انحصر اهتمامهم فيه بالناحيتين الصوفية والعلمية، أو في عهدهم السياسي الأخير. وكان من أبرز مآثرهم العمرانية الأولى الزاوية الدلائية القديمة التي أسس مسجدها الشيخ أبو بكر الدلائي حوالي عام **1566/974** ثم بنى فيها المدارس والدور والأسواق حتى صارت قرية آهلة بالسكان ومركزا علميا ممتازا. وبنى الشيخ أبو بكر أيضا بالقرب من الزاوية الدلائية جسرين على نهر أم الربيع يسمى أحدهما قنطرة (أمسدَّل) ـــ بتشديد الدال المفتوحة ـــ والآخر قنطرة (مزض الفان) أي مطحنة الخنازير.
ولما أفضى الامر الى محمد الحاج الدلائي أسس في سفح الاطلس المتوسط عام **1638/1048** مدينته العظيمة التي جعلها على مثال مدينة فاس بأسوارها الفخمة المسننة، ومياهها المتدفقة في جميع المنازل بواسطة أنابيب تحت الارض؛ وشيد في وسطها القصر والديوان، فكانت عاصمة الامارة الدلائية زهاء ثلث قرن. ثم بنى محمد الحاج بالقرب من مدينته ثلاثة جسور على روافد نهر أم الربيع يظن أنها هي قنطرة (أسيف نايت زمور) وقنطرة (خلّاطة) ـــ بتشديد اللام ـــ وقنطرة

(75) أبو عبد الله الضعيف، **تاريخ الضعيف**، ورقة 8/ا، أنظر تفاصيل محنة أعيان فاس عند سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 205.

اللوحة رقم 19



ضريح ابن عباد داخل باب الفتوح بفاس من بناء الأمير محمد الدلائي

تصوير المؤلف

(تاحيزونت) أي العرجاء. وكلها «في غير الطريق الرئيسية بين مراكش وفاس بل هي في طريق ثانوية تخرج بالمنتجعين من الاراضي الجبلية للازاغرة فلذلك لا تعرف الا عند الاهالي...»[76] وسنرى في الباب التالي السلطان الرشيد بن الشريف يسلط معاول الهدم على الزاويتين الدلائيتين ليتركهما قاعا صفصفا إلا آثاراً يسيرة استطاعت أن تغالب نوائب الدهر. وكان لمحمد الحاج الدلائي كثير من المآثر العمرانية في مدينة فاس أخنى الزمن كذلك على أكثرها حتى لم يعد الآن معروفاً منها ــ فيما أعلم ــ إلا ضريح ابن عباد داخل باب الفتوح، وهو اليوم غير مسقوف لم يبق منه الا الباب والسور الخارجي[77]. «وبنى (محمد الحاج) السقاية التي بفاس الجديد قرب باب السبع، وبنى المقبرة التي بها مولاي عبد الله مدفون، وبنى المدرسة التي هنالك، والقبة التي على سيدي عبد الرحمن الشريف بباب عجيسة، ودار الضيوف التي على نهر وادي الجواهر.»[78].

### ب) النقود الاشقوبية

إذا كنا لا نعرف أصلا لكلمة (أشقوب) التي تنسب اليها النقود الاشقوبية[79] ولا ندري إن كانت محرفة عن الشقوب التي هي ــ لغة ــ كل مهواة بين جبلين أو صدع في كهوف الجبال، فإننا لا نستطيع كذلك أن نجزم بأن الدلائيين هم الذين ضربوا هذه السكة لعدم العثور على نص صريح في الموضوع. ولو أن القرائن التاريخية تؤيد أن هذه النقود دلائية، فقد ظهرت الاشقوبية عام 57/1068 ــ 1658 ووقع التعامل بها في المغرب ولا سيما في فاس التي كانت تحت نفوذ الدلائيين، وظلت منذ هذا التاريخ السكة الرسمية في البلاد الى أن حلت محلها النقود التي ضربها السلطان الرشيد بن الشريف عام 69ــ1670.

76) أحمد بن قاسم المنصوري. **تاريخ زيان**. فصل «القناطير والآثار على نهر أم الربيع» مخطوط المؤلف غير مرقم.

77) انظر اللوحة رقم 19

78) عبد الودود التازي، **نزهة الاخيار المرضيين**، ورقة 4/أ.
وفيما يخص (دار الضيوف) التي على نهر وادي الجواهر ارجع الى ص 25 من هذا الكتاب.

79) نُشير إلى أن في الاندلس مدينة شقوبية SEGOVIA تبعد عن مدريد بنحو 90 كلم شمالاً، خربها الرومان وعمرها المسلمون، زارها السفير ابن عثمان المكناسي عام 1779/1193 وقال إن فيها مصانع الملف والكاغد ودار سكة الفلوس النحاسية. ولا ندري علاقة النقود الاشقوبية في عهد الدلائيين بهذه المدينة. انظر رحلة **الاكسير** لابن عثمان المنشورة بالرباط بتحقيق محمد الفاسي سنة 1965. ص 122ــ133.

وكانت النقود الاشقوبية هذه مربعة الشكل، مصنوعة من فضة مخلوطة بنحاس. ووزن الدرهم الاشقوبي عشرون حبة وأربعة أسباع الحبة من حبوب الشعير المعمول بها في الوزن(79م) أي أقل من نصف الدرهم الشرعي الذي يزن خمسين وخُمسي حبة. والأوقية الاشقوبية ثمانون فلسا من النحاس، والدرهم ثلاث موزونات وثلث، في كل موزونة أربعة وعشرون فلساً. ثم صارت الموزونة تعدل ضعف ذلك اي ثمانية وأربعين فلساً أشقوبياً «إلى أن ظهرت الرشيدية سنة ثمانين فطرحت السكك كلها ولم يبق معاملة الا بالرشيدية، وصارت (الاشقوبية) تجوز في أربعة وعشرين فلساً عند ضرب الفلوس المستديرة في جمادى الثانية سنة احدى وثمانين وألف..»(80).

---

79م) عبد الرحمن الفاسي، **الاقنوم**، خاتمة في الأوزان والمكاييل.

80) عبد الرحمن الفاسي، **شرح العمل الفاسي**، لدى قول الناظم

والحكم في المطلق من مقدار    بسكة فاسية اشتهار

# الباب السادس

# نهاية الزاوية الدلائية

## 1 ـــ بدء انتقاض الأطراف على الدلائيين

أ) ثورة الخضر غيلان في الشمال

ب) زوال نفوذ الدلائيين من فاس

ج) قضية البلديين في فاس

## 2 ـــ الثورة ضد الدلائيين في سلا والرباط

أ) عوامل الثورة

ب) حصار عبد الله الدلائي في القصبة

ج) هل حاول الدلائيون تسليم القصبة إلى دولة أوربية ؟

## 3 ـــ القضاء على الزاوية الدلائية ـــ تخريبها

أ) ظهور السلطان الرشيد بن الشريف العلوي

ب) استيلاء الرشيد على فاس

ج) معركة (بطن الرمان) ـــ تخريب الزاوية الدلائية

## 1 ــ بدء انتقاض الأطراف على الدلائيين.

### أ) ثورة الخضر غيلان في الشمال

الخضر غيلان من بني جرفط القبيلة العربية التي تسكن بين العرائش وتطوان، وليس هو من الموريسكيين المهاجرين من الأندلس كما يدعيه بعض الأوربيين. كان غيلان من أكبر مساعدي المجاهد العياشي والمقدم على الغزاة في بلاد الهبط، ثم اعتصم بجبال الريف بعد موت رئيسه العياشي، وظل يراقب الدلائيين ويتربص بهم الدوائر، إلى أن واتته الفرصة خلال عام 1652/1063 ــ 1653 فانقض على مدينة القصر الكبير واستولى عليها، وقتل فيها علي بن أحمد الذي اغتال المجاهد العياشي. وأخذ الخضر غيلان يوسع دائرة نفوذه شيئاً فشيئاً، ويُغير على المدن والقبائل الخاضعة للدلائيين، ويصول ويجول في المنطقة الواقعة بين القصر الكبير وفاس. ولما وقفت قبيلة شراكَة في وجهه، وكانت من أقوى القبائل في شمال فاس وأشدها شوكة، حاربها إلى أن فل حدتها، وأوقع بها هزيمة منكرة، وانتهب حلتها وخيامها، «فدخلوا فاسا مسلوبين منتصف جمادى الاولى عام 1070»[1] وقد انتشر نفوذ غيلان في مناطق الشمال، خصوصاً عند قبائل الهبط التي كان يرأسها في حركات الجهاد أيام الرئيس مَحمد العياشي وانضم اليه جماعة من الفاسيين الناقمين على الوضع القائم في مدينتهم، واجتمع عليه أعراب الخلط وغمارة وسائر القبائل التي كانت ترغب في التخلص من سيطرة الدلائيين أو تسعى في الانتقام منهم على ما ألحقوا من أذى بمجاهدي الغرب ورئيسهم العياشي.

أقلقت أخبار الثورة في الشمال بال السلطان محمد الحاج الدلائي، فأخذ يتهيأ لملاقاة خصمه غيلان في معركة حاسمة. ولم يكد ينتهي شهر الصيام من عام 1070 /يونيه 1660 حتى خرج مَحمد الحاج من مدينة الدلاء على رأس

1) محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني 2 108

جيش جرار من البربر، قوامه 80.000 رجل، وتقدم يغذ السير إلى أن وصل إلى مولاي بوسلهام في بلاد الغرب. وهناك على ضفة وادي بوحريرة أحد روافد المرجة الزرقاء، وجد الخضر غيلان ينتظره، وقد اعصوصبت عليه قبائل الغرب من أنصار المجاهد العياشي القدماء ودارت بين الفريقين معركة رهيبة، لم تغن فيها وفرة جموع الدلائيين عنهم شيئاً، فولوا الأدبار، ولاذوا بالفرار. وقد مرت فلولهم المهزومة ببلاد الغرب وتامسنا تحمل الى الناس البرهان الواضح على الانتكاسة الخطيرة التي أصابت إمارة الدلاء، والضعف الفاضح الذي نزل بها، فازدرتها العيون، وزالت هيبتها من القلوب. وكانت إفادة الخضر غيلان من هذه المعركة الفاصلة مزدوجة، فبالاضافة إلى الأسلاب التي امتلأت بها أيدي أتباعه وأنصاره، تألق نجمه من جديد، وانتشر ذكره في أوساط القبائل. واستطاع أن يستبد بشمال المغرب كله في ظرف وجيز، ولم تمتنع عليه الا مدينة تطوان، فقاومه حاكمها المقدم عبد الكريم النقسيس الذي ظل وفياً للدلائيين إلى آخر حياته. ولم يستطع غيلان أن يبسط نفوذه على تطوان إلا بعد أن أيس حاكمها الجديد أحمد بن عيسى النقسيس الحفيد(2) من وصول نجدات الدلائيين اليه. وانبرم الصلح بين الطرفين عام 1661/1072 ـــ 1662 على أن يظل أحمد النقسيس حاكماً لتطوان ويقدم لغيلان عدداً معيناً من الجنود يساعدونه في حركاته الجهادية.

رأى الخضر غيلان أن يعزز موقفه ويضمن المكاسب التي حصل عليها في الشمال بالتحالف مع المسيحيين الذين كانوا يحتلون الثغور المغربية المحيطة به، فاتفق مع الحاكم الاسباني لمدينة سبتة (المركيز دي لوص أركوص) «MARQUIS DE LOS ARCOS) وعقد معه في أوائل سنة 1661 اتفاقية يقدم فيها غيلان بمقتضاها الى حاكم سبتة 10.000 من الجنود المشاة، و2000 من

2) هناك مقدمان من حكام تطوان يسمى كل منهما أحمد بن عيسى النقسيس، أولهما أحمد الجد الذي كان يحارب النصارى في سبتة أيام السلطان أحمد المنصور الذهبي. وكانت وفاته عام 1622/1031. والثاني هو أحمد بن عيسى النقسيس حفيد أحمد الاول، وقد تولى حكم تطوان عام 1660/1071 ـــ 1661. وظل بها إلى أن قبض عليه السلطان الرشيد بن الشريف العلوي عام 1667%1078. انظر تفاصيل اخبار هذين المقدمين عند محمد داود، **تاريخ تطوان**، القسم الثاني من المجلد الاول، ص 236 وما بعدها.

الفرسان على أن يدافع عنه المركيز ضد جميع خصومه(3). وظل غيلان في نفس الوقت يحافظ على علاقاته الطيبة مع إنجلترا، وأبى أن يعارض في نزول الانجليز بطنجة عندما قدمت الأميرة البرتغالية (كاترين) هذه المدينة مهرا لزوجها شارل الثاني ملك انجلترا، ولم يتدخل غيلان في ذلك بالرغم من إلحاح الاسبانيين ـــ مراعاة لمصلحتهم الخاصة طبعا ـــ وحثهم إياه على أن يحول دون تنفيذ هذا المشروع بصفة مباشرة(4).

وقد توطدت أواصر الصداقة بعد ذلك بين غيلان والانجليز، فساعدوه في حربه ضد الدلائيين، في نفس الوقت الذي كان الأسطول الانجليزي يتصل بالامير الدلائي المحاصَر في القصبة، ويقدم له المؤونة والذخيرة أملا في أن يسلم اليه هذا الحصن. ولم تكن أطماع الانجليز في الاستيلاء على قصبة سلا وليدة هذا التاريخ فحسب، وإنما حاولوا أن يستولوا عليها لأول مرة من يد الموريسكيين المحاصرين من طرف المجاهد العياشي. وكاد الاميرال (بلاك) (L'AMIRAL BLAKE) قائد الاسطول الانجليزي أن يستلم القصبة من ايديهم لولا أن تأخر ورود التعليمات اللازمة من حكومته، بسبب الاضطرابات الداخلية القائمة إذ ذاك في إنجلترا. وبعد أن تمكن الانجليز من مدينة طنجة أبرموا مع غيلان سنة **1664** معاهدة ود وتحالف سعياً وراء حقيق مطامعهم في الاستحواذ على قصبة سلا التي كانت قد دخلت تحت نفوذه، ثم بعد سنتين عززوا هذه المعاهدة بأخرى توطد أواصر الصداقة والتعاون بين الطرفين. وهكذا أصبح المجاهد الثائر الخضر غيلان شخصاً وديعاً مسالماً لخصومه السابقين، بل حليفاً للاجانب الذين يحتلون بلاده، يوقع معهم معاهدات الود والتعاون، رغبة منه في تثبيت نفوذه، ومساندته للتغلب على منافسيه من بني قومه! وكانت نهاية غيلان ـــ عفا الله عنه ـــ القتل على يد السلطان إسماعيل العلوي عام **1673/1084**.

---

3) De Castries, Les Sources Inédites, FRANCE, 1 24

4) نفس المصدر، ص 23.

### ب) زوال نفوذ الدلائيين من فاس

ظلت فاس خاضعة للدلائيين نحو عشرين سنة (1070.1051 / 1660.1641) تحت إمرة القائد أبي بكر التاملي، ثم الأميرين الدلائيين أحمد ومحمد كما سبق. وبعد ذلك خالفت فاس الدلائيين؛ واجتازت الثورة الفاسية خلال السنوات التالية ثلاث مراحل

**المرحلة الأولى** (من عام 1070 الى عام 1073 / 1663.1660) وفيها انفصلت فاس عن الدلائيين، تحت تأثير ثورة الخضر غيلان بالشمال. وقد التحقت طائفة من الفرسان الفاسيين بمدينة القصر الكبير لمساندة ثورة غيلان بينما أخذت طائفة أخرى تعمل للقيام بانقلاب داخلي في فاس. وجاءت المذبحة الرهيبة عقب وفاة الامير محمد الدلائي، فأحدثت ألماً كبيراً واستياءً عميقاً في نفوس الأسر المنكوبة في رجالها وأبنائها وأقاربها، وفي نفوس السكان عموماً، حتى إن الأمير الصغير أحمد بن عبد الله الدلائي الذي عينه السلطان مَحمد الحاج نائباً عنه في فاس، رأى أن الظروف لم تعد مواتية لاقامته في هذه المدينة التي أصبحت تتأجج حقداً على أسرته، فكَرَّ راجعاً إلى الدلاء.

هكذا انفسح المجال أمام القائد أبي عبد الله الدريدي[5] ليتزعم أمر فاس الجديد، ويعمل باتفاق مع رئيسي العلوتين في المدينة القديمة على الاستقلال بالامر في هذه المنطقة، وقطع كل علاقة لهم بالدلائيين. ولم تمض سنتان على هذا الانفصال حتى قام الدلائيون بمحاولة استرجاع العاصمة الادريسية، وقاد الامير عبد الله الدلائي جيشاً قوياً زحف به إلى فاس (رمضان 1072/ماي 1662) وحاصرها عشرة أيام دون أن تفتح له أبوابها، أو يجرؤ قوادها على مبارزته وقتاله، فلم يجد عبد الله بداً من الرجوع على عقبه بعد أن أهلك حرث الفاسيين وأفسد زرعهم خارج المدينة.

---

5) أبو عبد الله الدريدي كان رئيس جماعة من إخوانه دريد من العرب الهلالية في ديوان السعديين الى أن دخلت فاس في طاعة الدلائيين، فانخرط الدريدي وقومه في جندهم وظلوا يرابطون في هذه المدينة مع حاميتها إلى أن ثاروا على الدلائيين عام 1660/1070.

## المرحلة الثانية (1073.1074 / 1663.1664)

عادت فاس في هذه الفترة تلقائياً إلى طاعة الدلائيين. إذ لم يكن للدريدي ومن معه من الرؤساء المستبدين من الكفاية السياسية والحربية ما يؤهلهم للذود عن المدينة وأهلها، ولرد عادية المغيرين عليها. خصوصاً في تلك الفترة التي كانت الفوضى ضاربة أطنابها في المغرب بصفة عامة، لا سيما في المناطق التي أخذ ظل الدلائيين يتقلص منها. فخرجت جماعة منهم إلى الدلاء تعتذر للسلطان محمد الحاج عما بدر منهم من عناد وعصيان، وترجوه أن يعيد الأمن والطمأنينة إلى مدينتهم التي أصبحت تعيش في جو من الخوف والاضطراب. وفعلا خرج السلطان محمد الحاج إلى قرية أزرو (صفر 1074 / شتنبر 1663) وضرب خيامه فيها حيث مكث نحو شهر ينظر في شؤون الرعية، ويتخذ الاجراءات الكفيلة بتأمين السبل وحفظ النظام في الأقاليم التابعة له. وجاءته وفود القبائل، «وخرج شرفاء فاس وعلماؤها، وخطيبها وأعيانها، بقصد التهنئة له والتسليم عليه، والاستعفاء من أذية جنوده. فأكرمهم وجزى وفادتهم، ورجعوا إلى فاس مكرومين (كذا) مسرورين. وأقام هنالك في إصلاح أحوال الرعية وتمهيد البلاد الى الشتاء، ورجع الى الدلاء. وكان رجوعه أول ربيع الاول، فانحط القمح والأسعار بسبب إقامته هناك، وأمنت الناس والطرق من القطع والنهب والقتل...»(6).

وقد ولى السلطان محمد الحاج على علوة فاس الاندلس أحمد بن صالح الليرني، وابن الصغير على علوة فاس القرويين، وأسند القضاء الى الفقيه أبي عبد الله المري التلمساني.

---

6) محمد القادري، نشر المثاني 2 143.

## ج) قضية البلديين في فاس[7]

البلديون أو المهاجريون (كذا) هم اليهود الذين أسلموا في فاس بعد الفتنة التي استبيحت فيها دماؤهم وأموالهم بهذه المدينة عام 1275/674 ــ 1276. وقد كف السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني (1286.1259/685.657) أيدي الناس عن اليهود وأسكنهم حيَّ الملاح المجاور للمدينة البيضاء (فاس الجديد) التي أسسها في تلك السنة واتخذها دار ملكه. واندمج البلديون في حياة المسلمين واشتغلوا بحرفهم، وعمروا أسواق المدينة. لكن ظهر منهم الغش والخيانة في البيع والشراء فمُنعوا من تعمير الأسواق في فاس وظلوا منبوذين كذي قبل طيلة أيام السعديين.

وقد شغلت مسألة البلديين الفاسيين علماء المغرب دهراً طويلا، وبلغ عدد الفتاوي التي أقرت منعهم من مزاولة التجارة في أسواق المسلمين اثنين وخمسين، بينما أفتى علماء آخرون بعدم مشروعية حرمان هذه الطائفة من المسلمين من الكسب والاتجار ــ مهما كان أصلها ــ لأن الاسلام يَجُبُّ ما قبله. وألف الشيخ محمد بن أحمد ميارة[8] كتابا سماه **نصيحة المغترين، وكفاية المضطرين، بالتفرقة بين المسلمين، بما لم ينزله رب العالمين، ولا خبر به الصادق الامين، ولا ثبت عن الخلفاء المهتدين.** «جمع فيه فتاوي من قال بالاباحة، وأسقط فتاوي من قال بالمنع، وهو الاكثر عددا وعدالة وعدة، ثم أتبع تلك الاجوبة بما ظهر له بحسب رأيه من الاخذ والقياس. وذلك الاخذ أكثره خطأ، والقياس غير محكم»[9].

---

7) ألف أبو القاسم الزياني كتاباً سماه **قصة المهاجرين المعروفين اليوم بالبلديين بفاس**، ذكر فيه تاريخ اليهود في فاس منذ أسسها المولى إدريس الثاني وسيرة من أسلم منهم الى عصره. ويحيط باسم مؤلف هذه القصة غموض، إذ نجد بعض النسخ غفلا من اسم المؤلف، بينما ينسبها البعض لاحد الفاسيين. ويرى الاستاذ محمد إبراهيم الكتاني أن مما يشكك في نسبتها للزياني كونه بربريا ينكر ما يراه العرب لانفسهم من فضل على غيرهم، وتقريظه لكتاب في الانتصار للبلديين إذ لو كانت فكرته ضدهم ما قرظه.

8) الشيخ محمد ميارة استاذ الزاوية الدلائية وصاحب الشرح المشهور على **المرشد المعين** تقدمت ترجمته في الباب الثالث. وقد تحامل عليه الزياني في **قصة المهاجرين** وقال عنه إن أصله يهودي.

9) أبو القاسم الزياني **قصة المهاجرين**، ص 481.

وفي هذه الفترة التي نؤرخها (1074.1073) قام البلديون بمحاولة الرجوع الى الاتجار في أسواق فاس، وشكوا أمرهم الى القاضي ابي عبد الله المري وقدموا له فتاوي الفقهاء الذين يبيحون مشاركتهم سائر المسلمين بالبيع والشراء، وأعطوه هدية له وأخرى للسلطان محمد الحاج الدلائي، وطلبوا من القاضي أن يستأذن لهم السلطان على أن يجعلوا لهما خراجاً سنوياً مقابل ذلك. فبعث بالهدية والموافقة الى الدلاء، غير أن محمداً الحاج كان يعلم تاريخ الفتاوي في القضية خصوصاً من والده الذي كان مقيماً مدة بفاس يقرأ على القصار، وكتب لقائده احمد بن صالح بتفصيل القضية، وأمره ألا يترك المري يفعل ما أراد هو والمهاجريون. فجمع القائد أحمد بن صالح أعيان فاس وقرأ عليهم كتاب الأمير فساروا الى المري ووبخوه ومنعوه من القضاء أياماً، ولولا خوفهم من محمد الحاج لقتلوه ونهبوا داره، لأجل ما كان بين الفريقين من البغضاء القديمة»(10).

## المرحلة الثالثة (1076.1074 / 1666.1664)

لم تكد ترجع وفود الفاسيين من أزرو ويرد خبر ارتحال السلطان محمد الحاج إلى مدينة الدلاء، حتى ظهرت نعرة الانفصال من جديد عند القائد الدريدي والي فاس الجديد. غير أن سكان المدينة الادريسية لم يوافقوه على ذلك، وظلوا على وفائهم للدلائيين، سواء منهم أهل عدوة فاس الأندلس أو عدوة فاس القرويين. وكان الذي تولى أمر معارضة الدريدي والوقوف في وجهه هو صهره رئيس الاندلسيين أحمد بن صالح اللّيريني. وقد كوّن القائد الدريدي عصابة من المقاتلة للقيام بأعمال اللصوصية والنهب، فأخذ يغير على قبائل بسيط سايس وقراها ومداشرها، ويصل الى زرهون ومكناسة الزيتون «وياتي بأمتعتهم وأموالهم ومواشيهم الى فاس الجديد ويبيعها. وكثر القطع والنهب والقتل بسبب ذلك، وانقطع السفر في الطرق. ويخرج أهل فاس العليا(11) الى لقائه بالطبول والغوائط(12) وكثر النكير عليه بفاس الادريسية من الاشراف والفقهاء وأعيان الناس»(13).

---

10) أبو القاسم الزياني، **قصة المهاجرين**، ص 480.

11) المراد بفاس العليا (فاس الجديد).

12) (الغوائط) في اللغة الدارجة المغربية نوع من المزامير الشعبية والمفرد (غيطة).

13) محمد القادري، نشر المثاني ، 2 : 146.145.

انقطعت الصلات بين مدينتي فاس القديمة والجديدة، وتطور الخلاف بينهما الى القتال، وجرت خطوب هلك فيها عدد كبير من الناس. ورأى السلطان محمد الحاج الدلائي أن يردع الدريدي الثائر، فجهز كتيبة قوية من فرسان قبيلة مجاط الى بلاد سايس، ترصدت للدريدي وعصابته حتى إذا خرجوا من فاس وابتعدوا عنها هجم عليهم المجاطيون وحكموا السيوف في رقابهم، ولاذ أفراد العصابة بالفرار وتبعهم فرسان مجاط يطاردونهم الى أبواب فاس، وبقوا يحاصرونهم في المدينة الجديدة أياما. وشكر القائد المجاطي أهل فاس الادريسية على وفائهم وعدم انسياقهم مع العصاة، وظل على اتصال بهم طيلة مدة الحصار إلى أن رجع الى الدلاء. وبقي أهل فاس القديمة على ولائهم للدلائيين الى قيام الدولة العلوية كما سنرى في فصل آت.

## 2 ــ الثورة ضد الدلائيين في سلا والرباط

### أ) عوامل الثورة

لم تكن هناك خلافات ــ على ما يظهر ــ بين الامير عبد الله الدلائي وبين رئيسي العدوتين وسكانهما، بل بالعكس كانت الثقة متبادلة بين الأمير ومساعديه، فهو ينيبهم عنه في المفاوضات مع الاجانب ويدافع عن مصالحهم لدى الدول الاوربية، ولم يكن عبد الله الدلائي يُرهق كاهل المواطنين بالاتاوات والمغارم لاستغنائه بالضرائب المفروضة على الصادرات والواردات في الميناء، ولا يؤديها في الغالب الا التجار والبحارة الاجانب. هذا بالاضافة الى العمل التجاري الضخم مع أقطار المغرب الكبير الذي يشترك فيه كل من الامير الدلائي وأعيان العدوتين ورؤساء السفن. فما هي ياترى الاسباب التي دعت الى الانقلاب في سلا والرباط؟ وكيف تم تنظيم الثورة والامير الدلائي حاضر يراقب الامور عن كثب؟ للاجابة عن هذين السؤالين ينبغي أن نرجع الى الوراء قليلا لنتذكر الحالة التي أدت الى تدخل الدلائيين في شؤون العدوتين خلال عامي

1641.40/1051.50. فعندما كان المجاهد العياشي يحاصر الموريسكين في القصبة جمع محمد الحاج الدلائي من حوله رؤساء قبائل الغرب الذين كانوا ينافسون العياشي، ووقع إغراء الأعراب للتقاعس عن نصرة المجاهد واغتياله. وتم للدلائيين ما أرادوا من السيطرة على بلاد الغرب كلها، لكن هذا الانتصار لم يكن في الحقيقة إلا عابرا، كما لم يكن خضوع القبائل الا ظاهراً، إذ كان حب العياشي وتقديره متمكنا من نفوس مساعديه وأنصاره، فلم يستسلم قط عبد الله العياشي ولا الخضر غيلان، وظلا يناصبان الدلائيين العداء جهاراً، ويناوشانهم في كل مناسبة. هذا الى ما كان من وحشة الموريسكيين ونفرتهم من الامير عبد الله الدلائي بعد أن حاصرهم في القصبة وطردهم منها وانتزع من أيديهم السلط الحقيقية غير تارك لديوانهم الا مسائل ثانوية تافهة. فقد كان هناك إذن خصوم للدلائيين من الاعراب والموريسكيين أغراهم انتصار الخضر غيلان في الشمال، فجمعوا شتاتهم ونظموا الانقلاب في جو من التكتم التام. ولم تتحدث المصادر العربية عن هذه الثورة التي قامت في العدوتين الا عرضاً وبإشارات خاطفة، ولم نتعرف على بعض التفاصيل الا بواسطة المراسلات التي وجهها قناصل الدول الاجنبية المقيمون في سلا آنذاك إلى حكوماتهم، ولا سيما القنصل الهولاندي دافيد دوفرييس الذي عاش تلك الاحداث، وعَبَر نهر أبي رقراق تحت وابل الطلقات النارية للثوار[14].

### ب) حصار عبد الله الدلائي في القصبة

في يوم هادىء من أيام شهر جمادى الأولى عام 1070 / فبراير 1660 بينما كانت الحالة تسير سيرها العادي في العدوتين، والبحارة يشتغلون في المرفإ ليخرجوا إلى عرض البحر سفينة محملة بالسلع في ملك أمير سلا وأعيان التجار لتتجه الى الجزائر، وفي نفس الوقت الذي كان الامير الدلائي يستقبل القناصل في قصره المطل على نهر أبي رقراق، إذا بالمدافع تقصف قصفاً مزعجاً متوالياً. والبنادق العديدة تطلق نيرانها دفعة واحدة إيذاناً بنشوب الثورة. وكانت القبائل العربية

14) انظر نص الرسالتين التي بعث بهما دوفرييس الى الولايات العامة حول ثورة العدوتين عند
De Castries, Les Sources Inédites, Pays-Bas, 6 : 613 - 616

المجاورة لسلا والرباط على موعد مع هذه الاشارة، فأعلنت العصيان على الفور، وحملت السلاح ضد الدلائيين. وقام الرباطيون بمحاصرة الامير عبد الله في القصبة بينما أخرج السلاويون مدافع العياشي الضخمة ونصبوها على ضفة النهر وبدأوا يطلقون النار على القصبة، ولم تتمكن مدافع الرباطيين من إصابة حامية الحصن لانخفاض أرضهم فكوّموا التراب إلى أن جعلوه عالياً كالأبراج، وبدأوا يُصْلُون القصبة بنيران مدافعهم. وكان مع الامير عبد الله الدلائي داخل الحصن ألفان من جنود البربر، ردوا بالمثل على هذا الهجوم المفاجىء، وصوبوا مدافعهم شمال النهر وجنوبه وقاوموا في نفس الوقت السلاويين والرباطيين. ولم تتضرر مدينة سلا لبعدها عن مرمى مدافع القصبة، بينما هلك كثير من الرباطيين بالقنابر التي كانت تقذف بها مدافع الدلائيين وسط الشوارع والساحات. وبلغت أخبار الانقلاب الى السلطان محمد الحاج الدلائي فجيش الجيوش وقصد سلا، لكنه وجد الخضر غيلان قد سبقه الى الميدان، ومن حوله أعراب الغرب، وكانت الدائرة على محمد الحاج، وبقي ابنه عبد الله محاصرا في القصبة ثمانية عشر شهرا أظهر خلالها بطولة نادرة وجلَداً كبيراً.

## ج) هل حاول الدلائيون تسليم القصبة إلى دولة أوربية ؟

تقول بعض الروايات الأوربية إن عبد الله الدلائي لما طال عليه الحصار في القصبة، وأيقن أن أباه لن ينجده، لجأ الى الأوروبيين ليمدوه بالميرة والذخيرة ويساعدوه على فك الحصار. وتتضارب هذه الروايات، فيزعم بعضها أن عبد الله الدلائي طلب المعونة من حاكم سبتة الاسباني المركيز ديلوص أركوص واقترح عليه أن يسلم قصبة سلا إلى ملك إسبانيا فليب الرابع، مقابل أن يُحمل فقط الى الجهة التي يريد النزول فيها من شواطىء المغرب، لكن إسبانيا التي كانت مرتبطة بحلف صداقة مع الخضر غيلان، أخبرته بهذا الاقتراح، فأشار عليها برفضه لِما كان يعلم من حرج موقف خصمه[15]. وتقول رواية أخرى إن عبد الله الدلائي

15) De Castries, Les Sources Inédites de Pays Bas, 5 :XXVII.

أرسل الى حاكم طنجة الانجليزي الكونت دي طيفيو (Le Conte de TEVIOT) يطلب منه الزاد والمعونة. وكان هذا الحاكم يخشى غيلان ويعرف رغبته في الاستيلاء على مدينة طنجة؛ لذلك رحب بمبعوثي الامير عبد الله الدلائي، وبعث إليه بسفينة محملة بالطعام والذخيرة الحربية. فمكنت هذه الاغاثة القصبة من أن تتحمل الحصار مدة طويلة. ثم جاء أسطول إنجليزي بمدد آخر إلى القصبة، فاقترح الامير عبد الله الدلائي على قائد هذا الاسطول أن يسلم اليه سلا مقابل ألف قنطار من مسحوق البارود، وألف بندقية(16). على أن التعليمات السرية التي وردت على حاكم طنجة الكونت دي طيفيو من حكومته في 21 دجنبر 1663 (جمادى الاولى 1074) لم تشر الى هذا العرض المزعوم، وإنما طلبت منه أن يمتلك قصبة سلا حالة ما اذا طلب منه الدلائي ذلك مقابل شروط معقولة، وأن يبالغ المجهود حتى لا يقع هذا الحصن في يد الخضر غيلان(17) ويبدو أن كلتا الروايتين لا أساس لهما من الصحة، أما الأولى التي تقول بمد الامير عبد الله الدلائي يده الى الاسبانيين فإن ذلك مُنافٍ للعداوة الصريحة القائمة بين الطرفين باستمرار. وما زلنا نذكر جهاد هذا الامير ضد الاسبانيين في المعمورة، ومحالفته للدول الاوربية المعادية لاسبانيا، كهولاندا، وإنجلترا، وفرنسا، ولم يثبت أنه هادن الاسبانيين أو عاملهم بالتجارة أو غيرها. فكيف يُتصور أن يلجأ الامير الدلائي إلى عدوه اللدود في أحرج الظروف يرجو منه العون والنصرة؟! وفيما يتعلق بالمساعدة الانجليزية، يبدو من المعقول جدا أن يتوجه الامير الدلائي الى هذه الدولة التي يمكن أن يستنجد بها. لكن مسألة تسليم القصبة الى الانجليز مقابل كمية من الذخيرة الحربية تنقصها الحجة والبرهان. ولا يمكن الاعتماد على ما جاء في التعليمات السابقة التي وردت على الكونت دي طيفيو، لأنها إنما تتحدث عن احتمال تقدم الدلائي باقتراح تسليم القبصة إلى إنجلترا لا عن وقوع ذلك بالفعل. هذا بالاضافة الى أن الامير عبد الله الدلائي كان قد خرج من القصبة قبل ورود هذه التعليمات بنحو عامين ونصف، إذ استطاع أن يفلت من الحصار المضروب عليه في شهر

16) Mission Scientifique du Maroc; Villes et Tribus,. Rabat et sa Région) 1 : 84

17) Archives Marocaines, 18 29.

شوال 1071 / يونيه 1661 ويغادر الحصن خلسة إلى تامسنا على ظهر سفينة انجليزية[18] بعد أن أسند القيادة إلى أحمد الجنوي الذي تابع مقاومة الحصار الى فصل الربيع من عام 1074 / 1664. وكان الرئيس غيلان قد مل هذا الحصار الطويل، فأرسل أخاه الطاهر في ثلاثمائة فارس ليوقع اتفاقا مع رؤساء مدن أبي رقراق الثلاث كي يقتسموا بالسَّوية جميع المداخيل «وفي 3 ماي 1664 قطعت القصبة كل علاقة مع الزاوية الدلائية ودخلت في حماية غيلان الذي أقر أحمد الجنوي في منصبه ثم سَمُّوه فمات»[19].

هكذا ترك الدلائيون مكرهين مدن أبي رقراق بعد أن ظلوا فيها نحو ربع قرن، كانوا فيه أصحاب الحكم المطلق والسلطان الذي لا يُحد، ونعموا بكثير من الثراء والجاه، ورهبتهم الدول الأجنبية وخطبت ودهم عن طريق المعاهدات، ولقوا نفس المصير المحزن الذي لقيه العياشي على يدهم، فذاقوا ألم الحصار أعواماً، وتركوا في الميدان ألوف القتلى واكتفوا من الغنيمة بالاياب.

## 3 ــ القضاء على الزاوية الدلائية ــ تخريبها

### أ) ظهور السلطان الرشيد بن الشريف العلوي

كان للشريف بن علي جد الملوك العلويين الحاليين منزلة رفيعة وحظوة كبيرة عند السجلماسيين، وكان له أولاد عديدون، أكبرهم المولى مَحمد الذي تزعم بلاد تافيلالت ودرعة منذ منتصف القرن الحادي عشر للهجرة/السابع عشر للميلاد، بعد أن طرد منها أبا حسون السملالي، وجرت بينه وبين الدلائيين من أجل تحديد مناطق النفوذ وقائع حربية عديدة سبقت الاشارة اليها. ولما تُوفي الشريف بن علي (رمضان 1069 / يونيه 1659) خرج ابنه الرشيد من

---

18) De Castries, Les Sources Inédites, Pays-Bas, 5 27

19) نفس المصدر والجزء، ص 28. وأحمد الجنوي هذا لعله من أبناء الامين سعيد الجنوي الحاكم السابق لمدن سلا وخليفة الامير عبد الله الدلائي.



أقرب مثال لصورة السلطان الرشيد بن الشريف العلوي

تافيلالت فاراً من أخيه السلطان مَحمد بن الشريف، لمنافسة كانت بينهما. وظل الرشيد يتنقل في جبال الاطلس الكبير والمتوسط الى أن وصل إلى الزاوية الدلائية، وأقام بها أياماً. وتقول بعض الأساطير إن أحد الدلائيين أخبر الرشيد بأنهم عرفوا من بعض الاخباريين(20) أن إخلاء زاويتهم سيكون على يد سلطان يسمى الرشيد، وطلب منه أن يغادر الدلاء عاجلا مخافة أن يصيبه أذى من رؤسائهم بسبب ذلك. ولم تكن هذه هي المرة الاولى التي حل فيها الرشيد بن الشريف بالزاوية الدلائية، فقد سبق له أن أقام بها مدة يدرس العلم أيام الطلب(21) وزارها مرة أخرى مع إخوته عندما سجن أبو حسون السملالي أباهم الشريف بن علي في سوس، وكانوا يرغبون في وساطة الشيخ مَحمد بن ابي بكر الدلائي لإطلاق سراح والدهم الأسير.

خرج الرشيد بن الشريف من الزاوية الدلائية، وسار الى فاس وتازا، وانتهى به المطاف الى حصن اليهودي الثري ابن مشعل في أرض بني يزناسن شمال غربي وجدة، «فقتله وأخذ أمواله وذخائره وفرقها فيمن تبعه وانضاف اليه، فتقوى بذلك عضده وتوافر جمعه وتناقل الركبان حديثه»(22) وسارع السلطان محمد بن الشريف الى ملاقاة أخيه الرشيد حين بلغه اجتماع قبائل المغرب الشرقي عليه، وكان اللقاء بين الأخوين في بسيط أنكَاد(23) غربيّ وجدة، ولم تكد تنشب المعركة حتى خر السلطان مَحمد بن الشريف صريعاً (محرم 1075/غشت 1664) وانضم جنده الى أخيه الرشيد، فتقوى أمره وتقدم الى تازا فملكها بعد حروب عصيبة وصفا له المغرب الشرقي كله، وبايعه أهله على السمع والطاعة. ثم قصد سجلماسة، وكان قد تزعم أمرها ابن أخيه محمد الصغير، فحاصرها سبعة أشهر الى أن فتحها وانبسط نفوذه على شرق المغرب وجنوبه.

20) يراد بالاخباريين الكهان الذين يزعمون الاطلاع على احداث المستقبل وينبئون بالغيب.

21) عبد الودود التازي، **نزهة الاخيار المرضيين**، ورقة 7/ب

22) محمد الصغير الافراني، **نزهة الحادي**، ج 1 ، 301 — 302.

23) ذكر محمد الحجوي في رحلته الخطية، ص 78، بسيط أنكَاد فقال «هو سهل متسع بين الجبل الشمالي أعني بني يزناسن، والجبل الجنوبي وهو من جبل درن أعني جبل بني بوزكوا والزكارة وبني يعلى. وابتداؤه غربا من قصبة عيون سيدي ملوك الى وجدة شرقاً. وسكان هذا السهل عرب رحالة من اصحاب الخيام».

## ب) استيلاء الرشيد على فاس

لما علم الفاسيون بنبإ ظهور الرشيد بن الشريف وانتشار نفوذه، عقدوا حلفا مع جيرانهم الحياينة والبهاليل وغيرهم من القبائل العربية، ليقفوا في وجهه ويمتنعوا عليه، «وأمر رؤساء فاس عامتها بشراء الخيل والعدة والإكثار منها، ووظفوا على كل دار مكحلة (بندقية) ومن لم توجد عنده مكحلة منهم يعاقب. فاشتروا من ذلك فوق الكفاية..»(24) وحاول الفاسيون أن يغزوا السلطان الرشيد في تازا ويبادروه بالحرب قبل أن يتوجه اليهم، لكنهم ما كادوا يقابلون محلته حتى انهزموا من غير قتال، وطاردهم السلطان الى قنطرة نهر سبو خارج مدينة فاس. وقد قضى الرشيد عام 65/1076 ـــ 1666 كله في حصار فاس وقتالها دون جدوى، ولم يتسطع الدخول اليها الا بعد أن عقد اتفاقا سريا مع بعض أعيانها الذين مهدوا له السبيل، وضللوا خصومه وأبعدوهم عن المدينة، في أخبار طويلة(25) هذا محملها

كان للرشيد وزيران يعتمد عليهما، هما أخوه الحران، وابن أخيه أحمد بن محرز، وقد نصحاه بأن يتخذ واسطة يكون بينه وبين أهل فاس، ودلاه على أحمد بن الشيخ عبد الرحمن الفاسي صاحب الزاوية التي بحي القلقيين لما كان له من الوجاهة عند قومه. فأرسل اليه الرشيد بعض خاصته سرا ووعده ومنّاه. فقبل أحمد الفاسي أن يقوم بالدعوة للعلويين، واتفق مع طائفة من أعيان المدينة الادريسية على التخلص من أحمد بن صالح الليريني حاكم المدينة من قبل الدلائيين. وبذلك اتجه السلطان الرشيد لحصار فاس الجديد واستطاع بمساعدة بعض السكان أن يصعد على السور من جهة الملاح ويدخل الى المدينة ويقبض على رئيسها أبي عبد الله الدريدي. واتفق ابن صالح مع أهل فاس القديم على أن يسير هو الى السلطان محمد الحاج الدلائي لياتي بجيش من البربر يساعدهم على مدافعة خصمهم، وخرج الحاكم الليريني ليلا في عشرة من الفرسان من باب الفتوح واتجه نحو خولان(26) في طريق صفرو ليلتحق منها بمدينة الدلاء. غير أن الرشيد الذي

---

24) أحمد الناصري، **الاستقصا**، ج 7 ص 33.

25) ذكر هذه الأخبار مفصلة عبد السلام بن الخياط القادري في **التحفة القادرية**، 150:2 وما بعدها

26) بلاد خولان هي التي فيها حمة سيدي حرازم بضاحية فاس.

أشعر بذلك اعترض طريقه في الفي فارس وقبض عليه في منتصف الليل، ثم أصبح على أبواب المدينة القديمة يعلن للفاسيين أسره للحاكم ويطلب منهم أن يبايعوه على أن يحسن معاملتهم، ويصفح عن إساءتهم. فلم يجد الفاسيون بدّاً من الاستسلام والخروج إلى السلطان الرشيد، فبايعوه وقدموا له مراسم الولاء والطاعة. وبعد ذلك قتل ابن صالح شر قتلة في جماعة من اتباعه وأصحابه، وانتهبت أموالهم وأمتعتهم، وبيعت عقاراتهم وضمت الى بيت المال، بعد أن شهد نحو 26 من العلماء باستغراق ذممهم. وكافأ السلطان الرشيد داعيته أحمد الفاسي بأن صرف اليه فتوحات أبي الحسن بن حِرزْهم بعد أن انتزعها من يد القادريين. وكان للدلائيين بالقرب من فاس مركزان هامان، أحدهما مدينة صفرو التي يجاوِرها برابرة أيت يوسي، والثاني مدينة مكناس التي يرابض على أبوابها برابرة أيت ولّال. وقد هجم السلطان الرشيد أكثر من مرة على صفرو دون جلوى، وأمكنه أخيرا أن يستولي على مكناسة الزيتون وينتصر على الولّاليين.

## د) معركة (بطن الرمان) ــ تخريب الزاوية الدلائية

في الوقت الذي توالت فيه انتصارات السلطان الرشيد بن الشريف العلوي كان أمر محمد الحاج الدلائي في إدبار، فقد بلغ من الكِبَر عُتِيّاً، وأصاب مرض السادة إحدى عينيه، وفقد أبناءه ما عدا عبد الله، ولم يكن إخوته وبنو عمه أبطال حرب وكفاح، وإنما كانوا رجال علم ودين، فضعفت القيادة الحربية للدلائيين وإن بقيت قبائل الاطلس الباسلة وفية لهم. وماذا ياترى يستطيع رجل بلغ الثمانين من عمره أو قاربها أن يعمل في الميدان؟ وماذا يمكنه أن يصنع في ترتيب الجيوش وتجهيزها وقيادتها؟ الحقيقة أن كل شيء كان خلال عام **1668/1078** ينذر بقرب حلول الكارثة بالإمارة الدلائية، جاء السلطان الرشيد واستولى على المغرب الشرقي ومدينتي فاس ومكناس. وعبثاً حاول محمد الحاج أن يقاوم هذا التيار الجارف، فخرج على رأس جنده من البربر وقصد خصمه الرشيد في سهول سايس، والتقى الجمعان على ضفة نهر بومزورة أحد روافد وادي فاس «فتقاتلا قتالا خفيفاً نحو ثلاثة أيام ثم رجع محمد الحاج إلى الدلاء»(27).

27) محمد القادري، نشر المثاني 169:2.

تجلى للسلطان الرشيد في هذه المناوشات ضعف الدلائيين وعجزهم، فتوجه اليهم في جموع كبيرة، ولم يعترض طريقه أحد حتى أشرف على الزاوية الدلائية ولم يعد يفصل بينه وبينها إلا نحو 25 كلم. فوجد الدلائيين مُجمعين على حربه في سهل (بطن الرمان)(28) بقيادة أحد أبناء محمد الحاج(29). ودارت المعركة الفاصلة بين الدلائيين والعلويين في الايام الاولى من عام 1668/1079 ولم يصمد البربر إلا قليلا ثم تراجعوا مهزومين، فتبعهم الرشيد إلى أن نزل على أبواب مدينة الدلاء. ويصف لنا أبو علي اليوسي عن مشاهدة هذه الفترة العصبية من حياة الزاوية الدلائية المحتضرة ويذكر حال السلطان محمد الحاج بقوله «فدخلنا عليه وكان لم يحضر المعركة لعجزه من كبر سنه، فإذا بالفل يدخلون، فدخل عليه أولاده(30) وإخوته، وأظهروا جزعاً شديداً وضيقاً عظيماً، فلما رأى منهم ذلك قال لهم ما هذا؟ إن قال لكم حسبكم فحسبكم، يعني الله تعالى. وهذا كلام عجيب، وإليه يساق الحديث. والمعنى إن قال الله تعالى حسبكم من الدنيا فكفوا راضين مسلمين»(31).

ثم خرج محمد الحاج لملاقاة السلطان الرشيد وسأله عما يريد فأجابه الرشيد بأنه يريد الملك. فقال محمد الحاج (هو الآن في محله) وبايعه ودفع له

---

28) يكتنف الزاوية الدلائية موضعان يحمل كل منهما اسم الرمان. ففي شمال الزاوية الدلائية بطريق خنيفرة يقع السهل الذي تسميه قبائل زيان(بو رمان) وهو الذي نرجح ان المعركة دارت فيه، لوقوعه على الطريق الطبيعية التي يمكن ان يسلكها الرشيد من فاس الى الزاوية الدلائية. ويوجد جنوب مدينة الدلاء في طريق قصبة تادلا مكان يسمى (بطن الرمان) تقوم فيه اليوم قرية زاوية الشيخ. ويبعد أن يكون جيش العلويين قد سلك طريق الغرب التي تبلغ مسافتها ضعف مسافة الطريق الاولى، لا سيما وأن بلاد الغرب وتامسنا وتادلا لم تكن قد دخلت بعد في طاعة السلطان الرشيد، ولا يمكن أن نفترض اختلاط الاسمين على بعض المؤرخين، لأن الامام اليوسي وهو البربري الذي لا تخفى عليه مواقع بيئته ولا تلتبس عليه أسماؤها قد عبر في **المحاضرات** عن ميدان المعركة ببطن الرمان، وعنه نقل ذلك سائر المؤرخين. فلم يبق إلا أن نفترض أن (بورمان) كان يسمى آنذاك ببطن الرمان، أو أن اليوسي تصرف قليلا وأدخل كلمة (بورمان) في قالب عربي.

29) لم يبق حياً من أبناء محمد الحاج في هذا التاريخ الا عبد الله. بينما تعبر جل المصادر عن قائد معركة بطن الرمان بانه أحد أبناء محمد الحاج، إلا أبا القاسم الزياني فإنه قال في **الترجمان**، (ص 373) «فلقي محلة أهل الدلاء مع ولد محمد الحاج» وهو عبد الله.

30) لم يبق لمحمد الحاج من الأولاد في هذا التاريخ الا عبد الله كما سبق، ولعل اليوسي يقصد بالاولاد ما يشمل الاحفاد أيضاً.

31) الحسن اليوسي، **المحاضرات**، ص 86ـــ87.

بعض المال. وقد مكث الرشيد في الدلاء شهرا ونصف شهر (8 محرم ـــ 22 صفر 17/1079 يونيه ـــ 30 يوليوز 1668) واستولى على ما كان في عاصمة الدلائيين من مال وذخيرة وخيل وسلاح، وأخذ ما في الخزائن من الكتب والوثائق، وما في الحظائر من الماشية والدواب، ولم يترك للدلائيين إلا ما لا غنى لهم عنه، وأمرهم بالرحيل إلى فاس. ثم أعمل المعاول والفؤوس في مباني المدينة، وهدم ما استطاع أن يهدمه منها وتركها خراباً موحشة. ثم صعد الى الزاوية الدلائية القديمة وفعل بها ما فعل بالزاوية الحديثة. وكانت مبانيها أقل متانة وصلابة، فهدمها كلها وطمس معالمها، وتركها قاعاً صفصفاً كأن لم تَغْنَ بالامس، ولم يترك منها إلا القبتين المشيدتين على ضريح الشيخ أبي بكر الدلائي وابنه محمد في جوف المسجد.

# الباب السابع
# أثر الدلائيين في خارج زاويتهم

## 1 ـ خروج الدلائيين الى فاس

أ) تغريب الدلائيين الى تلمسان

ب) ثورة أحمد الدلائي على السلطان اسماعيل

## 2 ـ العلماء الدلائيون في فاس ومكناس

أ) محمد المسناوي الدلائي شيخ الجماعة بفاس

ب) تلاميذ الدلائيين في فاس

## 3 ـ الكتب التي ألفها الدلائيون

أ) جدول مؤلفات الدلائيين

ب) جدول الكتب التي أُلِّفت في الدلائيين

## 4 ـ بقايا البيت الدلائي

أ) مساكن قبيلة مجاط اليوم

ب) أحفاد الدلائيين في فاس والدار البيضاء والرباط

## 1 ـــ خروج الدلائيين إلى فاس *

لما استولى السلطان الرشيد على الزاوية الدلائية، أخرج منها جميع من كان فيها من السكان وأجلاهم عنها، فرجع العلماء والطلبة والتجار إلى مساقط رؤوسهم، وتفرقوا في جبال الأطلس وعلى ضفاف ملوية، أو في بلاد تادلا وضواحي مراكش، وتوجه الدلائيون، ومعهم الامام اليوسي، بأمر من السلطان الرشيد إلى فاس، ولم يحدد لهم مكانا معينا يقيمون فيه بهذه المدينة، فسكنوا حيث أمكنهم السكن، واختلطوا بعامة الناس، وكان لهم كثير من الأصدقاء والأصهار من بين البيوتات الكبيرة في فاس، مثل القادريين والطاهريين وغيرهم. وقد أقرهم السلطان الرشيد في منازلهم التي اختاروها بعد رجوعه من مراكش، ثم بدا له في شهر رمضان من نفس السنة (1079) أن يخرج طائفة من الدلائيين إلى ضريح أبي الحسن بن حرزهم (حرازم) بظاهر فاس، حيث بقوا هنالك إلى آخر السنة، فعفا عنهم وسمح لهم بالدخول الى المدينة(1) ما عدا محمداً الحاج وبنيه فإنه أمرهم بمغادرة المغرب والالتحاق ببلاد الجزائر.

### أ) تغريب الدلائيين الى تلمسان

خرج محمد الحاج وعشيرته الأقربون إلى تلمسان في مستهل عام 1669/1080 ونزلوا بحرم العُبَّاد الذي فيه ضريح الشيخ أبي مدين الغوث. وهناك أسطورة تقول إن محمداً الحاج اغتَمَّ كثيراً عندما وجد نفسه خاملا مهملا لم يعبأ

---

* يشمل هذا الباب على استطرادات موجزة خارجة عن نطاق عصر الزاوية الدلائية، لكنها ضرورية للالمام بالطورات الطارئة على أبناء هذه الزاوية حتى عصرنا الحاضر.

1) ذكر أحمد الناصري في **الاستقصا**(39:7) أن السلطان الرشيد أخرج الدلائيين إلى ضريح الشيخ ابن حرزهم «فعفا عن الجميع وردهم الى بلادهم الأ...» وهذا سبق قلم لأنه لم يسمح لأحد من الدلائيين بالرجوع الى بلاده خصوصا أيام الرشيد. وربما وقع له التباس بقضية آل زاوية أيت عياش، فهم الذين غربهم الرشيد الى فاس، ثم أذن لهم المولى اسماعيل بالرجوع الى ديارهم على إثر توليه الملك. على أن محمدا القادري نص في **نشر المثاني**(182:2) على أن الرشيد سامح الدلائيين في آخر العام «وردهم الى فاس جميعاً».

به أحد من التلمسانيين، كأنه لم يكن إلى زمن قريب سلطاناً نافذ الأمر عزيز الجانب، فقال لبعض ذويه «كنت وجدت في بعض كتب الحدثان أني أدخل تلمسان، فظننت أني أدخلها دخول الملوك، فدخلتها كما ترون»!(2) وكانت مدينة تلمسان خاضعة إذ ذاك للأتراك العثمانيين الذين تربطهم بالدلائيين أواصر الود والصداقة. وقد رأينا في الباب السادس بعض جوانب التقارب الدلائي ـــ التركي، لا سيما في ميدان التبادل التجاري، والتعاون في الجهاد البحري ضد المسيحيين، فكان ميناء سلا مفتوحاً باستمرار في وجه قراصنة الجزائر العاملين في المحيط الاطلنطيقي، ياخذون منه المؤونة والذخيرة، ويحملون اليه غنائمهم للبيع، أو يلجأون اليه من عواصف المحيط الهوج أو من غارات الاعداء ومطاردتهم. كما كانت موانىء الجزائر كثيراً ما تستقبل السفن التجارية للأمير عبد الله الدلائي، ومراكب المجاهدين السلويين والتطوانيين. وزاد في التقارب بين الدلائيين وأتراك الجزائر اتفاقهم في خصومة العلويين ومناصبتهم العداء. فمنذ طلوع مَحمد بن الشريف من تافيلالت الى المغرب الشرقي في أواسط القرن الحادي عشر الهجري، وهجومه على تلمسان وتوغله في بلاد الجزائر، والعثمانيون يعانون ضروب المحن وصنوف المتاعب من جراء تمرد الجزائريين عليهم، بما أذكاه فيهم السلطان العلوي من روح الثورة والمقاومة. فكان الاتراك يتميزون غيظاً على مَحمد بن الشريف ولا يستطيعون محاربته لإيغاله في الصحراء، ثم جاء الرشيد بن الشريف فركز نفوذه أولاً في بني يزناسن وبسيط انكاد ووجدة، وتضايق العثمانيون من اجتماع قبائل الحدود عليه والتفافها حوله، وسيمتد الخلاف بين العثمانيين والعلويين الى أيام السلطان اسماعيل ليتطور الى معارك طاحنة.

هكذا يبدو أن الظروف كانت مواتية بعض الشيء للدلائيين في منفاهم بتلمسان ولو أنهم فارقوا الاهل والوطن، وتركوا النفوذ والصولة، وتجردوا من الثروة والجاه فإنهم وجدوا في ولاة الامر بالجزائر اصدقاء يواسونهم ويعترفون بمجدهم التليد. لكن سوء الطالع وعثر الجَدّ لاحقا الدلائيين حتى في بلاد الغربة، فعاملهم

---

2) أحمد الناصري، **الاستقصا**، (37:7)

التلمسانيون بما يعاملون به حكامهم الأتراك من النفرة والجفاء، وعدوهم خصوما عملاً بقاعدة (صديق العدو عدو). وطالما تعرض الدلائيون في السنوات الخمس التي قضوها بتلمسان إلى تهجمات السكان وإيذائهم، فبالاضافة الى أنواع المضايقات والاهانات، لم يتورع التلمسانيون عن سلب كل ما وصلت اليه أيديهم من مال الدلائيين ومتاعهم، بل وقتل مَن تمكنوا من سفك دمه منهم. وقد تُوفي محمد الحاج الدلائي بعد سنتين من مجيئه إلى تلمسان (4 محرم 1082/14 ماي 1671) فدفنه ولده عبد الله في العُباد بالقرب من ضريح الامام السنوسي، ثم توجه الى الحجاز لاداء فريضة الحج، وبقي في بلاد الشرق العربي نحو عامين لعله كان يبحث خلالهما عن مكان ملائم يمكن ان ينتقل اليه بأهله، في مصر أو غيرها من الاقطار الاسلامية. ولا عبرة بما يدعيه بعض المؤرخين الاوربيين من خروج عبد الله الدلائي بأهله وذخائر أسرته الى مصر عند استيلاء السلطان الرشيد على الزاوية الدلائية وإقامته هنالك إلى أن أدركته الوفاة، فإن ذلك محض افتراض تنقصه الحجة والبرهان، ويجافيه الرأي والمنطق، بل تناهضه الوثائق الصحيحة، وإجماع المؤرخين المغاربة. فقد عرفنا في الباب السابق أن السلطان الرشيد العلوي حينما تصدى لحرب الدلائيين لم يمهلهم ولو فترة قصيرة، فبعد أن تغلب عليهم في بطن الرمّان طاردهم الى مدينة الدلاء، وأخرجهم منها على التوّ الى فاس بعد أن استولى على جميع ذخائرهم، من مال وسلاح وماشية وغير ذلك. فكيف يانرى يمكن لعبد الله الدلائي أن يخترق الحصار، بعد الانهزام والانكسار، أو يفلت بالذخائر من أيدي جند الرشيد الذين كانوا يتطلعون الى الاستحواذ على ما للدلائيين من سلاح وكراع! اللهم الا ان نفترض وقوع ذلك قبل مجيء الرشيد؛ وهذا يعني أن الدلائيين كانوا قد بلغوا درجة الانهيار واليأس، الامر الذي يتنافى وخروجهم في تجمع عظيم لملاقاة خصمهم على مسافة 25 كلم من الزاوية. وما كان أحراهم — لو صح هذا الافتراض — أن يخرجوا جميعا وفي مقدمتهم الشيخ الهرم محمد الحاج، إذلا يعقل أن يفر بطل الاسرة الشاب عبد الله تاركا وراءه أباه العاجز وحريمه عرضة لهجوم الخصوم.

على أن جميع المؤرخين المغاربة الذين تعرضوا لذكر أخبار الدلائيين لم يشيروا الى هذا الفرار المزعوم. بل على العكس من ذلك نرى مَن اهتم منهم بتفاصيل هذا الحادث التاريخي ينص على أن عبد الله الدلائي كان لا يزال في الزاوية الدلائية عند استيلاء الرشيد عليها «وخرج فيمن خرج من الزاوية مع والده عند تخريبها وسار معه الى تلمسان»(3).

وهناك وثيقة تاريخية هامة تؤيد وجود عيال عبد الله الدلائي في تلمسان خلال عام 1674/1085، وتنص على أنه رجع في هذه السنة من المشرق الى عاصمة الجزائر حيث بقي ينتظر إخماد الثورة القائمة في تلمسان ليلتحق بأهله في هذه المدينة. ورد ذلك في الرسالة التي بعث بها أحمد بن عبد الله الدلائي إلى السلطان اسماعيل بن الشريف معتذرا عن تخلفه بتلمسان، بعد أن رجع أهله الى فاس «..الاعلام لسيدنا بعذري عن التخلف. فليعلم مولانا السلطان نصره الله أن موجبه ما معي من عيال أبي فكرهت أن أفتات عليه وهو غائب، فلم أزل أستدنيه حتى بلغ الجزائر. ولما خرج برسم الوصول الى العُباد حرم القطب الغوث أبي مدين نفع الله به، وجد هذه الفتنة بين يديه فتأخر حتى يسكن هرجها، ويخمد وهجها...»(4).

وكانت الفتنة التي تحدث عنها أحمد الدلائي عظيمة في تلمسان، كما كان إخمادها والقضاء عليها من طرف الأتراك أعظم وأشد. وقد سلم الدلائيون منها إذ عاد أكثرهم الى فاس قبيل نشوب الثورة بإذن من السلطان إسماعيل (جمادى الاولى 1085/شتنبر 1674) وأوصى عبد الله الدلائي في الجزائر قائد الحملة التأديبية التركية التي توجهت الى تلمسان، وطلب منه أن يجنب جنوده مساكن أهله في حرم العُباد. وجاء عبد الله الدلائي فعلا الى تلمسان بعد سكون الهيعة، ومكث فيها الى ان توفي أواخر عام 1676/1086 ودفن بجوار والده محمد الحاج بالعُباد، ورثاه ابنه أحمد بقصيدة بليغة مؤثرة تشتمل على 52 بيتا، جاء في مطلعها:

3) سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 205/أ

4) انظر نص الرسالة في ملحق رقم 10

ألا هل فتىً مثلي كئيب أُراسِلُه وأشكو له قلباً دهتْهُ بلابلُه
يطارحني أحزانَـــهُ وهمومـــهُ يسائلني عن محنتي وأسائلُهْ(5)

## ب ــ ثورة أحمد الدلائي على السلطان إسماعيل

أحمد بن عبد الله بن محمد الحاج الدلائي شخصية فذة تمثل آخر أبطال الدلاء وفرسانها الشجعان. بدت كفايته الحربية في وقت مبكر من عمره، وولاه جده محمد الحاج أمر فاس، وهو ما يزال حدثاً في مقتبل العمر كما سبق، وزعم بعض الرواة أنه هو الذي قاد الدلائيين في معركة بطن الرمان، وسبق أهله الى تلمسان فمهد لهم السبيل وهيأ لهم المقام. وليست الغرابة في شخصية احمد الدلائي آتية من بطولته المبكرة، وتفوقه في التدبير والحرب، أو من علمه الجمّ وأدبه الرفيع، فقد سبقه الى هذه الميادين أبوه وجده وكثير من بني عمه. وإنما الغرابة في أن أحمد الدلائي كان في نفس الوقت بطلا مغواراً وعالماً كبيرا وأديباً ممتازاً، لا أغالي إذا قلت إنه أشجع الدلائيين وأشعرهم على الاطلاق. والمرء قد يمتاز في إحدى الناحيتين الادبية أو العسكرية، وقد يشارك فيهما معاً ويكون عادياً في الامرين، أو يتغلب عليه أحد الاتجاهين على حساب الآخر. أما أن يبرِّز تبريزاً تاماً في الميدانين، ويجمع عن جدارة بين الحُسْنَيين، فذلك ما لا يجود به الدهر الا نادراً ولا نجده الا عند أبي فراس الحمداني وأحمد الدلائي. وأديبنا البطل المغربي جدير بأن تتناول آثاره بالدرس والتحليل أقلام الباحثين، وسيجدون في (تلمسانياته) ما يضاهي (الروميات).

وقد تخلف أحمد الدلائي في تلمسان، ولم يعد مع الدلائيين الذين دخلوا الى فاس متعللا بالقيام على شؤون عيال ابيه عبد الله المتغيب في الشرق. ولما كثرت الأقاويل في شأنه وبدأت الشائعات تتحدث عن الثورة، خاف أحمد على أهله المقيمين في فاس أن يلحقهم أذى بسبب ذلك، فكتب الى السلطان اسماعيل يطريه ويطمئنه، ويبين له الاعذار التي عاقته عن الالتحاق بالمغرب. وقد أكدت الاحداث أن احمد الدلائي لم يكن صادقا في اعتذاره ولم يقصد من الرسالة التي

5) انظر نص القصيدة عند سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 206/ب ــ 207/أ

وجهها الى السلطان سوى كسب الوقت اللازم لتدبير شؤون الثورة وتنظيمها بمساعدة أتراك الجزائر. واتخذ احمد الدلائي من خروج السلطان اسماعيل من العاصمة واشتغاله بحرب ابن أخيه أحمد بن محرز(6) في مراكش فرصة لاشعال نار الثورة، فدخل الى المغرب في أوائل عام **1677/1088** وقصد الدلاء؛ وهناك التف حوله برابرة الاطلس المتوسط وملكوا بلاد تادلا بعد أن هزموا المخازنية ومن معهم من الاعراب المناصرين للعلويين. ولما علم السلطان اسماعيل بخبر الثورة بعث بجيش يتألف من ثلاثة آلاف فارس تحت إمرة القائد يخلف، لكن احمد الدلائي سرعان ما قضى على هذا القائد وكثير من جنده ونهب محلته وخيله. ثم بعث السلطان بفرقة أخرى من الجند لقيت نفس المصير. «وشن البربر الغارات بعد ذلك على من جاورهم من القبائل الى سايس، ووقعت معركة رابعة بحوز مكناسة بين جيش فاس والبربر، مات فيها من كبراء الجيش عدد كثير، ولجأوا الى مدينة مكناس، وحدث الخوف بأحوازها»(7) وقد اختفى الدلائيون وأنصارهم في فاس محتمين بحرم المولى ادريس وسيدي أحمد الشاوي، وبعث الامام اليوسي إلى أحمد الدلائي يلومه ويستعطفه، بقطعة شعرية جاء فيها

أبا العباس كنت المرتجى في تلاف في تجاف وارتجاف
وكنتُ أخال أن الود كأسٌ شربناه على الانصاف صاف..

ورأى السلطان إسماعيل أن الأمر جد لا تنفع معه الكتائب والسرايا، فأخذ يستعد لمنازلة خصمه العنيد بنفسه، وأرسل الى جميع الاقاليم يطلب المساعدة بالجند والسلاح وخرج الرماة من فاس وغيرها بعد أن استعدوا استعدادا كبيرا، والتحقوا بالسلطان في مراكش. ودام تجهيز هذه الحملة العظيمة نحو ستة أشهر،

---

6) أحمد بن محرز بن الشريف كان وزيرا لعمه السلطان الرشيد، وبايعه المراكشيون والسوسيون بعد وفاة الرشيد ثم دخلت فاس وكثير من قبائل الغرب في طاعته. وجرت بينه وبين عمه السلطان اسماعيل معارك كثيرة، وأخيرا حاصره السلطان في مراكش نحو سنتين ونصف الى أن قتل غدرا في منتصف عام **1677/1088**. وحمله عبيده وأنصاره الى تارودانت حيث دفن.
انظر تفاصيل أخبار ابن محرز عند عبد السلام القادري، **التحفة القادرية**، ص **332** وما بعدها

7) سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة **215**/ب

ثم زحف السلطان اسماعيل الى البربر في 5 صفر 1089/30 مارس 1678. ولم يكد يقطع وادي العبيد حتى وجد جيش أحمد الدلائي في انتظاره «فكانت الحرب بينهما سجالا، وأظهر كل فريق قوته وما هو له مريد ووقعت حروب بين الفريقين لم يسمع بمثلها في المغرب، ولا خبر بها من ورخ (كذا) من أمره كل أمر عجيب..»[8] وانتصر أخيرا السلطان إسماعيل بعد أن سقط في ميدان القتال عدد كثير من الجانبين، ومات من رماة فاس أربعمائة، وبلغ مجموع القتلى من البربر ثلاثة آلاف، أمر السلطان اسماعيل أن نقطع رؤوس سبعمائة منهم، وبعث بها الى فاس مع قائد هذه المدينة عبد الله بن حمدون الروسي. وكان يوما مشهودا في العاصمة الادريسية كُوِّمت فيه رؤوس الثوار، وأُطلقت المدافع، وزُينت الاسواق، وفرح الناس بانتهاء الفتنة. أما أحمد الدلائي فإنه التجأ الى جبال أيت يسري الوعرة في الأطلس المتوسط، «وبقي بين ظهرانيهم، وكلمتهم بيده، وأمره نافذ فيهم نحواً من عام وخمسة أشهر وأيام»[9] الى أن توفي يوم الخميس 21 محرم 1091/23 فبراير 1680. وتتضارب الروايات في سبب موته، فيزعم البعض أنه أصيب بالوباء الذي كان منتشرا في تلك الايام، بينما يقول آخرون إنه اغتيل بأمر السلطان اسماعيل، دس له السم ابنُ بركة كبير أيت يمور وابن راحة كبير أيت مقداد في جبال هسكورة.

## 2 ــ العلماء الدلائيون في فاس ومكناس

ما كاد العلماء الدلائيون يستقر بهم المقام في فاس، بعد إخلاء زاويتهم، حتى حنُّوا الى المنابر من جديد، وأخذوا يشتغلون بالتدريس كما كانوا يفعلون في الدلاء، وانتشروا في مساجد المدينة الادريسية ومدارسها يعقدون المجالس العلمية، ويفيدون الطلبة الذين أقبلوا عليهم إقبالاً عظيما. وكان عدد العلماء الدلائيين الذين تصدروا للتدريس في بادىء الامر يربو على عشرة، فيهم المحدِّثون والفقهاء واللغويون والادباء،وفيهم المشاركون في كثير من هذه الفنون، كمحمد المرابط الدلائي، ومحمد

8) بن الحاج، **الدرر المنتخب المستحسن**، ج 6، ورقة 43/أ

9) سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 216/أ

الشاذلي الدلائي، والحسن اليوسي(10). واشتغل بتدريس الادب وقواعد اللغة في فاس من العلماء الدلائيين أحمد بن المسناوي، ومحمد بن أبي عَمَر، وأحمد بن الشاذلي، ومحمد بن عبد الله بن محمد الحاج، وكلهم من أحفاد الشيخ محمد بن ابي بكر الدلائي. كما توجهت طائفة أخرى من أعلام الدلائيين الى مكناسة الزيتون واستوطنوها طيلة حياتهم، منهم الشيخ عبد السلام بن الشاذلي الذي تولى الامامة والخطابة بجامعها الأعظم وانتصب للتدريس والافتاء فيها، وتخرج على يده جماعة من علماء العاصمة الاسماعيلية لم يفصح المؤرخون عن أسمائهم، إلى أن توفي بالطاعون عام **1679/1090** فخلفه في الإمامة والخطابة بجامع مكناس الاعظم أخوه الطيب بن الشاذلي، وكان مثله عالما كبيرا وزاهدا عابدا، اشتغل كذلك بالتدريس والافتاء في النوازل الفقهية، وكان المعتمدَ في هذا الميدان الى أن أدركته الوفاة عام **1695/1107**.

وقد عانى العلماء الدلائيون في فاس ألم الغربة أولاً، ووقع التضييق عليهم في الحُرُم التي لجأوا اليها طيلة عهد ثورة أحمد الدلائي، لكن ذلك كان آخر محنة أصابتهم في فاس ذاقوا بعدها حلاوة العيشة الحرة التي لا قيود فيها ولا حصار وانسجموا مع الفاسيين. وهذا لايعني أن العلماء الدلائيين قد انحطت قيمتهم العلمية أو هيض جناحهم، بل كان لهم مزيد من الحظوة والشفوف منذ الأيام الأولى التي وطئت أقدامهم فيها أرض فاس، حتى إن السلطان الرشيد كان يُوليهم كثيراً من الاجلال والتقدير، ويحضر بنفسه المجالس العلمية التي كان يعقدها الحسن اليوسي في القرويين، ويجالس في قصره اليوسي ومحمداً المرابط الدلائي ويتحدث اليهما في غير كلفة ولا احتراس. وما زلنا نذكر دخول اليوسي يوماً وهو مريض على السلطان الرشيد الذي ضحك من تناول اليوسي شراب الريحان،

---

10) عددت الامام اليوسي في جملة الدلائيين — وإن لم يكن منهم — لارتباط مصيره بمصيرهم وطول مقامه في الزاوية الدلائية تلميذا وأستاذا، وتزوجه وإنجابه الاولاد فيها، وللقرابة البربرية الصنهاجية التي تربط بين اليوسيين والمخاطيين، حتى إن السلطان الرشيد عامله — من بين سائر العلماء الغرباء في الدلاء — بما عامل به الدلائيين انفسهم ورحله معهم الى فاس.

ونصحه بآخذ سويق الشعير الذي هو دواء أبناء البادية. وأنشد السلطان الرشيد يوماً معرِّضاً بمحمد المرابط الدلائي الحاضر في المجلس هذا البيت

ومِن نَكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً لـه ما مـنْ صداقتـه بـــد

فقال المرابط ياأمير المؤمنين إن من حسن حظ المرء أن يكون خصمه عاقلا. فاستحسن الرشيد والحاضرون بداهته وحسن إجابته.

وقد سلك السلطان اسماعيل مع العلماء الدلائيين نفس الخطة التي سلكها معهم أخوه الرشيد من قبل، فأحاطهم بمظاهر الاكرام والاحترام، وولى منهم الشيخ محمد المرابط الخطابة بالمدرسة المتوكلية(11) وهي أهم المدارس بفاس. ثم أسند هذا المنصب الديني الهام بعد وفاة المرابط إلى أخيه محمد الشاذلي الذي بقي يخطب ويدرس في المدرسة العنانية أعواماً عديدة، وخلفه فيها بعد موته محمد بن عبد الرحمن الدلائي(11م) الذي عده المؤرخون آخر خطباء المغرب، لانه بالاضافة إلى غزارة علمه وجمال خلقته وأناقة بزته، كان «صيتا فصيحا جهوري الصوت حلوه. وله تأليف في الخطب لم يؤلف مثله، وجميع الخطباء عيال عليه»(12). ثم نقل السلطان اسماعيل محمد بن عبد الرحمن الدلائي للخطابة في مسجد الشرفاء الذي هو ضريح المولى إدريس الثاني، فكان الناس يقصدون هذا المسجد من كل أنحاء المدينة ويزدحمون للإنصات الى هذا الخطيب المفوّه. وتأثر المؤرخ محمد بن الطيب القادري في صغره بإحدى هذه الخطب، وقال في ترجمة ابن عبد الرحمن الدلائي «.. ولم أدرك القراءة عليه، لكن رأيته مرة واحدة في صغري يخطب على منبر جامع الشرفاء، وصوته يسمع في نواحي المسجد، إذ كان صيتاً جداً»(13).

وقد تطور مركز الدلائيين في فاس بسرعة، ولم يعد اعلامهم يضاهون العلماء الفاسيين فحسب، بل بذوهم وغبّروا في وجوههم، «واحتلوا الصدارة من

---

11) المدرسة المتوكلية هي المدرسة العنانية المشهورة بحي الطالعة بفاس.

11م) ترجم له تحت اسم محمد بن عبد الرحمن المغربي، الجبرتي في تاريخه **عجائب الآثار في التراجم والاخبار**، 3:86 وقال إنه توفي عام 1141، وله نظم الشفا.

12) سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 248/ب

13) محمد بن الطيب القادري، **نشر المثاني**، 3: 314

الارستوقراطية الدينية والفكرية في فاس»(14) إذ تكونت طبقة جديدة من العلماء الدلائيين وُلدوا في فاس ونشأوا بها، فكانت صلتهم بالمدينة أقوى وأمتن من صلة آبائهم، وسلمت عقولهم من التفكير في الغربة، وأفقدتهم من الحنين الى الزاوية المتهدمة، إلا ذكريات عابرة غير ذات أثر. وتم بذلك انصهار الدلائيين وامتزاجهم التام بالفاسيين. ومن أشهر هذه الطبقة من الدلائيين محمد بن أحمد بن الشاذلي الذي كان إماما في اللغة والادب، مبرزا في العروض والقوافي منفردا بهذا الفن في فاس، وعنه أخذه كل من تعاطي الأوزان الشعرية في العاصمة العلمية في عصره. وقد بدأ شرح رائية الامام اليوسي في رثاء الزاوية الدلائية لكنه توفي قبل إتمامه، عام **1724/1137 ــ 1725**، فأكمله ابن عمه القاضي محمد البكري الدلائي الذي كان إماما خطيباً في ضريح المولى إدريس، مدرسا بجامع القرويين، متوليا القضاء والفتيا في فاس، وألف في النوازل الفقهية وفي الأدب. وكانت وفاته عام **1761/1174** ثم تولى قضاء فاس من بعده ابنه أحمد البكري، وكان مثله فقيها أديباً «يعنى بأيام العرب وأشعارها وحكمها وأمثالها، ويحفظ من ذلك قدراً كثيراً، مع معرفة بالتاريخ والحساب...»(15) واستدعاه السلطان محمد بن عبد الله ليعلم ابنه عبد السلام في تارودانت، وسماه قاضياً في هذه المدينة، فاشتغل بالتدريس والخطابة في مسجدها الاعظم، واستفاد منه كثير من طلبة الاصقاع السوسية إلى أن توفي هناك عام **1784/1198**.

واتصلت حلقات العلماء الدلائيين في فاس الى النصف الاخير من القرن الماضي. ونجد الشيخ محمد المكي الدلائي الذي عاش الى عام **1825/1241 ــ 1826** يعتبر إمام المعقول والمنقول في فاس. صحب الشيخ أحمد التجاني وأخذ عنه الطريقة ولازمه طيلة حياته إلى أن بلغ على يده درجة عالية من الصفاء الروحي. وقد كتب السلطان سليمان بن محمد بن عبد الله (**1206ــ1238 / 1792 ــ 1822**) ظهيرا بتوقير هذا العالم الدلائي، بعث به إلى كاتبه في فاس أحمد الرفاعي، وإلى القاضي العباس بن سودة يقول لهما «...فنأمركما أن تقر

---

14) LEVI PROVENçAL, LES HISTOIRE DES CHORFA , p 300.

15) سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 246/أ

(كذا) الفقيه العلامة سيدي المكي الدلائي في مسجده الكائن بحومة زقاق الرواح على حاله من الامامة والتدريس لحفضه (كذا) لكتاب الله العزيز واعتناءه (كذا) بمجالس الدرس وعلى ما بيده من ظهائر اسلافنا الكرام وغيرهم، المتضمنة لتوقيرهم واحترامهم. فعلينا الاقتداء بمن مضى، والاخذ بمأخذهم كما تلقوا ذلك بالقبول والرضى، وعلى هذا يكون عملكما والله يعينكما والسلام. وفي ثالث صفر الخير عام احدى (كذا) وعشرين ومائتين وألف»[16] وقد الف في ترجمة الشيخ محمد المكي الدلائي ابنه محمد كتابا سماه **بغية الرائي بالتعريف بالشيخ ابي عبد الله سيدي المكي الدلائي** . ولنتحدث الآن بشيء من التفصيل عن أهم شخصية دلائية برزت في فاس، وهي شخصية الامام محمد المسناوي الذي انتهت اليه رئاسة العلماء في فاس دون منازع، وأصبحت له السيادة المطلقة في التدريس والإفتاء والتأليف.

## محمد المسناوي الدلائي شيخ الجماعة بفاس

أبو عبد الله محمد المسناوي بن أحمد بن محمد المسناوي بن الشيخ محمد بن ابي بكر الدلائي. ولد في الدلاء عام **1072/61-1662** وجاء به والده إلى فاس بعد تخريب الزاوية الدلائية وهو ابن سبع سنين، فدرس على علماء أسرته وغيرهم من القادريين والفاسيين. كما أخذ عن الإمامين الحسن اليوسي وعبد الملك التجموعتي، وبقي ينهل من معين العلم ويَعَلُّ إلى أن تخرج عالماً كبيراً «.. وقد أعطي ملكة التدريس والفتيا، وسلّم له أعيان عصره مرتبتها العليا، وانفرد برئاسة العلم في وقته وعصره. كان المرجع في معضلات المشاكل سواء من طرف السلطان المولى اسماعيل أو من طرف علماء الوقت»[17].

---

16) محمد بن المكي الدلائي، **بغية الرائي** ، ورقة 4/ب

17) محمد بن الطيب القادري، **نشر المثاني 265:3**

وامتاز محمد المسناوي زيادة على علمه الواسع بجمال الخلقة وحسن السمت وكثرة الوقار. فكان لباسه بالغ الحد في النظافة والاناقة، وكلامه غاية في اللطف والنبل، ومجلسه محاطاً بالهيبة والسكون، لا يجرؤ أحد أن يعبث أو يلهو في حضرته، ويحضر دروسه العالية علماء المدينة وطلبتها على السواء، «...وإذا أخذ في تقرير مسألة ياتي على وجوه احتمالاتها، ولا يدع شيئاً مما يقع في نفوس الحاضرين من مؤولاتها، مما يقتضيه بحث المعقول والمنقول، مع وجود التحرير التام..»(18) واشتغل محمد المسناوي بتدريس جميع العلوم المعروفة في عصره، واهتم في مقتبل عمره بالفقه، والبلاغة، والمنطق، والأدب، والتاريخ، وكان يواظب على إقراء **تلخيص المفتاح** للخطيب القزويني **بالشرح الصغير** لسعد الدين التفتازاني، و **مختصر الشيخ السنوسي** في المنطق. ثم انقطع آخر حياته **لتفسير القرآن الكريم** وقراءة **صحيح الامام البخاري**. وتكاثر عدد تلاميذ الامام المسناوي في فاس، وغصت رحاب القرويين بالآخذين عنه، وتتلمذ له كل من كان يتعاطى العلم بالطلب أو التدريس وأصبح شيخ الجماعة باتفاق. وقد قال عنه بروفنسال بحق «إن أكثر كُتاب التراجم في القرن الثامن عشر يعدون من تلاميذه»(19).

لم يقتصر نشاط الامام المسناوي على التدريس فحسب، وإنما اشتغل في نفس الوقت بالتأليف، وتمتاز كتابة هذا الامام بالدقة في التعبير مع السلاسة والوضوح. وقد خلَّف تراثاً فكرياً هاماً يدل على عقل جبار، وذكاء وقاد، وتحرر في التفكير غريب في ذلك العصر. وما بالك بفقيه مالكي يعتبر شيخ الجماعة بفاس والاستاذ الاول في القرويين، يجرؤ على نقد المذهب ومخالفة ما تواضع عليه فقهاء المالكية من سدل اليدين في الصلاة، ويؤلف كتاب **نصرة القبض والرد على من أنكر مشروعيته في صلاتي النفل والفرض**. على أن قوة ادراك الامام المسناوي وسعة أفقه العلمي إنما تظهران بجلاء في كتابين صغيرين من مؤلفاته تعرض فيهما لمبحثين فقهيين هامين، هما الذمة، والتوكيل. وقد سمى الاول منهما **صرف الهمة، إلى تحقيق معنى الذمة**. وركَّبه على سابقة، ومقصدين، ولاحقة. تكلم في السابقة عن معنى الذمة لغةً وشرعاً، وفي المقصد الأول عن تعريفي ابن عبد السلام

18) نفس المصدر ونفس الصحيفة.
19) E. LEVI-PROVENÇAL, LES HISTORIENS DES CHORFA , P 301.

وابن عرفة للذمة، ولخص في المقصد الثاني ما للشهاب القرافي وابن الشاط في الموضوع وبحث معهما في بعض الأمور، وذكر أربع مسائل 1) تعريف الذمة اعتمادا على ما للقرافي وابن الشباط، 2) شروط الذمة. 3) الفرق بين الذمة وأهلية المعاملة والتصرف. 4) البحث في أن الذمة وأهلية المعاملة هل هما من خطاب الوضع أو من خطاب التكليف. وجعل اللاحقة في مسايرة السؤال المرفوع اليه في الموضوع.

أما الكتاب الثاني فهو **تقييد كاشف، عن أحكام الاستنابة في الوظائف.** جعله في ثلاثة مباحث. المبحث الأول في التوطئة للمقصود بالذات ببيان ما تصح فيه النيابة ويجوز التوكيل وما لا يصح فيه ذلك ولا يجوز. ويشتمل على سابقة في معنى النيابة والاستنابة والوكالة، ومطلب في حكم ذلك ومحله، وما يتعلق به ويساويه من أجله، ولاحقة فيما يلتحق بما سبق وينبني عليه، من بيان ما يصح نقل ثوابه إلى الغير وما لا يصح نقله اليه. المبحث الثاني في المقصود بالذات من حكم الاستنابة في الوظائف التي عليها مرتَّب معلوم. وينقسم ــ كالأول ــ إلى طالعة في الأرزاق والاجارات والأوقاف، وما بينها من ائتلاف واختلاف. ومقصد في حكم الإنابة في الوظائف التي يؤدَّى عنها أجر، ولمن يكون أجرها حينئذ هل للمستنيب أو للنائب. وتابعة في الكلام على ما يتبع ذلك من الثواب الآجل، وحكم فائدة أيام العطلة العاجل، وذكر في المبحث الثالث أو الخاتمة كلام فقهاء المذاهب الاخرى غير المالكية في موضوع الاستنابة ليتسع مجال نظر القارىء ويطلع على الخلاف العالي وأسراره.

وقد كاد الامام المسناوي يتعرض لمحنة شديدة على يد السلطان اسماعيل، لولا أن تدخل بعض رجال البلاط لصالحه وأثبتوا براءته. ذلك أن الأمير محمد العالم ابن السلطان اسماعيل كان من أخص تلاميذ الإمام المسناوي وأقربهم اليه. ولما ثار محمد العالم في مراكش بقي يراسل استاذه المسناوي واغتنم بعض منافسي الشيخ هذه الفرصة فأوغروا صدر السلطان عليه، واتهموه باطلاعه على خطة الأمير الثورية وممالأته إياه على ذلك. غير أن أنصار الامام المسناوي أكدوا للسلطان أنه كان ينهى تلميذه محمداً العالم عن الثورة، وأنشدوا له قوله :

مهلاً فإن لكل شيء غاية    والدهرُ يعكسُ حيلة المحتال
فالبدرُ ليس يلوحُ ساطعُ نوره    والشمسُ ظاهرةُ السنا في الحال
فإذا نوارتْ بالحجاب فعند ذا    يبلو بُلُوٌّ تعززٍ وجمال[20]

فاستحسن السلطان ذلك وتحقق من براءة الشيخ. وعاش الإمام المسناوي خمساً وستين مقبلاً على العلم، وعلى العلم وحده. كان ينتقل من التدريس بالقرويين أو المدرسة العنانية إلى البحث في المشاكل الفقهية وتدوينها في الكتب، أو إلى إرشاد الناس الذين يستفتونه في الأحكام والمعاملات. وقد جُمعت فتاوي المسناوي في مجلد ضخم ظل المرجع الهام لرجال القضاء والفتيا حتى اليوم، ولم تنحصر شهرة هذا الامام داخل أسوار فاس، بل انتشرت في المغرب كله، وقصده العلماء من سائر النواحي ياخذون عنه ويستجيزونه، فأجاز عدداً كبيراً منهم[21] ولما أحس المسناوي بدنو أجله نظم قصيدة يضرع فيها إلى الباري عز وجل وأوصى أن يشيع بها إلى قبره، ومنها

يا ربِّ عطفاً على مُسيء    أَتَى به القومُ للمقابر
فجاء فرداً بغير زادٍ    وخلَّفَ الأهلَ والعشائر

وقد جرى عمل الناس في فاس بعد ذلك بقراءة هذه القصيدة عند تشييع الموتى. ونوفي الشيخ المسناوي يوم 16 شوال 1724/1136 فكان موته مأتماً للمدينة كلها، وشيعه جميع السكان في محفل رهيب الى مدفنه في قبة سيدي العايدي خارج باب الفتوح، وكسروا النعش الذي حُمل عليه، وأخذ كل واحد قطعة صغيرة من الخشب تبركاً بالامام المسناوي الصالح. ورثاه ابن عمه محمد البكري بقصيدة مطلعها

---

20) محمد أكنسوس، **الجيش العرمرم**، ورقة 66/أ، وهذه الابيات من قصيدة تتكون من 53 مطلعها
أهدي السلام معنبر الاذيال    ومشبعاً باليمن والاقبال
كان الامام المسناوي بعث بها الى تلميذه الامير محمد العالم بسوس في جملة المراسلات الادبية بينهما

21) انظر بعض إجازات المسناوي لعلماء عصره عند سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 186/ب وما بعدها

أبى القلب أن يسلو ودمعي تحدَّرا فكفكفته أبغي بـذاكَ تَستُّرا[22]

## ب) تلاميذ الدلائيين في فاس

يصعب على المرء أن يحدد عدد التلاميذ الذين تخرجوا على يد الدلائيين في فاس، لا سيما وقد تعاقب عدد وافر من علماء هذه الأسرة على التدريس في العاصمة العلمية زهاء قرنين، وكاد يكون جميع العلماء الذين عاصروا الامام المسناوي الدلائي من تلاميذه. غير أنه ينبغي أن أشير إشارة خاطفة الى طائفة قليلة من الاعلام الذين كان للدلائيين فضل تكوينهم وتثقيفهم، وسأقتصر على ذكر بعض تلاميذ ثلاثة من العلماء الدلائيين الاولين محمد الشاذلي، ومحمد المرابط، ومحمد المسناوي.

أما محمد الشاذلي فمن أشهر الآخذين عنه في فاس المؤرخان الكبيران الأخوان القادريان عبد السلام والعربي. ويعتبر عبد السلام القادري (1698/1110)[23] من أشهر المؤلفين في تراجم العلماء والشرفاء والصالحين، ومن تآليفه العديدة كتاب ترجم فيه لوالد شيخه الشاذلي الدلائي وجده سماه **نزهة الفكر، في مناقب الشيخين سيدي مَحمد ووالده سيدي أبي بكر**. وكان العربي ابن الطيب القادري (1695/1106) نسابة ثقة كأخيه مشاركاً في كثير من العلوم الدينية كالحديث والفقه، ومن تآليفه **كتاب وفيات أولاد الشيخ عبد القادر الجيلاني** كما أخذ عن الشاذلي الدلائي أيضاً أبو العلاء ادريس المنجرة — الكبير — (1137/24—1725) امام القُراء في فاس وشيخ الجماعة بالمغرب صاحب الفهرس المسمى **عذب الموارد، في رفع الاسانيد**، ترجم فيه لشيوخه في المغرب والمشرق.

22) ارجع في ترجمة محمد المسناوي الى محمد القادري، نشر المثاني 3:265—278، ومحمد الكتاني، **سلوة الانفاس**، 3:44 وما بعدها. وسليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 182 وما بعدها، وإلى اليازغي، **حدائق الأزهار**، الابيات 136—148. وإلى إدريس الفضيلي، **الدرر البهية**، 2:342. وإلى
LEVI PROVENCAL, LES HISTORIENS DE CHORFA., pp. 301-302
BASSET, Rech. bibl., p. 34 n° 92
Codera, libros procedentes de Marruecos, p 372

23) الارقام المكتوبة بين قوسين في هذا الفصل ترمز الى سني الوفاة.

وممن تتلمذ لمحمد المرابط الدلائي في فاس محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (1134/21ــ1722) مؤلف **المنح البادية في الاسانيد العالية**، وفيه يقول عن المرابط «شيخنا الامام النحوي الخطيب أبو الرضى محمد بن الفقيه الصالح أبي الإحسان محمد بن الولي الشهير ابي بكر.. المرابط، سمعت منه أوائل الكتب الستة، وسيرة ابن سيد الناس، وأجازني فيما له وكتب لي ذلك بخطه...»(24).

وأبو العباس أحمد بن علي الوجّاري (1141/28ــ1729) الامام اللغوي الكبير الذي كادت تكون كل دراساته على الشيخ المرابط، ثم انتصب للتدريس في فاس مدة طويلة وتخرج على يده أكثر علماء البلد. ولم يؤلف الوجاري كتبا في حياته، وإنما ترك تقاييد كثيرة جمع ما يتعلق منها بالنحو في مجلد ضخم.

وأخذ عن الامام محمد المسناوي الدلائي في فاس خلق كثير، في مقدمتهم المؤرخ الشهير محمد الصغير الافراني المراكشي (1140/27ــ1728) صاحب الايادي البيضاء على التاريخ المغربي، ومؤلف أشهر الكتب وأوثقها في تاريخ الدولتين السعدية والعلوية، مثل **نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي**، و **صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر**، وفيهما يذكر شيخه المسناوي وينقل عنه. وأبو عبد الله محمد العلمي الحوات (1160/1747) قاضي شفشاون ومؤلف كتاب **تحفة المعاصر في بعض صالحي تلامذة ابي عبد الله محمد بن ناصر**، وهو والد ابي الربيع سليمان الحوات صاحب **البدور الضاوية في اخبار السادات أهل الزاوية الدلائية**. ويروي سليمان الحوات في هذا الكتاب كثيراً من أخبار الدلائيين عن والده رواية مشافهة مستمدة من الدلائيين انفسهم أو يقتبس من كتاب تحفة المعاصر. كما تتلمذ للمسناوي أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني (1146/33ــ1734) الاديب المنشىء المترسل البارع صاحب التآليف الكثيرة، ومنها **رسالة في التعريف بالشيخ المسناوي**. ومحمد بن الطيب العلمي (1134/ 1722) الاديب الكبير الذي فتن أهل فاس بشعره وألف كتاب

24) محمد بن عبد الرحمن الفاسي، **المنح البادية**، ص 6.

**الانيس المطرب فيمن لقيهم مؤلفه من أدباء المغرب**، وفيه يذكر شيخه المسناوي الذي كان ينافح عنه في مساجلات أدبية، ويرد على انتقادات بعض الادباء لقصائد العلمي(25). وأبو عبد الله محمد بن الحسن الكَنـوز (1148/35–1736) إمام اللغة والنحو في عصره، وأستاذ محمد بن الطيب القادري صاحب كتاب **نشر المثاني**. ويعتبر أبو عبد الله محمد بن الطيب الشرقي (1170/56ـ1757) من ألمع تلاميذ المسناوي، تربطه بالشيخ زيادة على العلم رابطة الدم. وقد برَّز الشرقي في علوم اللغة تبريزاً تاماً وأخذها عنه علماء المغرب والمشرق، وألَّف في اللغة كتباً عظيمة، مثل **المسفر عن خبايا المزهر** الذي شرح فيه كتاب السيوطي في علوم اللغة، و **الحاشية الكبرى على قاموس الفيروزبادي** في أربعة مجلدات ضخمة، ومنها استمد تلميذه الشيخ مرتضى في كتابه **تاج العروس بشرح القاموس**.

ومن أشهر المحدِّثين والفقهاء الذين تتلمذوا للامام المسناوي محمد بن عبد الرحمن ابن زكري (1144/31ـ1732) العالم الثري صاحب **شرح البخاري** و **القصيدة الهمزية** التي عارض بها همزية الامام البوصيري الشهيرة، **وشرحها في مجلدين** ومحمد بن عبد السلام بناني (1163/49ـ1750) العالم المتصوف الرحالة صاحب **شرح الاكتفا** للكلاعي في ستة مجلدات، و **شرح الزقاقية في الأحكام الفقهية**، **وشرح الحزب الكبير للشاذلي**. ومحمد بن قاسم جسوس (1182/68 ـ 1769) المحدِّث الكبير الذي طال عمره وكثر تلاميذه حتى عد شيخ الجماعة في فاس. ومن تآليفه **شرح مختصر خليل** في تسعة مجلدات. ومحمد بن حمدون بناني (1140/27 ـ 1728) فقيه فاس وعالمها الكبير الذي كان اليه المرجع في الفتيا وتحقيق الوثائق. وأبو العباس أحمد بن مبارك السجلماسي (1156/43 ـ 1744) الحافظ الكبير والفقيه الذي كاد يبلغ درجة الاجتهاد، وهو مؤلف كتاب **الذهب الابريز في مناقب سيدي عبد العزيز** ـ الدباغ ـ. وكذلك كان الامير محمد العالم بن السلطان اسماعيل من أخص تلاميذ الامام

25) محمد العلمي، **الانيس المطرب**، ص 302 ـ 305

المسناوي وأقرب الناس إليه، لازم دروسه مدة طويلة الى أن تخرج على يده عالما مشاركاً في اللغة وقواعدها، والفقه والاصول، وأديباً ماهراً يجيد الشعر والترسل. وظل الامير محمد العالم على اتصال دائم بأستاذه المسناوي حتى بعد نزوحه الى تارودانت(26). وقد مدح هذا الامير استاذه المسناوي بقصيدة بعث بها إليه من مراكش أيام قيامه بالثورة في هذه المدينة، فأجابه المسناوي عنها بقصيدة أخرى مطلعها

أنسيم الرياض بالأسحـــار   هاجك اليوم أم شجى الأوتار

### 3 ـــ الكتب التي ألفها الدلائيون

اهتم الدلائيون بالتأليف منذ بروزهم في الميدان العلمي. وأول مَن دوَّن منهم كتابا هو الشيخ مَحمد بن ابي بكر الدلائي الذي جمع أربعين حديثاً نبوياً على نحو ما فعل الامام النووي وغيره من المحدثين، وأضاف الى كل حديث قصة تناسب موضوعه من قصص الوعاظ والزهاد، وكتب فهرساً عرَّف فيه بشيوخه وما قرأ عليهم. ثم ألف أبناء الشيخ محمد بن ابي بكر الدلائي وأحفاده كتباً كثيرة في الحديث والسيرة النبوية، والفقه، والاصول، واللغة، والنحو، والصرف، والأدب، والأنساب وغير ذلك من المواضيع المختلفة. وقد وصلت الينا ـــ لحسن الحظ ـــ جل مؤلفات الدلائيين، ولم يَعْدُ الدهرُ إلا على أقلها. غير أن بعضها ما يزال مبعثرا، كالدواوين الشعرية التي توجد منها نتف هنا وهناك، وهي لو جمعت ودرست على الوجه اللائق لكوَّنت مادة أدبية طريفة ومشرفة للمغرب في نفس الوقت. وقد كانت كتب الدلائيين تُحدث دوياً عظيماً في الاوساط العلمية، يردد صداه المغرب كله، وحتى المشرق أحيانا، كما حدث عندما ألف محمد المرابط

26) كانت نهاية الامير محمد العالم محزنة، إذ ثار على والده السلطان اسماعيل واستولى على مراكش عندما كان نائباً عنه في إقليم سوس، ثم تغلب عليه أخوه زيدان وحمله مقيداً إلى والده بمكناس. وقبل أن يصل الى العاصمة بعث السلطان اسماعيل من قطع يد محمد ورجله من خلاف في وادي بهت ـــ بين الخميسات ومكناس ـــ وحُمل محمد العالم في حالة مزرية الى مكناس فلم يدخلها حتى مات عام 4/1116 ـــ 1705.

الدلائي كتاب **نتائج التحصيل في شرح التسهيل**، في أربعة مجلدات، فقد سارت بذكره الركبان، وطلبه علماء المشرق، وبيعت بعض نسخه في مصر بأثمان باهظة، وقرظه من علماء الأزهر الإمامان احمد شهاب وعبد القادر ابن الحلال الخلي.

وقد أثبت هنا ــ في جدول ــ ما وقفت عليه من أسماء مؤلفات الدلائيين، وبينت المكتبات العامة أو الخاصة التي توجد فيها، الا كتباً قليلة لم أعرف شيئاً عن المكان الذي توجد فيه وضعت أمامها علامة استفهام (؟) على أمل العثور عليها في الخزانة الملكية أو في غيرها من مكتبات الخاصة، وأردفت ذلك بجدول آخر ذكرت فيه الكتب التي ألفت في الدلائيين، دون أن أثبت فيه ما ألفه الدلائيون انفسهم في ذويهم، مكتفياً بإيراد ذلك في الجدول الأول.

## أ ــ جدول مؤلفات الدلائيين (*)

| اسم الكتاب | المؤلف | مكان الكتاب |
|---|---|---|
| | **الحديث والسيرة** | |
| 1 ــ **أربعون حديثاً**، يذكر بعد كل حديث قصة مناسبة له مما سمعه من شيوخه | محمد بن ابي بكر الدلائي | مخطوط خ.ع. 1295 ح ومخطوط خ.م. 8006 |
| 2 ــ **حاشية علي الكلاعي** | محمد بن عبد الرحمن الدلائي | نسبها له محمد الفاسي في درة التيجان (مخطوطة خ. ع. 1432 ك ) |
| 3 ــ **رسالة في كتب الحديث التي تجوز الرواية منها والتي لا تجوز** | محمد بن احمد المسناوي الدلائي | مخطوط خ.ع. 2259 د (الحادي عشر في المجموع.) |
| 4 ــ **زهر الحدائق، وخلاصة الحقائق، من تحفة سيرة سيد الخلائق، وما يستتبع ذلك من النكت والدقائق** | محمد بن عبدالرحمن الدلائي | مخطوط خ.ع. 306 ك |

(*) كان عدد هذه المؤلفات في الطبعة الاولى 48، أضفت إليها في هذه الطبعة 23 وقفت عليها بعد فأصبحت 71. كما أضفت معلومات بيبليوغرافية أطلعت عليها بعد الطبعة الاولى، ورتبتها على حروف الهجاء ــ الترتيب المشرقي ــ.

| اسم الكتاب | المؤلف | مكان الكتاب |
|---|---|---|
| 5 ــ **الزهر الندي، في الخلق المحمدي** | محمد بن عبدالرحمن الدلائي | مخطوط خ. ع. 157 د. |
| 6 ــ **شرح الشفا** للقاضي عياض | الشرقي بن أبي بكر الدلائي | ؟ |
| 7 ــ **شرح الشفا** (ثان) | أبو عَمَر بن محمد الدلائي | ؟ |
| 8 ــ **شرح الشفا** (ثالث) | محمد بن عبدالرحمن الدلائي | ؟ |
| 9 ــ **فخر الورى، بسيد الورى** | محمد بن عبدالرحمن الدلائي | ؟ |
| | **الفقه والأصول** | |
| 10 ــ **إثمد العين، في بعض مسائل ذات الولين.** | محمد البكري الدلائي | ذكره في ترجمته صاحب **نشر المثاني، 4:90.** |
| 11 ــ **إسقاط النصيف، عن وجه المعرفة والتعريف.** | محمد البكري الدلائي | ذكره في ترجمته صاحب **نشر المثاني، 4:90.** |
| 12 ــ **التقاط زهر الفضا، من رياض عين القضا** | محمد البكري الدلائي | ذكره في ترجمته صاحب **نشر المثاني، 4:90.** |
| 13 ــ **تأليف في الأصول** | الشرقي بن ابي بكر الدلائي | ؟ |
| 14 ــ **تقاييد في نوازل الاحكام** | محمد البكري الدلائي | ذكره في ترجمته صاحب **نشر المثاني، 4:90.** |
| 15 ــ **تقييد كاشف** عن أحكام الاستنابة في الوظائف | محمد المسناوي الدلائي | مخطوطا خ.ع. 579 ج و995د ومخطوط القرويين 1530 (الثالث في المجموع) ومخطوط خ.م. 755 (أول مجموع) نسخة جيدة. |
| 16 ــ **جمع حاشية عبد الواحد بن عاشر على شرح التتائي لمختصر خليل** | محمد بن عبد الله البكري الدلائي | مخطوط خ. م. 7643 (الجزء الثاني فقط في مجلد ضخم بخط دقيق). |
| 17 ــ **الرياض الزاهر في عيون مسائل التصيير** | محمد البكري الدلائي | ذكره في ترجمته صاحب **نشر المثاني، 4:90** |
| 18 ــ **شرح مختصر ابن الحاجب** | أحمد الحارثي الدلائي | ؟ |

| اسم الكتاب | المؤلف | مكان الكتاب |
| --- | --- | --- |
| 19 ــ **صرف الهمة الى تحقيق معنى الذمة** | محمد المسناوي الدلائي | مخطوط خ.ع. 579 ج. |
| 20 ــ **فتوى في حكم الجمع ليلة المطر بالمدارس التي إمامُها ساكن فيها.** | محمد المسناوي الدلائي | مخطوط خ.ع. 1854 د (الثامن في المجموع. ورقة 82/أ 83/أ). |
| 21 ــ **القول المنثور، ببيع الحبس في المسغبة ليس بمشهور.** | محمد البكري الدلائي | ذكره في ترجمته صاحب **نشر المثاني**، 4:90 |
| 22 ــ **المعارج المرتقات، الى معاني الورقات.** | محمد المرابط الدلائي | مخطوط خ.ع. 276 ك، ومخطوط خ.م. 4547. |
| 23 ــ **منظومة في مناسك الحج**، نحو 200 بيت | محمد بن عبدالرحمن الدلائي | نسبها له محمد الفاسي في شرح درة التيجان. (مخطوط خ.ع. 1432 ك.). |
| 24 ــ **نصرة القبض، والرد على من أنكر مشروعيته في صلاتي النفل والفرض.** | محمد المسناوي الدلائي | طبع في تطوان. |
| 25 ــ **نوازل المسناوي** | محمد مسناوي | طبع على الحجر بفاس عام 1345 في 298 صفحة. |
| 26 ــ **واضح الدليل، في اشتراط التبريز في التجريح والتعديل.** | محمد البكري الدلائي | ذكره في ترجمته صاحب **نشر المثاني**، 4:90. |
| | **اللغة وقواعدها** | |
| 27 ــ تعليق على القاموس المحيط. | محمد المسناوي الدلائي | نسبه له الشيخ مرتضى الزبيدي في **تاج العروس** (الطبعة الاولى بمصر 1306. ص 3). |
| 28 ــ **حاشية على المطول** في البلاغة للتفتازاني. | الشرقي بن ابي بكر الدلائي | ؟ |
| 29 ــ **شرح ألفية ابن مالك** في مجلدين. | محمد المرابط الدلائي | ؟ |
| 30 ــ شرح **رائية اليوسي** في رثاء الزاوية الدلائية | محمد والبكري الدلائيان | مخطوط خ.ع. 248 ك |

| اسم الكتاب | المؤلف | مكان الكتاب |
|---|---|---|
| **31 ــ فتح اللطيف على البسط والتعريف، في علم التصريف.** | محمد المرابط الدلائي | طبع على الحجر بفاس عام 1316. |
| **32 ــ نتائج التحصيل، في شرح التسهيل في 4 مجلدات (*).** | محمد المرابط الدلائي | يوجد الجزء الثالث منه في خ.ع. 19 أوقاف، وجزء آخر بالمكتبة الاحمدية بتونس 4019. (من باب نعم وبئس الى باب أسماء الافعال والاصوات) وجزء بمكتبة حسن حسني عبد الوهاب المنقولة الى المكتبة الوطنية بتونس عدد 369. به 240 ورقة. |
| | **الادب** | |
| **33 ــ البركة البكرية في الخطب الوعظية** | محمد المرابط الدلائي | توجد أوائلها في مخطوط بمكتبة ابن غازي بمكناس |
| 34 ــ تاليف في الادب | محمد البكري الدلائي. | ؟ |
| 35 ــ تاليف في الخطب | محمد بن عبد الرحمن الدلائي | ؟ |
| **36 ــ تحريك الساكن، وهييج الشوق الكامن، الى زيارة طيبة ومن بها ساكن** رحلة حجازية منظومة. | محمد بن عبد الرحمن الدلائي | ؟ |
| 37 ــ **دالية** في مدح صالح الرباط سيدي لحسن بن سعيد. | محمد بن العربي الدلائي | أردها كاملة صاحب الاغتباط (المطبوع سنة 1986 بالرباط ص 69 ــ 70. |

(*) ذكر المؤرخ بوجندار في مقدمة الفتح (ص 150) ان شرح التسهيل هذا كان موجودا في مكتبة الجامع الاعظم بالرباط ــ وهي تابعة للخزانة العامة ــ كما أخبرني الاستاذ الحسن البونعماني أنه وقف على هذا الشرح بخط الامام ابي العباس الصوابي في رباط ماسة بسوس.

| اسم الكتاب | المؤلف | مكان الكتاب |
|---|---|---|
| **38 ــ الدرة الدرية، في محاسن الشعر وغرائب العربية.** | محمد المرابط الدلائي | ؟ |
| **39 ــ ديوان شعر** | محمد المرابط الدلائي | مخطوط مكتبة خاصة بطنجة |
| **40 ــ زهرة الوسائل، في المدح والرسائل** | محمد المرابط الدلائي | مخطوط خ.ع. 3179 ك. |
| **41 ــ فتح الانوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار**، كتاب في الموسيقى والامداح النبوية. | محمد بن العربي الدلائي | مخطوطا خ.ع. 74 ك و 2678 ك |
| **42 ــ قصيدة في التوسل بالمولى ادريس، 43 بيتا، مطلعها** إليك يا شمس الغرب قد جئت لائذا | محمد المسناوي الدلائي | مخطوط خزانة تطوان. 536 (ص 319 ــ 321) |
| **43 ــ قصيدة في الغزل**، رائية في 30 بيتا | محمد المسناوي الدلائي | مخطوط خزانة تطوان. 536 (ص 315 ــ 316) |
| **44 ــ قصيدتان**<br>1. أزهر نجوم قد تدلت لجانب<br>2. أنسيم الرياض بالاسحار | محمد المسناوي الدلائي | مخطوط خزانة تطوان. 656 |
| **45 ــ كراسة من ديوان.** | أحمد الحارثي الدلائي | مخطوط خ. ع. 3312 ك. |
| **46 ــ المقامة الفكرية في محاسن الزاوية البكرية** (الدلائية) | محمد المسناوي الدلائي | مخطوط خ.م. 3907ز أوائل مجموع. |
| | **الانســـاب** | |
| **47 ــ بغية الرائي، في التعريف بالشيخ أبي عبد الله محمد المكي الدلائي.** | محمد بن مُحمد المكي الدلائي | مخطوط خ.ع. 2996 ك. |
| **48 ــ تحفة القاصد الناوي، في التعريف بالشيخ عبد السلام** المسناوي | بعض أقارب عبد السلام المسناوي الدلائي. | مخطوط مكتبة ابن غازي بمكناس |
| **49 ــ التعريف بالاشراف الادارسة الجوطيين** | محمد المسناوي الدلائي | مخطوطا خ.ع. 537 د. و 1632 د. ومخطوط خ.م. 5716 |

| اسم الكتاب | المؤلف | مكان الكتاب |
|---|---|---|
| 50 ــ **التعريف بالشيخ أبي العباس اليمني** | محمد المسناوي الدلائي | مخطوطات خ.ع. 471 د و 1419 د و 1914 د. |
| 51 ــ **تقييد في الاشراف الذين لهم شهرة بفاس.** | محمد المسناوي الدلائي | مخطوط خ.ع. 487 د. |
| 52 ــ **تقييد في مناقب الشيخ عبد الله الخياط.** | محمد المسناوي الدلائي | نسبه له صاحب **جواهر السماط** (*) |
| 53 ــ **تقييد مشتمل على فروع بني عمران** | محمد المسناوي الدلائي | مخطوط خ.ع. 1632 ك |
| 54 ــ **جهد المقل القاصر، في نصرة الشيخ عبد القادر.** (**) | محمد المسناوي الدلائي | مخطوط خ.ع. 579 ج، ومخطوط القرويين 1530 |
| 55 ــ **درة التيجان**، ولقطة اللؤلؤ والمرجان (***) | محمد بن عبد الرحمن الدلائي | مخطوطات خ.ع. 598 د و522 د و 1180 ك و1234 ك ومخطوطا خ.م. 838 و 5214 والاولى جيدة مشكولة. |

(*) **جواهر السماط** في مناقب عبد الله الخياط لاحد تلاميذ الشيخ المسناوي الدلائي (دليل مؤرخ المغرب الاقصى ص 240 طبعة تطوان) نص مؤلفه في الورقة 17 ب من مخطوطة الخزانة الاحمدية بفاس انه وقف على تقييد شيخه المسناوي المذكور ونقل عنه.

(**) توجد نسخة بالمكتبة الاحمدية بتونس، نسبها المفهرس ــ خطأ ــ الى محمد بن أحمد المسناوي الايوردي المتوفي عام 507 /1113 زاعما نقل ذلك عن بروكلمان (الذيل 1 447) مع أن هذا الاخير تحدث عن كتاب آخر هو جهد المقل، وجهل المستطل لمحمد بن أحمد الايوردي !

(***) **درة التيجان**. رجز في نحو 500 بيت ذكر في محمد بن عبد الرحمن الدلائي شرفاء المغرب وقد شرحه محمد بن احمد الفاسي شرحا مفيدا في مجلد وسط. ورد نقيب الشرفاء الادارسة الجوطيين عبد الرحمن بن عبد القادر الجوطي على ابن عبد الرحمن الدلائي وشيخه عبد السلام القادري صاحب كتاب **الدر السني**، لانهما رفعا نسب الاسرة الغالبية الى جوطة، وذلك في ارجوزة من 105 بيت مطلعها

سلام داخل حمي النبيّ ... عليك يا محمد البكري

وانتصر للدلائي مؤرخان كبيران هما محمد بن الطيب القادري الذي نظم ارجوزة تشتمل على 663 بيتا سماها **الصوارم الفتكية**، ونظم ابو القاسم الزياني ارجوزة اخرى من 99 بيتا مطلعها

حمداً لمن انزل في الذكر الحكيم ... أكرمُكم اتقاكم لله العظيم

| اسم الكتاب | المؤلف | مكان الكتاب |
|---|---|---|
| 56 ــ **نتيجة التحقيق، في بعض أهل الشرف الوثيق.** | محمد المسناوي الدلائي | طبع بمطبعة الدولة التونسية عام 1296، وعلى الحجر بفاس عام 1309. |
| 57 ــ **النور اللامع البراق، في ترجمة الشيخ محمد الحراق** | محمد بن العربي الدلائي | مخطوط خ.ع. 960 د، ومخطوط خزانة تطوان 84. |

## موضوعات متنوعة

| اسم الكتاب | المؤلف | مكان الكتاب |
|---|---|---|
| 58 ــ **إجازة** | محمد المسناوي الدلائي | مخطوط خزانة تطوان 536. (ص. 263ــ268) لم يذكر اسم المجاز وانما ذكر شيوخ المجيز. |
| 59 ــ **تقايد جيدة في فنون مختلفة** | محمد المسناوي الدلائي | نقل عنها صاحب **سلوة الانفاس** |
| 60 ــ **جواب على ما يقع زمن المسغبة من كثرة السؤال.** | محمد المسناوي الدلائي | مخطوطة خ.ع. 1081 د. |
| 61 ــ **رسالة** إلى أهل مكناس يتوعدهم | محمد الحاج الدلائي | مخطوط خ.م. 3903 ز (أواخر مجموع) |
| 62 ــ **رسالة** الى السلطان محمد بن الشريف العلوي. | محمد بن ابي بكر الدلائي | مخطوط القرويين 1369. |
| 63 ــ **رسالتان الى المجاهدين المحاصرين لسبتة عام 1132.** | محمد بن عبد الرحمن الدلائي ومحمد المسناوي الدلائي. | مخطوط خ.م. 6926. |
| 64 ــ **السيف الصقيل الصارم، في حكم الدعاء على الظالم.** | محمد المسناوي الدلائي | مخطوط خ.م. 7248. ونقله كاملا صاحب **البدور الضاوية** (261 د) (ورقة 391أ. ــ 401أ) |
| 65 ــ **شرح نظم المراصد**، للعربي **الفاسي** | محمد المسناوي الدلائي | ؟ |

| اسم الكتاب | المؤلف | مكان الكتاب |
|---|---|---|
| **66 ــ فهرس** | محمد بن أبي بكر الدلائي | يوجد طرف منها بمكتبة محمد ابراهيم الكتاني بالرباط |
| **67 ــ فوائد في التصوف** | محمد المسناوي الدلائي | مخطوط خ.ع. 984 ك (في مجموع، من ص 129ــ141) |
| **68 ــ كناشة علمية** | محمد المسناوي الدلائي | الخزانة الفاسية |
| **69 ــ كواعب الحسان، في جوارح الانسان.** منظومة في 500 بيت. | محمد بن عبد الرحمن الدلائي | نسبها له محمد الفاسي في شرح درة التيجان (مخطوط خ.ع. 1432 ك. ص 1ــ2) |
| **70 ــ مجموع رسائل وقصائد من الدلائيين وإليهم.** | دلائيون وغيرهم | مخطوط خ.م. 199. ومخطوط خ.ع. 3312 ك. |
| **71 ــ منتهى سؤلي وأشواقي، في مسامرة الشريف العراقي** | محمد البكري الدلائي | ذكره في ترجمته صاحب نشر المثاني، 4 90. |

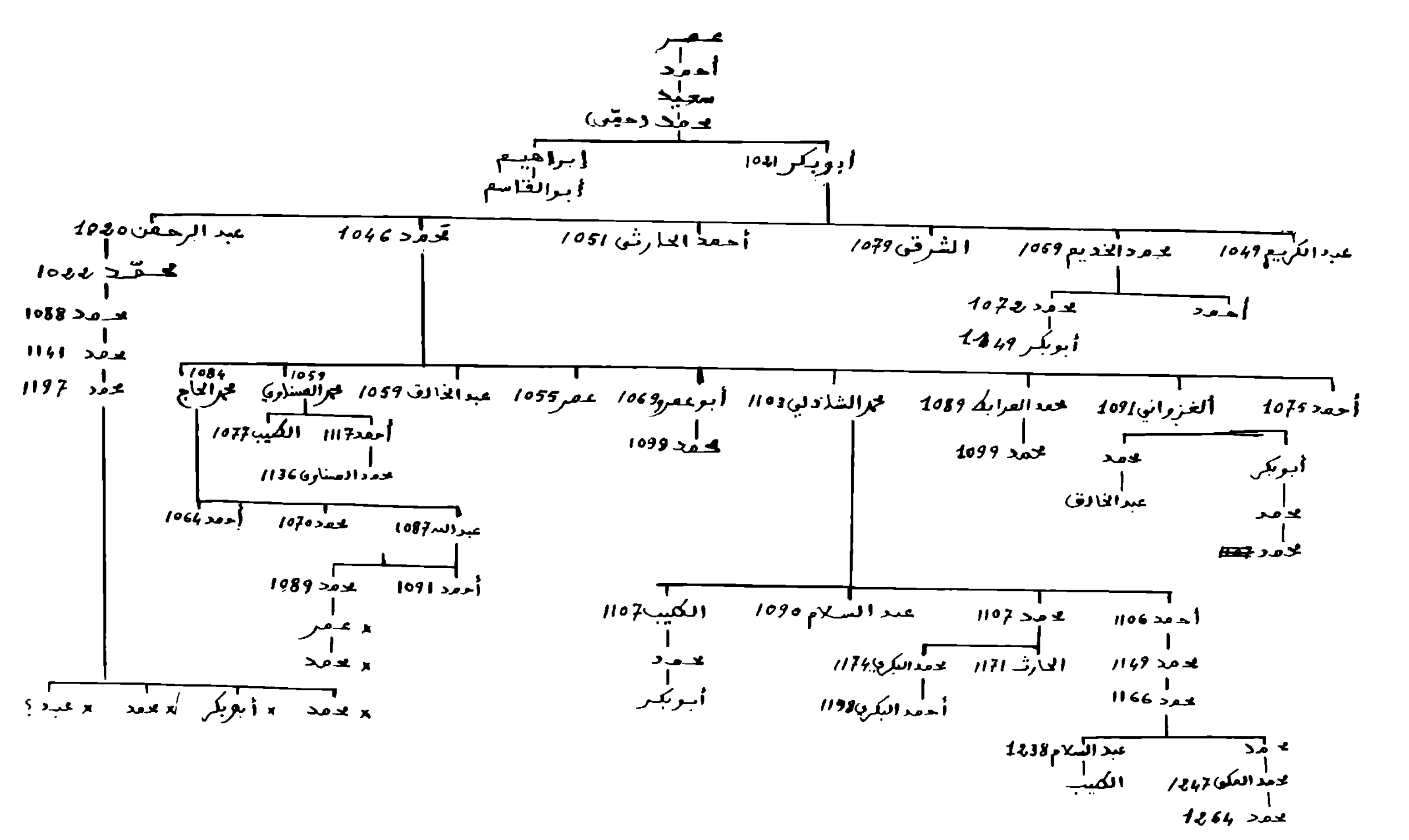
## ب ــ جدول الكتب التي ألفت في الدلائيين (*)

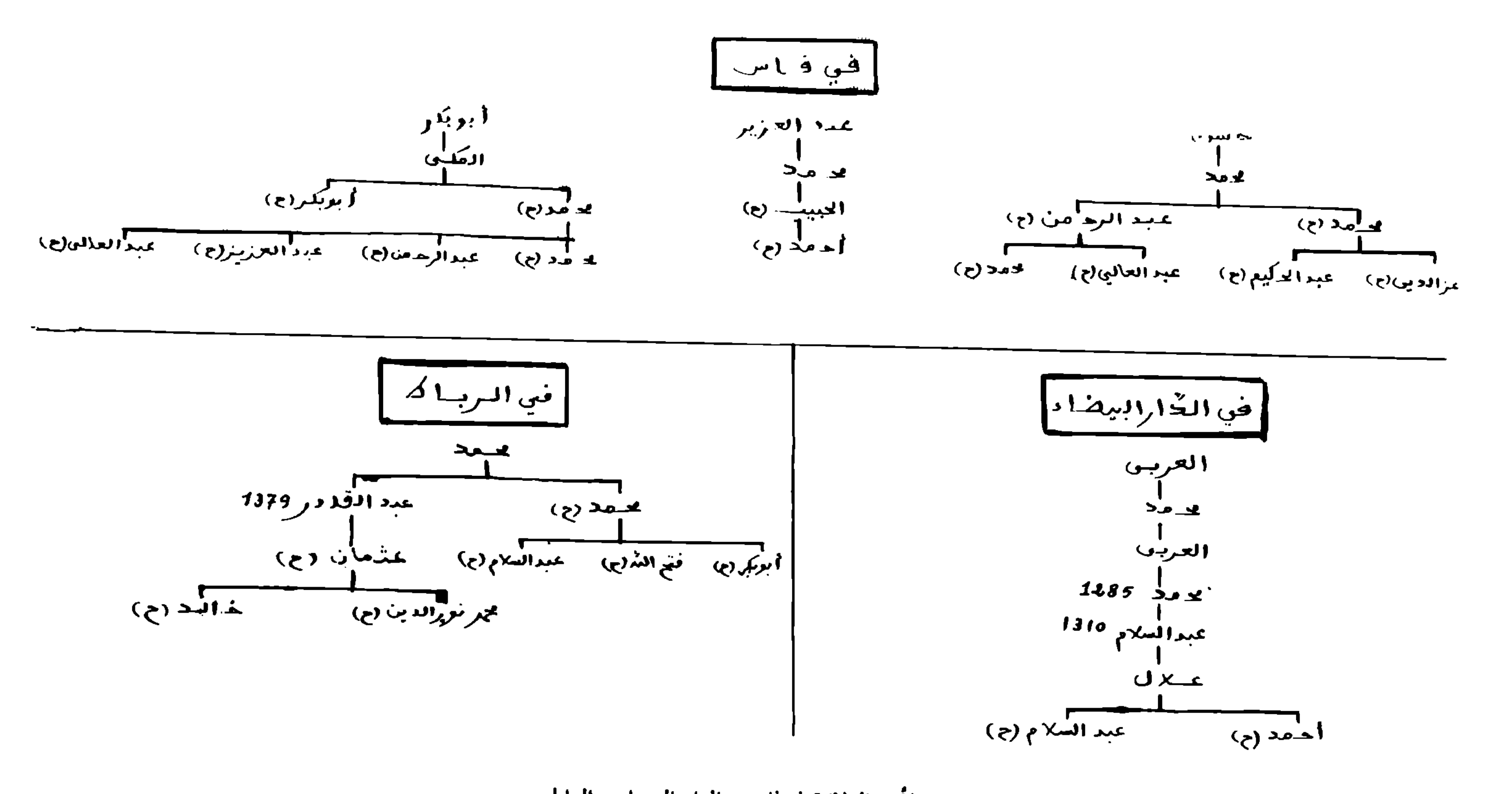
| اسم الكتاب | المؤلف | مكان الكتاب |
|---|---|---|
| **1 ــ اختصار البدور الضاوية في التعريف بالسادات اهل الزاوية الدلائية.** | احمد بن الطيب البوعزاوي | ؟ |
| **2 ــ اختصار** ثان للبدور الضاوية | عباس بن محمد بن عبد الرحمن السجلماسي العلوي | مخطوط خ.ع. 3730 د. بخط المؤلف انتهى منه عام 1297 (ص 1 ــ 116) |

(*) كان عددها في الطبعة الاولى 14، فأضفت اليها 9 وقفت عليها بعد، ورتبتها كذلك على حروف الهجاء.

| اسم الكتاب | المؤلف | مكان الكتاب |
| --- | --- | --- |
| 3 ــ **اختصار** ثالث للبدور الضاوية | محمد ابراهيم الكتاني | خزانة المؤلف |
| 4 ــ **اختصار** رابع للبدور الضاوية | محمد العابد الفاسي | الخزانة الفاسية |
| 5 ــ **البدور الضاوية في التعريف بالسادات اهل الزاوية الدلائية.** | سليمان الحوات | مخطوطات خ.ع. 261د و1454 د، و294 ك. |
| 6 ــ **بغية الراوي، في مناقب المسناوي** | مجهول المؤلف | مخطوط خ.ع. 2996 ك |
| 7 ــ **تاليف في أسانيد الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي** | الحافظ أحمد الفاسي | ؟ |
| 8 ــ **تأليف في ترجمة محمد المسناوي الدلائي.** | محمد حمزة العياشي | في سجل الخزانة الحمزاوية |
| 9 ــ **تأليف** ثان في ترجمة المسناوي الدلائي | احمد بن عبد الوهاب الوزير الغسالي | نقله كاملا صاحب **البدور الضاوية** (261 د) ورقة 184 وما بعدها. |
| 10 ــ **تأليف** ثالث في ترجمة المسناوي الدلائي | الحسن بن رحال المعداني | ذكره صاحب **دليل مؤرخ المغرب الاقصى** عدد 725 |
| 11 ــ **ترجمة الأمير عبد الله الدلائي** | مجهول | ميكروفيلم خ.ع. رقم 36 في مجموع |
| 12 ــ **حدائق الأزهار الندية، في التعريف بأهل الزاوية الدلائية البكرية.** | محمد بن أبي بكر اليازغي | مخطوط خ.ع. 261 د. |
| 13 ــ **ديوان الدغوغي. فيه قصائد** ومقطعات في مدح الدلائيين. | أحمد الدغوغي شاعر الدلائيين | ميكروفيلم خ.ع. رقم 955 |
| 14 ــ **ديوان يشتمل على قصائد في مدح الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي** | مجهول | مخطوط خ.ع. 3312 ك |
| 15 ــ **رجز في سند الدلائيين ــ 35** بيتا ــ أوله<br>الحمد لله الذي أسند له<br>كل ولي بالنبي أو صله. | مجهول | مخطوط خ.ع. 199. |

| اسم الكتاب | المؤلف | مكان الكتاب |
|---|---|---|
| 16 ـ **رسالة الى الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي** في شأن تافيلالت وحكم بودميعة | عبد الرحمن التمنارتي | أوردها كاملة في **الفوائد الجمة** ص 222 + مخطوط خاص |
| 17 ـ **شرح درة التيجان** | محمد بن أحمد الفاسي | مخطوط خ.ع. 1432 ك. |
| 18 ـ **شرح رائية اليوسي** في رثاء الزاوية الدلائية 6 مجلدات ضخام | محمد بن المهدي ابن سودة | مخطوطة خزانة ابناء المؤلف بفاس. ووقفت على الجزء الاول منه عند الأستاذ عبد السلام ابن سودة مشتملا على مقدمة طويلة في التعريف باليوسي وشيوخ الدلاء، مع شرح البيتين الاولين فقط. |
| 19 ـ **القصيدة الرائية** في رثاء الزاوية الدلائية | الحسن اليوسي | مخطوط خ.ع. 163 د. |
| 20 ـ **مجموع أدبي**، رسائل وقصائد، بعضها في مدح الدلائيين | احد تلاميذ محمد المرابط الدلائي | مخطوط خ.م. 199. |
| 21 ـ **المقامة الزهرية في مدح المكارم البكرية.** | محمد المكلاتي الفاسي | أثبتها كاملة عبد الله كنون في **النبوغ المغربي**، 2 188 ـ 200 (الطبعة الثانية 1961) |
| 22 ـ **نزهة الاخيار المرضيين، في مناقب العلماء الدلائيين البكريين.** انتهى من تأليفه عام 1230 | عبد الودود بن عمر التازي | مخطوط خ.ع. 1264 ك وmخطوط خ.م. 3772 وهي نسخة جيدة حديثة |
| 23 ـ **نزهة الفكر، في مناقب الشيخين سيدي محمد ووالده سيدي أبي بكر.** | عبد السلام بن الطيب القادري | الخزانة الفاسية. |


عمر
أحمد
سعيد
محمد
أبوبكر 1041
إبراهيم
أبو القاسم
عبد الرحمن 1020
محمد 1046
أحمد الحارثي 1051
الشرقي 1079
محمد الخديم 1069
عبد الكريم 1049
محمد 1088
محمد 1141
محمد 1197
محمد 1072
أحمد
أبوبكر 1149
محمد الحاج 1084
محمد الصناوي 1059
عبد الخالق 1059
عمر 1055
أبوعمرو 1069
محمد الشاذلي 1103
1089
الغزواني 1091
أحمد 1075
الكبيب 1077
أحمد 1117
محمد الصناوي 1136
محمد 1099
محمد 1099
محمد
عبد الخالق
أبوبكر
محمد
محمد
أحمد 1064
محمد 1070
عبد الله 1087
محمد 1089
أحمد 1091
عمر
محمد
الكبيب 1107
عبد السلام 1090
محمد 1107
أحمد 1106
محمد
أبوبكر
محمد البكري 1174
الحارث 1171
محمد 1149
محمد 1166
أحمد البكري 1198
عبد السلام 1238
الكبيب
محمد
محمد الملكي 1247
محمد 1264
عبد ؟
محمد
أبوبكر
محمد



بقايا الأسرة الدلائية في فاس، والدار البيضاء، والرباط
لم أقف على وثائق توصلهم بسلسلة الدلائيين القدماء. وقد وضعت (ح) بإزاء أسماء الأحياء منهم

## 4) بقايا البيت الدلائي

### أ) مساكن قبيلة مجاط اليوم

عرفنا في الباب الأول أن أصل الدلائيين من مجاط، وهي قبيلة بربرية من صنهاجة[27] كانت تسكن في القديم أقاصي الصحراء المغربية حيث لا يزال بعضهم هنالك حتى اليوم يكتبون بالحروف البربرية القديمة. واستوطن المجاطيون الذين طلعوا الى المغرب قديما ملوية العليا ثم انتشروا في جبال الاطلس، وعمرت طائفة منهم ــ مع أربع قبائل أخرى ــ مدينة محمد الحاج الدلائي في أواسط القرن الهجري الحادي عشر. وبعد انتهاء الامارة الدلائية وفشل الثورات البربرية تفرق المجاطيون في البلاد. وتوجد اليوم في المغرب ثلاث قبائل يطلق على كل منها اسم مجاط :[28]

أولا ــ مجاط ناحية مكناس، ويقيمون على بعد نحو 10 كلم من هذه المدينة في طريق الحاجب. ومن أشهر عشائرهم بنو محمد، وبنو يحيى، وشرفاء بوفكران.

ثانيا   مجاط ناحية مراكش. وتشتمل على فرقتين   مجاط التحتية، وتقع مساكنهم على بعد نحو 30 كلم من مراكش في طريق الصويرة. وتكتنف محاطا التحتية قبائل الودايا شمالا وشرقا، وقبيلة أحمر غربا، وأيت يمور جنوبا. وأما مجاط الفوقية فيسكنون في نجود الدير على ضفاف (أسيف المال) جنوبي مساكن إخوانهم التحتيين، ويبعدون عن مراكش بنحو 70 كلم في طريق أمزميز. وتجاور محاط الفوقية قبائل مزوضة وكَدميوة وهي تابعة من الناحية الادارية للدائرة إيمينتانوت.

---

27) يقال إن كلمة (سنيكال) هي تحريف لصنهاجة. فهل هذا يعني أن السينكاليين هم مغاربة صنهاجيون اسودت بشرتهم بتأثير الطقس الحار الذي يعيشون فيه وبامتزاجهم مع جيرانهم السودانيين ؟

28) عرض عبد الوهاب بن منصور في هامش كتاب **العز والصولة**، (1   154) لقبائل مجاط فذكر أن هناك اليوم بالمغرب أربع قبائل مجاطية، جاعلا واحدة منها بحوز مراكش وأخرى بحوز شوشاوة، كما عد زاوية سيدي أحمد بن موسى من جملة عشائر المجاطيين القاطنين بحوز شوشاوة !!

ثالثا ــ مجاط سوس. وهي أهم هذه القبائل الثلاث، تسكن غير بعيدة عن تازروالت حيث زاوية الشيخ الشهير أحمد بن موسى السملالي. وتكتنفها شمالا قبيلة إدا وسملال وجنوبا إفران (الأطلس الصغير) وشرقا أيت عبد الله، وغربا أيت رخا. وتتبع اداريا دائرة بويز كارن. وينفق المجاطيون السوسيون على زاوية الشيخ أحمد بن موسى التي يعتبرونها مدرستهم الخاصة، فيصرفون من زكواتهم على من بها من الطلبة والمحتاجين حتى اليوم لذلك يحيط السوسيون جميعهم قبيلة مجاط بكثير من التقدير والاجلال، ويعتقدون أن حقول المجاطيين لا تمحل حتى في السنين المجدبة.

## ب) أحفاد الدلائيين في فاس والدار البيضاء والرباط

كانت أسرة الدلائيين كبيرة في فاس، وتشعبت فروعها خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18ــ19م) حتى غدت كالدوحة العظيمة، ثم بدأ عدد أفراد هذه الاسرة يقل الى أن لم يبق منهم في مستهل قرننا الحاضر بفاس إلا بضعة رجال «أهل مروءة ودين غير انهم لا علم عندهم وانما يحترفون بحرفة معاشية من تسفير كتب ونحو ذلك..»[29]

واليوم تعيش في فاس خمس أسر دلائية ليس لها من اتصال بالدلائيين القدماء الا (حيازة) الانتساب اليهم بالتواتر على الالسنة، حتى إن بعض الناس لما رغب في امتلاك مقبرة الدلائيين الشهيرة بالكغادين في زنقة باب الحمراء قرب وادي الزيتون داخل باب الفتوح بفاس[30] استغل ضعف هؤلاءالدلائيين المادي والمعنوي فاشتراها منهم ــ عن طريق الاحتيال والاكراه حسب زعمهم ــ وأشهد عليهم البيع الواحد تلو الآخر. ومهما يكن من أمر فان تملك مقبرة للمسلمين خصوصا مقبرة تضم أجداث علماء أعلام، وتحويلها الى موقف للسيارات ثم الى ما لا نعلم، منكر يجب تغييره، وبهتان لا ينبغي السكوت عنه.

---

29) ادريس الفضيلي، **الدرر البهية**، 2 345

30) سبق للاستاذ عبد السلام بنسودة أن استنكر ذلك في أحد الاعداد الاولى لجريدة «الرأي العام» التي كانت تصدر بالدار البيضاء. ولمعرفة أسماء بعض العلماء الدلائيين الذين دفنوا في مقبرة الكغادين وتراجمهم يمكن الرجوع الى **سلوة الانفاس**، ج 2، من صحيفة 89 الى صحيفة 100

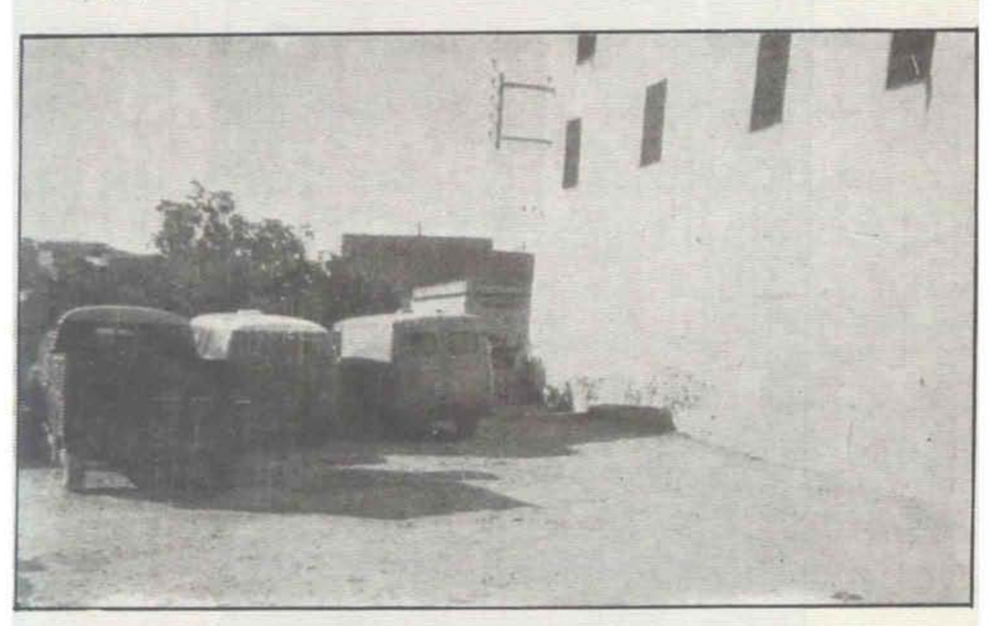
اللوحة رقم 21



محمد بن محمد بن حسن الدلائي تاجر في فاس

من تصوير المؤلف

اللوحة رقم 22



مقبرة العلماء الدلائيين الشهيرة بزنقة باب الحمراء في فاس

من تصوير المؤلف

وكان بعض الدلائيين قد انتقل في أواسط القرن الماضي الى السكنى برباط الفتح. ونشأ منهم في هذه المدينة أديب صوفي هو محمد بن العربي الدلائي. كان يلازم دروس الشيخ أحمد دنية ويحضر مجالسه الحديثة والفقهية، ويشتغل في نفس الوقت بالتجارة في سوق العطارين. وقد مدح محمد بن العربي الدلائي شيخه دنية حينما ختم **صحيح البخاري** بقصيدة مطلعها

بدا في سماء المجد والسعد طالع وأسفر عن وجه السعادة ساطع

ثم مدحه لما ختم **مختصر الشيخ خليل** بقصيدة أخرى مطلعها

خليلي حدثني حديث أحبتي فذكرهمُ أنس لأهل المحبة(31)

وصحب محمد بن العربي الدلائي بعد ذلك الشيخين الصوفيين الشهيرين العربي الدرقاوي ومحمد الحراق، وسلك على يدهما طريق القوم إلى أن بلغ درجة المشيخة. وأسس في الرباط الطريقة الحراقية، وعنه أخذها كثير من الناس، منهم العالم أحمد بن عاشر الحداد الذي شيد أركان هذه الطريقة في الرباط من بعده. ولمحمد بن العربي الدلائي أزجال كثيرة في طريقة شيخه محمد الحراق، وأناشيد صوفية حسنة، وشعر كثير أغلبه في مدح الرسول عليه السلام.

وقد ألف محمد بن العربي الدلائي كتابين، أحدهما في مدح الرسول الكريم بطريقة السماع أو الألحان الموسيقية، سماه **فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار**، ذكر فيه أن أركان (السماع) ثلاثة لابد لكل منشد من معرفتها، وهي الشعر المتغنى به، والطبع المترنم بلحنه، والوزن المفروغ ذلك الترنم في قالبه. ثم أتى بعد ذلك بالبحور الشعرية وتفاعيلها مختصرة، والطبوع الموسيقية مجملة ثم مفصلة.

والكتاب الثاني الذي ألفه محمد بن العربي الدلائي في **ترجمة الشيخ محمد الحراق**، ذكر فيه نسب الشيخ ومشاركته في العلوم ولا سيما علم الباطن، وعرض

---

31) انظر نص القصيدتين وترجمة ابن العربي الدلائي عند محمد دنية، **النسمات الندية** ص 86—90 وانظر كذلك، محمد المكناسي، **أهم مصادر التاريخ المغربي** ص 139+140؛ ومحمد بوجندار، **الاغتباط بتراجم اعلام الرباط** ا : 207—212.

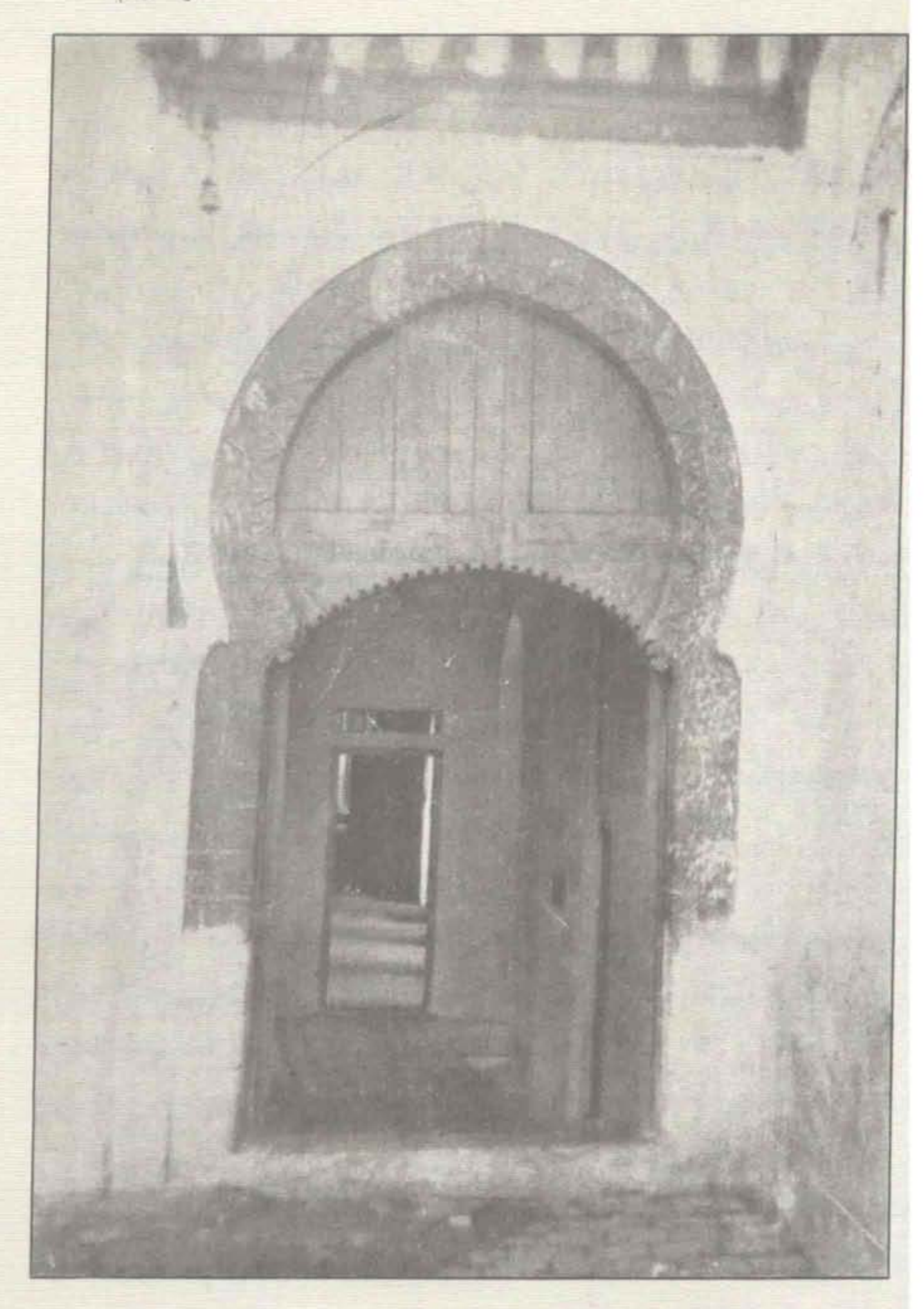
لرسائله إلى إخوانه ومريديه، وخصص في الاخير بابا لقصائد الحراق وتوشيحاته ومقطعاته مرتبة على البحور، مبتدئا بالطويل

أتطلب ليلى وهي فيك تجلت وتحسبها غيرا وغيرك ليست...

ثم انتقل الشيخ محمد بن العربي الدلائي الى مدينة الدار البيضاء حيث أسس زاويته المشهورة في البقعة التي كانت وهبت للشيخ الحراق، غير بعيدة عن المسجد العتيق بطريق دار المخزن في المدينة القديمة، وأخذ يلقن فيها الأوراد ويعمر حلق الذكر بالسماع على الطريقة الحراقية. وكانت الدار البيضاء في ذلك الوقت (أواخر القرن 13هـ /19م) خالية قفرة ليس فيها إلا المسجد العتيق المجاور لدار المخزن إذا أقيمت فيه صلاة الجمعة لا يجتمع الحد الادنى الذي لا تصح هذه الصلاة الا بـه وهو اثنا عشر رجلا. وتزوج الشيخ محمد بن العربي الدلائي في الدار البيضاء، وظل يحن إلى مسقط رأسه الرباط، ويتردد عليه من حين لآخر الى أن توفي في 15 شوال 1285 /1869 ودفن بركن الصحن الاول عن يمين المستقبل داخل زاويته في الدار البيضاء. وخلفه ابنه الصالح عبد السلام الدلائي، وكان مثله عالما ورعا يتجنب الظهور ويميل الى الانعزال عن الناس. سلك سبيل والده في التصوف والانقطاع الى العبادة والذكر وتربية المريدين الى أن توفي عام 1310 /92ـ1893 ودفن بجوار والده في زاويتهم. وما يزال حتى اليوم بعض أقرباء محمد بن العربي الدلائي يعيشون في الدار البيضاء والرباط، وليس بأيديهم من الوثائق ما يوصل عمود نسبهم بالدلائيين القدماء.

هكذا تفرقت قبيلة مجاط العظيمة أيدي سبأ، وقل أفراد البيت الدلائي المجيد بعد كثرة، وافتقروا بعد غنى، وارتحل عنهم العلم بعد طول إقامة، ولله عاقبة الامور.

اللوحة رقم 23



باب زاوية محمد بن العربي الدلائي في الدار البيضاء ــ الزاوية الحراقية

# الخاتمة

لقد تعاقبت على الزاوية الدلائية أطوار الحياة الطبيعية، من نشوء وترعرع وارتقاء، ثم تقهقر وفناء، في أمد قريب لم يجاوز قرنا واحدا، وهو عمر قصير بالنسبة للمؤسسات الدينية والعلمية التي يفرض فيها أن تخلد خلود الدين والعلم، لاسيما وقد تم تأسيس الزاوية الدلائية في موقع جبلي هام بعيد عن العاصمتين فاس ومراكش، على يد شيخ أصيل في هذه البيئة، لديه كل المؤهلات التي تضمن التفاف الناس حوله، فلم يختلف اثنان في صلاح الشيخ أبي بكر الدلائي، ولم يعرف عنه قومه المجاطيون وجيرانهم الزيانيون والتادليون إلا النسك والعبادة منذ حداثة سنه، والزهد في الدنيا والاعراض عن زخرفها الزائل على ما آتاه الله من بسطة في الرزق. ولم يمت هذا الشيخ حتى كانت الزاوية الدلائية قد سارت بذكرها الركبان، واشتهر أمرها في المغرب كله، وقصدها الناس من جميع الجهات، ومن بينهم علماء كبار استطابوا المقام فيها شهورا وأعواما، وازدهرت بهم المجالس العلمية ازدهار حلقات الأذكار بالمريدين. وخَلَفَ مَحمدُ بن أبي بكر أباه على رأس الزاوية الدلائية، وكان عالما كبيرا له خمسة من الأخوة العلماء، تصدروا للتدريس جميعا فنفقت سوق العلم في الدلاء، وتكاثر فيها الطلبة الذين أووا الى مدارس كبيرة بلغت حجراتها ألفا وأربعمائة، واتسعت المكتبة العلمية الدلائية التي كانت تستنسخ لها الكتب النادرة في المشرق والمغرب إلى أن بلغ عدد الكتب فيها عشرة آلاف مجلد. ويكفي الزاوية الدلائية فخرا ان يُعَدَّ من تلاميذها الحسن اليوسي صاحب **المحاضرات** و **القانون**، وأحمد المقري صاحب **نفح الطيب**، ومحمد العربي الفاسي مؤلف **مرآة المحاسن**، وأضرابهم من فطاحل العلماء، وأن تُنجب من أبنائها عشرات الأعلام في مختلف ميادين المعرفة، مثل محمد بن أبي بكر الدلائي شيخ الحفاظ بالمغرب، وابنه محمد المرابط إمام اللغة والنحو في عصره، وأحمد بن عبد الله الدلائي أشعر قومه وأعلمهم بالآداب.

وشاء القدر أن يتولى أمر الزاوية الدلائية في منتصف القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) رجل طموح من هذه الأسرة المجيدة، بهره بريق الجاه والسلطان وأعماه حب الرياسة، فانغمر في ميدان السياسة. وكانت له مؤهلات كثيرة للنجاح، من عصبية صنهاجية قوية ونفوذ روحي كبير وثروة طائلة، إلى رجاحة عقل وحسن تدبير وبطولة نادرة. ملك السلطان محمد الحاج الدلائي أهم البلاد، وامتد نفوذه فشمل وسط المغرب وشماله وغربه، ودخلت في طاعته سلا، والرباط، ومكناس، وفاس، وتازا، وتطوان، وأسس بالسفح الغربي للأطلس المتوسط مدينته العظيمة التي ورثت عن زاوية الدلاء القديمة اسمها وعلمها ونفوذها الروحي. وقد انضوى تحت لواء الدلائيين المجاهدون البحريون أو القراصنة السلويون، وأقام عبد الله الدلائي في قصبة سلا نائبا عن أبيه السلطان محمد الحاج في حكم مدن أبي رقراق وما يليها من بلاد الغرب، وفي الاتصال بممثلي الدول الاوربية الكبرى التي كان لها قناصل قارُّون في سلا وتطوان يمثلونها لدى الأمير الدلائي، ويفاوضونه في موضوع العلاقات التجارية، والمشاكل الناتجة عن القرصنة البحرية وخاصة مسألة الأسرى وفداءهم. وكان لأسطول الجهاد المغربي وزنه الراجح أيام الدلائيين، يرهبه الأوربيون أكثر من رهبتهم الأسطول التركي في الجزائر، ويسعون بجد في مهادنة الدلائيين والتحالف معهم، رغبة منهم في المحافظة على سلامة أساطيلهم التجارية التي كانت تمخر عباب البحرين الاطلنطيقي والمتوسط. وأمضى عبد الله الدلائي عدة معاهدات مع هذه الدول، ساعدت على نشاط الحركة التجارية في الموانىء المغربية، واستغنت الخزينة الدلائية بالضرائب الجمركية المفروضة على الصادرات والواردات، وتزود الجيش الدلائي بالعتاد الحربي الحديث المجلوب من أوربا. ووجَّه الدلائيون سفراءهم إلى هولاندا، فكانوا محل تقدير واعجاب، واستطاعوا أن يحلوا كثيرا من المشاكل العويصة التي ظلت معلقة بين البلدين طوال سنين عديدة.

غير أنه بالرغم من تمكن سلطة محمد الحاج وانتشار نفوذه لم يستطع أو لم يجرؤ على أن يوحد المغرب كله تحت سلطته، واكتفى بنوع من التعايش السلمي

مع بقايا السعديين في مراكش، ومع العلويين في تافيلالت ودرعة، وأبي حسون السملالي في سوس. وبذلك أصبح لا يعدو أن يكون مجرد حاكم مقاطعة ــ وان اشتملت على أهم أقاليم البلاد ــ وغدا سلطانه غير شرعي بالرغم من البيعات التي حملها اليه علماء المدن والقبائل وأعيانها وفي مقدمتهم أهل فاس، إذ لم يكن من الطبيعي ولا من الممكن أن يظل المغرب مقسما الى مناطق نفوذ تحت سيطرة أربعة من السلاطين بلغ التنافر بينهم منتهاه، بل كان هذا النوع من حكم ملوك الطوائف من مظاهر الضعف والانحلال في البلاد، ومرضا خطيرا أصاب الأمة إن لم تُشف منه أدى بها الى الهلاك. وكان لا بد أن يتغلب أحد المتزعمين الأربعة على منافسيه لتخلص له البلاد كلها، أو أن ياتي زعيم جديد قوي ينتزع السلطة من أيديهم جميعا. والحقيقة أنه كانت للدلائيين في السنين الأولى لإمارتهم قوة حربية كبيرة تمكنهم من القضاء على منافسيهم في يسر، وقد حاربوا فعلا السعديين والعلويين والحقوا بهم هزائم نكراء، لم يكن من الصعب معها الإجهاز عليهم والتخلص منهم نهائيا لولا نسبهم الشريف.

وكان ظهور السلطان الرشيد بن الشريف العلوي في المغرب الشرقي واستيلاؤه على فاس ومكناس بداية النهاية بالنسبة للزاوية الدلائية. وفي الأيام الأولى من عام **1668/1079** غادر الدلائيون زاويتهم الى فاس، والحسرة تملأ أفئدتهم، والدموع تترقرق في مآقيهم، تاركين وراءهم الدور والقصور، والمال والسلاح، والعز والجاه. وأعمل السلطان الرشيد معاول الهدم في الزاويتين الدلائيتين، القديمة والحديثة، فخربهما وطمس ما استطاع أن يطمس من معالمهما، وتركهما خاويتين على عروشهما تعشعش فيهما البوم وتنعق الغربان، باكية سوء طالع الدلائيين وعثر جدهم. ثم بعد النكبة والغربة أدرك العلماء الدلائيون منزلة رفيعة في العاصمة الادريسية، وزاحموا علماءها على منابر التدريس والخطابة في المساجد والمدارس إلى أن أصبحوا يحتلون الصدارة في هذا الميدان. وتولى كثير من الفقهاء الدلائيين خطة القضاء والافتاء في فاس ومكناس وتارودانت، ودرَّس علماؤهم في هذه المدن وفي غيرها كمراكش، وتتلمذ لهم كثير من الناس من جميع الطبقات، حتى الأمراء

العلويون مثل محمد العالم بن السلطان اسماعيل، وعبد السلام بن السلطان محمد بن عبد الله. وخلَّف الدلائيون تراثا علميا هاما يتمثل في عشرات الكتب التي ألفوها في مختلف الفنون، وفي آثارهم الأدبية الرائعة المبعثرة في ثنايا الكتب والكراسات والمجاميع في المكتبات العامة ودور الخاصة، والتي لو جمعت ودرست على الوجه اللائق لكونت دواوين أدبية ممتعة.

وصفوة القول أن الزاوية الدلائية أدت رسالتها الأولى على أحسن وجه، وظلت نبعا فياضا يكرع منه رجال العلم والدين طيلة قرن كامل. ولم ينجح الدلائيون في ميدان السياسة لأن البيئة الروحية التي كوَّنتهم لم تُعِدَّهم ليكنوا ملوكا ذوي بطش وسلطان، فحاولوا أن (يُصوِّفوا) السياسة وقنِعوا بالرقعة التي انبسط نفوذهم عليها تاركين حوز مراكش للشرفاء السعديين، وما وراء جبل العياشي للشرفاء العلويين، ولم يحاربوا أبا حسون السملالي لأنه من سلالة الصالحين، ثم ملكوا فاسا فلم يسكنوا قصر الامارة حتى لا يزعجوا الشريفات السعديات. وظل الدلائيون هكذا حائرين بين المادة والروح والدين والدنيا الى أن جاء السلطان الرشيد بن الشريف العلوي الذي قبض على الأمر بيد من حديد، ووحَّد المغرب كله تحت سلطته، فرد الى الدلائيين رشدهم وحملهم الى فاس ليتابعوا أداء رسالتهم العلمية والدينية كما أداها آباؤهم الأولون.

## ملحق رقم (1)

# ظهير السلطان محمد الشيخ السعدي
# بتعظيم الشيخ سعيد بن أحمد الدلائي (*)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

عن أمر عبد الله تعالى مولانا أمير المومنين، المجاهد في سبيل رب العالمين المؤيد المنصور بالله، القائم بأمره، الشريف الحسني أدام الله عزه وأيد ملكه آمين، محمد الشيخ بن محمد، انا جلدنا بحول الله وقوته لحامل أمرنا العلي المبارك الكريم أسماه الله وخلد مآثره، وهو ولينا في الله سبحانه، الذي نعظم قدره ونلتزم تبجيله وايثاره، السيد الأفضل، الولي الأكمل، المبارك الخير الصالح، الأستاذ المعلم الناصح، سيدي سعيد بن أحمد الدلائي، وصل الله كرامته، ووالى بمنه سعادته، تجديدا تاما، له خاصا ولأخوانه عاما، على ما بيدهم من ظهائر أسلافنا الكرام، وغيرهم رحمهم الله، المتضمنة لشرفهم وتوقيرهم واحترامهم، ومحاشاتهم من سائر كلائفنا(2) ووظائفنا المعهودة لغيرهم، بعد أن تصفحناها فألفيناها مؤسسة المبنى، ومستقيمة اللفظ والمعنى، في غاية ما يكون من التحقيق والتعظيم والرضى، من غير تغيير ولا تبديل، ولا تحريف وتحويل. وتركناهم على ما كانوا عليه من التصرف في بلادهم المعروفة من غير اعتراض لهم فيها ولا نزاع من أهل دائرتنا، ولنعلمهم كافة عبدا وحرا، وقائدا ووزيرا، بأننا ألبسناهم لباس التوقير والاجلال والاحترام، وتوجناهم بتاج العز والاكرام، فلا سبيل لمخلوق عليهم كائنا من كان. ومن حاد عن أمرنا هذا

---

(*) سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 1/7.

(1) الكلائف جمع محرف عن الكُلف، والمفرد كُلفة. وهي ما كان يفرضه الملوك على رعاياهم من اتاوة أو خدمة خاصة، ويقال للكلفة أيضا نائبة.

أو خالفه فلا يلومنَّ إلا نفسه. وعليهم بطريق المسكنة[2] والوقوف على ما تعود نفعه ومصلحته لدارنا العلية بالله ولا بد والسلام. وكتب في سادس محرم الحرام عام ثلاثة وخمسين وتسعمائة.

## ملحق رقم (2)

قصيدة الأستاذ أحمد بن قاسم المنصوري بمناسبة زيارة أطلال الزاوية الدلائية *

طالما تشوقت لزيارة رجال الدلاء، بمقرهم الأول بالدلاء، الى أن اقترح علي الصديق الحميم الأديب النشيط سيدي محمد حجي المفتش بوزارة التربية الوطنية أن أرافقه لزيارة الزاويتين الدلائيتين، الأولى التي كانت ينبوع رجالاتهم ومقر عرفانهم في أول مستقرهم بتلك البلاد الزيانية من فخذ أيت إسحاق وحيث مدفن علمائهم وعظمائهم، والثانية التي صارت دار علم وصلاح ومملكة بعد، وهذه جاءت يسار الطريق الرئيسية من مراكش لفاس على نحو 65 كلم من قصبة تادلا. وتعرف الآن بزاوية أيت اسحاق. أما الزاوية الأصلية الأولى الآنفة الذكر، فقد جاءت شرقيّ هذه بنحو 12 كلم في شعاب جبال الأطلس الزياني، يسلك الذاهب اليها في شقة بمشقة من ثنايا وشعاب، وتلال وعقاب، تُذكرك فيما أنشده الامام ابن حجر عند زيارته لقبر الشيخ الأكبر محيى الدين ابن العربي حيث يقول

قطعنا في زيارته عِقاباً      وما بعد العِقاب سوى النعيم

فيسر الله هذه الزيارة عشية يوم الأربعاء 25 حجة 1381 هـ/30 ماي 1962 م. وعندما وقفنا على تلك الآثار. وهاتيك الديار، التي كانت طافحة بالمعارف زاخرة

(2) المراد بطريق المسكنة طريق التصوف وتسمى أيضا طريق الفقر، لأن المتصوفين الصادقين ينصرفون عن الدنيا ويزهدون فيها.

* نشرت هذه القصيدة في جريدة الميثاق، لسان رابطة علماء المغرب، العدد 12 من السنة الأولى بتاريخ فاتح ربيع الأول 2/1382 غشت 1962. ص 4 تحت عنوان على أطلال الزاوية الدلائية.

وقد توفي الأستاذ أحمد بن قاسم المنصوري بمدينة وادي زم عشية يوم الاثنين 16 ربيع الثاني عام 1384 /21 غشت 1964. رحمه الله وغفر لنا وله.

بالصلاح والدين والكرم، ثم ما آلت اليه من أطلال خربة، وبلاقع ينعق الغراب وينعب فيها البوم، هاج القريحة ذلك المشهد الغريب، والمنظر الرهيب. ومن جهة أخرى أعادت لي تلك الزيارة ذكرى أيام الصبا والشباب التي مرت لي ببلاد زيان، وأطلسها الفينان، وهذا ما تترجم بعضه هذه القصيدة

ذكـرتُ الصِّبـا وعهـده بمرابـعِ مضت بين هاتيك الربوع الروائع

عشيةَ مرَّت بي النجـائبُ خلسةً خلال ثنايـا شاهقـاتِ الطوالـع

ثنايا (بِكَرْضِ الخيرِ) 1 تُسْمَى وأسِدِه 2 ثنايا «زيانٍ» 3 لا النَّقا 4 والأجارع 5

فعادت بي الذكرى لأيامها الأُلى مضت، وليالٍ، ما تُرى برواجـع

زمـانَ شبـابي (6)ينشـي بمرابـع سقتها غوادٍ(7) بالغـوث الهوامـع

مرابعُ كان الجود يهمي(8) حيـالها بمغنى الدلاءِ يا لها مِن مرابع

ويهمرُ العرفان مـن جدرانها انـهمارَ رباهـا مـن غزيـر الينابـع

وينصبُّ رقـراق المحابـر دفقـةً كما انصب رقراق المياه الدوافع

مِن اودبـة أمِّ الربيـع يُمِدُّهـا شبوكةُ 9 واسرُو 10 لانضوب الوقائع11

وكم رتعت في خصب عرفانها ذوو النوايا الحسان في حسان المراتـع

بها فتيـةٌ بالديـن كان هيامُهـا وبالعلم شيبٌ مثل كهلٍ ويافـع

عرايـنُ(12) في أنسابها من برابـر لصنهاجة أولي السيوفِ الشَّعاشع(13)

---

(1) كرض الخير عقبة يصعدها الذاهب لزيارة هذه الأضرحة، ومعنى كرض بالعربية عقبة، أي عقبة الخير. والمراد بالخير رجال تلك الزاوية.

(2) والمراد بأسده الشعبة التي جاءت شرقي هذه الأضرحة المسماة (أقا ازم) بالبربرية أيضا ومعناها بالعربية شعبة الأسد.

(3) زيان هي القبيلة المشهورة وفيها جاءت الزاويتان في فخذ أيت اسحاق.

(4) النقا رملة مستوية.

(5) والاجارع رملة مستوية لاتنبت.

(6) كانت نشأة الشاعر بزيان بمدينة خنيفرة، ولد بمكناس ولكن جاء به والده الى المعسكر الذي كان يرأسه بخنيفرة قبل سابع الولادة، وما برحها حتى هاجمهم الفرنسيون في حملة الاحتلال.

(7) الغوادي جمع غادية:السحاب الذي ينشأ صباحا أو مطرة الغداة.

(8) يهمي يسيل لا يثنيه شيء.

(9) شبوكة واد ينحدر من جبال شرقي مدينة خنيفرة وهو أحد روافد أم الربيع.

(10) أسرو واد ينحدر من شرقي خنيفرة، في حين يهبط أم الربيع من جبال غربي خنيفرة. ويصب واد شبوكة في أسرو ويذهبان بضعة كلمترات فيصبان في أم الربيع. وتجري هذه فتمر ازاء الزاوية بكلمترات.

(11) الوقائع جمع وقيعة نقرة في الجبل يستنقع منها.

(12) العرنين السيد الشريف.

(13) الشعاشع الطوال.

أعزاءُ في أحسابها، إن يهب بها ... غيوثٌ لدى النكبا ليوثُ الوقائع
وفي ليلها تعشو(14) المحاربَ هُجَّداً ... قياماً قعودا جافياتِ المضاجع
ولما أتيت اليوم شوقاً أحجُها ... وفي حجتي حجي جمُلُ الطبائع
وقد خلَّد التاريخ ذكرى رجالها ... رجال يراع أو رماح شوارع(15)
وقلتُ إذا ما فاتني مِن زمانها ... لقاءٌ ففي تلك القباب السواطع
بها قد ثوى المجدُ الرفيع يساوق(16) ... العُلا والمعالي وهي جدُّ روائع
يفوح شذاها من أبي بكر الرضى (17) ... وقطب رحى ذا البيت دون مضارع
مَحمدِ(18) مَن قد طبَّق الافقَ جودُه ... بعلم ومال، فهو جمُّ الصنائع

وبَرٌّ بروزَ الصالحين بوالد ... فجُوزي، ثَمَّ كان خيرَ مُضاجع
سَقَتْهُمْ غوادٍ رائحاتٌ تسوقُها ... هوادي(19) العشايا أو هبوبُ المطالع
فماذا رأيتُ ؟ إذ اتيتُ لروضها ... رأيتُ الليالي قد رَمَتْ بفواجع
رمتها فهدِّت مِن شوامخ ركنِها ... وعزةِ هاتيك القصور اللوامع
تَبَدَّل ذاك الفائقُ الحسنِ نضرةً ... بأطلال بُوم تنعبن وبلاقع
وعاد رحيقُ شربها رنقاً(20) فما ... يلذ مذاقاً أو يسوغ لجارع
فشابت نواصي الزائرين بلوعةٍ ... وغصَّت بدمع من مآق مُشايع(21)
ألا أيها الملتاعُ منها تحسراً ... رويدك، ذاك الدهرُ ربُّ الفواجع
عزاءً، فما ينفكُّ بالقوم غادراً ... فلا تُعْتِبَنْ فالعَتْبُ ليس بنافع
وسلِّم، قضاءُ الله حتمٌ ونافذ ... فكن بقضاه خيرَ راضٍ وطائع

---

(14) تعشو تقصد ليلا.
(15) الرماح الشوارع المسددة.
(16) يساوق يفاخر.
(17) أبو بكر هو قطب هذه الأسرة علماً وصلاحا ودنيا، ولد سنة 943 وتوفي سنة 1021.
(18) مَحمد فتحا هو النجل الابر الذي ملأ الدنيا علما وعملا وفيضا ونوالا وصلاحا. ولد حوالي سنة 967 وتوفي سنة 1046.
(19) هوادي الليل أوائله.
(20) رنقا كدرا.
(21) مُشايع موافق ومساعد.

## ملحق رقم (3)

احدى القصائد التي كان يلقيها شاعر الزاوية الدلائية أحمد الدغوغي في مواسم عيد المولد النبوي الشريف بين يدي الشيخ مَحمد بن أبي بكر يمدحه في آخرها بالكرم واحياء الشريعة واتباع السنة *

| | |
|---|---|
| رحلوا وقاطنُ شوقهم لم يرحلِ | وسَرَوْا بلبي بين تلك الأرحل |
| فألفتُ من جسدي الذبولَ لفقدهم | أسفاً ومِن خلدي ذهولَ البلبل(1) |
| فعلى الطلول تَزايَدُ الزفراتُ مِن | حرقٍ على عبرات دمعي الهُمل(2) |
| يا ربعُ أين ظباءُ حيِّك والمها | وجآذرٌ بهمُ جُييدك كم حلي(3) |
| يا ربعُ ويحك أين مَن بنقائهم | يزهو نقاك كأنه لم يعطل(4) |
| أجرى الضوامر مُدلجين حُداتُهم | متحملي الأثقال أيَّ تحمل |
| ألفوا السهاد من الرقاد وحالفوا | قطع الوهادِ بكل حرف هوجل(5) |
| وسرت بهم تجتاب كلَّ مَضلةٍ | عيسٌ لها شرف يفوق ويعتلي(6) |
| وغدت بهم تختال كل مفازة | من ركبهم حظيت برفعة منزل |
| لِمَ لا وقصدُهُم الذي فضلت به | أعلامُ مكة كلَّ مغني أفضل |
| وبطيب طيبة حيث حل تعطَّرت | كلُّ العوالم وهْو أكرم مُرسل |
| الهاشِمِيُّ الأبْطَحِيُّ محمَّدٌ | هادي الأنام وسيلةُ المتوسلِ |

---

* سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 44/ب وما بعدها.

(1) في النسخ المخطوطة (الدهول البلبل) وهو لا يستقيم من ناحية القواعد النحوية لذلك افترضت أن يكون الأصل (ذهول البلبل). ولعل الشاعر يرى في تغريد البلبل ما يراه غيره في سجع الحمام من تعبير عن الحزن وأثر للذهول.

(2) تزايد مضارع حذفت احدى تاءيه. والهمل ــ بضم الهاء وتشديدالميم المفتوحة ــ جمع هامل، من هملت العين اذا فاضت بدموعها.

(3) المها مفرده مهاة وهي البقرة الوحشية. والجؤذر ــبضم الجيم وبضم الذال وفتحها ــ ولدها. ويضرب بهما المثل في حسن العيون.

(4) النقاء مصدر نقي أي نظف وطهر. والنقا من الرمل القطعة تنقاد محدودبة. وهو يريد هنا مطلق المكان.

(5) الحرف الناقة الضامرة أو العظيمة. والهوجل من النوق السريعة في سيرها.

(6) مضلة ــ بفتح الميم وبفتح الضاد وكسرها ــ أرض يضل فيها السائر. والعيس كرام الابل أو البيض التي يخالط بياضها سواد خفيف. ويقال للجمل أعيس وللناقة عيساء.

خيرُ الأوائل والأواخر مَنْ له نَطَق الجمادُ رِضىً بأفصح مقول
وكذا اليه الجذعُ حنَّ وأنَّ مِن شوقٍ لوطأته بمحضر محفِل
ومِن الزُّلال العذب علَّ محافظا مِن بين أنمله جرى بمسلسل
وشكا البعيرُ اليه فرط عنائه وشكا الغزال إليه خِيفةَ موجل
والضبُّ أفصح معلناً بثنائه والذئب سلَّم جهرةً بتذلل
وأرى انشقاق البدر أوضحَ آية لذوي الشقاق لو اهتَدوا بتأمل
وبكفه صمُّ الحصا لأخي الحصا ة مسبحاً أبدى العجاب لو اجتُلي
ومِن الدليل على علاه سموُّه ليلًا على أعلى العلا شرفاً عِلي(7)
أمَّ الملائكةَ الكرامَ معظماً والمرسلين وساد كلَّ مبجل
ما زال يُصحبه السعودَ صعودُه والله يُزلفه بكل تفضل(8)
حتى دنا مِن قابِ قوسيْ الاصطفا ء بمنزلٍ عنه الوجودُ بمعزل
لولاه ما حصلَ الوجود لواجدٍ لولاه سُبْلُ رشادنا لم تُعقل
لولاه ما عَرَفَ الالهَ ولم يَدِن بتبتل لله حِلْفُ تَبَتُّل
ماذا يحاول مِن ثنائك حادثٌ بعد الثناء من القديم الأول
بك أقسم الجبارُ جلَّ جلاله وعليك صلّى في الكتاب المُنزل
يا مصطفى الرحمن أنت حبيبُه ها أنت أنجح مأمل لمؤمِّل
ها أنت أمنع مَن يُلاذ به حمى ها أنت في الدارين أكرمُ موئل
كن لي بحقك منقذاً مما دهى مِن آجلٍ متوقَّعٍ ومُعجَّل
وأدم لوارث سرِّك السرَّ الذي أورثتَه أبداً يزيدُ وخوِّل
مُحيي شرائعك الزكية حافظُ السّنن السنيةِ ذو العطاء الأجزل
نِعم الامامُ سميُّك العَلَمُ الذي يسمو السماء سناؤه بك اذ حلي

---

(7) (علي) في آخر البيت مضارعه يعلى، كفرح يفرح، بمعنى ارتفع وسما. والاشارة هنا الى قضية المعراج وصعود الرسول الى سدرة المنتهى.

(8) السعود مفعول به ثان مقدم للفعل يصحب ــ الرباعي ــ والفاعل هو صعوده.

وعليك من صلوات ربك دائماً أهمى سحائبها السوامي الهُطَّل(9)
تنهلُّ دِيمتها على ربـــع به كملت سعادةُ جيلنا لا تأتل

## ملحق رقـم (4)

(١) **حزب الفلاح** لمحمد بن سليمان الجزولي*

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم باسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق. جزى الله عنا سيدنا ونبينا محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل ما هو أهله (ثلاثا) ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب (ثلاثا) أعوذ بكلمات الله التامات مِن شر ما خلق (ثلاثا) باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (ثلاثا) سبحان ربي وبحمده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (ثلاثا) أستغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو بديع السموات والأرض وما بينهما من جميع جرمي وظلمي وما جنيته على نفسي وأتوب اليه (ثلاثا) لا إله الا الله محمد رسول الله ﷺ (تسعا) لا اله الا الله سيدنا رسول الله ﷺ ثبِّتنا يا رب بقولها، وانفعنا يا رب بفضلها، واجعلنا من أخيار أهلها، واحشرنا في زمرة قومها (ثلاثا) آمين آمين آمين رب العالمين.

---

(9) ضمير (سحائبها) يعود على السماء وهي مفهومة من السياق غير مذكورة. والسوامي جمع سامية. والهطل ـــ بضم الهاء وتشديد الطاء المفتوحة ـــ جمع هاطل أي نازل متتابع. والسوامي والهطل صفتان للسحائب.

* العربي الفاسي، **مرآة المحاسن**، ص 54 وما بعدها.
لم أعلق على نصوص هذا الملحق لاشتمالها على آيات قرآنية وأحاديث واشارات صوفية يصعب تحليلها في هامش صغير مكتفيا بتصحيح النص تاركا الشرح للتفاسير والكتب المؤلفة في الموضوع كشرح ابن زكري للصلاة المشيشية وهو مطبوع.

(ب) **الصلاة المشيشية لعبد السلام بن مشيش العلمي**

اللهم صلِّ على مَن منه انشقّت الأسرار، وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق، وتنزَّلت علومُ آدم فأعجز الخلائق، وله تضاءلت الفهومُ فلم يُدركه منا سابقٌ ولا لاحق، فرياضُ الملكوت بزهر جماله مُونِقة، وحياضُ الجبروت بفيض أنواره مُتدفِّقة، ولا شيءَ إلا وهو به منوط، إذ لولا الواسطةُ لَذَهَب — كما قيل — الموسوط، صلاةً تليقُ بك منك إليه كما هو أهله. اللهم إنه سرُّك الجامع الدالُّ عليك، وحجابُك الأعظم القائم لك بين يديك. اللهم ألحقني بنسبه، وحققني بحسبه، وعرفني إياه معرفةً أسلمُ بها من موارد الجهل، وأكْرَعُ بها مِن موارد الفضل، واحمِلني على سبيله إلى حضرتك، حملًا محفوفا بنصرتك، واقذِفْ بي على الباطل فأدمَغَه، وزُجَّ بي في بحار الأحدية، وانشُلْني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمعَ ولا أجدَ ولا أُحس إلا بها، واجعل الحجابَ الأعظمَ حياةَ روحي، وروحَه سرَّ حقيقتي، وحقيقتَه جامع عوالمي، بتحقيق الحق الأول، يا أولُ يا آخر، يا ظاهرُ يا باطن، اسمع ندائي بما سمعتَ به نداء عبدك زكرياء عليه السلام، وانصرني بك لك، وأيِّدني بك لك، واجمع بيني وبينك، وحُلْ بيني وبين غيرك. الله، لله، لله، (إن الذي فرض عليك القرآن لَرادُّك إلى معاد). (ربَّنا آتنا مِن لدنك رحمةً وهيِّء لنا مِن أمرنا رَشَداً).

( ج ) **المسبعات العشر**

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم باسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين إياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (سبعا) ـبتكرير البسملة، وأما التعوذ ففي الأولى فقط ـــ سورة الناس (سبعا). سورة الفلق (سبعا). سورة الاخلاص (سبعا). ثم سورة الكافرون (سبعا)ـ بالبسملة في الجميع مكررة مع كل واحدة ـــ آية الكرسي (سبعا). سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (سبعا). اللهم صلِّ

على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد (سبعا). اللهم اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات (سبعا). اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدنيا والآخرة ما انت أهله، ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن أهله،إنك غفور رحيم، جواد كريم، رؤوف رحيم (سبعا).

### ( د ) المعشرات التسع

أشهد أن لا اله ألّا الله أشهد أن محمدا رسول الله (عشرا). صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم (مرة واحدة). أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (عشرا). باسم الله الرحمن الرحيم (عشرا) اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم (عشرا). أستغفر الله إن الله غفور رحيم (عشرا). لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (عشرا). لا اله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (عشرا). سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم (عشرا).الحمد لله رب العالمين (عشرا). الشكر لله رب العالمين (مرة واحدة). حسبنا الله ونعم الوكيل (سبعين مرة).

## ملحق رقم (5)

لشاعر الزاوية الدلائية أحمد الدغوغي في احدى ختمات الشيخ مَحمد ابن أبي بكر الدلائي لصحيح الأمام البخاري *

بُخارَى مِن تأرجها الهباء بخار دون مَخبره الكِباء(1)
وليس المسك والكافور إلّا شذا هو مِن تضوُّعها شفاء

---

* سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 63/ب.

(1) الكباء ــ بكسر الكاف ــ عود البخور. والهباء الغبار. ولعل معنى البيت أن جو مدينة بخارى التي هي مسقط رأس امام المحدثين أبي عبد الله البخارى أطيب من عود البخور.

أمُنكِرَ فضلها أحسدتَ أرضا تقرُّ لها وتحسدها السماء
تنبَّهْ وَيْكَ إنَّ الى بخارَى لِجامِع جامع صحَّ انتماء(2)
أمير المؤمنين أولي انتقادٍ به حسُن انتقاءٌ واتقاء(3)
كانَّ كتابه والكتب منه تمد سميه والاولياء(4)
فمنه به سمياً بل سرياً تُمَدّ الأولياء بما تشاء
ونفس وجوده لما ادلهمَّت دياجي النازلات هو الضياء
وقاء علاك مَن بالأرض طرا فأنت من الشقاء لهم وقاء
مُميتُ الجهل مُحيى العلم نصحاً كما أحيا مميتَ القحط ماء
فمَن عن حجه أقصته منا مآثمُه وأقعده القضاء
فمكةُ حجنا ومُنى منانا وكعبتنا وزمزمُنا الدلاء
وإن لطيبةَ الغرا لَطيباً يعطِّر منه ناديك الهواء
على انا بجاهك وهْو بابٌ مفاتحه لبغيتنا الرجاء
نؤمِّل أن نُبلّغ لا حُرمنا هنا وهناك يُغتنم الدعاء

(2) يسمى كتاب البخارى في الحديث **جامع الصحيح**. لذلك عبر الدغوغي عن الامام البخارى بأنه (جامع جامع).

(3) يلقب البخارى بأمير المومنين في الحديث. ويشير بالانتقاد الى ما قام به البخارى من نقد رجال الاسناد بتعديلهم وتجريحهم تمييز الأحاديث الصحيحة من غيرها.

(4) الضمير في (كتابه) و (سميه) يعود على البخارى. والمعنى أن سائر كتب الحديث تستفيد وتستمد من صحيح البخارى، كما أن سائر الأولياء والصالحين يستفيدون ويستمدون من سَمِيِّ البخارى أي مثيله في الاسم، وهو يقصد محمد بن أبي بكر الدلائي.

## ملحق رقم (6)

اجازة الامام محمد بن قاسم القصار لمحمد بن أبي بكر الدلائي *

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

يقول كاتبه محمد بن قاسم بن محمد بن علي القيسي الغرناطي أصلا وأبا، القصار لقبا، عفا الله عنه وعمن دعى (كذا) له. كان مِن نِعم الله عليَّ لقاء الفقيه المتفنن الصالح مربي طلبة العلم والدين، الكثير الاحسان للضعفاء والمساكين، حاج بيت الله الحرام سيدي محمد بن ولي الله باتفاق، الشهير ذكره في الآفاق، سيدي أبي بكر بن محمد أبقاه الله فخراً للاسلام، ونفعاً للفقراء والأيتام، آمين. فطلب من محبه اجازة فقلت له

أجزتُ لكم مرويَّنا مُطلقاً وما    لنا سائلًا أن تُتحفوا بدعاء

وسمع من لفظي **صحيح البخاري** رضي الله عنه وأجزت له جميعه، **والموطأ** وبقية الستة، **ومسند** أحمد وسائر مصنفات الحديث الشريف، وما في الأوراق قبله[1] وجميع ما اشتملت عليه فهارس ابن الزبير[2] والزين العراقي[3] وابن

---

* سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 30/ا و ب. وقد نقلها من خط الامام القصار.

(1) يشير بذلك الى فهرسته الجامعة لاسانيده-اذ هي التي كانت الاجازة عقبها. وفي قسم الوثائق بالخزانة العامة بالرباط مخطوطة (رقم 71 ج) تشتمل على فهرس الامام القصار.

(2) علي بن الزبير السجلماسي الحافظ المشارك، أخذ عنه الامام القصار ثم تتلمذ له مباشرة الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي. توفي ابن الزبير في فاس عام 25/1035 — 1626.

(3) أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، المعروف بالعراقي الكبير من أكبر حفاظ الاسلام، ومسندي الحجاز ومصر والشام. وهو شيخ الحافظ ابن حجر، توفي بمصر عام 3/806 — 1404.

حجر(4) والشيخ زكريا(5) وسيدي يحيى السراج(6) والنيسابوري(7) وابن غازي(8) ومشيخة ابن النجار(9) وأجزت له جميع مروياتي بأنواعها، وجميع مالي. وكتب محمد المذكور أول ربيع الثاني عام اثني عشر وألف(10) مسلما على من يقف عليه وسائلا دعاءه. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

---

4) الحافظ ابن حجر حجة الاسلام أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، مؤلف كتاب **فتح الباري بشرح صحيح البخاري. و الاصابة في تمييز الصحابة** توفي بمصر عام **1448/852**.

(5) الشيخ زكرياء الانصاري قاضي القضاة بالديار المصرية ومسندها، شيخ الاسلام صاحب التآليف العديدة. وقد طال عمره وأخذ عنه كثيرون. توفي عام **19/925 ـــ 1520**.

(6) يحيى ابن أحمد النفزي المعروف بالسراج حافظ فاس والمغرب الذي انتهت اليه رئاسة الحديث وروايته. له فهرست جامعة لأشياخه. توفي عام **2/805 ـــ 1403**.

(7) هناك محدثون كثيرون ينسبون الى نيسابور أولهم الامام مسلم صاحب **الجامع الصحيح** وقد أورد منهم كحالة في **معجم المؤلفين** عشرات لم أستطع تمييز المذكورين منهم في سلسلة الامام القصار.

8) أبو عبد الله محمد بن غازي العثماني المكناسي، نزيل فاس وشيخ الجماعة بها. ألف في مختلف العلوم، وله فهرست جامعة لأشياخه توفي بفاس عام **1514/919**

9) الحافظ محمد بن محمود البغدادي المعروف بابن النجار أحد الحفاظ الكبار، له عدة تآليف. لم أقف على تاريخ وفاته.

10) كانت وفاة الامام القصار في نفس العام **1604/1012**. وبذلك تكون هذه الاجازة قد كتبت قبل موته ببضعة أشهر فقط.

ترجم للقصار أحمد المقري في **روضة الآس** ، ص **316ـــ332**. انظر كتابنا **الحركة الفكرية، 346:2**، والهامش **6**..

## ملحق رقم (7)

### إجازة الشيخ محمد المرابط الدلائي للحسن اليوسي (*)

أما بعد حمد الله مؤهل أهل اصطفائه للاقتداء بسيد البشر، ومُنهل خاصة أوليائه مناهل السنن والاثر، الميسر لهم من طريق الاجازة مدارجها، ومن أعالي الاسانيد معارجها، حتى اجتلوا من سماء معارفها أقمارها، ومن أدواح عوارفها أثمارها، ووقفوا بعرفات العرفان، فتدفقت لهم جداول الاحسان. والصلاة والسلام على سيدنا محمد واسطة عقد النبيئين، وصفوة خلاصة الصديقين، وعلى أهل بيته الاطهار، وحماة دينه الانصار. وبعد فإن اتصال الاسانيد غاية يتجارى لاجتيازها ذوو النباهة من فضلاء الامصار، ويتبارى في الامتياز بشرفها الكبراء في عامة الأعصار، حتى لقد ركبوا في طلابها التنائف(1)، واقتحموا في ابتغائها المخاوف، ورفضوا الأوطار والأوطان، وهجروا المعاهد والاخوان. وكيف وهي العروة التي مدار العرى عليها، والمأثرة التي مرجع المآثر اليها، وقد سلك ذلك السنن الصدر الرئيس، فارس الاملاء والتدريس، شيخ الجماعة بالديار البكرية، والحضرة الدلائية، ذو التدقيق المعهود، أبو الحسن بن مسعود، صاحب النباهة الشامخة، والنزاهة الباذخة، والجلالة العليا، والهمة التي نيطت بالثريا، المتمسك من الرواية بأسبابها، ومن الدراية بأهدابها، مَن ألقت اليه المعارفُ زمامها، وجمعت السيادة ما وراءها من المجد وأمامها، فرغب إلي أن أجيزه، وأشايع تبريزه. فأجبت مراده، وبادرت اسعاده، فأجزته إجازة تامة، مطلقة عامة، في كل ما يصح لي وعني روايته،ويرفع في أندية الاجازة بنده ورايته، من كل مقروء ومسموع، ومفرد ومجموع، ومنثور ومنظوم، ومأثور ومفهوم، على الخصوص والعموم، على نهج الرواية المعلوم، مما أحاطت به فهرست الامام ابن غازي بروايتنا اياها عن شيخ الاسلام ابي عبد الله

---

(*) فهرست اليوسي، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم 1234 ك، ورقة 67.

1) التنائف جمع تنوفة وهي البرية التي لا ماء فيها ولا أنيس.

محمد العربي بن ابي المحاسن يوسف الفاسي، عن ابي عبد الله القصار عن ابي النعيم رضوان بن عبد الله(2) عن أبي محمد عبد الرحمن بن علي الشهير بسقين(3) عن مؤلفها أبي عبد الله بن غازي. وفهرسة ابي العباس المنجور(4) والامام المنثوري(5) وابن الزبير، وحدّثته بذلك عن مولانا المحدث الزاهد العارف بالله عبد الهادي بن عبد الله الحسني(6)، عن والده الامام(7) وعن القصار وأبي العباس المعروف بابا السوداني(8) وأبي العباس أحمد بن محمد الشهير بابن القاضي وغيرهم من مشايخه، وإجازة الشيخين أبي محمد عبد الهادي، وأبي عبد الله العربي اياي، وهما عامتان في كل ما يحملانه أو يقولانه أو ينقلانه، وأجزت له أن يروي ذلك عني، وأذنت له فيه إذناً تاماً تلقاه لفظاً وكتابة منى على شرطه المعتبر، عند أئمة الاثر. قال ذلك وكتبه بيده متلفظاً بالاجازة أواخر شهر الله الحرام مفتتح عام تسعة وسبعين بموحدة قبل العين، وألف، محمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي عفا الله عنه بمنه آمين.

---

2) أبو النعيم رضوان بن عبد الله الجنوي، المحدث المكثر الراوية، رحالة أهل زمانه، توفي بفاس عام 991 هـ. 1583 م.

3) أبو محمد عبد الرحمن بن علي المعروف بسقين، الفقيه المحدث الراوية، رحل الى الشرق وأخذ فيه عن جماعة من المحدثين توفي عام 956/49 — 1550.

4) أبو العباس بن علي المنجور المكناسي الاصل، الفاسي المولد والنشأة والوفاة. كان أحفظ أهل زمانه وأعرفهم بالتاريخ مشاركاً في جميع الفنون الاخرى من معقول ومنقول.له تآليف عديدة **وفهرست** جامعة. توفي عام 995/86 — 1587.

5) أبو عبد الله محمد بن عبد الملك القيسي الغرناطي المعروف بالمِنتُوري (بكسر الميم) من أشهر الحفاظ المحدثين. توفي عام 834/30 — 1431.

6) أبو محمد عبد الهادي بن الامام عبد الله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي. كان من أهل العلم والدين. وهو مؤلف كتاب **فلك السعادة، الدائر في فصل الجهاد والشهادة** توفي بالحرم الشريف عام 1056/46 — 1647.

7) الامام عبد الله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي، كان له باع كبير في العلم والعمل والدين واتباع السنة. توفي عام 1044/34 — 1635 بلاد مدغرة من اعمال سجلماسة.

8) أبو العباس أحمد بن أحمد المدعو بابا السوداني الصنهاجي، ألف نحو 40 تأليفاً، منها **كفاية المحتاج** وفيه ترجم لنفسه، ابتلي في بلاده لما احتلها جيش المنصور الذهبي، وسيق أسيراً في القيد إلى مراكش، ثم اطلق سراحه مع قومه. وقد تتلمذ له كثير من علماء المغرب قبل أن يرجع الى السودان حيث توفي عام 1036/26 — 1627.

## ملحق رقم (8)

رسالة بعث بها احمد المقري من القاهرة الى شيخه محمد بن ابي بكر الدلائي حينما مرَّ محمد الحاج بمصر لدى رجوعه من الحج عام 1631/1041*

خليليَ إن جئت الدلا وجرى ذكري — لدى حضرة الشيخ الرّضَى ابن إبي بكر
نتيجة سرٌ الأولياء محمد — مُعرِّف كليات فضلٍ بلا نكر
فأخبره أني لم أحُل عن وداده — ولم يوهِن البينُ الملمُّ قُوى صبري
ولا ما أقاسي في اتقاء غوائل — يكيد بها ظلما ذوو الضغن والمكر
أناس نسوا حدَّ الزمان وفَتْكة — بِمَن رَاحَ مِنْ رَاحِ الغواية في سكر
فسل سيدي حسنَ الخلاصِ لحائرٍ — وختماً بحسنى كي ينير به فكري

يامفرداً علما اهتدى الجمع السالم بلألائه، وتثنَّت في رياض ولائه غصونُ آلائه، وروى مسند رأيه عن جابر سعيه عن علائه، ما يسنده في مجالس إملائه. أهدي اليك يابركة الزمان، وبقية الناس بهذا الأوان، الذي حار فيه من يروم الامان، وغلِقَتْ فيه الرهان(1)، ولم يثق لولا وجودك بضمان، من ارتاب في حال غريمه ومان، تحية تنافح خلالك، وتصافح ــ أبقى الله جلالك ــ ظلالك، وتؤدي بعض حقك الذي راق مرأى اجتلائه. وأنهى الى معاهدك الشريفة، ومشاهدك المربعة الوريفة، على بعد الديار، وجري بعض الاغراض على الاختيار، أن العبد المخلص على ما تعهد، من الود الذي به القلب يشهد.

سلوا عن محبة الرجال قلوبكم — فتلك شهودٌ لم تكن تقبلُ الرُّشى

وقد مهد في ديار الغربة فرشاً، وسلم لأحكام الأقدار، في هذه الدار، الكثيرة الأكدار، ولم يسلك منهج من عاند الدهر وقصد به تحرشا. والدهر ذو ألوان، ولبعض أفعاله على غيرها عنوان، في إمراره وإحلائه. فأما الشوق الى سيدي ووليي فلا يستوفي وصفَه القلم واللسان، وحدِّث عن مسند أحمد(2)

---

* مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 471 ك. ص 47 ــ 53.

1) غلق الرهن في يد المرتهن (من باب فرح) صار ملكا له بسبب عجز الراهن عن افتكاكه.

2) يورِّى المقرى هنا بكتاب المسند للامام احمد ابن حنبل، وهو يقصد نفسه واشتياقه الى شيخ الدلاء.

بما شئت من طرق هي مع غرابتها حسان. وأما الحال، في الحل والترحال، فقد لبست من الصبر احسن بزة، كِبَرٌ ورقة حالة وفراق أحبةٍ أعِزة، محن لو أن أقلها يُرمَى به جبلٌ لهزَّه. اللهم غفراً، وشكراً لا كفراً. حج الفقير مراراً خمساً، وأضحى في بعض محاوراً وأمسى، واستجلى من طيبة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام في سبع مرار بدراً وشمساً، وجاور هنالك ، ودرس وصنف وأضاء فكره الحالك، ونطق لسانه في الحضرة النبوية، بالمطالب الدنيوية والاخروية همساً، ومما منَّ الله به عليه أنه ألف بالحضرة **فتح المتعال، في مدح النعال و أزهار الكمامة، في أخبار العمامة.**وكل منهما مجلد كبير، فاح منه عنبر وعبير، وحاز إن شاء الله الشرفين، بالتصنيف في هذين الطرفين، الذين أحاطا بالذات الطاهرة، وكان صنيف كتاب العمامة تجاه الرأس الشريف لمناسبة باهرة. وكان قصد العبد أن يرسل بهما الى سيده قبل هذا التاريخ فقدر الله أن بعض كبراء الدولة أخذهما، ولم يبق والله عندي إلا الأصل فقط. وكانت اقامة ابن سيدي(3) في مصر قليلة، لم يمكن في مدتها كتبهما. ولعل الله ييسر في ذلك بعد. وقد ختمت كتاب العمامة برجز اشتمل على زبدته وقد وجهته اليكم صحبة هذا المكتوب، وهو مكتوب بالمدينة المشرفة على صاحبها الصلاة والسلام، ثم زرت بيت المقدس ثلاث مرات، ومواطن الانبياء والصحابة والتابعين لهم بإحسان بالشام كرات، ثم عدت في هذا الوقت الى مصر، بقصد الرحلة بالعيال الى الشام، والله المسؤول في تيسير الأمر، ورفع الأُصر(4). وما ذكرت بعض هنا إلا على وجه التحدث بنعم الله ذي الامتنان، لا على وجه التفاخر الذي ينبغي للموفق أن يصرف الى غيره العنان، نعم بقلبي يا سيدي ــ سلَّمكم الله ــ حسرةٌ جلت، وحيرة حلَّت، خلَّفه في كربة في بلاد غربة وخلت، وهي أمر البنت التي بفاس، وقد ضاقت وحق ذا من أجلها الانفاس، اذ لم يمكن اليها الوصول، وتعسَّر مجيئها إليَّ على وجه محكم الوصول. والقصد من بركات سيدي شمولها بالنظر، والاعانة على تزويجها

---

3) الاشارة الى محمد الحاج ابن الشيخ محمد بن ابي بكر الدلائي.

4) الاصر النقل والذنب.

بلائق ممن حضر، وهنا غاية المقدور، بل ومنتهى المرام ونفثة مصدور، وكم حسرات في نفوس كرام. وقد أرسلت اليها مع النجل الاجل سيدي محمد شكر الله سعيه، وأدام صونه ورعيه، سبعة وثلاثين ريالا كبيرة، جهد مقل تراكمت عليه لولا تثبيت الله أمور مبيرة(5)، والقصد إرسالها اليها بفور بلوغه في السلامة، وإذا أبرم القدر شيئاً فلا عتاب ولا ملامة، وقد أرسلت الى الاصهار والفقيهين سيدي عبد الواحد (بن) عاشر وسيدي محمد بن سودة ببيع الكتب على طريقة الاذاعة والاظهار والنداء عليها في محل الرغبات، ومظان الطلبات، ودفع ثمنها في مؤن هذه البنت، التي بوجودكم عليها أمِنت. وأما أمها فقد كنت ملَّكتها أمرها(6) قبل فلم ترض، والآن وقد غلب الظن اني لا أقدر على القيام بما لها من فرض، إذ قدومي متعسر، والعكس غير متيسر، ولا يليق تأخير العصر الى الاصفرار، ولا الهروب من مواقف الابطال والفرار، ولا ضرر ولا ضرار، والحزم عدم الاغترار، فلها طلقة مملكة إن شاءت، وقد صدرت منهم فعلة أحزنت، وفلتة ساءت، وهي بيع بعض الكتب التي نعبت في تحصيلها، وجعلت تصحيحها نتيجة العمر، ومن جملتها ابن غازي والعيني على الالفية وغيرهما مما لا يجهل فضله حتى الغمر، وأخبرني بعض الجوراريين والتواتيين بحضرة النجل أنها عنده بتوات(7)، وذكر لي علامات في هذا الكتاب بخطي والدهر بردها غير موات، فهل يعدل الكتب شيء، وما بعد الرشد الا الغي، وإذا كانت نفائس الكتب تباع خلسة، فبيعها بالملأ أنفى للدلسة. وما أظهرت مثل هذا لسيدي الا لعلمي أنه الثقة الوائق الالوف، بل سيدي واحد العصر المعدود بالألوف، ولا يفتى ومالك بالمدينة، اللهم احفظ مقام سيدي ودينه. فليكن ما سطرته على شريف علمه، وإن أسأت فليحفني برداء حلمه، فلا عطر بعد عروس، والمشاهدة قد ينوب عنها ما في سطور الطروس، وقد أوصيتهم أن يكتبوا ما بقي من الكتب في زمام، ويرسلوه لسيدي لعله يختار منها ما يراه وهو الامام، الذي به التمام.

5) المبيرة المهلكة، من البوار، والفعل أبار بمعنى أهلك.

6) تمليك المرأة أمر نفسها عبارة عن ان يجعل الزوج حق الطلاق بيد زوجته لتفك العصمة الزوجية إن شاءت.

7) توات إقليم بالصحراء الشرقية المغربية كان الفرنسيون قد اقتطعوه أيام الحماية وألحقوه بالجزائر.

والواصل لسيدي العقيدة التي منَّ الله بنظمها وهي **إضاءة الدجنة بعقائد أهل السنة**، وقد كتب من هذه العقيدة بالحرمين واليمن ومصر والشام أكثرُ من ألفي نسخة كتبت خطي على أكثرها ودرستها بمكة وبيت المقدس ودمشق ومصر والاسكندرية ورشيد وغزة، ولله المنة، والعزم على شرحها الآن متوفر. وأما **قصيدة العمامة**، الموجهة مع هذه فهي خاتمة أزهار الكمامة، وأرسلتها مع ما فيها من الاصلاح تبركا بكونها كتبت بحضرته صلى الله عليه وسلم في تلك الاوراق غير الورقة الاولى فإنها كتبت بمصر بدلا من التي بالمدينة لعذر اقتضى ذلك. والقصد استمطار الدعاء، من تلكم الحضرة ــ علم الله ــ لا التبجح بذلك على وجه الرياء، والأعمال بالنيات، لم نر من سيدي مكتوباً مع النجل العزيز ولا ندري ما سبب ذلك.

إذا كان المحب قليل سعد     فما حسناته إلا ذنوب

وكل ما يفعل المحبوب محبوب، أستغفر الله فسيدي أجل مِن أن يعاتب، وما الفرق بين العبد في الشهادة والمكاتب، وقد أكثرت على سيدي فليسمح ويصفح والسلام معاد على حضرة مقامه ورحمة الله وبركاته. وكتب عن عجل أواخر شهر ربيع النبوي سنة واحد وأربعين بعد الالف وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

## ملحق رقم (9)

أبو حامد محمد العربي الفاسي يمدح شيخه محمد بن ابي بكر الدلائي★

| | |
|---|---|
| أدارٌ بذات السدر في الجانب الشرقي | سقاك الحيا ما دام صوبُ الحيا يقسي |
| وإني لمِن عيني عليك سحائبٌ | تسحُّ إذا شحَّت بها أعينُ الودق(1) |
| وقفت على الرسم المحيل فشاقني | فأبكي وأستدعي العهاد وأستسقي(2) |
| فما برحت مُزْنُ الغمام حوافلا | لحمل من الربعيِّ في ربعها تلقي |
| تساجلني أني لها دون حامل | ولى حامل الذكرى لأهليَ والشوق |
| وتُذكرني، لو كنتُ أنساهُمُ، الصبا | تهبُّ بمسراها (ومؤتلق) البرق(3) |
| وساجعةٌ تفتنُّ في نغماتها | على الفنن اللدن الوريق من الورق |
| وأحسبها مثلي اذا قلت قد بكت | وأين بكاها من بكائي على لِفقِ(4) |
| فما أذرت الدمع السفوح وشملُها | جميعٌ وفرخاها لديها على لمق(5) |
| ولي مقلةٌ تهمي كأنَّ شؤونها | شآبيب قد فاضت من الواكف الشرقي(6) |
| ودون أُفَيْراخي تنائف نيفت | على العشر للساري من أفقٍ إلى أفق(7) |
| وشمل على حكم الشتات مبدد | وقلب على تلك التفاريق في فرق(8) |

---

★ سليمان الحوات، البدور الضاوية، ورقة 170 ــ 171.

1) الودق المطر، وسح نزل وهطل. عكس شح بمعنى انحبس

2) الرسم المحيل آثار الديار القديمة التى أتت عليها أحوال وأعوام.

3) في النسخ المخطوطة (موّتلى) ولعلها محرفة عن موّتلق.

4) اللفق ــ بكسر اللام وسكون الفاء ــ الجزء والشقة من شقتي الملاءة. يقال للرجلين لا يفترقان هما لفقان. واللفق الذي افتقده الشاعر وبكاه هو ابناؤه كما توضحه الابيات التالية

5) أذرت العين الدمع صبَّته، واللمق مصدر لمق اليه ــ من باب نصر ــ إذا نظر اليه.

6) الشآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر. والواكف : السحاب. وآخر كلمة في هذا البيت في النسخ المخطوطة (الفرق) لعلها محرفة عن الشرقي.

7) التنائف مفردها تنوفة وهي القفر التي لا ماء فيها ولا أنيس.

8) الفرق ــ بفتح فسكون ــ الانشقاق والتصدع.

وعندي أُفيراخٌ هنا، وسواهم      هناك، وكم فِلقٍ لقلبي وكم فِرق[9]
فعندهم شقٌّ وآخرُ هَاهنا      وما أن يكاد الشق يبلغ بالشق
تناءت بنا الاقطار حتى كأننا      حروفٌ بأقطار البيوت من الوفق
وأنّسني ضربٌ من الفال أنها      لجمع، وهل جمعٌ يُحاول بالفرق[10]
ولم يُبْقِ مني الشوقُ إلا حشاشةً      وللشوق ما يفني وللشوق ما يُبقي
وهان عليَّ ما لقيتُ ولم يهن      عليَّ الذي لاقى الأحبة من ضيق
يعزُّ عليَّ أن يُرَوَّع سِربُهم      وأن يشربوا بعد الصفاء من الرَّنق[11]
وإني بأحوال الزمان لعارف      فآونة يُحلي وآونة يُعقي
ولست على أبنائه الدهر عاتباً      وإن وكسوا حظي وإن غمضوا حقي
وإني أنا الطاوي على اليأس كَشْحَه      إذا بان لي أن الرجاء من الحمق
وأهجر نفسي إن يمل بي وصلها      على ظماءٍ مني إلى المورد الطرق
ولا أنثني إن صمم العزم جانحا      إلى وطن أو ساكن فيه أو علق
وإن سرت عن من لي عليه ولادة      كفاني فيه مالكُ الخلق والرِّزق
إذا لم تكن بالغرب أرض تقلني      بعزة نفس كانت الارض بالشرق
وما قيد النفس الشرود سوى الذي      أجار وأجرى سيبه دائم الدفق
فنفَّس عن نفسي وأنَّس غربتي      وفرَّج لي كربي وحلَّ عُرى خنق
وسنَّ لي الآمال حتى حسبتها      تُزَفُّ إليَّ مسرعات على طرق
فيجمع لي الشمل الشتيت ويلأم الـ      ـفتيت ويلقى الله براً بما يلقي
وناهيك بالشيخ الامام محمدٍ      إمام الهدى الهادي الأنام الى الحق
بحيث توافى الحلم والعلم والندى      وحيث تساوى القول والفعل في الصدق

---

9) الفِلق والفِرق ــ بكسر فسكون ــ الجزء والقسم من الشيء. يقول الشاعر إن قلبه ممزق كثيرا، بعضه مع أبنائه هنا، وبعضه مع غيرهم هناك..

10) الاشارة في هذا البيت والذي قبله الى اصطلاحات علم الوفق وسر الاسماء. الشاعر يشبه نفسه وأهله بالحروف الموزعة على مربعات جدول الوفق، غير أنه يتفاءل بأن يجمع مع ذويه كما تجمع حروف الجدول. ثم يتساءل كيف يمكن جمع الشمل وهو يمعن في الابتعاد والافتراق.

11) الرنق ــ بفتح فسكون ــ الماء الكدر.

مقلَّدُ أعناقِ الرجال قلائـداً من العُرف تقليدَ الحمائم بالطَّوق
إليه طوى عَرْضَ البلاد مُشردٌ نجا بدماءٍ مستجيرا من البوق(12)
إليك إليـك آبيَ العار حـامي الـ ـــذمار مجير الجار من كل ما يُشقي
فأنتم بنو الشيخ ابي بكر الذي حَمَى وسما بالمجد والدين والخُلق
وما كان ذاك الشيخ يُسلم جارَهُ ولو لامه الأملاك معْ سائر الخَلق
وقد كان حقا عنده نصرُ جـاره وأنتم لعمري وأرثو ذلك الحق
بَقِيتُم وذاك الارث فيكم مؤبَّدٌ ولله سرٌّ فيكـمُ دائماً يلقي

12) البوق مصدر باق القوم عليه ــ من باب نصر ــ اذا اجتمعوا فقتلوه ظلما. ويشير الشاعر في هذا البيت الى فراره من الشيخ المامون السعدي الذي سلم مدينة العرائش الى الاسبانيين وأرغم العلماء على أن يفتوه بمشروعية تصرفه الطائش. ارجع في هذا الموضوع الى صحيفتي 113 ــ 114 من هذا الكتاب.

## ملحق رقـم (10)

رسالة بعث بها أحمد بن عبد الله الدلائي الى السلطان إسماعيل يعتذر عن تخلفه بتلمسان*

باسم مَن يضع الملك حيث يشا، فاختار له على علم قريشا. يتفيأ ظلال الدوحة النبوية، ويتنسم عَرْفَ أزهار عوارفها المصطفوية، ويترقى إلى حيث النجوم الشوائك، والمعالي أرائك. مَن تحمرُّ من هيبة جلاله الانفاس، على خدود الاطراس، ويتشرف بلثم يمين طالما ازدحمت على تقبيلها الاملاك، وانجابت لحسن صنيعها عن بني الآمال الأحلاك. أبقاها الله آخذة بيد مَن زلَّ به الزمان، ولحلِّ ربقة كل عان. ولتقبيل أفواه وإعطاء نائل وإمساك هندي وحبس عنان، وشيد لراقمه في كنف الدولة الهاشمية كَنْفا(1)،واستوهب له منها عفوا لا يعقب ندامة ولا خوفاً. دولة مولانا الذي مَلَكَ البواطن بحسن بشره وعفوه، والظواهر بشدة بأسه وسطوه، محيي الدولة، ودريئة(2) الابطال عند الجولة، قاهر الملوك، وواسطة عقد السلوك، مَن دانت لهيبته فتاكة الاقطار، وترنمت لمآثره حُداة القطار، ظل الله على بريئته الظليل، أبو الفتوحات مولانا اسماعيل. لا زالت رياح العز تنشر خوافق ألويته وراياته، والنصر يتلو في مآزق الحروب محكم آياته. وليت شعري بم أحيِّي ذلك المقام النبوي، والجناب العلوي، وأي عبارة أرتضيها للإفصاح عن قدره، أو تقوم بمواهب حقه وبره، وغاية جهدي يستغرقه عفو فضائله، ولو كنت سحبان وائل، ويخجله أسير فواضله،

---

* سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 114/أ وأحمد بن الحاج، **الدر المنتخب المستحسن** ج 6، ورقة 34/ب. وكان السلطان اسماعيل بن الشريف قد كتب الى الدلائيين المبعدين في تلمسان عام 1674/1085 يأذن لهم بالرجوع الى المغرب، فالتحقوا مسرعين بفاس ما عدا أحمد هذا فإنه ظل بتلمسان، إذ كان يدبر أمر الثورة مع أتراك الجزائر. ولما ألح عليه قومه في الدخول الى المغرب حسماً للشائعات التي تضر بهم كتب هذه الرسالة الى السلطان معتذرا وطالبا منه كتابا يبعث به الى والده عبد الله في الجزائر.

1) يعني الكاتب نفسه بقوله (لراقمه). وكنف الدولة حرزها وظلها. وكنف الثانية ــ بفتح الكاف وسكون النون ــ الحفظ والصون.

2) الدريئة آلة كالترس يتقي بها المحاربون الطعن والضرب. ويصف الكاتب السلطان اسماعيل بالشجاعة والاقدام حتى كأنه ترس يدرأ عن ابطاله مهالك الحرب.

حتى أكون في الفهاهة كباقل. إن قلت تحية كسرى في السنا وتُبَّع(3)، جف القلم استحياء من سلوك هذا المهيع. وأولى ما يحيَّى به ذلك المقام الذي اتخذ الافلاك مهادا، والنجوم وسادا، بالتحية التي أضاء الشرع نبراسها، وأدار على أمته كاسها، وأغفل الله عنها الامم وأجناسها، وخبَّأها لهذه الامة المحمدية تكرمة لها فلم تستنشق أمة غيرها وردها ولا آسها. سلام على سيدنا ورحمة الله تعالى وبركاته، ورضوانه الأعم وتحياته. من عبدٍ له يخر على طرف بساطه لاثماً، ويقضي من حقوق الخدمة فرضاً لازماً. أحمد بن عبد الله. أوجبها الى الحضرة الكريمة التي يتلقى فيها الصادرُ الواردَ بالبشائر، ويسلو فيها الغريب الخائف بحسن ملاطفتها عن الاهل والعشائر، الإعلام لسيدنا بعذري عن التخلف. فليعلم مولانا السلطان نصره الله ان موجبه ما معي من عيال أبي فكرهت أن أفتات(4) عليه في عياله وهو غائب، فلم أزل استدنيه حتى بلغ الجزائر. ولما خرج برسم الوصول الى العُبَّاد حرم القطب الغوث أبي مدين نفع الله به وجد هذه الفتنة بين يديه(5). فتأخر حتى يسكن هرجها، ويخمد وهجها. ولا يصغي مولانا ـــ نصره الله ـــ الى أقوال الوشاة فينا إن بلغه غير هذا ولا يقبله، فإن الله سبحانه وتعالى لم يقبل في مولانا أقوالهم، ولا وافق شهواتهم وأغراضهم. ولو وافق أغراض البعض في البعض، ما أُديَ نفل ولا فرض. ولا يضيق علينا مولانا من عفوه ما وسع أهل المغرب. فقد مددنا الى سيدنا أكف الضراعة، مستشفعين اليه بجده صاحب الشفاعة، يمن علينا بعفو يزيل إيحاشنا، ويسكن جاشنا، أبعثه إلى والدي فإن أحب فذلك هو المطلوب، والأمل المرغوب. والا ركبت الى سيدي عزما يحكي الرياح في الهبوب، فقد طالت في

---

3) يشير الكاتب هنا الى اعلام ضرب بها المثل قديماً. فسحبان وائل عرف بالفصاحة في الجاهلية والاسلام حتى قيل انه أخطب العرب. وباقل بن عمرو الايادي اشتهر في الجاهلية بالعي والفهاهة اي العجز عن الكلام. وكسرى أنو شروان اعظم ملوك فارس عرفه العرب عن طريق أمرائهم في الحيرة وضربوا المثل جلاله ورفعة شأنه. وتبع واحد التبابعة، وهم ملوك اليمن القدماء المعروفون حضارتهم وشدة بأسهم.

4) أفتات عليه استبد بالرأي دونه.

5) يشير الكاتب الى احدى الثورات التي قام بها التلمسانيون فقضى عليها الاتراك بعنف شديد. ولم يُصب الدلائيين المقيمين في حرم العباد بتلمسان شر هذه الفتنة لان عبد الله الدلائي الذي كان اذ ذاك في عاصمة الجزائر أوصى قائد الحملة التركية المتوجهة الى تلمسان أن يجنب جنوده مساكن الدلائيين.

انتظاره الغربة، ونالتني من ذلك كل كربة. والله سبحانه المسؤول، أن يبلغني ما أرجوه بكم من كل مطلوب وسول، فأنا عبدكم المتشرف بخدمتكم، والنبات الذي أنبت تحت رباب سحابكم(6).

ووالله ما فارقتكم عن قِلىً لكم ولكنَّ ما يُقضَى فسوف يكون

والسلام على سيدنا ورحمة الله وبركته.

---

6) الرباب ـ بفتح الراء ـ السحاب الابيض.

# مصادر الرسالة

أورد في الثبتين التاليين أهم المصادر العربية والافرنجية التي رجعت اليها، وهي مرتبة على أسماء المؤلفين بحسب حروف الهجاء (الترتيب المغربي) مع ذكر سنة وفاة من مات من المؤلفين.

## أ ـــ المصادر العربية


ابن ابراهيم (تـ 1959/1378) عباس المراكشي

1 ـــ **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، 5 أجزاء (فاس 1937/1356). وقد طبع بالرباط في 10 أجزاء سنة 1983.

ابن ابي زرع (تـ حوالي 1319/719) أبو العباس أحمد.

2 ـــ **الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** جزآن (الرباط 1936/1355).

ابن بطوطة (تـ 1376/777) محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي.

3 ـــ **تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار**، (الطبعة الاولى بمطبعة وادي النيل في القاهرة عام 1287).

ابن الحاج (تـ 1819/1235) أحمد بن محمد بن حمدون السلمي.

4 ـــ **الدرر المنتخب المستحسن في مآثر مولانا الحسن**، (مخطوط مكتبة الشيخ خير الدين الزركلي بالرباط).

ابن حزم (تـ 1063/456) أبو محمد علي بن سعيد الاندلسي.

5 ـــ **جمهرة أنساب العرب**، (تحقيق ليفي بروفنسال ـــ مصر 1948).

ابن خلدون (تـ 1406/808) عبد الرحمن

6 ـــ **كتاب العبر** ـــ القسم الاخير المتعلق بالدول الاسلامية بالمغرب جزآن (نشره البارون دوسلان في الجزائر 1847/1263).

ابن زيدان (تـ1365/1946) عبد الرحمن العلوي.

7 ــ **اتحاف اعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، 5 أجزاء (الرباط 1347/1929).

8 ــ **المنزع اللطيف في التلميح لمفاخر مولاي اسماعيل بن الشريف** ، مخطوط الخزانة العامة بالرباط 595 ج.

9 ــ **العز والصولة في معالم نظم الدولة** ، (المطبعة الملكية بالرباط 1381/1961).

ابن الزيات (ت 627/29 ــ 1230) يوسف التادلي.

10 ــ **التشوف الى رجال التصوف** (نشره أدولف فور بالرباط سنة 1958). وقد أعادت كلية الآداب بالرباط نشره سنة 1984 بتحقيق أحمد التوفيق.

ابن مرزوق (ت 782/1380) محمد الخطيب (الاكبر) التلمساني.

11 ــ **المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا ابي الحسن**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 111 ق). وقد نشر سنة 1981 في الجزائر، بتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا.

ابن علي (ت 1364/1945) محمد الدكالي السلاوي.

12 ــ **الاتحاف الوجيز بأخبار العدوتين المهدى لمولانا عبد العزيز**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 42 د). نشرته شنة 1986 الخزانة العلمية الصبحية بسلا بعناية مصطفى بوشعراء.

13 ــ **كتاب في الرباطات**، (مخطوط مكتبة ابن غازي بمكناس).

14 ــ **كناشة علمية**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 91 ج).

15 ــ **مجموع فيه أخبار الدلائيين**، (ميكرو فيلم الخزانة العامة بالرباط 36).

ابن عسكر (ت 986/1578) محمد بن علي السريفي الشفشاوني.

16 ـــ **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، (المطبعة الحجرية بفاس ـــ بدون تاريخ). نشرتُه سنة 1976 بمطبعة دار المغرب بالرباط، ثم أعيد نشره بالأوفسيط سنة 1977.

ابن القاضي (تـ 1616/1025) أحمد بن محمد المكناسي.

17 ـــ **جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس** (المطبعة الحجرية بفاس).

18 ـــ **درة الحجال في غرة أسماء الرجال**، جزآن، (نشرهما يـ. س. علوش بالرباط سنة 1934).

19 ـــ **لقط الفرائد من لفاظة حقاق الفوائد**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 270 ك). نشرتُه سنة 1976 ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات بمطبعة دار المغرب بالرباط.

ابن سودة (معاصر) عبد السلام المري. مات رحمه الله عام 1980/1400.

20 ـــ **دليل مؤرخ المغرب الاقصى**، (تطوان 1950/1369). وقد أعيد نشره سنة 1960 بالدار البيضاء في جزأين.

أكنسوس (تـ 1877/1294) محمد بن احمد المراكشي.

21 ـــ **الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي** (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 965 د) وهي النسخة التي اعتمدتها. وقد طبع على الحجر بفاس عام 1336 هـ.

أملاق (كان حيا أواخر القرن 13 هـ/19م) عبد القاهر بن محمد بن أحمد بن الحسن.

22 ـــ **الخبر عن ظهور الفقيه العياشي بهذه البلاد وذكر سبب قيامه بوظيفة الجهاد**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 91 د).

البناني (تـ. 1234/18-1819) أحمد بن عبد السلام.

23 ـــ **تحلية الآذان والمسامع، بنصرة الشيخ ابن زكري العلامة الجامع**. (مخطوط الخزانة العامة بالرباط، 650 كـ).

البستاني (تـ 1301/1883) المعلم بطرس

24 ــ **دائرة المعارف للبستاني**، 11 مجلدا، بيروت 1293/1876).
بوجندار (ت 1345/1926) محمد الرباطي
25 ــ **الاغتباط بتراجم أعلام الرباط**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1287 د). وقد نشر سنة 1987 بالرباط مصورا بالأوفسيط عن المخطوط.
26 ــ **مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح** ، (مطبعة الجريدة الرسمية بالرباط 1345 هـ).
التازي (ت 1247/31 ــ 1832) أبو محمد عبد الودود بن عمر.
27 ــ **نزهة الاخيار المرضيين في مناقب العلماء الدلائيين البكريين** (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1264 ك).
كَنون (معاصر) أبو محمد عبد الله الطنجي.
28 ــ **النبوغ المغربي الادب العربي**، 3 أجزاء، الطبعة الثانية (بيروت 1961).
29 ــ **خل وبقل**، (المطبعة المهدية بتطوان، بدون تاريخ).
الحافي (كان حيا عام 1160/1747) أحمد بن عاشر بن عبد الرحمن السلاوي.
30 ــ **الفهرست**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1421/ك ضمن مجموع من ص 251 الى ص 308.
الحجوي (ت 1376 / 1956) محمد بن الحسن الثعالبي
31 ــ **الرحلة**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 123 ح).
32 ــ **الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي**، 4 أجزاء ، (الرباط ــ فاس 1345).
الحجوي (معاصر) محمد المهدي
33 ــ **حياة الوزان الفاسي وآثاره**، (الرباط 1354/1935)
الحوات (ت بعد عام 1233/1817) أبو الربيع سليمان بن محمد العلمي الشفشاوني.
34 ــ **البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 261 د).

35 ــ **ثمرة أنسي في التعريف بنفسي** ،(مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1264 ك).

داود (معاصر) أبو عبد الله محمد التطواني. مات ــ رحمه الله ــ في 4 رمضان 1404/4-6-1984.

36 ــ **تاريخ تطوان** ، (تطوان 1379/1959)

الدلائي (ت 1046/1636) محمد بن أبي بكر.

37 ــ **الفهرست**،(مخطوط مكتبة محمد ابراهيم الكتاني بالرباط).

دينية (ت 1358/1939) أبو عبد الله محمد بن علي الرباطي.

38 ــ **النسمات الندية من نشر ترجمة احمد دنية**، (الرباط 1355 هـ).

الزركلي (معاصر) الشيخ خير الدين.

39 ــ **الاعلام**، قاموس تراجم. 10 أجزاء، (الطبعة الثانية بدون ذكر تاريخ ولا مكان الطبع).

الزياني (ت 1055/45 ــ 1646) عبد العزيز بن الحسن بن المهدي

40 ــ **الجواهر المختارة، فيما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 66 ج)

الزياني (ت 1249/1833) أبو القاسم.

41 ــ **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1577 د).

42 ــ **الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 658 د).

43 ــ **الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار العالم براً وبحراً** (مطبعة الانباء بالرباط، عام 1967، بتحقيق عبد الكريم الفيلالي.)

44 ــ **قصة المهاجرين المعروفين اليوم بالبلديين بفاس**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 270 ك).

الكتاني (ت 1323/5-1906) جعفر بن ادريس.

45 ـــ **الرياضة الربانية، في الشعبة الكتانية**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط، 497 ك).

الكتاني (ت 1345/26 ـــ 1927) محمد بن جعفر

46 ـــ **سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، ثلاثة أجزاء، (المطبعة الحجرية بفاس 1316 هـ).

الكتاني (ت 1382/1962) عبد الحي

47 ـــ **فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، جزآن (فاس 1346). أعادت دار الغرب الاسلامية نشره سنة 1982 بعناية إحسان عباس في ثلاثة أجزاء، الاخير منها خاص بالفهارس.

الكتاني (ت 1350/1931) عبد الكبير بن هاشم.

48 ـــ **روض الانفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 2.164 ك)

مؤلف مجهول

49 ـــ **تاريخ الدولة السعدية الدرعية التاكَمادرتية**. (نشره جورج كولان في الرباط 1353/1934).

مؤلف مجهول

50 ـــ **التعريف بأحمد الششتري**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1419 د).

المحبى (ت 1111/1699 ـــ 1700) أبو عبد الله محمد

51 ـــ **خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر**، (مصر 1284)

المنصوري ( ت. 16 ربيع الثاني 1384/24 غشت 1964) أحمد بن قاسم الزياني.

52 ـــ **تاريخ زيان**، مخطوط خزانة المؤلف بوادي زم، ويسميه **أكباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر**.

ميكروفيلم 946 في الخزانة العامة بالرباط.

المنوني (معاصر) محمد بن عبد الهادي المكناسي
53 ــ **ركب الحاج المغربي**، (تطوان 1953).
المقري (تـ 1632/1041) أحمد بن محمد التلمساني
54 ــ **أزهار الرياض في أخبار عياض**، 3 أجزاء (مصر 1939/1358)
وقد أعادت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمغرب نشره كاملا في 5 أجزاء سنة 1980 بتحقيق سعيد أعراب، ومحمد بن تاويت، وعبد السلام الهراس.
55 ــ **نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، أربعة أجزاء، (المطبعة الازهرية بمصر 1302 هـ). أعيد نشره في بيروت سنة 1968 بتحقيق إحسان عباس في 8 أجزاء، الاخير منها خاص بالفهارس.
المشرفي (تـ 1895/1313) العربي بن علي المعسكري.
56 ــ **الحسام المشرفي لقطع لسان الشاب الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن الكنسوس**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 2276 ك).
ميارة (تـ 1072/61 ــ 1662) محمد بن أحمد.
57 ــ **اختصار الدر الثمين والمورد المعين في شرح المرشد المعين**، (مصر 1348).
الناصري (تـ 1897/1315) أحمد بن خالد السلاوي.
58 ــ **الاستقصا لاخبار المغرب الاقصى**، 9 أجزاء (الدار البيضاء 1954).
59 ــ **طلعة المشتري في النسب الجعفري**، جزآن، (المطبعة الحجرية بفاس).
الناصري (تـ 1716/1128) أحمد بن محمد بناصر الدرعي.
60 ــ **الرحلة الناصرية**، جزآن (المطبعة الحجرية بفاس 1320 هـ).
الناصري (كان حيا عام 1745/1158) محمد المكي بن موسى الدرعي.
61 ــ **الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة**، مخطوط الخزانة العامة بالرباط 265 ك).

الصومعي (من رجال القرن العاشر) عبد الرحمن.

62 ــ **التشوف الصغير**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1103 د).

الضعيف (كان حيا عام 1820/1236) أبو عبد الله محمد الرباطي.

63 ــ **تاريخ الدولة السعيدة**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 758 د).
وقد نشرته سنة 1986 دار المأثورات في الرباط بتحقيق أحمد العمّاري.

العكاري (تـ 1746/1159) علي بن محمد ــ الحفيد ــ الرباطي.

64 ــ **مناقب الشيخ سيدي علي العكاري أو البدور الضاوية في ذكر الشيخ وتلاميذه وبناء الزاوية**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 88 د).

العلمي (تـ 22/1135 ــ 1723) محمد بن الطيب.

65 ــ **الانيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب**، (المطبعة الحجرية بفاس 1315).

علوش (معاصر) ي. س. وعبد الله الرجراجي.

66 ــ **فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط**، جزآن (الرباط 1958).

عمار (معاصر) علي سالم.

67 ــ **أبو الحسن الشاذلي**، جزآن، (مصر 1952).

عنان (معاصر) محمد عبد الله.

68 ــ **نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين**، (مطبعة مصر ــ بدون تاريخ).

العياشي (من رجال القرن 12 هـ/18م) أبو محمد عبد الله بن عمر.

69 ــ **الإحيا والانتعاش، في تراجم سادات زاوية أيت عياش** (مصور الخزانة العامة بالرباط، 1433 د.)

العياشي (تـ 79/1090 ــ 1680) أبو سالم الرحالة.

70 ــ **الرحلة العياشية أو ماء الموائد**، جزآن (المطبعة الحجرية بفاس 1316).

الفاسي (تـ 1642/1052) أبو حامد محمد العربي بن الشيخ ابي المحاسن.

71 ـــ **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن**، (المطبعة الحجرية بفاس 1906/1324).

الفاسي (تـ 65/1179 ـــ 1766) محمد بن أحمد بن محمد عبد القادر.

72 ـــ **المورد الهني بأخبار مولاي عبد السلام بن الطيب القادري الحسني**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1234 ك)

73 ـــ **شرح درة التيجان**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1432 ك).

الفاسي (تـ 21/1134 ـــ 1722) محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر.

74 ـــ **المنح البادية في الاسانيد العالية والمسلسلات الزاهية والطرق الهادية الكافية**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1249 ك).

الفاسي (تـ 97/1109 ـــ 1698) محمد المهدي.

75 ـــ **تحفة أهل الصديقية، بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية.** (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 76 ج).

76 ـــ **ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الاتباع**، (المطبعة الحجرية بفاس 1313 هـ).

الفاسي (تـ 1685/1096) عبد الرحمن بن عبد القادر.

77 ـــ **ابتهاج القلوب بخبر الشيخ ابي المحاسن وشيخه المجذوب**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 326 ك).

78 ـــ **الاقنوم في مبادىء العلوم**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 15 ك)

79 ـــ **تحفة الاكابر بمناقب الشيخ عبد القادر ـــ** الفاسي ـــ (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 2330 ك).

80 ـــ **شرح العمل الفاسي**، مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم 821.

الفضيلي (تـ 98/1316 ـــ 1899) ادريس بن أحمد العلوي.

81 ـــ **الدرر البهية والجواهر النبوية**، جزآن، (المطبعة الحجرية بفاس).

الفشتالي (تـ 1623/1032) عبد العزيز.

82 ـــ **مناهل الصفا في تاريخ دولة الشرفا**، ميكرو فيلم الخزانة العامة

بالرباط رقم 779. (وقد نشره الأستاذ عبد الله كَنون).

القادري (تـ 1773/1187) محمد بن الطيب.

83 ــ **نشر المثاني لاهل القرن الحادي عشر والثاني** جزآن، (المطبعة الحجرية بفاس 1892/1310).

84 ــ **نشر المثاني الكبير**، (جزآن، مخطوط الخزانة العامة بالرباط 2253 ك). وقد طبع الكبير والصغير معاً في أربعة أجزاء بالدار البيضاء، 1977ــ1986.

القادري (تـ 91/1206 ــ 1792) عبد السلام بن عبد الله الخياط

85 ــ **التحفة القادرية** ، في مناقب عبد الله الشريف الوزاني ورجال الشاذلية عموماً، جزآن، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 2321 ك)

86 ــ **تقاييد تاريخية** (مخطوط الخزانة الملكية بالرباط 248).

السوسي (تـ 1963/1383) محمد المختار.

87 ــ **المعسول**، 20 جزءا، (الدار البيضاء 1960/1380).

88 ــ **خلال جزولة**، أربعة أجزاء (المطبعة المهدية بتطوان بدون تاريخ).

الشنتنواني (معاصر) أحمد ومن معه.

89 ــ **دائرة المعارف الاسلامية**، (مصر 1933/1352).

الولالي (تـ 1715/1128) أحمد بن يعقوب.

90 ــ **مباحث الانوار في أخبار بعض الاخيار**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 2305 ك)

اليازغي (تـ 22/1238 ــ 1823) محمد بن ابي بكر.

91 ــ **حدائق الازهار الندية في التعريف بأهل الزاوية الدلائية البكرية** (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 261 د).

اليحمدي (19/1132 ــ 1720) محمد بن أحمد بن الحسن

92 ــ **واسطة العقدين في ترتيب الكناشتين**، جزآن ضخمان جدا كانا مجزأين من قبل في 10 أجزاء، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 330 ك).

اليفرني (تـ. بعد 1150 ــ 1737) محمد الصغير المراكشي
93 ــ **روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف**، (المطبعة الملكية بالرباط 1962/1382).
94 ــ **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، جزآن، (طبعة أنجي 1888).
95 ــ **صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر**، (المطبعة الحجرية بفاس).
اليوسي (1690/1102) ابو علي الحسن بن مسعود.
96 ــ **المحاضرات**، (المطبعة الحجرية بفاس 1317 هـ).
97 ــ الفهرست، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1234 ك).
98 ــ **تاليف في العكاكزة**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1224 ك).

* * *

99 ــ **مجلة البينة**، الرباط، السنة الاولى، 1963.
100 ــ **مجلة تطوان**، تطوان، السنوات 58ــ59ــ1963.

# ب ــ المصادر الأجنبية


— Ch. ANDRE JULIEN,

*Histoire de l'Afrique du Nord* de la conquête arabe à 1830, (Paris, 1952)

— J. BERQUE,
*Al Youssi,* problèmes de la culture marocaine au XVIIe siècle, (Paris 1958)

— H. DE CASTRIES,
*Les sources inédites de l'histoire du Maroc* - de 1530 à 1845, (Paris 1905 et suite) Angleterre, France et Pays-Bas

— R. COINDREAU,

*Les corsaires de Salé* (Paris 1948).

— G. DRAGUE,

*Esquisse d'histoire religieuse du Maroc,* (Paris 1951)

— JEAN-LEON L'AFRICAIN,

*Description de l'Afrique,* Nouvelle édition traduite de l'Italien, par A. Epaular, 2 volumes, (Paris 1956)

— M. H. LAVOIX,

*Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale,* (Paris Imprimerie Nationale, MDCC CI).

— E. LEVI-PROVENÇAL,

*Les historiens des Chorfa* (Paris 1922).

— Mission Scientifique du Maroc

*Villes et tribus du Maroc,* (Paris 1918 et suiv.), Rabat et sa région T. I.

— H. TERRASSE,

*Histoire du Maroc,* T. II, (Casablanca, 1951).

Archives berbères et bulletin de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines,
*Hesperis,* (Paris, 1925 et suiv.).

*Archives marocaines,* (Paris, 1904 et suiv.) T. XXVIII.

*Encyclopédie de l'Islam,* (Paris, 1913 - 1942)

# فهارس

* فهرس الأعلام البشرية والقبائل والأمم
* فهرس الأماكن
* فهرس اللوحات المصورة
* فهرس الموضوعات

# الفهرس

## الاعلام البشرية والقبائل والأمم(*)



(*) لم نثبت في فهرس الأعلام والأماكن ما يتكرر منها كثيراً مثل الدلاء، الدلائيين، الزاوية الدلائية، السعديين، العلويين، البربر، العرب، المغرب، المشرق، المسلمين، المسيحيين أو النصارى... وسكان المدن والقرى والجبال مثل السلويين والرباطيين والفاسيين والزيانيين... وكذلك ما في الهوامش والملاحق.

# فهرس الأماكن

# فهرس اللوحات المصورة

# فهرس موضوعات الرسالة

## الباب الرابع
## الدلائيون والسياسة



## الباب الخامس
## انتشار نفوذ الدلائيين السياسي



## الباب السادس
## نهاية الزاوية الدلائية

## الباب السابع

## أثر الدلائيين في خارج زاويتهم



## ملاحق



## مصادر الرسالة



## فهارس عامة

HAJJI MOHAMED

# LA ZAOUIA DE DILA

Contribution à l'histoire religieuse, culturelle et politique du Maroc au 17e siecle

1988